الحياة العلمية

في مدينة بلنسية

كريم عجيل حسين





ساعدت جامعة بغداد على نشره

مؤسسة الرسالة



الحياة العلمية

في مدينة

بلنسية الإسلامية

(٩٢ - ٤٩٤ هـ = ٧١١ - ١١٠٢ م)

تأليف

كريم عجيل حسين

(رسالة ماجستير)

إشراف الدكتور عبد الرحمن علي الحجي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

رقم تسلسل التعضيد ١٣٣ لسنة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

● الطبعة الأولى : ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

بحث أجيز بتقدير « جيد جداً » من كلية الآداب بجامعة بغداد
وهو جزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ الاسلامي ٠

مؤسسة الرسالة
بيروت ـ شارع سوريه ـ بناية صمدي وصالحة ـ تلفون ٢٩٥٥٠١ـ٢٤١٦٩٢
ص٠ب : ٧٤٦٠ ـ برقياً : بيوشران

الاهـــداء

إليكما أهدي أولى الثمار .. ثمارَ نبت نَهَلَ من طيبكما ونما في ظِلِّكما الحنون الطهور ، دعاءً الى الله أن يرحمكما ،

الى والديَّ الكريمين .

هذا بحث نال جُلَّ عنايتكَ ، في سعيك المبارك المسهم في تبيان معالم منهج البحث التاريخي الاسلامي ، فهو إنتاج — وإن قَصُرَ عما تريد — مدينٌ لك بما يحمل من صفاء ،

الى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الرحمن علي الحجي .

ولدُكما وتلميذُكم

عبد الكريم

شكر وعرفان

أتقدم بوافر الشكر وجميل العرفان لأستاذي الفاضل الدكتور عبد الرحمن علي الحجي • فقد كان لتوجيهه العلمي السديد وملاحظاته العلمية الدقيقة طيلة مدة اعداد هذا البحث ، الذي واكبه بعناية معهودة ، الفضل الكبير في اخراجه بهذا الشكل • وكانت مكتبته الخاصة العافلة خير عون على اتمام هذا البحث • فالعديد من المصادر الاندلسية ـ خاصة ـ المخطوط منها والمطبوع بالعربية وغيرها ، لم يكن باستطاعتي الاطلاع عليها ، لعدم توفرها في مكتبات العراق العامة ، لولا كرمه العلمي الذي جعل مكتبته في متناولي وفي أي وقت • ان المجال يضيق عن تعداد ما انتفعت به من مخطوط ومطبوع من هذه المكتبة الغنية • فلأستاذي شكر وتحية وأسأل الله تعالى أن يثيبه عني خيرا • وأشعر أني أتعبته كثيرا فأسأل أستاذي الفاضل عفوا وان كانت سماحته الكبيرة وطيبته تغنيني عن الاعتذار •

أزجي شكري وتقديري لمعلمي ومدرسي وأساتذتي في جميع مراحل الدراسة وأخص أساتذتي في المرحلة الجامعية والسنة التحضيرية للماجستير •

يطيب لي أن أشكر الدكتور الفاضل عبد الهادي التازي ، سفير المغرب بالعراق سابقا ، الذي تكرم فأهدى لي صورة مخطوط نفيس ، جـزء من مقتبس ابن حيـان الخاص بالسنوات حول

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

أولاً : إطار البحث

كان ظهور الاسلام أكرم بداية في حياة الانسانية ، ومبدأ حياة علمية شعت أنوارها ، فالقرآن الكريم دعوة الى العلم والتعلم والتعليم • ولما فتح المسلمون الأنْدَلُس عام ٩٢ (٧١١) ، لم يجدوا فيه من العلم شيئا ، فبثوا بذور العلم التي نمت في ظل الأجواء التي وفروها في البلاد الجديدة . فكانت علوما وآدابا متعددة وحضارة منيرة •

ازدهرت الحضارة الاسلامية في كل ميادينها ، في بلاد الاسلام كافة ، التي امتدت من الأطلسي غربا الى أواسط آسيا شرقا • كانت حواضر العالم الاسلامي ومدنه وقراه حافلة بالنشاط العلمي المتنوع ، من طلب له وبث وتأليف فيه • فالمسلم يسعى حثيثا في طلب العلم ، وطلبه ـ كما هو بثه ـ عقيدة عند المسلم •

التاريخ الاسلامي السياسي والحضاري بحاجة الى دراسة، ومع أن الجانب السياسي دُرس في كثير من جوانبه ، لكن بعض هذه الدراسات لا تفي بالحاجة ، لسرعة في البحث أو لعدم عمق أو لخطأ منهجي وقصر في التصور •

نال الجانب الحضاري من تاريخنا الاسلامي سهما أقل من عناية الدارسين ، فهو بحاجة الى دراسة مستفيضة علمية منهجية • لعل قلة الكتابة عن الحضارة الاسلامية أمر حسن ، جنبها التشويه •

إن المهتمين بالدراسات التاريخية الاسلامية مدعوون الى إعطاء أهمية أكبر لدراسة التاريخ الحضاري ، بأسلوب يستقرىء الأحداث ذاتها غير منتزعة من طبيعتها أو خصائصها الذاتية • فأي ناظر للشمس وهي مشرقة يرى ضوأها وهو مشرق مضيء ، فعليه مهما كانت وجهته وبلده أن يقر بهذا ، والاقرار به يُضيِّق مجال التقول والتزييف ، ولعل الذين يريدون أن يزيغوا فيها لا يذكرون صفتها الحقيقية •

تحمل الدراسات الحضارية لتاريخنا أهمية ، باعتبارها تمثل جانبا حقيقيا للمجتمع الاسلامي ووجها عمليا للاسلام ، لهذا ترتفع أهمية اختيار موضوع الحياة العلمية في الدراسات الاسلامية •

تشمل الحياة العلمية مجمل النشاط العلمي والأدبي والفكري والفني وتمثل جانبا بارزا ومهما وأمينا من جوانب الحضارة الاسلامية • دراسته بمثابة تسليط الضوء على ميدان يمثل أصالة الحضارة الاسلامية وإبداعها وغزير عطائها وجميل حياتها وإشراقة جوانبها من أجل معرفة الباعث لها ، المثري لانتاجها العلمي ، تطلعا اليه في نهضة حضارية وعلمية كريمة للانسان المعاصر •

وقع الاختيار على الأندلس لدراسة الحياة العلمية ، لأنه خط الاحتكاك الحضاري بين العالم الاسلامي في طرفه الغربي ، الذي عاش الكشوفات العلمية ، وأوروبا النصرانية ، التي كانت تتخبط في جهلها وجاهليتها • معرفة الحياة العلمية في الأندلس ، تُوقف الباحث على الانجازات العلمية التي أبدعها المسلمون في بقعة من عالمهم الاسلامي ، وخطوة لدراسة تأثير

العلوم الاسلامية في المدنية الأوروبية الحديثة، باعتبار الأندلس أهم معبر لجوانب من الحضارة الاسلامية الى أوروبا ٠

ان التاريخ الأندلسي السياسي والحضاري، على حد سواء. ميدان خصب للدراسات العلمية ، لم تتصدَّ لدراسة جوانب منه الا بحوث علمية قليلة ، فهو بحاجة الى مزيد من الدراسات العلمية المتظافرة الأمينة ٠

كان الاختيار لمدينة بَلَنْسِيَة الاسلامية ، نموذجا من الاندلس ، تتوفر فيه مقومات البحث ، يُسهل دراسة الحياة العلمية ، الأمل أن تتلوه نماذج تالية للدارسين ٠ فبلنسية حاضرة كورة كبيرة من كور شرق الاندلس ، كان التصفح الاول للمصادر يشير الى كثرة أعلامها العلماء ، وهذا ما يؤمل أن يؤيده البحث ٠ واختيار بلنسية فرصة علمية للتعريف بمدينة اسلامية ، حفلت بالنشاط العلمي المتنوع ، وشهدت حضارة راقية ، لم يكتب عنها بحث واف ٠

لم ينحصر العالم الاسلامي في المدينة المنورة ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ وبغداد ودمشق والفسطاط والقيروان وقرطبة وبخارى ، إنما حواضر كثيرة ومدن وقرى ، كلها نعمت بثمار الحضارة الاسلامية وانجازاتها الطيبة الخيرة ، وإن تفاوتت في مستواها ، فهي واحدة في الأسس والبناء والوجهة ، التي هي سمة للتوحد ، الذي عاشه العالم الاسلامي، لقيامه على شريعة واحدة ، هي الشريعة الاسلامية ٠

ان الحديث عن العلم في بلنسية لا يعني تقطيع العلم أو النظر اليه بالصفة الاقليمية ، لكنه رصد للتيار العام المستمر في لون منه أو مقطع أو مكان بصفاته العامة ووصفه الشامل

في هذا المكان ومن خلال معرفة التيار أو النبع العام ، والا فالحياة العلمية الاسلامية كل لا يتجزأ ، لا يمكن النظر اليها ـ وكذا الحضارة الاسلامية ـ الا وحدة واحدة في كل بلادها ، للأسباب المذكورة ، مع الأخـذ بالتفاوت الموجود في المستوى والتأثـير •

إن بلنسية جزء من المجتمع الاندلسي يسري عليها وعليه مايجري على وفي العالم الاسلامي• ولا يقلل من قوة هذه الصفة، التي يمكن أن نطلق عليها صفة التَّوحد ، في ظاهر الأمور وباطنها ، في المظهـر والمخبر ، وجود بعض الصفات لهـا أو التفصيلات في أمور كلية أو تخصص في بعض الأمور السائرة في عين الاتجاه •

هذا النوع من البحث في تاريخ الحضارة لم تقم عليـه الدراسة الحديثة الا قليلا ، بحث يستقل بالموضوع أو بجزء منه • بعض هذه البحوث ضمن الحديث العام أو ربما توفرت دراسات سريعة غير متخصصة وكل هذا كان في غير بلنسية •

درست الحياة العلمية في بلنسية خلال المدة الواقعة بين سنة ٩٢ وسنة ٤٩٥ • التاريـخ الاول يحـدد بداية الفتـح الاسلامي للأندلس ، عنده بُثت بذور الحياة العلمية ، متمثلة بالقرآن العظيم والحديث الشريف بالدرجة الاولى • عام ٤٩٥ يمثل حدثا سياسيا مهما ، هو عودة بلنسية الى حظيرة الاسلام بعد نكبتها بالطغيان القشتالي •

لم يكن القرنان الهجريان الثاني والثالث من تاريخ بلنسية ليقدما مادة تغني البحث ، فهذان القرنان كانا بمثابة مدة احتضان لبـذور العلم وتفتح لبراعم الحياة العلميـة ، التي

نشطت في القرن الرابع ، فازدهرت فيه الحضارة الاندلسية في شتى ميادينها ، سيما منذ عهد الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠ ـ ٣٥٠) ٠ كان مطلع القرن الخامس بداية الازدهار العلمي في بلنسية ، الذي بلغ غايته في النصف الثاني منه حتى قبل التسلط القشتالي المباشر (٤٨٥ = ١٠٩٢) ، الذي عطل من عطاء الحياة العلمية وشل نشاطها ٠ كان بالامكان الوقوف بالدراسة عند بداية الاحتلال القشتالي الغشوم ـ المذكور ـ إلا أن دراسته تنفع في معرفة حقيقة ما تركته الايام العصيبة من أثر على الحياة العلمية ولون العلوم والآداب التي كانت أبرز من غيرها في هذه الفترة أو برزت خلالها ، ودور العلماء في أحداث مجتمعهم ، دون ترك فجوة ، بل الوقوف على أبواب عهد متفتح سمح لقافلة العلم باستئناف المسير ٠

إن تتبع الحياة العلمية وهي بذرة الى أن أعطت ثمارها ، احتاج لهذا الوقت ٠ فنمو الحياة العلمية يسير في عمقه وتوسعه متأثرا بالاحداث العامة والرقي الحضاري وبقدراته الذاتية على النمو ٠ فأتاحت المدة المنفسحة التي تصدّت لها الدراسة تتبع هذا النمو ودراسته عن كثب ، لم يكن فيها محذور إلا ما احتاجته من جَهد واستغرقته من وقت ، في تقميش مادتها وسبرها واستقرائها وتصنيفها وتحديد ما يمكن الانتفاع منها ٠

ان دراسة الحياة العلمية في بلنسية خلال القرون الأربعة ، أتاحت الفرصة للاطلاع علـى النشاط العلمي في الاندلس ، كانت أهميته في خدمة موضوع البحث واكسابه عمقا وشمولا ٠

★ ★ ★

ثانيا : أبواب البحث

هذا البحث في أربعة أبواب وخاتمة :

١ ـ الباب الاول

مدخل عام : دراسة عامة موجزة في جغرافية وتاريخ الاندلس وبلنسية • وقع في فصول أربعة :

الفصل لأول :

تناول جغرافية الاندلس وبلنسية، معرفا بهما وبجغرافية بلنسية ومواردها الاقتصادية• فالظواهر الجغرافية ذات أهمية في تهيئة أجواء أكثر ملائمة للحياة العلمية ، بتحديدها نوع النشاط الانساني • ومن ثم فأهمية الموقع الجغرافي ـ مسرح الاحداث التاريخية ـ تبرز في ظواهر ادارية وسياسية •

الفصل الثاني :

اهتم بدراسة خطط بلنسية العمرانية ، فعدد من خططها مثل المساجد والمنتزهات كانت أماكن للنشاط العلمي • والخطط دلالة على عمران المدينة ، الذي له ارتباط وثيق بالحضارة • وكان لابد من دراسة لسكان بلنسية الذين أشادوا ذلك العمران.

الفصل الثالث :

تناول ادارة بلنسية ، التي أصبحت مركز كورة منذ بداية عهد الامارة في الاندلس ، وحاضرة إمارة منذ مطلع القرن

الخامس الهجري • ان أهمية المركز الاداري الذي تمتعت بـه بلنسية يظهر من توجه أنظار أهل حوز واسع اليها طلبا للعلم والتجارة وغيرهما ، فكان عامل نشاط في حيويتها في شتى الميادين وازدياد تقدمها الحضاري • عُرضت بعض الامثلة من أعمالها ، في محاولة لمعرفة التقسيمات الادارية في الاندلس، وبعض مواضع الاحداث ، التي أسهمت بلنسية في جوانب منها، وكانت أماكن اتجه منها طلبة العلم الى بلنسية وبالعكس •

الفصل الرابع :

خُصص لدراسة تاريخ الاندلس أولا وبلنسية ثانيا • ملقيا الضوء على أهم الاحداث والتغيرات التي سجلها الاندلسيون والبلنسيون ، فللاحوال العامة تأثير مهم على الجو العام الذي تنمو وتترعرع فيه الحياة العلمية ، التي تتجاوب مع المراحل الحضارية للمجتمع • وهذا الفصل يرتبط به الفصل الثالث بوضوح •

٢ ـ الباب الثاني

تناول أسس الحياة العلمية وعوامل نموها وقع في فصلين:

الفصل الاول :

في أسس ومقومات الحياة العلمية ، مُهد له بما كانت عليه بلنسية وغيرها عند الفتح الاسلامي من الناحية العلمية • ثم بُين أساس ومقوم الحياة العلمية: القرآن العظيم، فمعرفته تقدم الوضع الحقيقي الواقعي الامين لغرس الحياة العلمية ونموها وازدهارها •

الفصل الثاني :

خصص لعوامل نمو وازدهار الحياة العلمية وشمل نقاط عدة : أولها الاساس الذي قامت عليه ، والتوحد الذي عاشه العالم الاسلامي والحالة السياسية والاجتماعية في بلنسية ودور الحكومة وحرية الحياة العلمية ·

٣ ـ الباب الثالث

تحدث عن المؤسسات العلمية وأعرافها ، وكان في فصول ثلاثة : أولها المؤسسات العلمية : وهي الاماكن التي شهدت النشاط العلمي وكانت على نوعين : المؤسسات العلمية : وهي الاماكن التي شهدت نشاطا علميا واضحا أو التي أنشئت للأغراض العلمية بالدرجة الاولى ، مثل المساجد ودور العلماء والمكاتب · وشبه المؤسسات العلمية : وهي التي لم تنشأ أصلا لأن تكون مراكزَ للنشاط العلمي ، ولم تشهده بشكل واسع ، مثل القصور والمتنزهات · معظم مؤسسات هذين النوعين هي مؤسسات حرة،لم يكن للحكومة دور مباشر في إنشائها والانفاق على ما تتطلبه باعتبارها مؤسسة علمية ، وتعيين العلماء للتدريس فيها أو توجيهها وجهة معينة،فهي مؤسسات اجتماعية حرة · وتبرز الحقيقة القائلة أن العلم عند المسلمين يمارس أينما وجد العالم والطالب ، وكان المسجد أبرز المؤسسات العلمية ويليه دار العالم ·

الفصل الثاني :

اعتنى بطرق التدريس ، فقد تعددت طرق أو أساليب تدريس العلوم وايصالها وتفاوتت في أهميتها · ان طرق

التدريس (الرواية) مما عني به المُحَدِّثون غاية العناية في حرص علمي كبير على التثبت مما يتداولونه من علم ، فكانت طرق التدريس ـ وهي طرائق المحدثين ـ طرق تدريس العلوم المختلفة ، وقد اعتني بدراسة أهمها وهي : السماع والقراءة والاجازة العلمية ٠

الفصل الثالث :

عالج الألقاب العلمية ، التي تحدد مكانة العالم من العلم وبين المجتمع ٠ فوجد أن الحياة العلمية تعارفت على ألقاب عامة مثل الامام والحافظ وخاصة مثل المُحَدِّث والفقيه ٠ ووجد بعض التفاوت في أهمية اللقب الواحد وشروط إطلاقه ٠

٤ ـ الباب الرابع

استأثر بميادين النشاط العلمي ، في تمهيد وفصلين ٠ التمهيد : نظرة عامة مركزة في بعض جوانب الحياة العلمية العامة في الاندلس ، يأمل أن تعين على دراسة العلوم في بلنسية ، وبموجز عن مراحل نمو النشاط العلمي فيها علَّه ينفع في دراسة ظواهره المتنوعة ٠

الفصل الاول :

انعقد لدراسة العلوم ، دراسة لظواهر متنوعة مما حفلت به بلنسية من نشاط في كل علم وأدب وفن ، مع اشارات عنه من الاندلس والعالم الاسلامي كلما اقتضاها البحث ٠ فالنشاط العلمي يبرز من خلال ممارسة العلوم تدريسا وعملا وتأليفا ٠

الفصل الثاني :

تنــاول الصلات العلمية بــين بلنسية والعالم الاسلامي والاندلس ، باعتبارها صورا من النشاط العلمي ، كان لها أثرها على العلوم في نموها ونشاطها المتنوع ٠

٤ ـ خاتمة البحث :

قدمت خلاصة لأهم النتائج التي توصل اليها البحث وأبرز الحقائق في الحياة العلمية ٠

★ ★ ★

اقتضى البحث والاسس المنهجية التي قام عليها بنظرته الشاملة الى الحياة العلمية الاسلامية ، ضرورة الحديث عن معظم الظواهر العلمية في هذا البحث أولا في العالم الاسلامي والاندلس ثم في بلنسية ٠ شَغِلَ الحديثُ عن الاندلس مكانا كبيرا في البحث ، ناسب ـ عكسا أحيانا ـ ندرة المعلومات التي وفرتها المصادر الموجودة بين يدي الباحث عن بلنسية ٠ وكان فهم الظاهرة العلمية والإلمام بجوانبها يقتضي النظر الى ماوجد في الاندلس ، فما وجد فيــه ليس بعيدا عن بلنسية احــدى حواضره ، وان بدا بشكل متميز أو متفرد أو متماثل،وبلنسية مدينة من الاندلس لا تعمل وحدها بل مرتبطة به ٠ ان عدم توفر نصوص عن بعض جوانب هذا البحث في بلنسية ، لا يمنع وجوده فيها وفي مدن أخرى ، اذا توفرت نصوص عنه في قرطبة أو أية مدينة من مدن الاندلس ٠

ان بعض القضايا التي تناولتها فصول هذا البحث مرتبطة بغيرها ، ومن بعض جوانبها متماثلة · ومن هنـا فان بعض الجوانب العلمية يمكن أن تدخل في أكثر من موضع ·

كان الاسلوب المفضل آن يدور الحديث في المكان ومـع الموضع الذي هو ألصق به وأكثر تناسبا له · وعندما تكون الحاجة اليه في موضع ثان بشكل أقـل ، يذكر بأسلوب آخر مناسب · مثلا : درست ميادين نشاط العلوم في الباب الرابع بينما ورد الحديث عنها في دراسة المؤسسات العلمية « الباب الثالث » · فكان تفصيل الحديث عن العلوم في الباب الرابع والاختصار المناسب في الباب الثالث · واستدعى هذا وغيره أن تتعدد الملاحظات ـ في ثنايا البحث ـ عن طريقة معالجته ·

ان أمورا من البحث لم تشبـع دراسة ، وقضايا أخرى توفرت رغبة في دراستها ، فلم تُسعف النصوص ، لعل الاطلاع على مصادر جديدة يعين على توضيحها مستقبلا ·

ان كل نقطة في البحث ـ سيما في فصل المؤسسات العلمية ـ بحاجة الى دراسة وافية عنهـا في الاندلس ، لعل هـذا البحث بمثابة خطوة في طريق دراستها ودليل على أهمية تناولها ·

عـدم توفر بحوث مستقلة ـ بعلمي ـ في مثل موضوع الرسالة في المكتبة التاريخية الاسلامية المؤلف منها بالعربية ، يتمتع بسمات مطلوبة ، كان عاملا زاد الباحث مشقة وفي نفس الوقت جنبه متاهات التقليد ، فعدم توفر بحوث متخصصة يقلل وجود مناهج أو قوالب جاهزة يحتذيها أو ينتفع بها الباحث في عرض المادة العلمية ، أو على الاقل في الانتفاع من خبرتها · فكان على صاحب البحث أن يصوغ إطار بحثه والمنهج الذي

يرتضيه ، بما يلائم طبيعة البحث والاسس التي ارتضى أن يقوم عليها ، وكان يفاضل بينها على ضوء ما يتوفر من نصوص وخبرة ضئيلة تهيأت من استقراء النصوص الأندلسية أولا ثم الاسلامية بنطاق أضيق ومنها ما يخص بلنسية · انه يمثل سيرا في طريق عـلى سالكه أن يقيم كثيرا من متطلبـات سيره بنفسه ، كمن يقيم بيتا في مكان قليـل الخدمات وما أنشىء بجانبه غير قليل · تحسن الاشارة الى انتفاع البحث في المنهج والمادة العلمية من كتاب « تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى » لمحمد عبد الرحيم غنيمة ·

لم تكن مادة البحث مُيَسرة فبحث كهذا احتاج الى جرد الكثير من مصادرنا والعودة الى بعضها مرات عديدة · وزاد الامر صعوبة أن بعض كتب التراجم الاندلسية الميسرة غـير محققة تحقيقا علميا يسهل عـلى الباحث الحصول على بعض ما يطلبـه ·

* * *

ثالثا : دراسة المصادر

تنوعت المصادر التي اعتمدها البحث وتفاوتت في أهميتها، وكانت الاندلسية في مقدمتها ، سواء المطبوعة أم المخطوطة أو الكتب الحديثة ، منها ما ألف بالعربية أو ترجم اليها أو بلغته الأصلية أو مترجم الى الانكليزية ٠

أولا : المصادر الاسلامية :

وهي مصادرنا الاسلامية الاولية المطبوع منها والمخطوط ويمكن ذكرها كالآتي :

١ ـ كتب التراجم :

وفي مقدمتها الاندلسية بأنواعها وقد انتفع البحث منها غاية المنفعة فهي قوامه ، غنية بالاخبار المتنوعة ، تقدم بأمانة صورة حقيقية لما كانت عليه الحياة العلمية في شتى ميادينها ٠ تبرز بعض المشاكل التي تحد ـ عموما ـ من الانتفاع من هذا الصنف من التآليف القيمة ، وهي انها غالبا لا تؤرخ النشاط العلمي الذي أوردته ، ولا تذكر مكانه من الاندلس في كثير من الاحيان ، ومن ثم فهي لا تذكر المؤسسة أو المكان الذي جرى فيه النشاط العلمي البلنسي الا في النادر ٠ وهكذا اهتمت كتب التراجم بأمور كانت أساسية لمثل هذا الصنف من التآليف كذكر نسب العالم وشيوخه وتلامذته ومؤلفاته لكنها لم تورد أشياء أخرى تهم الباحث في استكمال جوانب دراسة

الحياة العلمية · أمكن التغلب على بعض هذه المشاكل ـ أحيانا ـ بتوفر قرائن من نصوص أخرى ومن امعان النظر فيها ومن معرفة الصورة العامة للحياة العلمية الاسلامية ·

يمكن ذكر عدد من كتب التراجم الاندلسية (معها المغربية) ونماذج من كتب التراجم الاسلامية المشرقية :

آ ـ كتب التراجم الاندلسية منها :

« طبقات النحويين واللغويين » لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩ = ٩٨٩) ، و « تاريخ علماء الاندلس » لابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ (٤٠٣ = ١٠١٢)،وهو أحد أعلام الحديث الاندلسيين الذين شهدت بلنسية نشاطهم العلمي ، وكتابه هذا « في فقهاء الاندلس وعلمائهم ورواتهم ، وأهل العناية منهم »[١] ، قيد فيه ما لم يقيد في كتاب ألف في معناه في الاندلس قبله[٢] ، يمكن القول أن معظم كتب التراجم الاندلسية وبعض الاسلامية المشرقية ـ التي سيأتي ذكر بعضها ـ نقلت من كتاب ابن الفرضي هذا ·

أما ميزة كتاب الزبيدي ـ المذكور ـ فايراده معلومات مهمة عن الحياة العلمية معاصرا لها ، سيما ما يتعلق بالتأدب والمؤدبين وهو أحد من أدب أبناء الخلفاء · هذا وان النحويين واللغويين الذين ترجم لهم كانوا أعلاما في علوم أخرى كعلوم الحديث مثلا أو على الاقل من المهتمين بعلوم أخرى ، وهذه

---

(١) تاريخ علماء الاندلس ، ابن الفرضي : ١ : ١ ·
(٢) م· ن : ١ : ٢ ·

صفة العالم وقتئذ . أن يكون مُلما بعلوم عصره الاساسية وهي العلوم الشرعية واللغوية . « طبقات الامم » لصاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي الأندلسي «٤٦٢ = ١٠٦٩ » ذكر ما كانت عليه الاندلس عند الفتح الاسلامي من الناحية العلمية، وكيف انتشر العلم فيها ، والمراحل التي مر بها ، ومن ثم اعتنى بايراد المهتمين بالعلوم التجريبية من الاندلسيين ، مثل الاطباء وعلماء الفلك والحساب ومن اشتغل بالفلسفة ، وأخيرا فكتاب صاعد ـ الذي أورد ما يشير الى أنه كان ببلنسية سنة ٤٥٦ (١٠٦٣)(١) ـ على صغره ذو أهمية كبيرة لدارسي الحياة العلمية في الاندلس وغيرها .

كتاب « جذوة المقتبس » للحُمَيْدي أبي عبد الله محمد ابن فتّوح بن عبد الله الأزدي (٤٨٨ = ١٠٩٥) ، محدث . ألف كتابه في بغداد لأهل بغداد ، بعد عام ٤٦٣(٢) ، كان قصده منه « ذكر أسماء رواة الحديث بالاندلس ، وأهل الفقه والادب ، وذوي النباهة والشعر »(٣) . اعتذر الحميدي عن تقصيره في كتابه ، لقلة ما كان معه من الاصول الاندلسية(٤) .

« ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض أبي الفضل عياض بن موسى اليَحْصُبي السَّبتي (٥٤٤ = ١١٤٩) ، تحدث عن انتشار مذهب مالك في العالم الاسلامي وترجم لتلامذته وأتباعه و « تآليف كل واحد

---

(١) انظر : طبقات الامم ، صاعد الاندلسي : ١٠٩ .
(٢) راجع : أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، صلاح الدين المنجد : ٢ : ٦٢ .
(٣) جذوة المقتبس ، الحميدي : ١ .
(٤) م. ن : ١ ـ ٢ .

وتلاميذه مع ما يمس من الحوادث بحياته (ـوهي نافعة جداـ) وبالجملة فكتاب المدارك ، لا يعتبر معجما لأتباع مالك فقط ، بل كتاب من أهم كتب الحضارة الاسلامية »[1] تبرز أهميته كون الاندلس في غالبيتها على رأي مالك ، فالعناية بتلامذة مالك وأخبارهم عناية بالكثير من علماء الاندلس ، فكان مصدرا ثرا للحياة العلمية، هذا والكتاب يستمد من أصول لم تصلنا غاية في الاهمية[2] ·

لمؤلف المدارك ـالمذكورـ كتاب « الإلماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع » ، غاية في الاهمية في بابه ، انتفع البحث منه كثيرا ـ سيما من « باب متى يستحب سماع الطالب ومتى يصح سماع الصغير » و « باب أنواع الاخذ وأصول الرواية » · كانت العودة اليه كثيرا في طرق التدريس أو الرواية ـ الباب الثالث الفصل الثاني من البحث ـ فهي مما عني به المحدثون واتبعهم به المشتغلون بالعلوم الأخرى · نقل عدد من علماء الحديث عن « الالماع » للقاضي عياض ، وهو منهم ، مثل : أبو عمرو بن الصلاح والسيوطي وابن جماعة[3] ·

« كتاب الصِّلة » لابن بَشْكُوال أبي القاسم خَلَف بن عبد الملك الأنصاري القرطبي (٥٧٨ = ١١٨٢) ، وصل به كتاب ابن الفرضي ـ المتقدم الذكر ـ في علماء الاندلس[4] ، يقول ابن بشكوال « قيَّدت كثيرا من اخبارهم وآثارهم ،

---

(١) ترتيب المدارك ، القاضي عياض ، ١/٣٠ (مقدمة المحقق) ·
(٢) راجع ترتيب : ١ : ٣١ (مقدمة المحقق) ، علم التاريخ عند المسلمين ، فرانز روزنثال : ٥٦٠ ـ ٢ ·
(٣) راجع الالماع ، القاضي عياض : ٢٩ (مقدمة المحقق) ·
(٤) راجع الصلة ، ابن بشكوال : ١ : ١ ·

وسيرهم وبلدانهم ، وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم ، وعمّن أخذوا ، من العلماء ، ومن روى عنهم ... ورتبته على حروف المعجم : ككتاب ابن الفرضي وعلى رسمه وطريقته »(١) .

كتاب « بُغْيَة المُلْتَمس » للضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عُمَيرة (٥٩٩ = ١٢٠٢) ، وهو في علماء وأمراء وشعراء الاندلس وذوي النباهة فيها ، وهو يعتمد في هذا كثيرا على ما ذكره الحميدي وابن بشكوال بالدرجة الاولى .

كتاب « التكملة لكتاب الصلة » للامام الحافظ ابن الأبّار القُضَاعيّ البلنسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله (٦٥٨ = ١٢٦٠) ، أكمل به كتاب ابن بشكوال . وللمؤلف « المعجم في أصحاب القاضي الامام ابن علي الصدفيّ » ، وهم ممن روى عن أبي علي الصدفي ، مقلدا القاضي عياض (٥٤٤) في جمع شيوخه(٢) . وله أيضا كتاب « الحُلَّة السِّيَراء » ، عبارة عن مجموعة تراجم للكبار والأمراء في الاندلس والشمال الافريقي ، ويعد من الكتب المهمة في تاريخ الاندلس(٣) .

« الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الاوسي المراكشي (٧٠٣ = ١٣٠٣) ، ذيل به وأكمل تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وصلته لابن بشكوال(٤) . و « القسم الأخير من

---

(١) الصلة : ١ : ١ .
(٢) المعجم ، ابن الأبّار : ٥ .
(٣) راجع الحلة السيراء (بيروت) ، ابن الأبار : ٤٩١ (المحقق) .
راجع عن مؤلفات ابن الأبار : ابن الابار حياته وكتبه ، عبد العزيز عبد المجيد : ١٦٦ وبعدها ، الحلة السيراء بيروت) : ٣٣ وبعدها .
تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ، محمد عبد الله عنان : ٣٥١ ـ ٣ .
(٤) انظر : الذيل والتكملة ، ابن عبد الملك المراكشي : ٦/١/١ .

كتاب صلة الصلة » لأبي جعفر أحمـد بن ابراهيم ابن الزبير (٧٠٨ = ١٣٠٨)[١] ، كتابه ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس .

ان كلاً من « تاريخ علماء الاندلس » و «جذوة المقتبس» و « الصلة » و « التكملة » و « الذيل » من بين كتب التراجم الاندلسية بالغة الاهمية ، انتفع البحث منها كثيرا ، فكثرت العودة اليها في تضاعيف هذا البحث ، ووفرت معلومات قيمة عن أصول ضائعة .

ب ـ كتب التراجم المشرقية :

منهـا بعض كتب مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٨=١٣٤٧) ، جرى الانتفاع منها في تراجم بعض الشخصيات لا سيما « العِبر في خبر من غبر » و « تذكرة الحفاظ » و « الوافي بالوَفيـات » لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (٧٦٤=١٣٦٢) و « بُغية الوعاة في طبقـات اللغويين والنحاة » للحافظ جـلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ = ١٥٠٥) . وكون مؤلفي هذه الكتب متأخرين تيسر لهم الاطلاع على مصادر أندلسية متقدمة، فتفردوا في الاحتفاظ ببعض التراجم من مصادر أندلسية ، لا يتوفر بعضهـا كمـا عنـد السيوطي[٢] . ان ميزة المصادر المشرقية ، التي اهتمت بنقل أخبار أهل الاندلس ، هي أنهـا وفرت بعض النقول من المكتبـة الاندلسية التي لم تصل لما تعرضت له من عوادي ربما لم يتعرض لمثلها الكتاب المشرقي .

---

(١) راجع صلة الصلة (القسم الأخير) ، ابن الزبير : د وبعدها (المحقق) .
(٢) راجع بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي : ١ : ٣ .

٢ ـ كتب التاريخ العام :

الاندلسية بالمرتبـة الاولى والاسلامية • نشر من كتب التاريخ الاندلسي ـ بشكل عام ـ العديد منذ سنوات ـ كما هي كتب التراجم • ولا زال الجهد في تحقيق ونشر الانتـاج الاندلسي عموما محدودا ، وكلما تتابع التحقيق والنشر بشكل أكبر كلما ساعد في فهم تاريخ الاندلس ومن ثم كتابته بشكل أدق • أهمية كتب التاريخ العام انها أوردت شذورا طيبة عن الحياة العلمية ، وكانت أهميتها بالدرجة الاولى في كتابة مدخل البحث •

آ ـ كتب التاريخ العام الاندلسية :

منها : « تاريخ افتتاح الاندلس » لأبي بكر محمد ابن القوطية القرطبي (٣٦٧=٩٧٧) ، معه قطعة من « الرسالة الشريفية » انتفع البحث منهـا في تاريخ الاندلس ، وفيهـا معلومات مهمة عن أرض الاندلس • « أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم » لمؤلف مجهول، يبدو انه عاش في القرن الخامس الهجري ، ينتهي في كتابه بأخبار الخليفـة الناصر ، لا يذكر مصادره بل يعتمد عـلى الرواية الشفوية المجهولة « حدثنا بعض شيوخنا »[1] • لا يرد ذكر لبلنسية في هذين المصنَّفَين •

« المُقْتَبَس » لابن حيَّان القرطبي أبي مروان حيان ابن خلف (٤٦٩=١٠٧٦) ، المطبوع منه جزء تحت عنوان

---

(١) راجع تاريخ افتتاح الاندلس ، ابن القوطية : ٢٤ (مقدمة المحقق) ، تاريخ الفكر الاندلسي ، آنخل جزء ثالث بالنثيا : ١٩٨ وبعدها •

« المقتبس من أنباء أهل الاندلس » يهتم بتاريخ الاندلس من سنة ٢٣٢ـ٢٦٧ وجزء يخص دولة الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥ـ٣٠٠=٨٨٨ـ٩١٢) تحت عنوان « القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الاندلس »، يخلو من ذكر بلنسية رغم أنه ورد ذكر للكثير من أجزاء الاندلس بمناسبة استعراض أحداث الخارجين على الأمير ، يبدو أن بلنسية كانت بعيدة عن الاضطرابات في عهده ٠ وجزء مخطوط من المقتبس (مخطوط الخزانة العامة ــ الرباط) ، يخص جزءا من عهد الخليفة الناصر ، (٣٠٠ـ٣٣٢) ، هذا الجزء أورد أخبارا عن بلنسية مثل تعيين عمالها وإنزال الخارجين من نواحيها ومشاركة أهلها في الجهاد ومرور الخليفة الناصر ــ على ما يبدو ــ بها واصلاحه من حال أهلها ٠ وجزء مطبوع من المقتبس يتحدث عن خمس سنوات (٣٦٠ـ٣٦٤=٩٧٠ـ٩٧٤) من أيام الحكم المستنصر (٣٥٠ ــ ٣٦٦) ، السنتان ٣٦٠ و٣٦٤ غير كاملتين ٠

لما كتبه ابن حيان القرطبي ، شيخ مؤرخي الاندلس ، أهمية كبيرة ، جاءت من شخصيته العلمية ، وأسلوبه مؤرخا ووقوفه على وثائق من عصر الخلافة ــ على ما يبدو ــ وكونه معاصرا لعهد الطوائف ، الذي كتب عنه كثيرا ، جاءت نقول مهمة عنه، في الذخيرة والبيان المغرب وأعمال الاعلام التي سيأتي ذكرها[1].

يأتي « البيان الواضح في المُلِمّ الفادح » لابن علقمة أبي عبد الله محمد بن الخلف الصدفي البلنسي (٥٠٩ = ١١١٥) في مقدمة المصادر التي أرخت لأحوال بلنسية العامة خلال

---

(١) راجع عن ابن حيان ومصنفاته التاريخية والمقتبس : المقتبس من أبناء أهل الاندلس (القاهرة) ، ابن حيان القرطبي ، : ٧ وبعدها ، ٧٤ (مقدمة المحقق) ، تراجم اسلامية شرقية وأندلسية : ٣٧١ وبعدها ٠

عهد السيطرة القشتالية • لم يصل هذا الكتاب ، وانما وصلت نقول منه غاية في الاهمية ، فالمؤلف معاصر اشترك في الاحداث التي سجلها ، حيث كان في بلنسية عند وقوعها • قدم ابن علقمة مؤرخ بلنسية تفاصيل عن أحوال بلنسية السياسية والاقتصادية والاجتماعية أثناء الحصار والاحتلال القشتالي(١)، تدل على وعيه مؤرخا ، ونظرته الشاملة للاحداث •

« تاريخ الأندلس لابن الكَرْدَبُوس وَوَصْفُهُ لابن الشَّبَاط نصّان جديدان » ، النص الاول يتناول تاريخ الاندلس وهو قطعة من كتاب « الاكتفاء في أخبار الخلفاء » ، للمؤرخ التونسي أبي مروان عبد الله بن الكردبوس التوزري، الذي عاش في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) • والنص الثاني يتناول وصف الاندلس أو جغرافيته، وهو قطعة من كتاب « صلة السمط وسمة المرط » للمؤرخ التونسي محمد بن علي بن محمد بن الشباط المصري التوزري الذي عاش في القرن السابع الهجري وتوفي بمدينة توز سنة (٦٨١=١٢٨٢)(٢) • النص الاول يقدم أخبارا ــ وان كانت قصيرة ــ غاية في الاهمية عن تاريخ بلنسية في عهد الطوائف •

كتاب « المُعْجب في تلخيص أخبار المَغْرِب » تأليف عبد الواحد المراكشي (٥٨٠ ــ بعد ٦٢١) ، يتناول تاريخ الاندلس من فتحها الى آخر عصر الموحدين ، مع ما يتصل بتاريخ هذه المدة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب(٣) • فرغ

---

(١) راجع علم التاريخ : ٦٢٤ •

(٢) راجع تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان) : ٧ وبعدها (مقدمة المحقق) •

(٣) انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي : ز وبعدها (مقدمة المحقق) •

المؤلف من كتابه المذكور يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٦٢١[١] • يعد هذا الكتاب ، كتاب أدب وفن كما هو كتاب تاريخ وسياسة وجغرافية واقتصاد واجتماع ، وان كان موضوعه الاصيل تاريخ دولة الموحدين باعتباره معاصرا لها[٢] • « أما ما قبل تاريخ الموحدين مما أورده مؤلف الكتاب، فهو تلخيص دقيق متقن لروايات من تاريخ المغرب سبقه الى تدوينها مؤرخون قدماء روى عنهم موجزا أو مسهبا »[٣] •

« كتاب البيان المُغْرب في أخبار الاندلس والمغرب » لأبي عبدالله محمدالمَرّاكُشِيّ ابن عِذَاري (بعد٧١٢=١٣١٢). الكتاب ذو أهمية كبيرة بما نقله من مصادر ضاعت ، يكفي الاشارة الى أنه نقل كثيرا من ابن حيان القرطبي وابن بسام وابن علقمة مؤرخ بلنسية • وضمت الى الجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب ضمائم غاية في الاهمية تكاد تمثل صفحات مهمة من « البيان الواضح » لابن علقمة •

القسم الخاص بالاندلس من « أعمال الأعلام » لابن الخطيب السلماني أبي عبد الله محمد بن عبد الله (٧٧٦ = ١٣٧٤) ، الذي يعد أهم أقسامه ، من المصادر القيمة[٤] ، في تاريخ الاندلس وبلنسية ، التي أورد عنها معلومات طيبة في عهد الطوائف ونقل عن ابن حيان وابن علقمة في عدد من المواضع وان لم يُشر اليهما في الغالب •

---

(١) م • ن ، ط (المحقق) •
(٢) م • ن ، د ــ هـ (المحقق) •
(٣) المعجب : هـ (مقدمة المحقق) •
(٤) انظر لسان الدين ابن الخطيب (حياته وتراثه الفكري) ، محمد عبد الله عنان : ٢٤٩ •

بجانب « مقدمة العلامة ابن خلدون » عبد الرحمن بن خلدون(٨٠٨=١٤٠٥) التي أفادت البحث في دراسة المؤسسات العلمية ــ فقد كان الانتفاع بالمعلومات القيمة التي أوردها في القسم الخاص بالتاريخ الاندلسي من « عِبَره » واضحا ، الذي وفر مادة مهمة في عهد الطوائف وبلنسية ٠

تبرز أهمية « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » لمؤلفه أحمد بن محمد المَقَّري التِّلْمساني(١٠٤١=١٦٣١)، بما نقله من مصادر أندلسية كثيرة ومتنوعة في مادتها ، فهو موسوعة أندلسية ، تزداد أهميتها لفقدان العديد من المصادر التي نقل عنها والانتفاع في تحقيق ما وصل منها[١] ٠

ب ــ كتب التاريخ العام المشرقية :

أبرزها « الكامل في التاريخ » لابن الاثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد (٦٣٠=١٢٣٢) ، من أشهر مؤرخي المشرق الذين عنوا بتاريخ الاندلس[٢] ٠ وهو يعتمد على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠=٩٢٢) ، ويقول ابن الاثير : إن ما أورده أبو جعفر من أخبار عن الاندلس قليلة، فهو يلجأ الى تآليف أهل الاندلس فهم أعلم ببلادهم[٢] ٠ وهكذا فقيمة ما أورده ابن الاثير عن الاندلس كبيرة ، الا أنه لا يذكر أسماء المصنفات أو المؤلفين الاندلسيين الذين أخذ عنهم ٠

---

(١) راجع عن المقري وكتابه (نفح الطيب) : نفح : ١ : ٥ وبعدها (مقدمة المحقق) ، تراجم اسلامية شرقية وأندلسية : ٣٧٣ وبعدها ، بعض مؤرخي الاسلام ، علي أدهم : ١٤١ وبعدها ٠

(٢) راجع مجالي الاسلام ، حيدر بامات : ١٦٣ ٠
انظر **الكامل ، ابن الاثير : ٤ : ٥٥٦** ٠

حظيت بلنسية بنصيب طيب من هذه الموسوعة ليس في عهد الطوائف فحسب وانما في عهودها التي سبقته ٠

٣ ـ كتب الادب :

أمد هذا الصنف من التآليف الاندلسية البحث بمادة طيبة في دراسة الادب وفنونـه في بلنسية ، فضلا عما قدمـه من معلومات عن تاريخها ٠ منها « قلائد العقيان في محاسن الأعيان » للفتح بن خاقان أبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي (٥٢٨ أو ٥٢٩=١١٣٣ أو ١١٣٤) ،ذكر أخبارا وأورد شعرا لعدد من أدباء وشعراء بلنسية في عهد الطوائف ، الذي عاصره ، وله زيارة الى بلنسية التقى فيها بابن طاهر ـ خاصة ـ أمير مُرسِيَة (Murcia) المخلوع ، الذي ذكر له أخبارا عن نشاط بلنسية الادبي[1] ٠

أبرز هذه المصـادر « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢ = ١١٤٧) ، المطبوع منها ، والمخطوط سيما القسم الثالث ، المتعلق بشرقي الاندلس ، ترجم ابن بسام فيه لعدد من أدباء وشعراء بلنسية من عهد الطوائف ، وخلال هذا أورد مادة غاية في الاهمية عن أحداث تاريخها ، خاصة ما يتعلق بعهـد النفوذ والسيطرة القشتالية ، وهو معاصر لهذه الاحداث وأخذ عن شهود عيان لبعضها ونقل عن ابن حيان القرطبي ، الذي يعد ما كتبه ذا أهمية كبيرة[2] ٠

---

(١) راجع عن ابن خاقان وكتابه :قلائد العقيان : د وبعدها (مقدمة المحقق)، بعض مؤرخي الاسلام ، ٨٤ وبعدها ٠

(٢) راجع عن ابن بسام وكتابه الذخيرة : الذخيرة ١ : ١ : أو بعدها =

« المُغْرب في حُلَى المَغرب » ، صنفه بالموارثة في مئة وخمس عشرة سنة ، ستة من أهل الاندلس آخرهم وأشهرهم نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد(٦٨٥=١٢٨٦). هو كتاب في الحياة الأدبية والعلمية في الاندلس ، وفي تاريخها موزعا على بلدان الاندلس الصغيرة والكبيرة ، أول ما يذكر المؤلف البيئة المكانية ، ثم يتعاقب ذكر الحكام وأعوانهم من القضاة والوزراء والكتاب، ثم الأعيان والعلماء من كل صنف، « وأخيرا يأتي الشعراء والوشاحون والزجّالون . ومع كل هذه الطبقات أجمل ما أحدث الاندلسيون من أشعار وموشحات وأزجال . فالأندلس بجميع ما لها من مآثر فنية ومناقب أدبية تحتشد في هذا الكتاب وتصوَّر تصويراً دقيقا من القرن الرابع الى منتصف القرن السابع »[1] .

خص مؤلفو « المغرب » بلنسية بكتاب من مصنفهم أسموه: كتاب الروضة النَّرْجِسية في حلى المملكة البلنسية[2] . وبعد أن بينوا موقعها ، قسموا كتابها الى كتب عدة ، الكتاب الاول : كتاب الألحان المُنسية ، في حلى حضرة بلنسية ، والكتب الاخرى العشر في ذكر أعمالها . وتبرز قيمة ما كتب عن بلنسية أنه في الجغرافية والتاريخ والادب والشعر ، فيه نقول كثيرة عن مصنفات لم تصلنا مثل مصنف أحمد بن محمد

= تراجم اسلامية :٢٩٨وبعدها، بعض مؤرخي الاسلام: ٩٥وبعدها، تاريخ الفكر : ٢٨٨ وبعدها . راجع مثلا عن مصادر ابن بسام : الذخيرة : (مخ) : ٣ : ٤٦٦ ـ ٧ .

(١) المغرب في حلى المغرب : ٢ : و ـ ز (مقدمة المحقق) .

(٢) م . ن : ٢ : ٢٩٣ ، راجع عن مؤلفي المغرب ومنهج تأليفه ومصادره وقيمته العلمية : المغرب : ١/١ : وبعدها (المحقق) . ابن سعيد الاندلسي، محسن حامد العيادي : ١٩٠ وبعدها .

الرازي(٢٧٤_٣٤٤=٨٧٧_٩٥٥)في الجغرافية[١]، ومصنفات مخطوطة مثل الذخيرة ·

ان المغرب و الذخيرة مصدران لا يستغني عنهما طالب أدب الاندلس وجغرافيتها وتاريخها ·

انتفع البحث بعدد من كتب الادب العامة المشرقية بجانب الاندلسية ستكشف عنها قائمة المصادر ·

٤ ـ دواوين الشعر :

الشعر وثيقة مهمة عن الشاعر وفي دراسة عصره · انتفع البحث في دراسة الادب وفنونه بعدد من دواوين الشعر ، منها ديوانان لشاعرين شهدت بلنسية نشاطهما الشعري · أولهما : ابن درّاج القسطلي أحمد بن محمد بن العاص المتوفى سنة (٤٢١=١٠٣٠) في ديوانه ، الذي يعد وثيقة مهمة عن الدولة العامرية وبداية عصر الطوائف[٢] · في ديوان ابن دراج شعر أنشده في بعض أمراء بلنسية في عهد الطوائف ·

و « ديوان ابن خفاجة »أبي اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي(٥٣٣=١١٣٨)،وهو من جزيرة شُقَر (Alciar-Jùcar) احدى أعمال بلنسية[٣] · له شعر في أحداث بلنسية في عهد السيطرة القشتالية وتخلصها منها ·

٥ ـ كتب الجغرافية :

اعتمد الحديث عن جغرافية الاندلس وبلنسية على جملة

---

(١) راجع تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، حسين مؤنس : ٥٩ ·

(٢) راجع ديوان ابن دراج القسطلي : ٢١ وبعدها (مقدمة المحقق) ·

(٣) راجع ديوان ابن خفاجة : ٥ وبعدها (مقدمة المحقق) ·

مصادر جغرافية أندلسية واسلامية • ان كتب الجغرافية تقدم معلومات مهمة في التاريخ السياسي والحياة الاقتصادية والاجتماعية والادارية ، ومعلومات وان كانت قليلة عن الحياة العلمية ، يمكن ذكر نماذج منها :

« نصوص عن الاندلس » من كتاب « ترصيع الاخبار ، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك » لابن الدّلائي أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري (٤٧٨=١٠٨٥) ، وهو أحد علماء بلنسية ، الذين شهدت لهم نشاطا بارزا ، لهذا فما جاء في كتابه عن بلنسية ذو أهمية كبيرة • والكتاب ليس فقط جغرافية بل في أكثره تاريخ وخطط • ذكر بلنسية في ثلاث صفحات قدمت معلومات مهمة جدا عن خططها وجغرافيتها وتاريخها • والعذري ينقل عن مصنفات لم تصلنا منها : مصنفات الرازي أحمد بن محمد (٣٤٤)(١) •

« جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك » لأبي عُبَيْد البَكري (٤٨٧=١٠٩٤) ، اعتمد البكري في كتابه على مصنفات الجغرافية التي سبقته وعلى ما رواه من شيوخه فهو لم يكتسب معلوماته الجغرافية من الرحلات والمشاهدة(٢) • لم تكن المعلومات التي أوردها عن بلنسية ذات

---

(١) راجع نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار ، أبو العباس العذري : ج (مقدمة المحقق) ، تاريخ الجغرافية : ٨١ وبعدها •

(٢) انظر جغرافية الاندلس وأوربا ، من كتاب المسالك والممالك ، أبو عبيد البكري : ٤٢ (مقدمة المحقق) •

أهمية كبيرة لكن ما أورده عن الأندلس وعن الامم الاخرى كانت له أهمية في البحث[1] ·

و « صفـة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للشريف الادريسي (٥٦٠=١١٦٤)[2] ·

ثانيا ـ المراجع الحديثة (العربية والمترجمة والفرنجية) :

اعتمد البحث مراجع حديثة متنوعة في مادتها متفاوتة في أهميتها لمحتويات البحث · يُكتفى بذكر بعضها نماذج جديرة بالتنويه مصنفة حسب موضوعاتها :

١ ـ كتب التاريخ الاندلسي العام :

أبرزها « دولة الاسلام في الاندلس » للاستـاذ محمـد عبد الله عنان صاحب الموسوعة الاندلسية · بجانب أهمية هذا الكتاب في تاريخ الاندلس ، فقد أفرد المؤلف فصلا من القسم الثاني « للحركة الفكرية الاندلسية في عصري الامارة والخلافة » و « دول الطوائف » لنفس المؤلف ، الـذي خص بلنسية ببحث مستقل في عهد الطوائف ، وختم كتابه بحديث عن خواص هذا العهـد الحضارية ومنها الحيـاة العلمية · و « فجر الاندلس » للدكتور حسين مؤنس ، وهو دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية ،

---

(١) راجع عن أهمية كتاب « جغرافية الاندلس وأوروبا للبكري » : تاريخ الجغرافية : ١٤٨ ·

(٢) راجع عن أهمية وصف الاندلس للادريسي: تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٢٥٨ ·

انتفع منه في ادارة بلنسية خاصة • و«تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس » للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، من الفتح الاسلامي الى سقوط الخلافة بقرطبة • ومن موسوعات التاريخ الاندلسي كتاب«الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية» للمرحوم شكيب أرسلان ، كانت فائدة الجزء الثالث منه طيبة للبحث ، فقد نقل أرسلان مادة بلنسية في دائرة المعارف الاسلامية،ونصوصا من مخطوطة ابن بسام التي تخص بلنسية. ونصوصا أخرى من مصادر أجنبية ، وسرد أسماء العلماء والادباء البلنسيين ، دون تحديد وفياتهم ومواضع تراجمهم . التي هي في الغالب من كتب التراجم الاندلسية التي سبق ذكر بعضها •

« قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى » للدكتور حسن أحمد محمود ، انتفع البحث منه فيما يخص تاريخ بلنسية في عهد النفوذ والسيطرة القشتالية وكيف تتابعت النجدات المرابطية الى بلنسية . بدعوة أهلها للمرابطين ، الذين عبروا لنصرة اخوتهم في الأندلس •

ومن البحوث المترجمة التي أفادت البحث « الاسلام في المغرب والاندلس » للمستشرق الفرنسي ا• ليفي بروفنسال . وأهميته تبرز فيما يخص أحداث بلنسية والقمبيطور•وانتفع البحث من مقالات دائرة المعارف الاسلامية منها مادة «بلنسية» بقلم ليفي بروفنسال •

ومن الكتب باللغة الانكليزية المترجمة عن الاسبانية رجع البحث الى كتاب :

The cid and his Spain,Ramon Menendez Pidal

ترجمه للانكليزية Harold Sunderland ، الذي فصل الحديث عن بلنسية في عهد النفوذ والسيطرة القشتالية المتمثلة ــ بشكل خاص ــ بزعامة القمبيطور • والمؤلف له وجهة نظر خاصة ، فهو يبالغ في تقدير القمبيطور[1] • ومن مصادر بيدال المهمة المدونة القشتالية التي احتفظت بنصوص مترجمة عن كتاب ابن علقمة مؤرخ بلنسية[2] •

٢ ــ كتب الحضارة :

تشمل كتب الحضارة الاسلامية في عموم العالم الاسلامي أو في الاندلس • كان هذا الصنف من التآليف الحديثة مرجع البحث خاصة في دراسة العلوم • سيقتصر على ذكر نماذج منها فحسب: «الحضارة الاسلامية في الاندلس» للدكتورعبدالرحمن علي الحجي ، والكتاب في أسس الحضارة الاسلامية وميادينها وتأثيرها على الحضارة الاوروبية، و« المدنية الاسلامية وأثرها في الحضارة الاوروبية » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، و « المسلمون والعلم الحديث » لعبد الرزاق نوفل ، و «الاسلام في اسبانيا » للدكتور لطفي عبد البديع •

ومن الكتب المترجمة في الحضارة الاسلامية التي اعتمدت في دراسة العلوم،على وجه الخصوص،«تاريخ الفكر الاندلسي» آنخل جنثالث بالنثيا ، مترجم عن الاسبانية ، و « دراسات في الحضارة الاسلامية ، الفكر الاسلامي منابعه وآثاره » لمؤلفه شريف ، مترجم عن الانكليزية ، و«مجالي الاسلام»حيدر بامات

---

(١) انظر دول الطوائف ، محمد عبد الله عنان : ٢٤٠ •

(٢) راجع The cid and his Spain, Ramon, 3 Menendez Pidal,

و « حضارة العرب » غوستوف لوبون ، وهما مترجمان عن الفرنسية ٠

٣ ـ كتب مصطلح الحديث :

أكملت مصادر دراسة « طرق التدريس » بالدرجة الاولى و « الألقاب العلمية » ، منها : « علوم الحديث ومصطلحه » للدكتور صبحي الصالح ، و « لمحات في أصول الحديث» للدكتور محمد أديب صالح ، و « الحديث النبوي » لمحمد الصباغ ٠

٤ ـ كتب تاريخ التعليم والتربية الاسلامية :

استرشد البحث فيها في مواضع عدّة ، كانت العودة اليها فيما يخص المؤسسات العلمية ، ويأتي في مقدمتها : « تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى » محمد عبد الرحيم غنيمة ، الذي رجعت اليه كثيرا ، و « تاريخ التربية الاسلامية » للدكتور أحمد شلبي ، و « التعليم في رأي القابسي » للدكتور أحمد فؤاد الاهواني ، الذي أثبت رسالة القابسي أبي الحسن علي ابن خلف (٣٢٤ـ٤٠٣=٩٣٥ـ١٠١٢) في مؤلفه ، الذي هو دراسة لرسالة القابسي وأمور التعليم في مرحلة الصبيان ، اعتمد في دراسة « المكتب » خاصة ٠

٥ ـ كتب أدب الاندلس وفنونه :

في دراسة الادب وفنونه في بلنسية اقتضى البحث الرجوع الى عدد من الدراسات المتخصصة منها: « تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة » للدكتور احسان عباس و « في الأدب الأندلسي » للدكتور جودت الركابي ، و « الشعر الاندلسي »

غرسيه غومس و « تاريخ الفكر الاندلسي » بالنثيا ـ الذي مر ذكره ـ وهما من الكتب المترجمة عن الاسبانية ·

توفر بحثان قيمان عن المكتبات في الأندلس ، انتفع منهما غاية الانتفاع في دراسة « المكتبات » ، في فصل المؤسسات العلمية ، وكثرت الاشارة الى أولهما · « الكتب والمكتبات في الأندلس » للدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، والبحث الثاني « المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية » خوليان ريبيرا، مترجم عن الاسبانية · وهما من الابحاث المتخصصة . التي يأمل أن تضم المكتبة الاندلسية ما يماثلها في قسمها الحضاري·

كان لبحثي محمد عبد الله عنان « جغرافية الاندلس والمصطلحات الجغرافية الأندلسية » والدكتور حسين مؤنس « السيد القمبيطور علاقاته بالمسلمين» ـ وهما من المتخصصين بالدراسات الأندلسية ـ ، أهمية في تناول مدخل الرسالة · وكان لـ « ملحمة السيد » للدكتور الطاهر أحمد مكي و « تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية في مدريد خلال شهر ديسمبر ١٩٦٥ وهو يتضمن بيانا مفصلا عن الدورة الرابعة للجلسات العلمية الأندلسية في بلنسية » بقلم الدكتور حسين مؤنس ، آهمية في تناول ابواب الرسالة ·

★ ★ ★

كان هذا استعراضا موجزا لأهم مصادرنا الاسلامية الأولية والمراجع الحديثة التي انتفع منها البحث وستكشف قائمة المصادر في نهاية الرسالة عن مصادر وبحوث عديدة . تبين حواشي الرسالة مدى الانتفاع منها · ويجدر الاشارة هنا ان بعض المصادر كثرت العودة اليها لانفرادها أو لتخصصها مع

أهميتها في موضوع من موضوعات الرسالة ، مثل هذا كان مع « تاريخ الجامعات الاسلامية » المار الذكر و « الكتب والمكتبات في الأندلس » ٠

لا بد من القول أن هذا البحث مدين لعلماء ومؤلفين لم تذكر كتبهم في حواشي الرسالة أو في قائمة المصادر ، زودوا الباحث بثقافة عامـــة أعانته في تناول موضوع البحث . فهم ذوو فضل وان لم يذكروا ٠

هذا البحث يمثل جهدا متواضعا لا أراه استوفى الا بعض جوانبه ، مع ما يعتريهـــا من نقصان آملا أن يكون تنبيهـــا للباحثين الى أهمية دراسة ميدان الحياة العلمية ٠ وهو وان كان ميدانا شاقا في الدراسة ، الا انه ممتع ، يخلص الى نتائج مثمرة طيبة ، آمـــل أن أكون قد وفقت الى تقديم ثمرة من ثماره على صغرها ونقائصها ٠

انها فرصة نادرة طيبـــة وفرها لي موضوع البحث أن أعيش ما يزيد على عامين ونصف العام مع مصادرنا الاسلامية الزاخرة بعطائها الثر والزاد الطيب الزكي ، في متعة علمية ، زادتني شوقا الى أن أضع يدي على بداية طريق البحث ، الذي فتح ــ كما أظن ــ أمامي دروبا مضيئة ، أسأل الله أن يعينني ــ والآخرين ــ على مواصلة السير فيها ٠

ويُطلب العذر لما في هذا البحث من هفوات وزلات وهي كثيرة بتقديري ، فمن شأن الطالب المبتدىء الخطأ والزلل ومن شأن الانسان النسيان ٠

ان الاطلاع على الجديد من نتاجنا الاندلسي سيسد في فراغ هذه الرسالة ويقوم من أخطائها ويقيل بعض عثراتها ٠

وهنـــا مرة أخـــرى أشكـــر أستاذي الفاضل الـــدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، الذي تفضل بالاشراف على هـــذه الرسالة ، ومنحني من فضله وعلمه ووقته ما أضاء لي الكثير من جوانب البحث ، ودفعني على اجتياز مراحله بهمة وعزم • كان لا يألو جهدا في ارشادي ، وتسديد خطاي ، فإليه أقدم وافر شكري • والله تعالى أسأل الهداية والسداد والغفران فمنه وحده التوفيق وله وحده المنة والفضل والثناء الحسن والحمد لله رب العالمين •



الباب الأول

مدخل عام

الفصل الأول : جغرافية الأندلس وبلنسية .

الفصل الثاني : خُطط بلنسية العُمرانية .

الفصل الثالث : ادارة بلنسية .

الفصل الرابع : تاريخ الأندلس وبلنسية .

الفصل الأول

جُغرَافيَـةَ الأندَلس وَبَلَنْسِـيَة

أولا : الأندلس

١ ـ شبهالجزيرة الايبيرية ٠

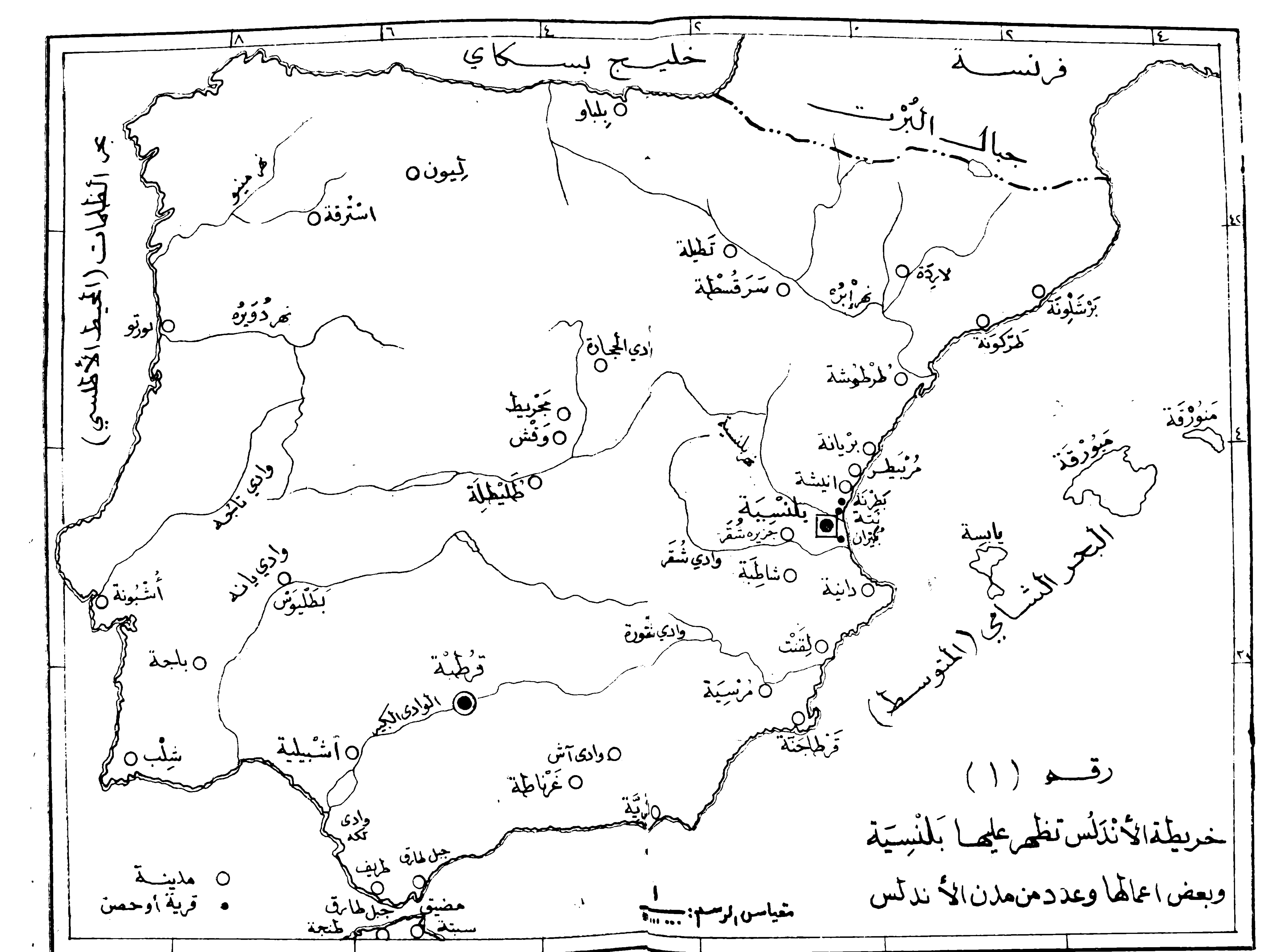
٢ ـ مصطلح الأندلس ومدلوله ٠

ثانيا : بلنسية

١ ـ موقعهـــا ٠

٢ ـ بيئتها الجغرافية ٠

٣ ـ زراعتها ، صناعتها ، تجارتها ٠


خليج بسكاي
فرنسة
جبال البرت
بلباو
ليون
نهر منيو
استرقة
بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)
تطيلة
سرقسطة
لاردة
نهر ابره
برشلونة
طركونة
طرطوشة
بورتو
نهر دويره
وادي الحجارة
مجريط
وقش
طليطلة
وادي تاجه
منورقة
ميورقة
بريانة
مربيطر
انيشة
بلنسية
جزيرة شقر
وادي شقر
شاطبة
دانية
يابسة
البحر الشامي (المتوسط)
أشبونة
وادي يانه
بطليوس
وادي شقورة
لقنت
بلجة
قرطبة
الوادي الكبير
مرسية
قرطاجنة
شلب
اشبيلية
وادي آش
غرناطة
المرية
وادي لكه
جبل طارق
طريف
مدينة
قرية أو حصن
مضيق جبل طارق
سبتة
طنجة
مقياس الرسم
رقم (١)
خريطة الأندلس تظهر عليها بلنسية
وبعض اعمالها وعدد من مدن الأندلس

الفصل الأول

جغرافية الأندلس وبلنسية

يتناول هذا الفصل نظرة مختصرة في جغرافية الأندلس وبلنسية، تـُعرّف بهما : اسما وموقعا ومناخا وبيئة جغرافية. لما للظواهر الجغرافية المناسبة من أهمية في تهيئة أجواء أكثر ملاءمة لبذرة العلم ونموها .

أولاً : الأندلس

١ ـ شبه الجزيرة الايبيرية : Peninsula Iberica (١)

تقع شبه الجزيرة الايبيرية (الأندلس) في الجنوب الغربي من القارة الأوربية . يحدها من الشمال الشرقي جبال البرت (البرتات Pyrenees ، وتعرف بالاسبانية Pirineos) التي تفصلها عن الارض الكبيرة (فرنسا وما تلاها) ،وخليج بسقاية (بسكاي Biscay) من الشمال الغربي .ويحدها من الجنوب مضيق جبل طارق ((Gibraltar))الذي يفصل القارة الاوربية عن الافريقية . ومن الشرق والجنوب الشرقي يحدها البحر المتوسط . ومن الغرب والجنوب الغربي المحيط الاطلسي(٢) .

---

(١) بالانكليزية : Iberian Peninsula

(٢) راجع : المسالك والممالك ، الأصطخري ، ٣٥ ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق ، الشريف الادريسي ، ١٧٣ ، المعجب ٥ ـ ٦ ، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار ، الحميري ، ٢ ، نفح ، ١/١٣٠ ـ ١ .

٢ ـ مصطلح الاندلس ومدلوله :

أصل مصطلح « الاندلس » مأخوذ من قبائل الوندال Vandals) الجرمانية الاصل · احتلت شبه الجزيرة الايبيرية حوالي القرن الثالث والرابع وحتى الخامس الميلادي ،وسميت باسمها : فاندلسيا (Vandalusia) ، أي بلاد الوندال · ثم نطقت بالعربية : الاندلس[١] · أما مدلول هذا المصطلح فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الاندلسيون على كل المناطق التي سكنها المسلمون وحكموها من شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والبرتغال اليوم) · وربما تعدى ذلك الى ما وراء جبال البرتات من أرض الفرنجة[٢] ·

حدود الاندلس أيام الخلافة الاندلسية ـ مثلا ـ تشمل كل البرتغال تقريبا وأكثر اسبانيا الحالية · كانت الاندلس تمتد جنوب الخط الافتراضي الذي يصل بين نهر دُوَيْرُه (Duero) في الغرب حتى بَرْشَلُونَة (Barcelona) في الشرق ، مع ارتفاع الى الأعلى في الوسط · يفصل هذا الخط بين اسبانيا النصرانية في الشمال وبين الاندلس (اسبانيا الاسلامية) في جنوبه ·

تُطلق اليوم كلمة أندلثيا (Andalucia) بالاسبانية على

---

(١) راجع : تاريخ الاندلس ، ١٢٨ ـ ٩ (نص ابن الشباط) ، الحلل السندسية ، شكيب ارسلان ، ١/٣٢ ، ٣٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ٣/٣٥ـ٦ (الاندلس ، سيبولد) ، دولة الاسلام في الاندلس ، محمد عبد الله عنان ، ١/٥٠ـ١ ·

Andalusian diplomatic relations with Western Europe during the Umayyad Period, A.A. Al-Hajji, 32-3 .

(٢) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ١/٣٦ (الاندلس) الحلل ، ١/٣٢ ·

المنطقة الجنوبية من اسبانيا فقط[1] .

ثانيا : بَلَنْسِيَة (VALENCIA)

١ ـ موقعها :

تقع مدينة بلنسية في شرقي الأندلس على مسافة ثلاثة أميال (حوالي ٦ كليومتر) من ساحل البحر المتوسط الغربي[2] .

يحدها من الشرق ساحل البحر المتوسط ومن الغرب طُلَيْطُلَة (Toledo) ومن الشمال طُرْطُوشَة (Tortosa) ومن الجنوب مُرْسِيَة[3] .

كان موضع « بلنسية » عند الفتح الاسلامي فرضة (مرسى صغير) تسمى فالنثيا (Valencia) [4] أسسها الرومان

(١) انظر : اندلسيات، عبد الرحمن علي الحجي، ١/١١ ، جغرافية الاندلس والمصطلحات الجغرافية الاندلسية ، محمد عبد الله عنان ، ٤٧ (مجلة تطوان ، العددان : ٣ ، ٤ سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) .

(٢) راجع : نصوص، ١٧ ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ١٦٢، صفة المغرب، ١٩١، المغرب ، ٢/١٩٧ (عن الحجاري) ، كتاب الجغرافية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ، ٢٠٥

Bulletin D'Etudes Orientales, XXI, Annee Damas, 1968).

معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/٧٣١ (بلنسية) ، المغرب، ٢/٢٩٨، كتاب الجغرافيا ، ابن سعيد المغربي ،١٦٧ ، المعجب ، ٣٧٠ ، صفة جزيرة الاندلس ، ٤٧ .

انظر : المكاييل والأوزان الاسلامية ، فالترهنتس ، ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) راجع : كتاب البلدان ، اليعقوبي ، ٤٩٤ ، تاريخ الجغرافية ٦٦ (نص الرازي) ، معجم البلدان ، ١/٧٣٠ ، كتاب الجغرافية ، ٢٠٥ ، المغرب ، ٢/٢٩٥ ، ٢٩٧ ـ ٨ ، كتاب تقويم البلدان ، أبو الفداء ، ٤١٤ ، ٤١٨ .

(٤) انظر : رحلة الاندلس ، حسين مؤنس ، ٢٧٥ ،

The NeW Encyclopaedia Britannica, x , 334 (Valencia).

سنة ١٣٩ قبل الميلاد[١] • يبدو أن المسلمين ، بعد مدة من استعمال الاسم القديم لبلنسية ، ـ فالنثيا ـ أصبحوا ينطقونه بلنسية وهكذا ورد اسمها في المصادر الاسلامية •

أطلق على بلنسية ألقاب أخرى لشهرتها الزراعية فهي تعرف «بمدينة التراب» لاتساع محارثها ومزارعها[٢] وخصب أرضها • وكان الأندلسيون يدعونها « مُطَيَّب الأندلس » والمطيب عندهم : حُزمة يعملونها من أنواع الرياحين فيها النرجس والآس وغير ذلك من أنواع المشمومات، سمّوا بلنسية بهذا الاسم لكثرة أشجارها وطيب ريحها[٣] • وسميت « بستان الأندلس »[٤] للسبب نفسه • واسمها ـ في الوقت الحاضر ـ باللغة الاسبانية فالنثيا (Valencia) •

٢ ـ بيئتها الجغرافية :

مكان بلنسية في وسط سهل زراعي في غاية الخصب ، يمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط • ترويه شبكة نهرية متفرعة من النهر الابيض (Guadalaviar) ، أحد فروع نهر توريا (Turia) المسمى بالنهر الاحمر ، الذي يعتبر النهر الرئيسي لها • ومنبعه من جبال أرطونة ومصبه في البحر

---

(١) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ٤/١١٨ ـ ٩ (بلنسية ، ليفي بروفنسال) •

(٢) انظر : المغرب ، ٢/٢٩٨ (عن الرازي) ، تاريخ الجغرافية ٦٨ ، ١٦٦ (عن الرازي) ، نصوص ١٩ ، الحلل ، ٣/٤٧ ح •

(٣) انظر : المعجب ، ٣٧٠ ، نفح ، ٣/٢٢١ (رسالة الشقندي) ، المغرب ٢/٢٩٧ ، المطرب ، ابن دحية ، ١٠٨ •

(٤) كتاب الجغرافيا ، ١٦٧ •

المتوسط شمالي بلنسية[1] • وتمتد في غربها سلسلة جبال وفي الجنوب منها جبل القنت[2] • ولها بحيرة مشهورة (AL Bufera) على ساحل البحر الى الجنوب من بلنسية[3] •

هــواء بلنسية معتــدل ، لا ترى فيه ما يكــدر خاطرا ولا بصرا ، لان الجنات والانهار أحدقت بها . وجميع أقاليمها وجبالها مغروسة بأنواع الاشجار[4] •

٣ ـ زراعتها وصناعتها وتجارتها :

كــانت أراضي بلنسية الخصبة مستغلة في الزراعــة . فنهرها « لها عليه بساتين وجنّات ، وعمارات متصلة »[5] • وزرعت في منطقة بلنسية أنواع الفواكه والمحاصيل الزراعية والازهار • حتى غدت « بستان الأندلس »[6] •

من أشهر محاصيل بلنسية الزراعية « الأرز، والزيتون . و الكرنب ، والارزة » (Peras de San Juan) و«شجرة القراسيا»

---

(١) راجع : نصوص، ١٨ ، كتاب الجغرافية ، ٢٠٥ ، تقويم البلدان ، ١١٨. صفة جزيرة الاندلس ، ٤٧ ، دائرة ٤/١١٨ (بلنسية) ، الحلل ، ٣/٤٥ـ٦ ، تاريخ الاندلس ، ٨٤ ح٢ (نص ابن الكردبوس) •

(٢) راجع : العبر ، ابن خلدون ، ٤/ ٢٦٧ ـ ٨ ، ٢٧٠ ، الكامل ، ٦/ ٥٤. الحلل ، ٣/٤٦ •

(٣) انظر : كتاب الجغرافيا ، ١٦٧ ، المغرب، ٢/٢٩٧ ـ ٨ ، تقويم البلدان، ١١٨ ، نفح ، ١/١٧٩ •

(٤) انظر : تاريخ الجغرافية ، ٦٦ (عن الرازي) ، نصوص ، ١٨ . نص جديد قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، ابن غالب الغرناطي ، ١٦ ، المعجب ، ٣٧٠ ، المغرب ، ٢/٢٩٧ ـ ٨ •
قارن : مناخ بلنسية في المراجع الحديثة : أوربا دراسة أقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية ، ابراهيم شريف ، ٢٩٣ ـ ٢٩٥ ، أوربا في مجرى التاريخ دراسة جغرافية ، محمود جلال الدين الجمل ، ٤٩٣ •

(٥) صفة جزيرة الاندلس ، ٤٧ •

(٦) كتاب الجغرافيا ، ١٦٧ •

وفيها من «القرمز» أطيبه ومن «الزعفران» أجوده ومن أنواع « التين » و « حب الملوك » ما ليس له نظير في بلاد الاندلس(١) ٠ وكانت هذه المحاصيل ـ وغيرها ـ وافرة الانتاج ، لذلك كانت بلنسية في أكثر الامور ـ ومنها المنتجات الزراعية ـ راخية الاسعار بشكل عام(٢) ٠

كانت تنبت في بلنسية أنواع من الياسمين(٣) من بين العديد من أصناف الازهار والورود ٠

أشهر صناعات بلنسية النسيج الكتّاني « فيهـا تقصر الثياب الغالية من الكتـان وتنسج »(٤) ٠ « ومما خُصت به النسيج البلنسي الذي يسفَّر لأقطار المغرب »(٥) ٠

ان منتجات بلنسية المتنوعة الوافرة في الزراعة والصناعة جعلها تصدر منه الى أنحاء أخرى من الأندلس والعالم الاسلامي، فكان مرساها نشطا بحركة السفن التجارية(٦) ، صدرت عنه بضائع مختلفة لعل من أبرزها وأشهرها النسيج والزعفران

---

(١) راجع عن محاصيل بلنسية الزراعية المذكورة : تاريخ الجغرافية ، ٦٦ (نص الرازي) ، نصوص ، ١٧ ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ١٢٧ ، كتاب الجغرافية ، ٢٠٥ ، معجم البلدان ، ١/٧٣٠ (بلنسية) ، آثار البلاد واخبار العباد ، القزويني ، ٥١٣ ، نفـح ، ١/١٤١ ، ١٧٩ ، الجغرافية ، ٤٨٦ ٠

(٢) انظر : صفة جزيرة الاندلس ، ٤٧ ، كتاب الجغرافية ، ٢٠٥ ٠

(٣) انظر : كتاب الفلاحة ، ابن بصال ، ١٤ (مقدمة الناشر) ٠

(٤) كتاب الجغرافية ، ٢٠٥ ٠

(٥) نفح ، ٣/٢٢١ (رسالة الشقندي) ٠

(٦) راجع : تاريخ الجغرافية ، ٦٦ (نص الرازي) ، نص جديد ، ١٦ ، صفة جزيرة الاندلس ، ٤٧ ٠
راجع عن مراسي الاندلس : فجر الاندلس ، حسين مؤنس ، ٥٩٢ ٠

والقرمز الذي يجود في أرضها ويحمل الى الآفاق[1] • وكانت الزوارق تدخل نهرها للتجارة[2] ، والقوافل التجارية البرية تتجه منها الى المدن الاندلسية ، فيها الارز الذي كان يحمل من بلنسية الى جميع بلاد الاندلس[3] • وعن طرق التجارة المختلفة استوردت بلنسية — على ما يبدو — ما كانت بحاجة اليه من بضائع زراعية وصناعية ويتوقع أن الكتاب كان هو الآخر له تجارة وتصديرا واستيرادا ولو بشكل محدود• وهكذا كانت بلنسية تجني من التجارة الخارجية أرباحا طائلة[4] ، ساعدت على احداث التغيرات الاجتماعية والحضارية في مجتمع بلنسية — في القرن الخامس على وجه الخصوص — حيث زاد عدد سكان المدينة ونما اقتصادها وعمرانها فتهيأت بيئة اجتماعية أكثر ملاءمة حضاريا لنمو العلوم • وقد وصف الرازي ما تمتعت به بلنسية من وافر الخيرات وتعدد مصادرها بقوله : « ومنافعها لأهلها عظيمة . جمعت البر والبحر والزرع والضرع . ولها السهل والجبل »[5] •

---

(١) انظر : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ١٢٧ ، نفح ، ٢٢١/٣ (رسالة الشقندي) ، آثار البلاد ، ٥١٣ ، نفح ، ١٤١/١ ، ١٧٩ ، صادرات شبه الجزيرة الايبيرية ، بدرو مارتنيث مونتابث ، ٤٥ (تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية في مدريد خلال شهر ديسمبر ١٩٦٥ وهو يتضمن بيانا مفصلا عن الدورة الرابعة للجلسات العلمية الاندلسية. بلنسية ٩ـ١٧ ديسمبر ١٩٦٥، كتب التقرير حسين مؤنس مدير المعهد) •

(٢) انظر : صفة جزيرة الاندلس ، ٤٧ •

(٣) نصوص ، ١٧ •

(٤) انظر : دول ٤٢٠ •

(٥) تاريخ الجغرافية ، ٦٦ (نص الرازي) • أيضا انظر : نصوص ، ١٨ •

كل هذا أثر على الحياة العلمية ، بتوفيره الجو الاجتماعي الملائم لها ، باعتباره عاملا متظافرا بجانب غيره من عوامل تهيئة البيئة الاجتماعية المناسبة لنمو الحياة العلمية • وهذه الوفرة في خيرات بلنسية سهلت أن يتولى بعض العلماء عملا تجاريا أو علميا (الاشتغال بالعلم) ،لتوافر العمل في نظـــام الحياة هناك •

الفصل الثاني

خطط بلنسية العمرانية

أولا : سكان بلنسية

ثانيا : خطط مدينة بلنسية

١ ـ سورها :

آ ـ الأبراج ·

ب ـ الأبواب ·

٢ ـ ظاهرها :

آ ـ الأرباض ·

ب ـ المساجد ·

جـ ـ المتنزهات ·

د ـ القناطر ·

هـ ـ البحيرة ، النهر ، المرسى ·

٣ ـ مركزها :

آ ـ المسجد الجامع ·

ب ـ دار الامارة ·

جـ ـ الأسواق ·

د ـ الأرباض والأحياء ·

هـ ـ المساجد ·

الفصل الثاني

خطط بلنسية العمرانية

أولا ـ سكان بلنسية

قبل التحدث عن خطط بلنسية يجدر التحدث بايجاز عن سكانها ، فان تزايد عددهم عمل على توسع الخطط وتنوعها وارتبط بالتغييرات السياسية والادارية التي شهدتها بلنسية والاندلس .

بلنسية مدينة قديمة ، اسسها الرومان سنة ١٣٩ قبل الميلاد ، كما مر ذكرها ، وفي سنة ٤١٣ ميلادية استولى عليها القوط الغربيون (Visigoths) ، وكان الفتح الاسلامي لها حول سنة ٩٤ (٧١٤) [١] .

لم تذكر المصادر الاسلامية شيئا عن سكان بلنسية وعمرانها عند الفتح الاسلامي . يبدو انها كانت عبارة عن فرضة صغيرة تسمى فالنثيا[٢] ، من ابنيتها كنيسة القديس جوان من العصر القوطي[٣] .

سكن المسلمون ، ومنهم الفاتحون الاوائل (العرب والبربر) ومن جاء بعدهم ، منطقة بلنسية ، وبين سكان

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية : ٤ : ١١٨ ـ ٩ (بلنسية)
The New Encyclopaedia Britannica, X, 334, 335.

(٢) انظر : رحلة الاندلس : ٢٧٥ .

(٣) انظر : دولة القوط الغربيين ، ابراهيم طرخان : ١٨٠ .

بلنسية المسلمين من أهل البلاد الاصليين[1] ٠

يبدو انالاقلية غير الاسلامية من أهل الذمة (المعاهدين= اليهود والنصارى) في منطقة بلنسية ، منهم من قبل اللغة العربية وتبنوا بعض العادات الاسلامية ، وسموا بـ « المستعربين » ٠ كان غير المسلمين يعيشون في ظل العدل والمساواة التي وفرها المسلمون للجميع بهدى من القرآن الكريم والحديث الشريف ٠

لا يعرف كم كانعدد المسلمين وغيرهم في بلنسية الحاضرة، الذين كان عددهم يزداد بمرور الزمنعنطريق التزاوج أو عن طريق الوافدين اليها ، ومن المحتمل ان بعض المسلمين الاوائل الفاتحين الذين سكنوا مدينة بلنسية من التابعين والمتفقهين أو من حملة الحديث الشريف ٠

لعل أكثر سكان منطقة بلنسية مارسوا الزراعة بالدرجة الاولى لخصب اراضيها ، ومنهم من اشتغل بالتجارة البرية أو البحرية والقليل منهم بالصناعة ٠ ربما تركز الصناع في مدينة بلنسية ـ خاصة في عهد الطوائف ـ لكونها المركز العمراني الذي أخذت خططه بالنمو لاتخاذه مركزا اداريا ولتوسطه منطقة كورة بلنسية ٠

استمر عدد سكان بلنسية ومن ثمعمرانها بالنمو في القرن الخامس الهجري ـ بشكل عام ـ وتهيأت عوامل ساعدت على

---

(١) راجع عن سكان بلنسية المسلمين : كتاب البلدان : ١١٣ ٠ المقتبس : ٢٠١ (بيروت) ٠ نصوص : ٢٠ ٠ معجم البلدان : ١ : ٧٣١ ٠ الكامل : ٦ : ٦٤ ، ١١٧ ٠ نفح : ١ : ٢٩١ ٠ فجر : ٣٣٥ وبعدها ٠ دائرة المعارف الاسلامية : ٤ : ١١٩ (بلنسية) ٠ الحلل : ٣ : ٤٤ـ ٥٠

هذا النمو ، أصبحت بلنسية في مطلع هذا القرن امارة مستقلة عن قرطبـة تحت امرة مبـارك ومظفر العامريين ، اللذيـن استقطبا الموالي العامريين • ولجأ الى بلنسية العديد من أهل قرطبة هربا من الفتنـة[1] التي دهمتهـا ، وكذلك من المدن الاخرى ، طلبا للامان والاستقرار ، الذي توفر فيمدينة بلنسية على عهد مبارك ومظفر ، يقول ابن بسام (٥٤٢ = ١٠٤٧) : وشرع « مظفر ومبارك لاول سلطانهما هنالك في بناء بلنسية وتحصينها وسـد عورتها بسور أحاط بالمدينـة تحت أبواب حصينة فارتفع الطمع عنها • وأقبل الناس اليها من كل قطر بالاموال وطمحت بسكانها الآمال ، واستوطنها جملة من جالية قرطبة القلقة الاستقرار ، فألقوا بها عصا التسيار وأجمـل عشرتهم وبنوا بهـا المنـازل والقصور واتخـذوا البسـاتين الزاهـرة ، والرياضات النـاظرة ، واجـروا خلالها الميـاه المتدفقة »[2] •

استمر ــ كما يبدو ــ الازدهار العمراني الـذي شهدته بلنسية على عهد مبارك ومظفر بالنمو في السنين التـي تلت عهديهما • الا ان المعلومات لتتبع هذا النمو نادرة •

تعرضت احوال بلنسية كلهـا للتدهور في ظـل الاحتلال القشتالي لها (٤٨٧ ــ ٤٩٥) ، الذي بدأ سنة ٤٨٧ (١٠٩٤) بزعامة الكبيطور • وما أطلت سنة ٤٩٥ (١١٠٢)، والاحتلال مستمر ، حتى أكملت زوجة الكبيطور ما بدأه زوجها ، فأحرقت

---

(١) الاحداث التي بدأت بسقوط الدولة العامرية وانتهت بسقوط الخلافة الأموية في الأندلس (٣٩٩ ــ ٤٢٢) ، انظر : أدناه : ٧٢ ــ ٣ •

(٢) الذخيرة (مخ) ، ابن بسام الشنتريني : ٣ : ٦ ــ ٧ • انظر : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي : ٣ : ١٦٠ •

معظم عمران بلنسية فتركتها خرابا وغادرتها والقوات القشتالية عندما ازداد تضييق القوات المرابطية على المدينة وما انتابها من يأس من امكان الاحتفاظ ببلنسية ٠

ان عدد سكان مدينة بلنسية تناقص في ظل السيطرة القشتالية القاسية لموت الكثير من أهلها ومقتل آخرين وهرب غيرهم عنها ، وخرب الكثير من عمران بلنسية بتدمير من القشتاليين وتوقف البناء في ظل تلك الظروف ٠

ثانيا ـ خطط مدينة بلنسية

موضع بلنسية ـ كما ذكر ـ في وسط سهل زراعي خصب ترويه شبكة من قنوات الري التي اقامها المسلمون ٠ كانت مركزا اداريا لكورة واسعة ، يقيم فيها الوالي من قبل قرطبة، أو الأمير كما كانت عليه في القرن الخامس الهجري٠ فيها مركز سائر الوظائف الادارية ، وفيها القضاة وجلة العلماء ٠ فكانت محط أنظار سكان الكورة جميعا ، اليها يرحلون طلبا للعلم والتجارة وقضاءا لحاجاتهم المختلفة ٠ بهذا كله جذبت الناس لسكناها ، فكان عمرانها في توسع مضطرد والمدينة في نشاط وحيوية في سائر ميادين الحياة ٠

كانت الأرباض موزعة خارج سور بلنسية وعلى ضفتي نهرها الذي قامت عليه القناطر لتسهيل تنقل الناس واثقالهم٠ كانت المتنزهات بقصورها ومسارحها تزيد من جمال ظاهر بلنسية ٠ وفي جنوبها تقع البحيرة وعلى سورها أبواب وأبراج حصينة تقي بلنسية شر الاعداء ٠

اذا تجاوزنا السور نجد المسجد الجامع يتوسط المدينة ، فهو مركز الاشعاع العلمي والحياة العامة في المدينة الاسلامية . وقريب منه دار الولاية وحولهما الاسواق · ومن وسط بلنسية تتفرع الدروب والطرق المؤدية الى احيائها التي تتوسطها المساجد والاسواق · وهكذا كان وصف العذري (٤٧٨ = ١٠٨٥) ، أحد علماء بلنسية ، معبرا عن اتساع عمرانها ، حيث يقول عنها : « ولها خطة فسيحة" وهي بَلْدَة" منيعة" · »(١)

ان المعلومات عن خطط بلنسية قليلة مبعثرة في بطون الكتب لا تحمل تاريخا الا في القليل النادر ، لذا سيرد احيانا ذكر لبعض الخطط لا تحمل تاريخها · وسيقتصر على ذكر الخطط التي تخدم موضوع البحث ·

١ ــ سورها :

بلنسية مدينة مسورة(٢)، سورها مبني بالحجر والطّوابي(٣) بناه مبارك ومظفر العامريان(٤) · وعلى هذا السور ما يلي :

آ ــ الأبراج : اتخذت على السور ابراج تكمل مهمته الدفاعية منها « برج القنطرة »(٥) ·

---

(١) نصوص عن الاندلس : ١٨ ·

(٢) نصوص : ١٨ ·
راجع عن بناء السور في الاندلس : المساجد والقصور بالاندلس ، السيد محمود عبد العزيز سالم : ١٣٠ وبعدها ·

(٣) صفة جزيرة الاندلس : ٤٧ ·
الطوابي : مادة من التراب والرمل ، دائرة معارف الشعب : ٢ : ٦٠ (بلنسية ، سالم) ·

(٤) الذخيرة (مخ) : ٣ : ٦ · انظر : البيان : ٣ : ١٦٠ ·

(٥) تاريخ الاندلس : ٩٩ (نص ابن الكردبوس) · البيان : ٤ : ٣٩ ·

ب ـ الابواب : لسور بلنسية أبواب عددها ثمانية[1] . منها « باب الوراق »[2] . وهذا فيه دلالة على صنعة الوراقة المهمة في الحياة العلمية .

٢ ـ ظاهرها :

ظاهر بلنسية[3] ما كان خارج سورها من خطط . وقد تنوعت هذه الخطط وأهمها :

آ ـ الارباض : مفردها رَبْض ، وهو الضاحية الصغيرة المتصلة بعمارة المدينة ، فاذا كانت كبيرة منقطعة عن عمارة البلد سميت بالحاضر واذا اتصل الربض بعمران المدينة فيصبح مرادفا للحي[4] . وكل ربض فيه من المساجد والاسواق ما يقوم بأهله ولا يحتاجون لغيره[5] . يلاحظ أن بعض أرباض بلنسية كان داخل سورها مما يجعل الربض يرادف معنى الحي كما سيأتي فيما بعد . ذكر لبلنسية ثلاثة أرباض تقع خارج سورها[6] .

---

(١) راجع عن أبواب بلنسية : نصوص : ١٨ . الذيل : ٥ : ١ ـ ٢٣١ . الاسلام في المغرب والاندلس ، ليفي بروفنسال : ٨٥ .
(٢) نصوص : ١٨ .
(٣) انظر : ذكر ظاهر بلنسية : التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار القضاعي البلنسي : ٢ : ١٥١ ، ٦٢٥ .
(٤) انظر : فجر : ٥٨٩ ، تاريخ الجغرافية : ٢٩٢ ، سلسلة محاضرات عامة في أدب الاندلس وتاريخها ، ليفي بروفنسال : ٩٩ ، اختصار الاخبار ، محمد بن القاسم السبتي : ٤٧ ح .
(٥) راجع : وصف جديد لقرطبة الاسلامية ، لمؤلف مجهول : ١٦٨ (نشر حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد : م : ١٣ مدريد ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م) .
(٦) راجع : نصوص : ١٨ ، التكملة : ٢ ٦٢٥ ، صفة جزيرة الاندلس : ٤٩ ، دائرة معارف الشعب : ٢ : ٦٠ (بلنسية) .

ب ـ المساجد : يتوقع أن كل ربض من الارباض الثلاثة المذكورة كان فيها مسجد على أقل تقدير . أوردت المصادر المتوفرة ذكراً لمسجدين هما :

١ ـ المصلى من ظاهر بلنسية[١] .

٢ ـ مسجد رحبة[٢] القاضي : ورد ذكره في أحداث سنة ٤٨٩ (١٠٩٥)[٣] . وورد ذكره في مواضع عدة في مناسبات تلت التاريخ المذكور[٤] .

ج ـ المتنزهات : لبلنسية مَنازِه عدة ، « فحيث خرجت من جهاتها لا تلقى الا منازه ومسارح ومن أبدعها وأشهرها « الرُّصافة » و « منية[٥] ابن أبي عامر »[٦] و « منية ابن عبد العزيز » .

هذه المتنزهات عبارة عن حدائق غنـاء تتوسط بعضها

---

(١) انظر : التكملة : ٢ : ٦٢٥ ، الذيل : ٤ : ١٠ .

(٢) الرحبة : الرحب السعة والرحب الواسع ، معجم البلدان : ٢ : ٧٦٢ ، تقع الرحبة خارج السور وتسمى بالشريعة أيضا ، وهي مخصصة للاجتماعات الشعبية الكبيرة ، فهي المصلى أو بعبارة أخرى الرحبة المكشوفة التي يجتمع فيها المسلمون للصلاة في العراء أيام الاعياد ، سلسلة محاضرات : ٩٩ ، انظر أيضا : تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٣٣٦(المجلدة : ٢ القسم الاول) .

(٣) التكملة : ١ : ٢٨٦ .

(٤) انظر : التكملة : ١ : ١٩٥ ـ ٦ ، ٢٨٦ ، ٤١٤ ـ ٥ ، ٢ : ٦٩٧ ، ٥٨٧ ، نفح : ٤ : ١١٣ .

(٥) المنية : جمعها منى ، معناها الحدائق الواسعة : تكاد تشابه الفيلا (Villa) وهي القصر الريفي تحيط به ضيعة ، وتقابل في المصطلح الاسباني (Huerta) ، فجر الاندلس : ٥٩٤ ، تاريخ الجغرافية : ٥٦٣ ، تاريخ الاندلس : ١١٧ ح (نص ابن الكردبوس) .
راجع عن بعض منى الاندلس : القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الاندلس (باريس) ابن حيان : ٣٨ ـ ٩ ، الصلة : ٢ : ٣٥٥ ، جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد بن حزم الاندلسي : ٩٦ .

(٦) المغرب : ٢ : ٢٩٨ .

قصور ومسارح وتجـري من خلالها الأنهـار · كانت أماكن للراحـة والاستجمام ، يخرج اليهـا الناس في أوقات فراغهم وتقام فيها المجالس العلمية والادبية[1] وهي بالتالي ظاهرة اجتماعية متقدمة تدل على رقي في الحضارة ·

لاهميـة المتنزهات في موضوع البحث ستذكر بشـيء من التفصيل :

آ ــ رصافة بلنسية (Ruzafa) ، عبارة عن بساتين غنـاء وحدائق زاهية، كان يتوسطها ــ على ما يبدو ــ قصر، وتتخللها المياه الجارية، وهي من أبدع متفرجات بلنسية· انشأ الرصافة عبد الله البلنسي بن عبد الرحمن الداخل (٢٠٨ = ٨٢٣) · مضاهاة لرصافة قرطبة التي بناها أبوه ، ولرصافة الشام التي تنسب الى جده هشام بن عبد الملك[2] ·

موقع الرصافة ــ على ما يبدو ــ الى الجنوب الشرقي من بلنسية بينها وبين البحر[3] ·

بالقرب من رصافة بلنسية كانت عين متفجرة بالمياه تنسب الى سلف ابراهيم بن أحمد الباهلي (بعد ٥٣٣)[4]

ب ــ منية ابن ابي عامر : تنسب الى أمير بلنسية المنصور

---

(١) راجع : الذخيرة (مخ) : ٣ : ٨ ، قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان : ٧٢ ــ ٣ ، نفح : ١ : ٦٧٠ ــ ١ ·

(٢) راجع عن رصافة بلنسية : رايات المبرزين ، ابن سعيد ، ٨٤ ، اختصار القدح المعلى ، ابن سعيد : ١٩٣ ، المغرب : ٢ : ٣٤٢ ، نفح : ٣ : ٢٢١ (رسالة الشقندي) ، تاريخ الجغرافية : ٤٨٦ ·

(٣) انظر : تاريخ الاندلس : ٨٦ ح (نص ابن الكردبوس) ·

(٤) انظر : التكملة : ١ : ١٤٥ ·

عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر ، قدّم الفتح ابن خاقان (٥٢٨ = ١١٣٣) وصفا لحفل افتتاح هذه المنية عند اكتمال بنائها رواه عن شاهد عيان دعاه المنصور الى الحفل • وحضر ابن خاقان في وقت آخر مجلسا دعا اليه في هذه المنية(١) • مما يشير الى انها كانت تشهد المجالس العلمية والادبية •

ج ـ منية ابن عبد العزيز : هو ابو بكر بن عبد العزيز وزير وامير بلنسية خلال المدة (٤٥٦ ـ ٤٧٨ = ١٠٦٣ ـ ١٠٨٥)(٢) • كانت هذه المنية ـ على ما يبدو ـ أمام باب الحنش ، أحد أبواب بلنسية ، وصفت بانها من المنازل البديعة والمنازه الجميلة(٣) •

د ـ القناطر : لبلنسية على نهرها جسر(٤) وقنطرتان(٥) ، إحداهما قنطرة باب الوراق(٦) • سهلت كثيرا حركة الناس والقوافل التجارية بين بلنسية وارباضها الكائنة في الضفة اليسرى من النهر ، و بينها و بين سائر أعمالها والمدن الاندلسية في شمالها •

هـ ـ البحيرة والنهر والمرسى : مر ذكرها في الحديث عن جغرافية بلنسية •

---

(١) انظر : قلائد : ٧٨ ، نفح : ١ :٦٥٧ ـ ٩ •

(٢) انظر : (تاريخ اسبانيا الاسلامية) أو كتاب أعمال الاعلام ، ابن الخطيب السلماني : ١ : ٦٤١ ، ٦٧٠ •

(٣) انظر : قلائد : ٧٢ ـ ٣ ، نفح : ١ : ٦٧٠ ـ ٧ ، ٤ : ٥٤ •

(٤) انظر : ديوان الرصافي البلنسي : ٦٩ ، ١٣٧ ، صفة : ٤٩ ، ٥٢ ، نفح : ١ : ١٧٤ ، ٤ : ٤٩٧ ـ ٨ •

(٥) انظر : نصوص : ١٨ الذخيرة ، (مخ) : ٣ : ٩ •

(٦) نصوص : ١٨ •

٢ ـ مركزها :

ضمت مدينة بلنسية داخل سورها خططا كثيرة أهمها :

آ ـ المسجد الجامع : كان يتوسط المدينة كما هي الحال في سائر المدن الاسلامية(١) ٠

لا يعرف شيء عن تاريخ انشاء هذا المسجد ٠ ربما تم تأسيسه على عهد الامير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢) الذي بنى مساجد للجماعات بالاندلس(٢) ٠ ولا يستبعد بناؤه أو اتخاذه قبل هذا العهد ، فبناء المسجد الجامع من أول الامور التي يفكر بها المسلمون عند فتحهم المدن أو اقامتها ، وكان للمسجد الجامع منار(٣) ٠

كان العامل أو الوالي الذي يمثل قرطبة في بلنسية ، أو أميرها ـ غالبا ـ يؤدي صلاة الجمعة في المسجد الجامع(٤) ٠

احتجز القشتاليون المسجد الجامع في سنة ٤٨٩ (١٠٩٥) على اثـر احتـلالهم لبلنسية بزعـامـة الكبيطور سـنة ٤٨٧ (١٠٩٤)(٥) ، الذي غير معالمه حتى حوله الى كاتدرائية تحمل اسم سانتاماريا(٦) ٠

---

(١) انظر : سلسلة محاضرات : ٩٧ ٠
ورد ذكر المسجد الجامع داخل بلنسية في التكملة : ١ : ٢٨٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٤ ، ٢ : ٥٢٥ ، الحلة : ٢ : ٢٣٥ ، المعجم : ١٨٥ ، ٣٢٢ ، الذيل : ٤ : ١٤٨ ، ١٨٥ ، ٢٣١ ، نفح : ٣ : ١٣٩ ٠

(٢) الكامل : ٥ : ٤٩٦ ٠

(٣) الذيل : ٥ : ١ : ٢٦٥ ٠

(٤) انظر الذخيرة (مخ) : ٣ : ٨ ، البيان : ٣ : ١٦١ ٠

(٥) انظر : التكملة : ١ : ٢٨٦ ٠

(٦) انظر : التكملة : ١ : ٢٨٦ ، ٢ : ٩١٤ ، الاسلام في المغرب والاندلس : ١٩٣ ٠

ان المسجد الجامع والمساجد الاخرى من ابرز الاماكن التي شهدت النشاط العلمي ــ كما سيتبين ــ فعدها يعتبر ذا أهمية في خدمة موضوع البحث ٠

ب ــ دار الامارة : وهو الذي كان يقيم فيه العامل أو الوالي أو الامير في بلنسية وموضعه ــ كما يتوقع ــ في وسط المدينة ، بجانب المسجد الجامع(١) ٠ كان تعيين والي بلنسية يتولاه الامير أو الخليفة الاندلسي حتى قيام الطوائف(٢) ٠

لا تتوفر معلومات عن قصر الامارة الا ما يتعلق بنزول مبارك ومظفر معا في سلطانهما فيه(٣) ٠ ربما اتخذ أمراء بلنسيين تالين ايضا من هذا القصر مقرا لهم ، وربما اتخذوا قصورا غيره ٠

جـ ــ الأسواق : كانت بلنسية « كثيرة التجارات ، وبها أسواق »(٤) ، ورد ذكر اثنين منها(٥) ٠ ولم يرد في المصادر المتوفرة سوق للوراقين أو حوانيت للوراقين ــ ضمن مدة البحث ــ التي تعد من مراكز الحركة العلمية(٦) ، مع أنه ورد ذكر باب الوراقين كما سبق بيانه ٠

يدل على ازدهار أسواق بلنسية حاجتها الى « المحتسب »

---

(١) المساجد والقصور : ٧٦ ٠

(٢) راجع : المقتبس : ١٤٤ (القاهرة) ، المقتبس (مخ) : ٣ : ١ أ ، ١٥٣ أ ٠

(٣) انظر : الذخيرة (مخ) : ٣ : ٦ ، ٨ ، البيان : ٣:١٥٩ ، أعمال: ٢٢٢٠

(٤) صفة جزيرة الاندلس : ٤٧ ٠

(٥) انظر : التكملة (مجريط) : ٢ : ٥٠٦ ، التكملة : ٢ : ٦٢٠ ٠

(٦) ورد ذكر لدكان أحد العلماء كان يقعد فيه للتجارة وبيع الكتب ، الا انه متأخر عن اطار البحث ، التكملة (مجريط) : ٢ : ٥٠٦ ٠

فقد تولى الحسبة فيها عدد من العلماء[1] . ويتصل بهذا ما يعرف « بخطة السوق » تولاها علماء بلنسيون[2] .

د ـ الارباض والاحياء : ورد ذكر ربض داخل سور بلنسية[3] ، فمعناه ـ هنا ـ الحي وليس الضاحية[4] . وتفسير هذا ان عمران بلنسية توسع فاتصلت عمارة المدينة (في مركزها) بالارباض المجاورة قبل أن يُضرب السور عليها على ما يبدو . وحدث ما يماثل هذا فيما يخص قرطبة[5] .

ورد ذكر حَوْمة واحدة[6] والحومة : هي المحلة المتصلة المنازل وبعبارة أخرى الحي من الأحياء[7] ، وتطلق على أحياء وسط المدن[8] .

ولبلنسية في داخلها « حارة »[9] .

هـ ـ المساجد : ورد ذكر عشرة مساجد[10] داخل سور

---

(1) انظر : التكملة : ١ : ٤١٤ .
(2) انظر : التكملة : ٢ : ٤٦٨ .
(3) انظر : المعجم : ١٦٣ ـ ٤ ، التكملة : ٢ : ٤٨٣ ، الذيل : ٥ : ١ : ٢٧٠ ، ٦ : ١٦٨ .
(4) انظر : تاريخ الجغرافية : ٢٩١ ـ ٢ .
(5) راجع : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، السيد عبد العزيز سالم : ١ : ١٧٦ .
(6) انظر : ديوان ابن الزقاق البلنسي : ١٩٥ .
(7) انظر : الوثائق العربية ، خشنتوبوسك بيلا : ٣٠٨ (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد : م : ٥ ، العدد : ١ ـ ٢ ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م) ، اختصار الاخبار : ٤٧ ح . المساجد والقصور : ١٣٠ .
(8) انظر : سلسلة محاضرات : ٩٩ .
(9) صفة جزيرة الاندلس : ٤٩ .
الحارة : تدل على معنى الحومة ، قرطبة حاضرة الخلافة : ١ : ١٨٠ ، اختصار الاخبار : ٤٧ ح .
(10) راجع : التكملة : ١ : ١٢٢ ، ٢ : ٤٧٠ ، ٥٤٣ ، ٥٩٤ ، ٧٨٥ ، ٨٨٩ ، ٩٠١ ، ٩٣٥ ـ ٦ ، ٩٣٩ ، عنوان الدراية ، أبو العباس الغبريني ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، الذيل : ٤ : ١٧٩ .

بلنسية ـ عدا المسجد الجامع ـ معظمها ـ وفق التواريخ التي جاءت معها ـ بنيت في وقت متأخر ٠

من المساجد ما يتضح انها وجدت ضمن مدة البحث :

١ ـ « مسجد عبد الله البلنسي »(١) ٠

٢ ـ « مسجد الغلبة » ، ينسب الى محمد بن ابي اسحاق الواعظ (بعد ٥١٢) ، كان يعظ بمسجده المشتهر بمسجد الغلبة(٢) ٠ لا يشترط ان أبا اسحاق هـو الذي بنى المسجد المذكور ٠

٣ ـ « مسجد ابن حزب الله » ، « وبنو حزب الله أهـل علم ونباهة واليهم ينسب المسجد بداخل بلنسية »(٣) ٠ ويتوفر ذكر لعدة علماء من بني حزب الله(٤) ٠

و ـ خطط أخرى : ورد ذكر قصر الوزير ابي بكر بن عبد العزيز ، وقصر آخر مجاور له كان ينزل به ابن طاهر(٥) ٠ وربما كان القصران المذكوران في منية المنصور المارة الذكر ٠ وأهمية هذين القصرين تبرز من خـلال كون صاحبيهما من رجال الادب والعلم فيحتمل انهما عقدا مجالس العلم والادب فيهما وسيرد بيان هذا في مكانه المناسب ٠

---

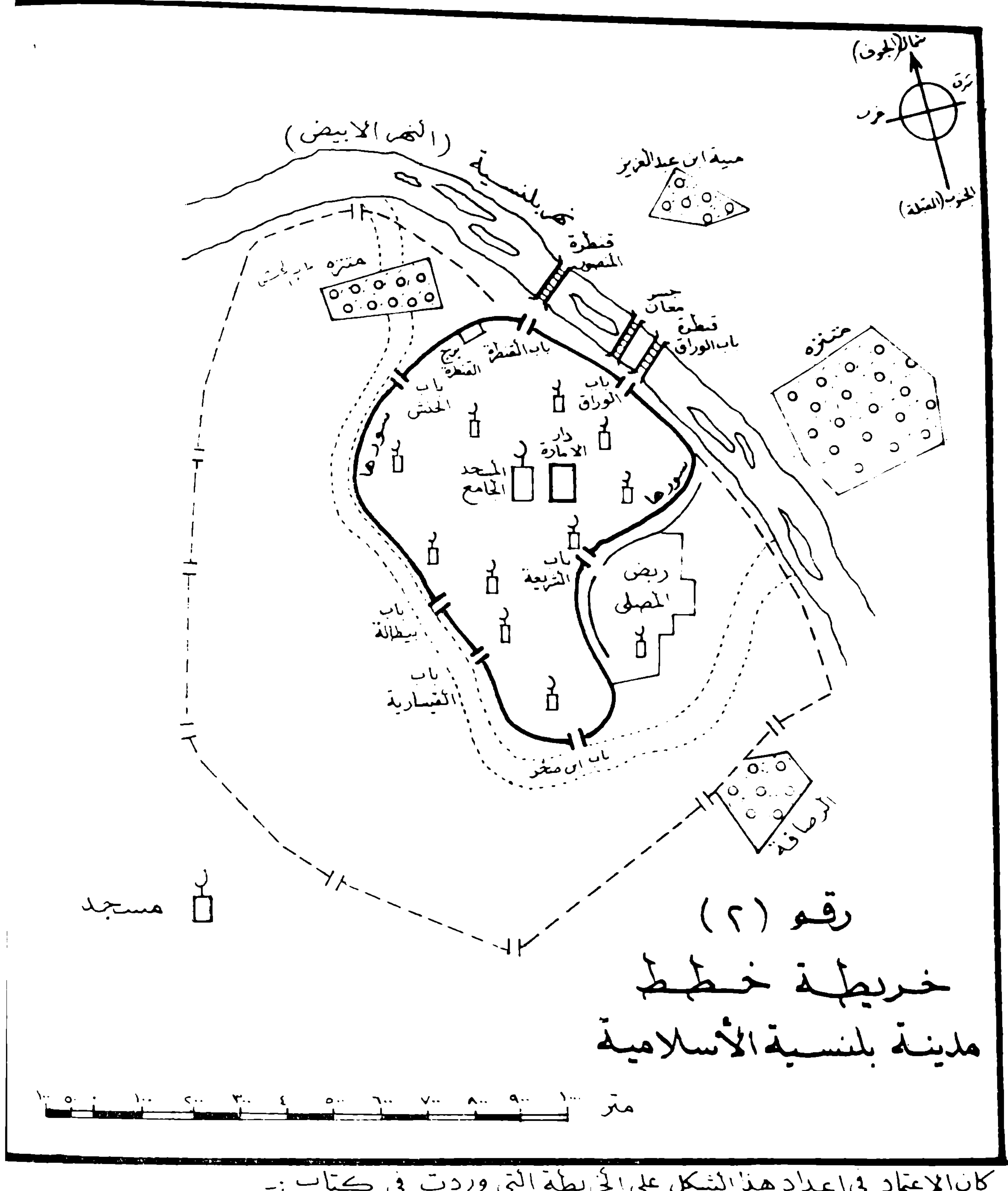
(١) انظر : المقتبس (القاهرة) : ٢١١ ، ٣٢٠ ، الصلة : ١ : ٣١٨ ، التكملة : ٢ : ٥٢٧ ٠

(٢) انظر : التكملة : ١٠ : ٤١٤ ـ ٥ رقم ١٧٤ ٠

(٣) التكملة : ٢ : ٥٤٣ ، ٧٨٥ ٠
ورد ذكر مسجد ابن حزب الله في عدة مواضع : التكملة : ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ ٠

(٤) راجع الصلة : ٢ : ٤٩٦ رقم ١١٤٧ ، التكملة : ١ : ٢٨١ ، ٢ : ٤٩٥ رقم ١٣٦٩ ، ٧٨٥ رقم ١٦٢٥ ٠

(٥) انظر : قلائد : ٦٨ ٠



رقم (٢)

خريطة خطط

مدينة بلنسية الأسلامية

كان الاعتماد فى اعداد هذا الشكل على الخريطة التى وردت فى كتاب :-

HISTORIA MUSLMANA DE VALENCIA Y SU REGION, A.H. MIRANDA, b.I, P. 24

واستفع من الخريطة التى وردت فى كتاب :- HISTOIRE DE ESPAGNE MUSULMANE,

E. LEVI-PROVENCAL, t. III, P. 349.

ومن المعلومات التى وردت فى هذا البحث وما وفره من أطلاع على المصادر .

الفصل الثالث

إدارة بلنسية

أولا : مركزها الاداري

ثانيا : أعمالها

١ ـ المدن

٢ ـ القرى والاقاليم

٣ ـ الاجزاء

٤ ـ الحصون

الفصل الثالث

ادارة بلنسية

كان العديد من المشتغلين بالعلم طلبا و بثا، تأليفا وتدريسا في بلنسية هم من المدن والقرى التابعة لها اداريا • باعتبارها مركزا اداريا لِكَوْرَة واسعة ومن ثم لامارة مستقلة • كان ذلك عاملا مشجعا لتوجه بعض العلماء والأدباء والطلاب اليها • وجد عدد من علمائها وطلابها في الأقسام التابعة لها • وللاحداث السياسية ــ التي سيرد ذكرها في تاريخ بلنسية ــ صلة بوضعها الاداري • وكان لبعض ما يتبعها من مدن صلة بمجرايات الاحداث التي شهدتها • ان صناعة الورق في ما يتبعها اداريا له هو الآخر أهمية في الحياة العلمية •

هذا موجز في ادارة بلنسية ، يؤمل أن ينفع في دراسة الحياة العلمية ومعرفة تاريخها، علما بأن ما يتبعها لم يكن مرتبطا بها في كل عهودها • كما شهدت أكبر توسع في عصر الطوائف •

أولا : مركزها الاداري

بلنسية حاضرة أو مركز كَوْرَة من كَوْر شرقي الأندلس(١) ، منذ عهد عبد الرحمن الداخل على ما يبدو • والكورة قسم اداري له حوز(٢) واسع ، يشمل عدة مدن وأقاليم

---

(١) راجع : المقتبس (بيروت) ، ٢١٦ ، نصوص ١٧ ، معجم البلدان ، ١ ــ ٧٣٠ (بلنسية) ، المعجم ، ٩٤ ، ١٧٢ ، ٢١٤ ، الحلة ، ٢ : ٣٦٣ • البيان ، ٢ : ١٨٥ ــ ٦ ، المساجد والقصور ، ١٢٩ •

(٢) الحوز : زمام الكورة كله ، أي ما يتبعها من الارضين والبلاد ، تاريخ الجغرافية ، ٦٧ •

وقرى وأجزاء · يحمل حـوز الكورة ـ غالبا ـ اسم نهـر أو مدينة فيه ، فيكون ذلك اسم الكورة ومركزها ، الذي ينسب اليه[1] ·

كانت بلنسية مقرا لمن تعينـه قرطبة من عمالها لادارة كورة بلنسية[2] ، حتى أصبحت امارة (مملكة) مستقلة في مطلع القرن الخامس الهجري[3] ·

ثانيا : أعمـالها

ذكر ان بلنسية حاضرة كورة من كور شرقي الأندلس · تبعها اداريا عدة مـدن[4] وأقاليم[5] وقـرى[6] واجـزاء[7] وحصون[8] وغير ذلك من التقسيمات الادارية · التي ارتبط بعضها ببلنسية مباشرة والبعض الآخر بشكل غير مباشر · كان يطلق على تلك الاقسام التي كانت بلنسية مركزها اسم « كورة

---

(١) انظر : معجم البلدان ، ١ : ٣٩ ، تاريخ الاندلس ، ١٧١ (نص ابن الشباط) ، فجر ، ٥٧٦ ـ ٧ ·

(٢) راجع : نصوص ، ١٤ ـ ٥ ، المقتبس (القاهرة) ، ١٤٤ ، المقتبس (مخ) ، ١٠٣ أ ، ١٠٥ أ ، البيان ، ١٥٨ ـ ٩ ·

(٣) راجع : البيان ، ١٥٨ ـ ٩ ·

(٤) يقول الرازي عن بلنسية : « وبها مدن عظيمة » تاريخ الجغرافية ٦٦ ·

(٥) يقول الرازي : « ولها اقاليم كثيرة متسعة » تاريخ الجغرافية ، ٦٦ · انظر ايضا : نصوص ، ٢٠ ، صفة جزيرة الاندلس ، ٤٧ ·

(٦) ولها أعمال كثيرة تزيد على الف وستماية قرية في كل قرية جامع ومنبر وقاض وخطبة · ذكر بلاد الاندلس (مخ) ، مؤلف مجهول ، ٦٧ ·

(٧) انظر : نصوص ، ٢٠ ·

(٨) انظر : تاريخ الجغرافية ، ٦٦ (نص الرازي) ·

بلنسية »[1] .

١ ـ المدن:

المدينة عند أهل الاندلس ، قسم اداري كالكورة ، تتبعها أقسام ادارية أصغر[2] . يبلغ عدد مدن كورة بلنسية حوالي الثمان منها[3] :

آ ـ مدينة دَانـِية (Denia) تقع على ساحل البحر المتوسط ، الى الجنوب الشرقي من بلنسية[4] ، على مسافة ١٦ فرسخ[5] (= حوالي ٩٦ كم) .

ب ـ مدينة شاطِبَة (Jativa) الى الجنوب الغربي من بلنسية على مسافة ٣٢ ميلا (= حوالي ٦٤ كم) . « يعمل

---

(١) ورد ذكر كورة بلنسية مثلا في : المقتبس (مخ) ، ٨٠ ب ، ٩٧ ب ، ١٠١ ب ، ١٠٣ أ .

(٢) انظر : التقسيم السياسي الاداري للاندلس ، حسين مؤنس ، ٣٢٣ (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد م : ٥ ، العدد : ١ ـ ٢ مدريد ١٩٥٧ م) ، فجر ، ٥٧٦ ـ ٧ ، تاريخ الجغرافية ، ٦٥ ، نص جديد ، ١٦ ح .

(٣) راجع : تاريخ الجغرافية ، ٦٧ (نص الرازي) ، نصوص ، ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، نص جديد ، ١٦ ، معجم البلدان ، ١ : ٥٩٩ ، ٧٣٩ ، ٢ : ٨٠٨ ، ٣ : ٢٥٤ ، ٤ : ٤٨٦ ، التكملة ، ١ : ١٤١ ، صفة جزيرة الاندلس ، ٣١ ، نفح ، ١ : ١٨٢ ، ٦٧٢ ، الحلل ، ٣ : ٩٨ .

(٤) انظر : كتاب الجغرافية ، ٣٠٤ ، صفة ، ١٩٢ ، مسالك الابصار ، ابن فضل الله العمري ، ١ : ٢٣ .

(٥) كتاب الجغرافية ، ٢٠٣ . قارن : صفة ، ١٩٢ ، المسافة بين بلنسية ودانية ٦٥ ميلا (= حوالي ١٣٠ كم) .
الفرسخ = حوالي ٦ كم .
الميل = حوالي ٢ كم انظر : المكاييل ، ٩٤ ـ ٥ ، وصف جديد ١٦٧ ح .

بها من الكاغد مالا يوجد له نظير بمعمور الارض »[1] ويحمل منها الى سائر بلاد الاندلس « ويعمّ المشارق والمغارب »[2] ·
افاد هذا الحركة العلمية في بلنسية والاندلس[3] ·

جـ ـ مدينة جزيرة شُقْر تقع بين شاطبة وبلنسية[4] · تبعد عن بلنسية بمسافة ١٨ ميلا[4] (= حوالي ٣٦ كم) ·

٢ ـ القرى والاقاليم :

الاقليم كل قرية كبيرة جامعة . أو البلدة وحوزها المتصل بها ، فالاقليم يضم عدة قرى · وهو وحدة ادارية مالية . تتبع الكورة أو المدينة · تدفع الجباية على الاقليم كله لا على كل قرية · والناحية تعني الاقليم ايضا[5] ·

(١ـ٢) انظر عن شاطبة وصناعة الورق فيها : نصوص عن الاندلس. ١٨ـ٩. كتاب الجغرافية ، ٢٠٣ ، معجم البلدان ، ٣ : ٢٣٥ (شاطبة) . النهاية ٢ : ٢٩٦ ، ٣٨٠ ، خريدة العجائب . ابن الوردي . ١٦ . مواد اندلسية جديدة من الروض المعطار ، الحميري ، نشرها صلاح الدين المنجد . ٥٨ (مجلة معهد المخطوطات العربية ، م : ٥ . جـ : ١ ذو القعدة ١٣٧٨ مايو ١٩٥٩) ، نفح ، ١ : ١٦٦ ·

(٣) انظر : تاريخ الجغرافية ، ٦٦ ـ ٧ (نص الرازي) . تاريخ علماء الاندلس ، ١ : ٢٧٧ ، نصوص ١٩ ، صفة . ١٩٢ . كتاب الجغرافية . ٢٠٥ ، نص جديد ، ١٦ ، رايات المبرزين ، ٨٧ ، نفح . ١ : ١٦٦ ·

(٤) نصوص ، ١٩٢ ·
قارن : تاريخ الجغرافية ، ٨٧ ·

(٥) راجع : نصوص ، ١٢٤ وبعدها ، معجم البلدان ، ١ : ٢٦ ـ ٧ . فجر ٥٦٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨٣ ، تاريخ الجغرافية ، ٨٨ ، التقسيم السياسي . ٣٢٥ ـ ٦ ، وصف جديد ، ١٧٩ ·
الاقليم في المشرق الاسلامي : كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى اقليم نحو الصين وخراسان والعراق ، معجم البلدان ، ١ : ٢٦ ·

عـــدد أقاليم بلنسية حوالي أحـــد عشر ١ كمـــا وعـــدد قراها ٢ . من الامثلة على الاقاليم . اقليم بنكيران يتبع مدينة شاطبة ٣ . يقع غربها على مسافة ٤٠ ميلا ؛ (= حوالي ٨٠ كم) .

ومن القرى : قرية بطرنة (Paterna) شرقي بلنسية ، وفيها كانت وقعة بطرنـــة المشهورة ســـنة ٤٥٥ أو ٤٥٦ . ٠ قريـــة بنشة ١ ســرق بلنســـية ٨ . يبـــدو ان القريتـــين المذكورتين تتبعان بلنسية مباشرة . ويتبع مدينة شاطبة قريتا « الحمراء » ٩ و « لاله » ١٠ .

٣ ـ الاجزاء :

الجزء قسم اداري ، يشمل مساحة من الارض تركتها

١) [illegible] ٦١ [illegible] ٢٠ : ١٤٦ [illegible] ٣ : ٢٣٢ [illegible] التكملة ١ : ٢١ [illegible] ٢٨٦ .

٢) [illegible] ١٩ : ٢٠ ، التكملة ١ : ٤٢ ، ٢ : ٥٣٩ ، [illegible] ١ : ٥٣ [illegible] ٤٩ : ، البيان ١ : ١ ، ٨٢ .

٣) [illegible] ١ : ٢١ .

٤) [illegible] ١٩٢ .

٥) [illegible] التكملة ١ : ٢٦٥ ، [illegible] ٢ : ٣٥٥ ، [illegible] ١ : ١٨١ ، ١٤٣ .

٦) [illegible] ٣ : ٢٥٢ ـ ٣ [illegible] ٤ : ٤٤٨ .

٧) [illegible] ياقوت الحموي ، ٣٧ ، معجم [illegible] ١ : ٤٨٨ ، المطرب ، ١٢٤ ، ١٢٥ .
[illegible] المتلمس ، ابن عميرة [illegible] ١٨٢ [illegible] البيان ١ : ٢١٣ ، ٢ : ٥٩٠ .
يرى احسان عباس [illegible] مصحفة [illegible] كما وردت عند ابن سعيد [illegible] البيان ٢ : ٥٩٠ ، [illegible] ٢ : ٣٥٧ .

٨) عن التكملة [illegible] ٣٠ .

٩) التكملة ، مجريط ، ٢ : ٦٤٠ .

١٠) التكملة ، مجريط ، ٢ : ٦٢٢ .

الدولة مشاعا ، ينطبق عليها حكم العشب والكلأ والماء في الشريعة الاسلامية[١] .

يمكن أن نجد أجزاءا لكل قسم اداري صغيرا كان أم كبيرا . ورد ذكر حوالي أربعة عشر جزأ[٢] مثلا : مدينة شاطبة لها « فحص شاطبة »[٣] ، الذي له جزء[٤] .

٤ ـ الحصون :

الحصن : موضع محصّن مأهول يشبه أن يكون مدينة وقد تتبعه حصون أخرى ، وقد يكون له حوز ، تقام الحصون في مواقع لها ميزاتها الجغرافية ، والعسكرية والدفاعية ، لذلك كانت تجدد وتعمر بالجند عصرا بعد عصر[٥] .

ورد ذكر حوالي ثمانية عشر حصنا من كورة بلنسية[٦] مثلا من حصون شاطبة : حصن بكيران[٧] وحصن شيركة من أعمال بلنسية[٨] .

---

(١) انظر : فجر ، ٥٨٧ ، التقسيم السياسي ، ٣٢٦ ، تاريخ الجغرافية ، ٨٨ .
(٢) راجع : نصوص ، ١١ ، ٢٠ ، ١٤٧ ، الذيل ، ٥:١:٣٧٠ ، فجر ، ٥٨٦ .
(٣) نصوص ، ٢٠ .
الفحص : كل موضع يسكن ـ سهلا كان أو جبلا ـ بشرط أن يزرع يسمى فحصا ، ثم صار علما لعدة مواضع ، انظر : معجم البلدان ، ٣ : ٨٥٢ ، تاريخ الاندلس ، ٨٧ ـ ٨ (نص ابن الكردبوس) ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب السلماني ، ١ : ١٤٤ ح .
(٤) جزء فحص شاطبة : نصوص ، ٢٠ .
(٥) راجع : نصوص ، ١٩ ، فجر ، ٣٧٦ ، ٥٨٩ ـ ٩٠ ، تاريخ الجغرافية ، ٦٧ ـ ٨ ، اللمحة البدرية ، لسان الدين بن الخطيب ، ١٩ .
(٦) راجع : تاريخ الجغرافية ، ٦٦ ، نصوص ، ١٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ح ، معجم البلدان ، ١ : ٣٧٧ ، ٣ : ٢٨٦ ، ٣٥٢ ، ٤ : ٢٧٦ ، المغرب ، ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٦١ ، العبر ، ٤ : ٢٦٧ ، نفح ، ١ : ١٨١ ، ١٨٢ .
(٧) التكملة ، ١ : ٢٧ .
قارن : المغرب ، ٢ : ٤١٧ .
(٨) معجم البلدان ، ٣ : ٣٥٢ (شيركة) .

الفصل الرّابع

تاريخ الأندلس وبلنسية

أولا : تاريخ الاندلس

١ ـ حالة المجتمع الاسباني قبيل الفتح الاسلامي
٢ ـ فتح الاندلس
٣ ـ عهد الولاة
٤ ـ عهد الامارة
٥ ـ عهد الخلافة
٦ ـ الدولة العامرية
٧ ـ عهد دول الطوائف

ثانيا : تاريخ بلنسية

آ ـ من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة العامرية :
١ ـ فتح بلنسية
٢ ـ عهد الامارة الاندلسية
٣ ـ عهد الخلافة الاندلسية
ب ـ مملكة بلنسية في عهد الطوائف :
١ ـ حكم امراء الطوائف
٢ ـ حكم القشتاليين
آ ـ ثورة أهل بلنسية
ب ـ حصار بلنسية
جـ ـ حرق ابن جحّاف والتنكيل بالعلماء
٣ ـ استعادة بلنسية

الفصل الرابع

تاريخ الاندلس وبلنسية

ستُلقي الدراسة التاريخية بعض الضوء على العهود التي مرت بها الاندلس وبلنسية وأبرز التغيرات التي حدثت فيها • فالاحوال السياسية والعامة ذات تأثير على الاطار العام للجو الذي تنمو فيه الحياة العلمية • وللحياة العلمية تجاوب مع المراحل الحضارية •

أولا ـ تاريخ الاندلس

١ ـ حالة المجتمع الاسباني قبيل الفتح الاسلامي :

كانت الاحوال في شبه الجزيرة الأيبيرية عند الفتح الاسلامي سيئة في كل نواحيها مقارنة بأحوال المجتمع الاسلامي وقتذاك، فالمجتمع الاسباني كان يعاني صنوف الشقاء والبؤس تحت حكم القوط الغربيين(١) ، شأنه في ذلك شأن بقية بلاد

(١) راجع : فجر ، ٢٤ ـ ٨ ، دولة الاسلام ، ١ : ٣٠ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، السيد عبد العزيز سالم ، ٦٢ ، الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية ، ٣١١(اسبانية : الانقسام الداخلي ، ارمان ابل)،
The Moors in Spain, Stanley Lane Poole 95 — 8.
والطبعة العربية : العرب في اسبانيا ، ١٧ •

غرب أوربا وبقية العالم غير الاسلامي في ذلك الوقت[1] « من حيث انتشار الجهل والتأخر والفوضى ، بسبب النزاع الاجتماعي ، والانحلال الداخلي والفتن الطائفية »[2] ٠

٢ ـ **فتح الاندلس :**

الاسلام عقيدة ومنهج ارتضاه الله تعالى للبشرية جميعا وكلف معتنقيه حمله وتبليغه للناس كافة ليخرجهم من الظلمات الى النور ٠ لهذا وبعد أن شمل الاسلام الجزيرة العربية ، ساح المسلمون في شرق الارض وغربها مجاهدين في سبيل الله لنشر رسالته واعلاء كلمته وازالة جميع العوائق التي تحول بين الناس ودعوة الله ٠

أتم المسلمون فتح معظم شمال قارة افريقيا فكان لا بد لهم أن يتوجهوا الى البر الاسباني عبر المضيق (= المجاز أو الزقاق) ، « لنشر العقيدة الاسلامية ، التي تقتضي أن يستمر المد الاسلامي ما دامت فيه القوة على الاستمرار[3] » ٠

سبقت حملة طارق حملة استطلاعية ، بقيادة أبي زُرْعَة طريف بن مالك ، في رمضان سنة ٩١ (تموز ٧١٠) ، استجابة لأمر الخلافة بدمشق بضرورة اختبار اسبانيا بالسرايا وعدم التغرير بالمسلمين ٠ كانت هذه السرية مؤلفة من

---

(١) راجع عن سوء احوال الانسان عند ظهور الاسلام : رسالة ابن فضلان ، ابن فضلان ، ١٥٦ ـ ٦٤ ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوي ، ١٧٣ ـ ٩٧ ، الاسلام والحضارة العربية ، محمد كرد علي ، ١ : ١٩٥ ـ ٢٠٧ ، تاريخ غزوات العرب ، جوزيف رينو ، ٢٩٥ ، The Moors in Spain, 129—30.

(٢) المدنية الاسلامية ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، ٤٩ ٠

(٣) انظر : التاريخ الاندلسي ، عبد الرحمن علي الحجي ، ٢١ ٠

اربعمائة راجل ومئة فارس ، عادت بالنصر والمعلومات للقيادة الاسلامية(١) ٠

بدأ الفتح الاسلامي لاسبانيا في رجب سنة ٩٢ (نيسان ٧١١) ، بقيادة طارق بن زياد ٠ الذي عبر المضيق ، بسبعة آلاف مجاهد ، جلهم من المسلمين البربر وبأمر من موسى بن نصير (١٩ ــ ٩٧ = ٦٤٠ ــ ٧١٥) ، الذي ولّي أمر افريقية وما خلفها ، من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، في سنة ست وثمانين للهجرة(٢) ٠

كان اللقاء الحاسم بين الجيش الاسلامي والقوطي في أواخر رمضان سنة ٩٢ (أواسط تموز ٧١١) ، في سهل الفَرَنْتيرة (**Frontera**) جنوبي بحيرة خندة (**Janda**) المتصلة بنهر البَرْباط (**Barbata**) الذي يصب في المحيط الاطلسي على مقربة من رأس الطرف الأغر (**Trafalgar**) الذي تسميه الرواية الاسلامية وادي لَكّه(٣) ٠ (**Guadalete**)

ومع تفوق قوات القوط عددا وعدة ، اذ بلغوا حوالي أربعين الف مقاتل حسب أقل الروايات تقديرا ، على القوات

---

(١) راجع : أخبار مجموعة ، مجهول المؤلف ، ٦ ، تاريخ الاندلس ، ١٣١ (نص ابن الشباط) ، صفة ، ٨ ، نفح ، ١ : ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٥٣ . الكامل ، ٤ : ٥٦١ ٠

(٢) راجع : تاريخ خليفة بن خياط ، ١ : ٣٠٥ ، فتوح البلدان ، البلاذري . ١ : ٢٧٣ ، تاريخ الطبري ، ٦ : ٤٥٤ ، ٤٦٨ ، أخبار ، ٣ ، ٦ ، التنبيه والاشراف ، المسعودي ، ٢٨٨ ، تاريخ افتتاح ، ٣٣ ، ٣٤ ، الكامل . ٤ : ١٤٤ ، ٢٠٦ ، ٥٦١ ــ ٢ ، الاحاطة، ١ : ١٠٧ ، العبر ، ٤ : ٢٥٤. صفة ، ٩ ٠

(٣) انظر : كتاب الجغرافية ، ٢١٤ ، الكامل ، ٤ : ٥٦٢ ــ ٣ ، تاريخ الاندلس ، ١٣٥ ــ ٦ (نص ابن الشباط) ، صفة ٩٣ ، التاريخ الاندلسي ، ٣٣ ٠

الاسلامية التي كان عددها اثنـي عشر الف مقاتل[1] ، فلقـد أمتّن الله على المسلمين بالنصر • فانساح جند المسلمين بعد هذه المعركة الفاصلة في أرض شبه الجزيرة الآيبيرية فاتحين ، رافعين راية الاسلام ، اينما حلوا وحيثما وصلوا •

ان تناقص عـدد جند المسلمين الذين كانوا مع طارق ، نتيجة لعمليات الفتح وعظم ارض شـبه الجزيرة ، وتجمـع القوط الفارين لصد تقـدم المسـلمين ، واستكمالا للفتـح وتعزيزا له . وحرصا على مستقبل جند المسلمين في هذه البلاد الواسعة من الضياع ، عبر موسى بن نُصَيْر الى الاندلس على رأس جيش قوامه ثمانية عشر الف مجاهد ، في رمضان سنة ٩٣ (حزيران ٧١٢)[2] •

اتم الجيش الاسلامي ، الذي بلغ ثلاثين الفا أو أكثر ، فتح معظم شبه الجزيرة الايبيرية ، بقيـادة موسى وطـارق ، بعد جهاد طويل مستمر دام حوالي ثلاث سنوات ونصف ، بدأ في رجب سنة ٩٢ (نيسان ٧١١) وانتهى في ذي القعدة سنة ٩٥ (ايلول ٧١٤) • فتـح المسلمون خـلال تلك السنوات القلائل ، بتلك القوة القليلة العدد ، الكثيرة بايمانها ، ونصر الله لها ، هذه الجزيرة الشاسعة[3] ، « ولم يغادروا بلدا عظيما

---

(١) انظر : أخبار ، ٧ ، الكامل ، ٤ : ٥٦٢ ، العبر ، ٤ : ٢٥٤ •

(٢) راجع : فتوح البلدان ، ١ : ٢٧٣ ، تاريخ الطبري ، ٦ : ٤٨١ ، أخبار ١٥ ، تاريخ افتتاح ، ١٩٨ ـ ٢٠٠ (الرسالة الشريفية) ، الكامل ، ٤ : ٥٦٤ . فجر ، ٨٩ ، التاريخ الاندلسي ، ٦١ •

(٣) انظر : فجر ، ١١٨ ، تاريخ المسلمين ، ١٠٠ ـ ٣ ، دولة الاسلام ، ١ : ٥٠ ـ ٣ •

أو حصنا هاما الا رفعوا عليه راية الاسلام وأدخلوه في حوزة الدولة الاسلامية الكبرى »(١) ٠

ان هذه الانتصارات الرائعة والفتوح الكبيرة في المدة القصيرة لها اسرار وذات دلالات بارزة منها ما كان عليه المسلمون من صدق وقوة مستمدة من العقيدة الاسلامية التي جاهدوا في سبيلها ٠ وعدل المسلمين وحسن معاملتهم ـ النابعة من ذات العقيدة ـ لاهل البلاد المفتوحة ، ساهم في تحقيق هذه الفتوح ٠ وجعل العديد منهم يدخل الاسلام ويسارع لحمل رايته ـ عندما عرفوا عدل الاسلام وجور ما عداه ـ مواصلا الجهاد مع اخوته في العقيدة ٠ وهذا واضح في تاريخ الفتوحات الاسلامية ومنها حملة طارق التي كان جلها من البربر(٢) ٠

٣ ـ عهد الولاة (٩٥ ـ ١٣٨ = ٧١٤ ـ ٧٥٥) :

يبدأ هذا العهد بولاية عبد العزيز بن موسى (٩٥ ـ ٩٧ = ٧١٤ ـ ٧١٥) ويختتم بقيام عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) بأمر الاندلس سنة ١٣٨ (٧٥٥) ٠

من مظاهر هذا العهد تعدد ولاة الاندلس ،حيث بلغ عددهم عشرين واليا ، مع قصر المدة التي استغرقها وهي حوالي اثنتين واربعين سنة(٣) ٠

ان السمة البارزة لعهد الولاة ، النشاط الواضح لعمليات الجهاد فيما وراء البرتات ٠ وبرغم ما حدث من اضطرابات

---

(١) فجر ، ١١٨ ٠
(٢) انظر البيان ، ٢ : ٦ ، نفح ، ١ : ٢٣١ ، ٢٣٩ ، ٢٥٤ ٠
(٣) راجع : أعمال ، ٦ ، نفح ، ٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ٠

داخلية ، وسرعة تبدل الولاة ، وما في هذا من تبديد للجهد والعمل المنظم المتصل ، فان الفتح الاسلامي وصل بقيادة عَنْبَسة ابن سُحَيْم الكلبي (١٠٣ ـ ١٠٧ = ٧٢١ ـ ٧٢٥) حتى مدينة سانس (Sens) على مسافة ليست بعيدة كثيرا الى جنوبي شرق باريس ، وهي اقصى نقطة وصلت عندها الجيوش الاسلامية[١] • وخاض المسلمون بقيادة عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي (١١٢ ـ ١١٤ = ٧٣٠ ـ ٧٣٢) معركة بلاط الشهداء « معركة البلاط » أمام قوات الفرنجة بقيادة قارله (شارل مارتل) ، التي خسر فيها جند المسلمين واستشهد فيها الغافقي[٢] • ومع ما تركته خسارة هذه المعركة الكبيرة من اثر على سير الفتح فان نشاط المسلمين فيما وراء البرت لم يتوقف •

دخلت الاندلس ـ في هذا العهد ـ اعداد جديدة من المسلمين ، استقروا في انحاء مختلفة من الاندلس[٣] • لعل ابرز هذه الموجات ما يعرف بطالعة بَلْج بن بِشْر القُشَيْري التي دخلت الاندلس سنة ١٢٣ (٧٤١) وكان عددها يقارب العشرة آلاف[٤] •

تحسنت أحوال أهل اسبانيا بعد الفتح[٥] الذي لم يكن

---

(١) راجع : الكامل ، ٥ : ١٧٤ ـ ٥ ، فجر ، ٢٦١ ، تاريخ المسلمين ، ١٣٩ •

(٢) راجع : اخبار ، ٢٥ ، الكامل ، ٥ : ١٧٤ ـ ٥ ، ٤٩٠ ، دولة الاسلام ، ١ : ٩٢ وبعدها، تاريخ المسلمين ، ١٤٠ وبعدها ، فجر ، ٢٦١ وبعدها •

(٣) راجع : فجر ، ١٢٨ ، ٣٧٨ وبعدها •

(٤) راجع : أخبار ، ٣٧ ، ٣٩ ، الكامل ، ٥ : ٢٥١ ـ ٢ ، فجر ٣٥٦ •

(٥) راجع عن حالة أهل البلاد على عهد المسلمين : تاريخ الفكر ، ١ ـ ٢ • The Moors in Spain, 43—9.
العرب في اسبانيا ، ٣٢ ، ٤٧ ، دولة الاسلام ، ١ : ٦٢ ـ ٣ . فجر ، ٤٤٠ وبعدها • تاريخ المسلمين ، ١٢٧ وبعدها •

فتحا عسكريا وسياسيا بل ـ وأهم من ذلك ـ كان فتحا انسانيا وبداية لحدث حضاري فريد لاسبانيا وأوربا سواء[1] ٠

شهد عهد الولاة تنظيمات ادارية وأعمالا عمرانية تناسب المرحلة التي كان يمر بها المجتمع الاندلسي[2] ٠

« كان العهد بداية لنشأة العلوم الجديدة المتنوعة التي نضجت ثمارها على مراحل ٠ فوجد في العهد انتاج واعلام في أكثر من ميدان »[3] ٠

٤ ـ عهد الامارة (١٣٨ ـ ٣١٦ = ٧٥٥ ـ ٩٢٩) :

يبدأ هذا العهد بقيام الدولة الاموية في الاندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) (١٣٨ ـ ١٧٢ = ٧٥٥ ـ ٧٨٨) ، بعد أن سقطت بيد العباسيين في المشرق سنة ١٣٢ (٧٥٠)[4] ٠

انصرف عبد الرحمن الداخل في السنوات الاولى من حكمه الى تثبيت أركان الدولة والقضاء على المخالفين له ، وكان يدعو على منابر الاندلس للخلافة العباسية حتى سنة ١٣٩ (٧٥٦)

---

(١) انظر :اندلسيات ، ٢ : ١٥١ ـ ٢ ٠

(٢) راجع : أخبار ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، تاريخ افتتاح ، ٣٦ ، ٣٩ . ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ وبعدها (الرسالة الشريفية) ، المعجب . ٨ ، الكامل ، ٥ : ٤٨٩ ، دولة الاسلام ، ٧١ ، ٧٥ ، تاريخ المسلمين ، ١١٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ٠

(٣) التاريخ الاندلسي ، ١٠٦ ٠

(٤) راجع : تاريخ الطبري ، ٧ : ٥٠٠ ، العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، ٥ : ٢١٤ ، التنبيه ، ٢٨٥ ـ ٧ ، تاريخ افتتاح ، ٥٤ ٠

حيث قطع ذكر بني العباس من الخطبة[١] ٠

شهد هذا العهد ثورات محلية متعددة ، كبيرة وصغيرة ، وتفاقمت ـ خاصة ـ بعد وفاة الامير عبد الرحمن بن الحكم (الثاني ، الاسط) (٢٠٦ ـ ٢٣٨ = ٨٢١ ـ ٨٥٢)[٢] ٠

حفلت قرطبة ـ في هذا العهد ـ بنشاط دبلوماسي ممتاز ، خصوصا في أيام عبد الرحمن الثاني ، وأخذت تتبوأ مكانتها من الهيبة والنفوذ بين مختلف الممالك النصرانية ، وغدت مركز التوجيه للدبلوماسية الاسلامية في الغرب[٣] ٠

ان النشاط الدبلوماسي الذي شـهدته قرطبـة ، يعبر بوضوح أمين عن مدى التمدن الرفيع الذي بلغته الحضارة الاسلامية في الاندلس[٤] ٠

ان بذور النهضة العمرانية التي بدأت في عصر الولاة استمرت في هذا العهد وبشكل أوسع وأشـمل ٠ فقـد شهدت قرطبة وسائر مدن الاندلس بناء العديد من المساجد والقصور

---

(١) راجع التنبيه ، ٢٨٧ ، تاريخ افتتاح ، ٥٤ ـ ٧ ، الكامل ، ٥ : ٤٩٨ ـ ٩ ، ٥٨٣ ، ٥٨٨ ـ ٩ ، ٦ : ١٠ ، ١٤ ، ٤٩ ـ ٥٠ ، ٥٨ ـ ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٨ ـ ٩ ، ١٠٩ ، العبر ، ٤ : ٢٦٣ ، دولة الاسلام ، ١ : ١٩٧ ٠

(٢) راجع : اخبار مجموعة ، ١٥٠ ـ ٣ ، العقد ، ٥ : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، تاريخ افتتاح ، ٦٨ ، ٧٢ ـ ٤ ، ٨٨ ـ ٩ ، ١٠٩ ـ ١٢ ، ١١٩ ـ ٢١ ، ١٢٦ ، المقتبس (باريس) ، ٩ ، ١١٥ ـ ٣٢ ، ٥٠ ٠

(٣) راجع : Andalusian Diplomatic Relations, 61 - 3, 68 - 9, 71 - 81
اندلسيات ، عبد الرحمن علي الحجي ، ١ : ٦٣ ـ ٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٢ : ٧٠ ، دولة الاسلام ، ١ : ٢٨٢ ـ ٣ ، تاريخ المسلمين ، ٣١٥ ـ ٦ ٠

(٤) انظر : اندلسيات ، ١ : ٤٥ ، ٧٤ ٠

والأحياء والمتنزهات والقناطر والأسوار والحصون(١) ·

شهد هذا العهد ولأول مرة هجوم النورمان (الاردمانيون) (بالانكليزيــة الفــايكنج Vikings ، بالاســبانية Normandos) وهم سكان البلاد الاسكندنافية(٢)، على سواحل الاندلس الغربية في خريف عام ٢٢٩ (٨٤٤) ايام عبد الرحمن الثاني(٣) ·

نمت التنظيمات المختلفة في هــذا العهــد وكانت الرسوم والتنظيمات رغم نموها تميــل الى البساطة · ومن مظاهرها منصب قاضي الجمــاعة والحجابة والوزارة وظهرت القــوة البحرية وتقدمت التنظيمات العسكرية مــع العناية بالثغور والاسطول واتخــذت دور الســكة لضــرب النقــود واحدثت الطـُرُز(٤) ·

لم تتوقف حملات الجهــاد الى اسبانيا النصرانية وبــلاد الفرنج ، رغم تعدد الاحداث الداخلية ، لدرء الخطر المتنامي

---

(١) راجع : تاريخ افتتاح ، ٦٥ ، ٨٤ ، المقتبس (باريس) ، ٣٤ ، ٣٨ ، الكامل ، ٥ : ٤٩٥ ــ ٦ ، ٦ : ١٠٩ ، ٧ : ٦٩ ــ ٧٠ ، البيان ، ٢ :٩١ أعمال ، ١٢ ، ٢٠ ، العبر ، ٤ : ٢٦٣ ، ٢٨٣ ·

(٢) انظر عن النورمانديين دولة الاسلام ، ١ : ٢٦١ ــ ٢ ، أندلسيات ، ١ : ٦٧ ــ ٨ ·

(٣) راجع : تاريخ افتتاح ، ٨٤ ، الكامل ، ٧ : ١٦ ، أعمال ، ٢٠ ، العبر ، ٤ : ٢٨١ــ٢ ، المجمل في تاريخ الاندلس ، عبد الحميد العبادي ، ١٠٩ــ ١١ ، دولة الاسلام ، ١ : ٤٦٢ ــ ٤ ، تاريخ المسلمين ٢٣٥ ــ ٧ · Andalusian Diplomatic Relations, 56 — 7. , اندلسيات ، ١ : ٦٦ ــ ٩ ·

(٤) راجع : تاريخ افتتاح ، ٨٣ــ٤ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، المقتبس (القاهرة) ١ : ١٦١ ، الكامل ، ٦ : ٣٧٧ ــ ٨ ، البيان ، ٢ : ٨٠ ، ٩١ ، العبر ، ٤ : ٢٧٤ ــ ٣ ، ٢٨٦ ، دولة الاسلام ، ١ : ٩٧ ــ ٨ ــ ٢٠٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣١١ ، تاريخ المسلمين ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ·

في شمال الاندلس[1] • وقدم الاسطول الاندلسي المسلم نشاطا كبيرا في البحر المتوسط[2] •

« شاع التعليم في هذا العهد وما بعده في انحاء الاندلس ، وأصبح عاما • شمل الذكور والاناث ، كما شمل كافة النواحي ... كانت اللغة العربية هي لغة الثقافة والتفاهم عند المسلمين ، بصورة رئيسية »[3] •

٥ ـ عهد الخلافة (٣١٦ ـ ٤٠٠ = ٩٢٩ ـ ١٠٠٩) :

تولى عبد الرحمن بن محمد امارة الاندلس سنة ٣٠٠ (٩١٢) ، فتجرد للقضاء على الفتن الداخلية ، وتوطيد الامن في البلاد[4] • فتمكن بعد جهد من القضاء على الثائرين ، فلم يبق عليه مخالف الا وصار في قبضته[5] •

اتخذ عبد الرحمن بن محمد سمة الخلافة في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة سنة ٣١٦ (كانون الثاني ٩٢٩) ، ولم يكن قبله من امراء بني أمية بالاندلس « أحد يسمى بامرة

---

(١) راجع : تاريخ افتتاح ٦٥ ، الكامل ، ٦ : ٢٧٧ ، ٣١٧ ، ٧ : ٧٣ ، ٨٢ ، ١٠٩ ـ ١٠ ، ١٢٥ ، البيان ، ٢ : ١٠٩ ، ١١١ ـ ٣ ، أعمال ، ١٨ ، ١٩ ، العبر ، ٤ : ٢٧٧ •

(٢) راجع : الكامل ، ٦ : ٣٣٧ ، أعمال ، ١٨ • دولة الاسلام ، ١ : ١٦٥ ـ ٦ ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، ١١١ وبعدها •

(٣) التاريخ الاندلسي ، ٢٣٤ •

(٤) راجع : العقد ، ٥ : ٢٢٣ ، أخبار ، ١٥٣ ، البيان ، ٢ : ١٥٧ ـ ٨ •

(٥) انظر : العقد ، ٥ : ٢٢٣ ـ ٤ ، أخبار ، ١٥٣ ـ ٤ ، تاريخ افتتاح ، ١٣١ ـ ٢ ، أعمال ، ٢٩ ، ٣٠ ، دولة الاسلام ، ٢ : ٤٤٦ ، تاريخ الفكر ، ٧ •

المؤمنين وكانوا يسمون بني الخلائف »[1] ، ولقب بالناصر لدين الله ، وبذا تحولت الدولة الاموية في الاندلس من امارة الى خلافة[2] •

كان عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ _ ٣٥٠ = ٩١٢ _ ٩٦١) ، برغم ما شغله من فتن في مطلعه ، عصر رخاء ومجد ، بل كان أعظم عصور الاسلام بالاندلس ، لا سيما من نواحيه الحضارية • اذ ازدهرت العلوم والآداب والفنون والعمران والزراعة والتجارة والصناعة[3] •

وصف ابن حوقل الذي زار الاندلس أول سنة ٣٣٧ (٩٤٨) ما وصلت اليه قرطبة في عهد الناصر بقوله : « واعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس بجميع المغرب عندي لها شبيه في كثر أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق »[4] •

خلف الحكم المستنصر العالم أباه عبد الرحمن الناصر (٣٥٠ _ ٣٦٦ = ٩٦١ _ ٩٧٦) وكانت الاندلس مستقرة على أسس قوية ، من وحدة في البلاد ، وأمن في الديار ، وتقدم

---

(١) التنبيه ، ٢٨٨ •

(٢) راجع : العقد ، ٥ : ٢٢٤ ، نقط العروس ، ابن حزم ، ٥٠ (مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الاول م : ١٣ ، ج : ٢ ، سنة ١٩٥١) ، البيان ، ١٥٧:٢ ، الكامل ، ٥٣٥:٨ _ ٦ ، أعمال ، ٢٩ ، ٣٠ ، الحلة ، ١٩٧:١ _ ٨ ، العبر ٢٩٨:٤ ، أزهار الرياض ، المقري التلمساني ، ٢٥٨:٢ ، دولة الاسلام ، ٦٨٤:٢ •

(٣) دولة الاسلام ، ٤٣٥:٢ ، ٤٤٨ ، ٢٨٢ ، تاريخ الفكر ، ٨ •

(٤) المسالك والممالك ، ٧٦ •

في شتى نواحي الحياة ، وهيبة ومكانة بين الدول[١] ٠

ازدهرت جميع نواحي الحضارة الاسلامية في الاندلس في عهد الخلافة أيام الناصر والمستنصر ٠ وكانت قرطبة المركز الذي تتركز فيه حضارة الاندلس باعتبارها أم المدن ومقر الخلافة والفنون والعلوم والآداب وبلغت من العمران والتمصير زمن الخلافة ما بلغته[٢] ، خاصة على عهد المستنصر الذي ازدهرت في عهده العلوم وبلغت قرطبة من الرخاء والثراء مستوى لم تبلغه من قبل[٣] ٠

الامثلة على تقدم الاندلس ــ خاصة قرطبة ــ في شتى نواحي الحضارة ، كثيرة ومتنوعة[٤] ٠ يعتقد ان الخبر التالي الذي أورده عبد الواحد المراكشي ، عن حضارة قرطبة ينطبق على ما بلغته في عهد الخلافة ، يقول : « سمعت ببلاد الاندلس من غير واحد من مشايخها ، ان الماشي كان يستضيء بسرج قرطبة ثلاثة فراسخ لا ينقطع عنه الضوء »[٥] ٠

كانت الاندلس بما اجتمع لها في القرن الرابع الهجري من أسباب القوة والسلطان ، قد تبوأت مركز الصدارة في العالمين الاسلامي والنصراني ٠ فكانت قرطبة مركز الجاذبية

---

(١) انظر : العبر ، ٤:٣١٢ ٠

(٢) انظر : تاريخ المسلمين ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ٠ راجع عن عمران قرطبة ونموه : قرطبة حاضرة الخلافة ، ١:١٦٣ وبعدها ٠

(٣) انظر : تاريخ المسلمين ، ٢٩٥ ٠

(٤) راجع : العقد ، ٥:٢٢٤ ، كتاب الجغرافية ، ٢٢٠ ، المعجب ، ٣٧٢ ــ ٣ ، البيان ، ٢:٢٢٨ ــ ٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، أعمال ، ٣٨ ، العبر ، ٤:٣١٢ ٠ تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، السيد عبد العزيز سالم ، ١٨ ٠

(٥) المعجب ، ٣٧٢ ٠
راجع : وصف جديد لقرطبة ، ١٦٧ ٠

الدبلوماسية وقتئذ ، تتجه اليها ابصار الدول طالبة المودة والصداقة ، مبرمة معها عهود السلام وحسن الجوار(١) ٠

« ذكر ابن حيان وغير واحد أن ملك الناصر بالاندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن ، وهادته الروم ، وازدلفت اليه ، تطلب مهادنته ومتحافته بعظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم ، الا وفدت عليه ، خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية »(٢) ٠

في هذا العهد « انتشرت الثقافة وكثر الانتاج العلمي وشاعت المعرفة ، حتى فشا العلم وعم ، تشهد على ذلك المؤلفات الكثيرة والمكتبات العامة والخاصة »(٣) ٠

٦ ـ الدولة العامرية : (٣٦٦ ـ ٣٩٩ = ٩٧٦ ـ ١٠٠٨)

توفى الحكم المستنصر سنة٣٦٦، فخلفه ابنه هشام المؤيد، الذي لم يتجاوز عمره حينئذ احدى عشرة سنة ، مما أتاح الفرصة لظهور رجل قوي هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري ، الذي تلقب سنة ٣٧١ (٨٩١) « الحاجب المنصور » وغدا الحاكم الحقيقي للاندلس(٤) ٠

---

(١) انظر : دولة الاسلام ، ٢:٤٥١ ـ ٢ ، اندلسيات ، ٢:٧٤ ـ ٥ ٠

(٢) نفح ، ١ : ٣٦٦ ٠
انظر : أعمال ، ٤٢ العبر ، ٤:٢٩٩ ، أزهار ، ٢:٢٥٨ ٠ راجع عن النشاط الدبلوماسي الذي شهدته قرطبة على عهد الناصر والمستنصر ، المقتبس : (بيروت) ، ٢١ـ٣ ، البيان ٢ : ٢٣٥ ، العبر ٤ ـ ٢٩٩ ، ٣١٤ ـ ٥ ٠ نفح ، ١ : ٣٦٥ ٠

(٣) التاريخ الاندلسي ، ٢٥٧ ٠

(٤) راجع : الكامل ، ٨:٦٧٧ ، البيان ، ٢:٢٥٣ وبعدها ، أعمال ، ٤٣ وبعدها ، العبر ، ٤:٣١٨ ـ ٩ ٠

يمكن القول أن أيـام المنصور بن ابي عـامر (٣٦٦ ـ ٣٩٢ = ٩٧٦ ـ ١٠٠١) وأيام ولديه من بعده عبـد الملك المظفر (٣٩٢ ـ ٣٩٩) وعبد الرحمن الناصر ٣٩٩ ، تمثل حكم الاسرة العامرية ٠ فلم يكن للخليفة الاموي هشام المؤيد خلال حكم المنصور وولديه ـ الذي دام أمرهم زهاء ثلث قرن ـ أية يد فاعلة في الاحداث ، مما جعل بعض المؤرخين القدامى والمحدثين يطلقون اصطلاحـا « الدولة العـامرية » على تلك المدة[١] ٠

اهتـم المنصـور بتنظيم الجند ، فعمـد أولا الى تفـريق الصقالبة الذين تعاظم أمرهم في الدولة الاموية ، واستعاض عنهم بقوة جديدة من المسـلمين البربر ، وممن يرضى من الصقالبة الذين عرفوا باسم الفتيان أو المماليك العامرية ، ولم يكن اختياره للقـوة الجديدة ليعتمـد فقط على هـذين المصدرين[٢] ٠

ان العدد الكبير من الجند المنظم المتنوع العناصر ، كان القـوة التي وطدت حـكم المنصور بن ابي عـامر ، وحققت للمسلمين في الاندلس الانتصـار تلـو الانتصار في المعـارك التي قادها المنصور ذاته ضد القوى النصرانية وكـان لتلك

---

(١) لابن حيان القرطبي كتاب سماه « اخبار الدولة العامرية » ٠ راجع : المقتبس (القاهرة) ، ٦٢ (مقدمة المحقق) ٠

(٢) راجع : مذكرات الامير عبد الله بن بلُقّين ، ١٦ ، البيان ، ٢:٢٥٩ ـ ٢٦٤ ، ٢٧٤ ـ ٢٩٣ ، العبر ، ٤:٣١٩ ـ ٢٠ ، دولة الاسلام ، ٢:٥٣١ ، ٥٦٩ ـ ٧١ ، تاريخ المسلمين ، ٣٣١ ٠
ايضا راجع عن القوة العسكرية التي أعدها المنصور محمد بن أبي عامر ونظام الجند في عهده : مذكرات ، ١٧ ، البيان ، ٢:٣٠١ ، أعمال ، ٦٨ ، ٩٩ ـ ١٠٠ ٠

القوة العسكرية تأثيرها على مستقبل الخلافة الاموية في الاندلس(١) ·

كان عهد المنصور حافلا بعمليات الجهاد ، بلغت حركة الجهاد في شبه الجزيرة الذروة على يده ، وبدا للناس كافة كأن أيام الفرنجة معدودات ، وان نجمهم مؤذن بالافول لا محالة ، فقد ظل المنصور طيلة حياته لا يخلع رداء الجهاد(٢) · يقول ابن خلدون : « وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه ، لم ينكسر له فيها راية ، ولا فلَّ له جيش ، ولا أصيب له بعث ، ولا هلكت سرية »(٣) · ان الجهاد الذي حمل لواءه المنصور كان تعزيزا قويا وتثبيتا كبيرا للوجود الاسلامي في شبه الجزيرة(٤) ·

لم تقتصر أعمال المنصور بن أبي عامر على عمليات الجهاد التي سطرت انتصارات رائعة للمسلمين في شبه الجزيرة ، بل شهدت ايامه نشاطا عمرانيا واضحا(٥) ·

سار عبد الملك الذي تلقب بالمظفر على سَنَن أبيه المنصور ، في متابعة غزو الممالك النصرانية وكانت أيامه

---

(١) راجع النتائج السيئة لنظام الجند الذي اعده المنصور محمد بن أبي عامر : قيام دولة المرابطين ، حسن أحمد محمود ، ٢٥٨ ·

(٢) انظر : قيام ، ٢٤٤ ·
افاضت المصادر بذكر غزوات المنصور راجع عنها : المعجب ، ٣٨ ، الكامل ، ٦٧٨:٨ ، ١١٣:٩ ـ ٤ ، الحلة ، ٢٦٩:١ ، ٣١١:٢ ـ ٣ ، أعمال ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٢ ـ ٥ ·

(٣) العبر ، ٣٢٠:٤ · انظر : الكامل : ٦٧٧:٨ ·

(٤) راجع : مذكرات ، ١٥ ، أعمال ، ٧٢ـ٣ ، دولة الاسلام ، ٥٧١:٢ـ٣ ·

(٥) راجع : البيان ، ٢٧٥:٢ ، ٢٨٧ ـ ٨ ، أعمال ، ٧٦ ، ٨٠ ، ١٠٣ ، دولة الاسلام ، ٥٣٥:٢ ، ٥٧٥ ـ ٧ ·

أعيادا في الخصب والأمان ، يظهر العدل ويحمي الشرع
واسقط سدس الجباية عن الرعية في جميع البلاد(1) ، ونعمت
في ظل الامان الذي شهده عصره في رغد وسعة من العيش . ولا
شك ان المنصور خلف لولده المظفر سلطة قوية وحدوداً آمنة
وهيبة كبيرة ، مما اضفى على أيام عبد الملك المظفر صفة
الهدوء والاستقرار ، وبجانب هذا فان المجتمع الاندلسي كان
يشرف على ذروة نموه وتقدمه الحضاري في شتى ميادين الحياة
والحياة العلمية(2) .

« وانتهى المظفر عند ملوك الاعاجم في دولته الى منزلة
عظيمة مثل منزلة والده المنصور ، وأحلّوه محلّه في الاصغاء
له والتعظيم لجلاله ، والهيبة من سخطه والطلب لمرضاته ، حتى
صار اعاظمهم يحتكمون اليه فيما شجر بينهم فيفصل الحكم
فيهم ، ويرضون بما قضاه ويقفون عنده »(3) .

سقطت الدولة العامرية عام ٣٩٩ (١٠٠٩) ، وكان
عبد الرحمن بن أبي عامر الملقب بالناصر، قد عجل في اسقاطها
وانهيارها ، اذ لم يكتف بما تمتع به أبوه وأخوه من استبداد في
الحكم وحجر على الخليفة هشام المؤيد ، والاستقلال بتدبير
الامور دونه ودون قومه بني أمية ، وما تمتعا به من ألقاب
سلطانية ، بل طمح الى أبعد من ذلك ، فخطا خطوة كان فيها
حتفه ، وعود ثقاب أشعل نار فتنة مبيرة ، تهيأت أسبابها من

---

(1) انظر : المعجب ، ٤٠ ، الكامل ، ٦٧٨:٨ ، البيان ، ٣:٣ ـ ٤ ، ٩ ، الحلة ، ٢٦٩:١ ـ ٧٠ ، أعمال ، ٨٣ ـ ٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ـ ٩ ، دولة الاسلام ، ٢ : ٦٠٩ .
(2) انظر : أعمال ، ٨٤ .
(3) البيان ، ٣ : ١٠ . انظر : أعمال ، ٨٧ ، دولة الاسلام ، ٦١١:٢ .

قبل ، اجتاحت قرطبة أولا ومن ثم الاندلس كلها . اذ انتزع عبد الرحمن من هشام المؤيد ولاية العهد ، وهو أمر خطير لم يُقدّر عبد الرحمن أبعاده ، مما فجّر في بني أميـة الغضب الكامن على الاسرة العـامرية ومن ناصرها لاستحواذها عـلى السلطان دونهم وهم أصحابه[1] .

تمثلت ثـورة بني أميـة والناقمين على عهـد بني عامر ، بثورة عارمة تزعمها محمد بن هشام عام ٣٩٩ (١٠٠٩) ، الذي يتصل نسبه بعبد الرحمن الناصر[2] . تمكنت الثورة من الاطاحة بعبد الرحمن الناصر بن أبي عامر وبالدولة العامرية وكانت بداية فتنةمبيرة اجتاحت قرطبة وانتشر تأثيرها فيسائر الاندلس ، وجاءت على الوحدة والهدوء والرخاء الـذي عم الاندلس عامة ، وانتهت باسقاط الخلافة الاموية في الاندلس نهائيا سنة ٤٢٢ (١٠٣١)[3] .

لعل من أبرز مظاهر عهد الفتنة ٣٩٩ ـ ٤٢٢ الذي بدأ بسقوط الدولة العامرية وانتهى بسقوط الخلافة الاموية في الاندلس، ان المسلمين من البربر كانوا طرفا بارزا في الاحداث التي اضطرمت حول السلطان والخلافة ، اذ انحازوا عنـد سقوط الدولة العامرية الى الفريق المعارض ، لمـا نالهم من

---

(١) راجع : الكامل، ٨:٦٧٩ ، ١:٢٧٠ـ٢ ، البيان ، ٣:٣٨ ـ ٩ ، ٤٢ـ٣ . أعمـال ، ٩٠ـ٣ ، العبر ، ٤:٣٢١ـ٣ ، ٣٢٥ ، تـاريخ المسلمين ، ٣٤٣ ـ ٥ .

(٢) راجع : الكامل ، ٨:٦٧٩ ـ ٨٠ ، الحلة ، ٢:٥ ، البيان ، ٣:٥٠ ، دولة الاسلام ، ٢:٦٣٣ ـ ٤ ، ٦٣٨ .

(٣) راجع : البيان ، ٣:١٤٥ ، أعمال ، ١٠٤ـ٧ ، ١٣٨ـ٩ . راجع عوامل انهيار الخلافة الاموية في الاندلس : دول ، ١١ـ٥ ، قيام ، ٢٥٦ ـ ٨ .

ملاحقة على يد بني أمية ، ابتداءا من أول آيام محمد بن هشام المهدي ، اذ اعتقد الامويون ان البربر كانوا الساعد الايمن للمنصور وابنيه الذين انتزعوا السلطة من بني امية[1] .

يمثل عهد الفتنة تفاقم انقسام الاندلس على نفسها الى دويلات صغيرة ، تزعمها رؤساء القبائل البربرية وامراء الجند العامريين وغيرهم .

جرت في أوائل القرن الخامس الهجري أحداث انتهت بقيام عهد الطوائف في الاندلس ، حيث اعلن أهل قرطبة ، على رأسهم أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور (٤٣٥ = ١٠٤٣) ، الغاء الخلافة[2] ، واسندوا أمرهم الى « شيخ الجماعة » الوزير أبي الحزم ابن جهور منتصف ذي الحجة سنة ٤٢٢[3] .

٧ ـ عهد الطوائف :

انقسمت الاندلس سياسيا الى عدة دويلات صغيرة على أثر سقوط الدولة العامرية وقيام الفتنة التي انتهت بسقوط الخلافة الاموية في الاندلس ، فتغلب في كل جهة من الاندلس متغلب ، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه ، وتقسموا القاب الخلافة ، وفي هذا يقول ابو علي الحسن بن رشيق :

---

(١) انظر : العبر ، ٤ : ٣٢٥ ، دولة الاسلام ، ٢ : ٦٥٧ .

(٢) انظر : البيان ، ٣:١٥٠ ـ ٢ ، دولة ، ٢٠ وبعدها .

(٣) الذخيرة ، ١:٢:١١٤ ـ ٥ (عن ابن حيان) .
راجع : دول ، ٢١ ـ ٤ .

مما يزهّدُني في أرض أندلسٍ
أسماءُ مُقْتَدِرٍ فيها ومعتضِدِ

ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها
كالهرِّ يحكي انتفاخا صورة الأسد ![1]

فقد أسس الفتيان الصقالبة – مثلا – عدة امارات في شرقي الاندلس ، على اثر مغادرتهم قرطبة بعد مقتل عبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر (٣٩٩) ، في مدينة دانية والجزائر الشرقية وطرطوشة وبلنسية وشاطبة والمرِيَّة ومرسية وأُرْيُولَة (Orihuela)[2] .

شغل عصر الطوائف من تاريخ المسلمين في الاندلس نحو ثمانين عاما، وكان عصر تفككوانحلال سياسي واجتماعي[3] . اتصف عدد من أمراء الطوائف – في بعض تصرفاته بصفة الاثرة والغدر ، هانت معه مصالح الامة ، وكان التناحر قائما – في أوقات – بين بعضهم ، ونسوا في غمار ذلك مسؤولياتهم في الحفاظ على بلدهم المسلم في شبه الجزيرة الذي رويت تربته بدماء المسلمين وعمرته جهودهم وجهادهم الطويل ، بل دبّ الضعف والتدهور فيهم فتمثل فيتسخيرهم المرتزقة منالنصارى في تحقيق اغراضهم ، والاغارة على اخوانهم في العقيدة ، بل

---

(١) انظر : المعجب ، ٧٠ ، الكامل ٩:٢٨٤ ، البيان ، ٣:٢٤٤ ، أعمال. ١٤٤ . انظر عن البيتين المذكورين لابن رشيق : معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، ١٩ : ٣٧ – ٨ .

(٢) راجع : دول ، ١٥٦ وبعدها .

(٣) انظر : م . ن ، ٤٠٢ ، التاريخ الاندلسي ، ٣٣١ ، ٣٤٠ .

كانوا لا يتوانـون عن الاستعـانة بمـلوك النصـارى لنفس الاغراض ، متناسين في ذلك كل شيء ومتذكرين فقط اطماعهم الشخصية وانانياتهم ، مما اطمع الاعداء بهم لتفرق كلمتهم واشتداد الخصومة بينهم،فكانوا لقمة سائغة للاعداء المتربصين بهم الدوائر ، يقدمون الاتاوى لبعض ملوك النصارى ، وكان هؤلاء في عمـل مستمر لانتـزاع الاراضي الاسـلامية شـيئا فشيئا[1] .

حمل ابن حيان (٤٦٩=١٠٧٦) مؤرخ الاندلس الكبير، والنار تضطرم في صدره ، غيرة وحمية على الاسلام وأهله في الجزيرة الاندلسية ، على اثر وقوع فاجعة مدينـة بربشتر (Berbastro) ٤٥٦ (١٠٦٣)[2] ، على المجتمع الاندلسي في هذا العهد . وانتقد سائر فئاته ، ووصفها بالفساد ، وأوقع كبير المسؤولية على عدد من الامراء والفقهـاء باعتبارهم أصحـاب الحول والقوة والوعي وبيدهم ــ الامراء منهم خاصة ــ زمام الامور وقوة التأثير والتوجيه[3] .

وهكذا تصير أحوال المسلمين عندما يبتعدون عن المنهج القرآني فقوتهم تتناسب مع قربهم وبعدهم عنه[4] .

وصوّر عبد الواحد المراكشي حال آمراء الطوائف قبيل معركة الزلاقة (Sagrajas) المشهورة ٤٧٩ (١٠٨٦) بقوله : « فأما ملوك الأندلس فلم يكـن منهم أحـد" الا يؤدّي اليـه

(١) انظر : دول ، ٤٠٣ ، قيام ، ٢٦٠ ، التاريخ الاندلسي ، ٢٦١ .
(٢) انظر : البيان ، ٣:٢٢٥ ، ٢٥٣ــ٥ .
(٣) انظر : البيان ، ٣:٢٥٤ ــ ٥ ، ٢٨٢ .
(٤) راجع عن أحوال المجتمع الاندلسي في عهد الطوائف : دول ، ٤٠٥ ، قيام ، ٢٦٠ ، التاريخ الاندلسي ٣٣١ .

(الفونش ملك قشتالة) الاتاوة · وهم كانوا أحقر في عينه وأقـل من أن يحتفـل لهـم ! »[1] وأوضـح ابن الكردبوس (أواخر السادس الهجري) سياسة الفونش السادس تجاه أمراء الطوائف وما كانت ترمي اليه بقوله : « وكان أسرّ شيء عند الفنش فتنة تقع بين الولاة من المسلمين ، فيعين هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فيستجلب بذلك أموالهم ، طمعا منه أن يعجزوا ، فيظفر هو بملك الجزيرة كلها »[2] ·

برز دور العلماء الكبير ومساعيهم الى ايجـاد نـوع من الوحدة بين القوى الاسلامية المتنافرة للوقوف في وجه الخطر الفرنجي ، خصوصا بعـد سقوط طليطلة ٤٧٨ (١٠٨٥) ، الذي هز المسلمين هزا عنيفا ، واستشراء داء النصارى في شبه الجزيرة ، اذ عقدوا مؤتمرا في قرطبة تذاكروا فيـه أحوال البلاد ، وما منيت به من ضعف وتخاذل وتخاصم ، ورأوا أنه ليس أحسن من الاعتصام بالمرابطين ، وتأييـد المشاريع التي كانوا قد بدأوا يعدونها لخوض معركة الجهاد في الاندلس · ومن ائمة هؤلاء الساعين الى توحيد القوى أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف (٤٠٣ ـ ٤٧٤ = ١٠١٢ ـ ١٠٨١) الذي طاف بملوك الاندلس يؤلف قلوبهم على نصر الاسلام ، ويروم جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم[3] ·

بانضواء الاندلس تحت جناح الدولة المرابطية سنة ٤٨٣

---

(١) المعجب ، ١٣٣ · راجع : البيان ، ٣:٢٣٩ ·

(٢) تاريخ الاندلس ، ٨٢ (نص ابن الكردبوس) ·

(٣) انظر : قيام ، ٢٦٦ ·
راجع الدعوة الى التوحد : التاريخ الاندلسي ، ٢٧١ وبعدها ·

علاقة المرابطين بزعامة أبي يعقوب يوسف بن تاشفين بالاندلس بدأت منذ سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) ، عندما عبر ابن تاشفين الى الاندلس على رأس جيش ، لنجدة المسلمين في الاندلس وتقديم العون للاخوة إثر سقوط طليطلة بيد النصارى عام ٤٧٨ (١٠٨٥)[٢] . وقد كلل هذا الجواز للمرابطين بانتصار حاسم للمسلمين ، بقيادة ابن تاشفين وبعض امراء الطوائف ، على النصارى الذين تجمعوا تحت زعامة الفونش السادس ملك قشتالة ، في موقعة الزلاقة الشهيرة في رجب سنة ٤٧٩ (تشرين الاول ١٠٨٦)[٣] .

(١٠٩٠) ينتهي عهد الطوائف في الاندلس[١] .

كان العلماء والفقهاء ممن وجه الدعوة للمرابطين لتقديم العون والغوث لاخوانهم المسلمين في الاندلس ، عندما لم يجدوا في أمراء الاندلس أي أمل في التوحد والقيام بمسؤولية الجهاد واستعادة ما اغتصب من أراضي المسلمين . واشترك عدد من العلماء في وقعة الزلاقة ــ المذكورة ــ التي هيأوا لها ، شادين من عزائم المسلمين محرضين على الجهاد[٤] .

لم يتمكن المرابطون تخليص بلنسية من الاحتلال النصراني القشتالي الا في وقت متأخر عن أول جواز لهم للاندلس ، اذ تم لهم فتح بلنسية سنة ٤٩٥ (١١٠٢) .

---

(١) انظر : دول ، ٣٢٦ وبعدها .
(٢) راجع عن الجواز الاول للمرابطين الى الاندلس ، تاريخ الاندلس ، ٨٩ وبعدها (نص ابن الكردبوس) ، دول ، ١١٢ ، ٣٠٣ ــ ٩ .
(٣) راجع عن موقعة الزلاقة : تاريخ الاندلس ، ٩٢ وبعدها (نص ابن الكردبوس) ، قيام ، ٢٧٦ وبعدها ، دول ، ٣٠٩ وبعدها .
(٤) انظر : قيام ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٣٠١ .

يقدم عصر الطوائف انتاجا غزيرا وفيرا ومشرقا مبدعا في مختلف الميادين العلمية • فهــو زاخــر بالمؤلفات الامهــات والاصول الضخمة التي وصلنا بعضها • كانت قواعد الاندلس وحواضره مراكزا للعلم والمعرفة • برز في هذه الفترة علماء افذاذ وصلوا القمة ، كذلك شعراء وادباء وكتاب • وهكذا يختلف المستوى العلمي الــذي كانت عليــه الاندلس خــلال الطوائف عن الحالة السياسية • سمت نهضته فوق هذه الحالة. وبرزت قوية وضاءة[1] •

(1) التاريخ الاندلسي ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ •

ثانيا : تاريخ بلنسية

كانت بلنسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري مركزا لاحدى كور شرقي الاندلس تتبع قرطبة في الادارة . فلم تكن بلنسية في معزل عن الاحداث والتطورات التي مرت بها الاندلس وقرطبة .

منذ مطلع القرن الخامس الهجري أصبحت بلنسية مملكة مستقلة شأن العديد من مدن الاندلس في عهد الطوائف . تسلط القشتاليون عام ٤٨٧ (١٠٩٤) على بلنسية ولم تتخلص من نيرهم الا في عام ٤٩٥ (١١٠٢) باستعادة المرابطين لها .

الحديث عن تاريخ بلنسية يتضمن نقطتين :

أ ــ من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة العامرية في الاندلس .

ب ــ مملكة بلنسية في عهد الطوائف .

أ ــ من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة العامرية .

يتناول تاريخ بلنسية عندما كانت تتبع في ادارتها لقرطبة:

١ ــ فتح بلنسية

ربما فتحت بلنسية على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير . في عهد أبيه أو في ولايته للاندلس ، التي دامت سنتين

(٩٥ ـ ٩٧ = ٧١٣ ـ ٧١٥)[١] ٠

يبدو أن عـدد سكان بلنسية عنـد الفتح الاسلامي لها ـ كما مر ـ كان قليـلا ، فزاد عـددهم بمن استقر بها من المسلمين الفاتحين ، الذين كان عددهم ينمو بمن ينضاف اليهم من المسلمين وعن طريق التوالد ، مما أدى الى توسع عمران مدينة بلنسية بمرور الزمن وازدياد فعاليات سكانها[٢] ٠

ربما وجد بين الذين استقروا فيها من أيام الفتح من التابعين أو أبنائهم وأبناء الصحابة المتفقهين بالاسلام[٣] ٠

لا تتوفر أخبار عن بلنسية في عهد الفتح والولاة ، الذي كان عهد استكمال للفتح وعهد استقرار ٠

٢ ـ عهد الامارة الاندلسية :

جعل عبد الرحمن الداخل بلنسية ـ على ما يبدو ـ كورة (محافظة)[٤] ، كانت بلنسية حاضرتها ٠ هذا الاجراء الاداري له أهميته الاجتماعية والعلمية ٠ اذ أصبحت بلنسية مقرا للوالي أو العامل وموظفي الادارة الآخرين من كـُتـّاب وقضاة

---

(١) راجع : أخبار مجموعة ، ١٩ ، ٢١ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ٣٦ ، البيان المغرب : ٢ : ١٤ ـ ٥ ، نفح : ١ : ٢٧٠ ـ ١ ، فجر الأندلس : ٩٣ ٠
قارن : دائرة المعارف الاسلامية : ٤ : ١١٩ (بلنسية) ، الدولة الأموية في قرطبة ، أنيس زكريا النصولي : ١ : ٣٥ ٠
The New Encyclopa edia Britannica, X, 335 (Valencia).

(٢) راجع:المقتبس (بيروت) : ٢٠١ ، الكامل : ٦ : ٦٤ ، نفح : ١ : ٢٩١٠

(٣) راجع : عن التابعين الذين دخلوا الاندلس : تاريخ عبد الملك بن حبيب: ٢٢٣ ، ٢٢٧ (نشر محمود علي مكي ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، م : ٥ ، العدد : ١ ـ ٢ سنة ١٩٥٧) ، التاريخ الاندلسي : ١٢١ وبعدها ٠

(٤) بلنسية الاسلامية ، امبروزيو اويثي ميراندا : ١١ (تقرير مدريد٠٠٠)٠

وغيرهم ، وهم في الغالب من العلماء والادباء • وازداد توجه الناس الى بلنسية لقضاء أعمالهم مع الادارة الجديدة أو للتجارة وربما فضل الكثير من الناس السكنى فيها للميزات الجديدة • زاد هذا من عدد سكانها وتوسع خططها وفاعلية مجتمعها •

ربما تولى عبد الله البلنسي بن عبد الرحمن الداخل كورة بلنسية وغيرها من كور شرق الاندلس بأمر من أبيه(١) • يظهر أن عبد الله البلنسي اتخذ وأسرته من بلنسية موطنا ، فألحقت به النسبة البلنسية ، وبنى فيها الرصافة والمسجد(٢) •

خرج البلنسي على أخيه هشام ، الذي تولى أمارة الاندلس بعهد من أبيه ، تضامنا مع سليمان أخيهما الاكبر(٣) • وفي ذات الوقت كان البلنسي يطمح الى زيادة سلطانه وتعزيز مكانته في الاندلس والتهيئة لنفسه(٤) •

باءت محاولات عبد الله البلنسي ــ في تولي أمر الاندلس أو توسيع ولايته ــ بالفشل ، وانتهى دوره بوفاته ببلنسية عام ٢٠٨ (٨٥٣)(٥) •

كانت قرطبة تعين عمالها على بلنسية في هذا العهد ، فابن ميمون كان عامل عبد الرحمن الاوسط على بلنسية سنة ٢٣٤

---

(١) راجع : جمهرة أنساب العرب : ٩٤ ، الحلة السيراء : ٢ : ٣٦٣ ــ ٤ ، الكامل : ٦ : ٣٨٧ •

(٢) راجع : نهاية الأرب ، النويري : ٢٢ : ١٨ •

(٣) راجع : الكامل : ٦ : ١١٦ ، الحلة السيراء : ٢ : ٣٦٣، البيان المغرب: ٢ : ٦١ ــ ٢ ، العبر : ٤ ــ ٢٧٠ •

(٤) راجع : الكامل : ٦ : ٣٧٨ ــ ٩ ، ٣٨٧، الحلة السيراء : ٢ : ٣٦٣ ــ ٤، المغرب : ١ : ٤٧ ــ ٨ ، العبر : ٤ : ٢٧٧ •

(٥) انظر : المغرب : ١ : ٤٨ •

(٨٤٨)[1] . وكان يعين لبلنسية القضاة ، فمن الذين تولوا قضاء بلنسية على عهد الامير عبد الله ، معاوية بن محمد سنة ٢٣٩ (٨٥٣)[2] .

٣ ـ عهد الخلافة الاندلسية

تمكن عبد الرحمن بن محمد الذي تولى أمارة الاندلس سنة ٣٠٠ من القضاء على الخارجين على الامارة من عهد سلفه في كورة بلنسية . وربما مر في مدينة بلنسية في «غزوة بَنْبلُونة» وأصلح من حال أهلها وشارك بعضهم في الجهاد معه[3] .

في عام اعلان الخلافة في الاندلس ٣١٦ ، عين الخليفة الناصر عبد الله بن محمد بن عقيل على كورة بلنسية وشاطبة[4] وفي سنة ٣٢٤ (٩٣٥) عزل جهورَ بن عبيد الله بن أبي عبدة عن كورة بلنسية باسماعيل بن بدر ، وفي نفس العام عزل يحيى بن محمد بن الياس عن كورة بلنسية وأعمالها بموسى ابن محمد أيضا[5] . لا يتوفر ما يشير الى ما قام به هؤلاء العمال في بلنسية .

كانت الخلافة تعين القضاة لبلنسية ، فقد ولى الخليفة الناصر جحّاف بن يُمن بن سعيد المعافري ، من أهل بلنسية ،

---

(١) انظر : المقتبس (القاهرة) : ١٤٤ .
(٢) التكملة : ٢ : ٦٩٢ رقم ١٧٣٩ .
(٣) راجع : المقتبس (مخ) : ٨٠ أ ، ٨٠ ب ، ٨١ أ ، ١٠١ ب ، ١٠٢ أ . نصوص : ١٤ ، ١٥ .
Una Cronica, Anonima De, Abd Al-Rahman, III. Al-Nasir, 53.
المغرب : ٢ : ١٨٦ ، البيان : ٢ : ١٨٥ ـ ٦ ، ٢٠١ ، العبر: ٤ : ٣٠٣ .
(٤) المقتبس : (مخ) : ١٠٣ أ .
(٥) المقتبس (مخ) : ١٥٣ أ .

قضاءها في وقت غير معلوم. كان جحاف المعافري حسن التصرف وجيها، فلم يزل قاضيا الى أن استشهد في غزوة الخندق، عند مدينة شنت منكش أو شلمنقة (Salmanca) سنة ٣٢٧(٩٣٩)، التي هزم فيها عبد الرحمن الناصر أمام جيوش ردمير (الثاني) ملك ليون وحلفائه، أصحاب مملكة نافار(١).

هكـذا تولى قضاء بلنسية عالم من علمائهـا، مما يشير ـ مع غيره ـ الى مبلغ نمو الحياة العلمية فيها، ومن ثم كان القاضي العالم مجاهدا استشهد في سبيل الذود عن العقيدة. وبهذا وغيره شاركت بلنسية في الجهـاد عـلى عهـد الناصر وخليفته المستنصر (٢). كان عدد من ذرية جحاف المعافري من علماء بلنسية تولوا قضاءها(٣). فعبد الرحمن بن جحاف ابن يُمن المعافري قاضي بلنسية للخليفة الحكم المستنصر، تمتع بمكانة مرموقة لديه، قام ببعض النشاط الدبلوماسي الذي شهدته قرطبة في هذا العهد(٤). ويذكر لهشام بن محمد ابن عثمان قائد كورة بلنسية وغيرها مشاركة في هذا النشاط الدبلوماسي(٥).

في عهد الدولة العامرية استمر تعيين القضاة لبلنسية، فولّى المنصور محمد بن أبي عامر ابن المَشّاط أبو المطرف

---

(١) انظر تاريخ علماء: ١: ١٠٣ ـ ٤ رقم ٣٢٢، بغية: ٢٦٢، رقم ٦٣٠، تاريخ الاندلس: ٦٠، ٢٦٠ ح (نص ابن الكردبوس)، دولة الاسلام: ٢: ٤١٣ وبعدها.

(٢) راجع: المقتبس (بيروت): ٢١٦.

(٣) راجع: تاريخ علماء: ١: ١٠٣ رقم ٣١٩.

(٤) انظر التكملة (مجريط)، ٢: ٥٤٥، البيان: ٢: ٢٣٥.

(٥) انظر: المقتبس (بيروت): ٢٠، ٢٠ ـ ١ ح، ٤٥ ـ ٦، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٧٨، ٩٢، ١٥٣.

عبد الرحمن بن محمد الرعيني (٣٩٧ = ١٠٠٦) قضاء بلنسية وأعمالها ، فكان منفذا للحق في أحكامه(١) • وتولى قضاء بنلسية على عهد المنصور أبو الاصبغ موسى بن أحمد بن عبد الرحمن ، الذي كان قاضيا على جهات آخرى من شرق الاندلس في ذات الوقت ، فاستخلف على جهات مدينة بلنسية أبا عبد الله العمردي(٢) •

استقرت أركان المجتمع البلنسي ــ على ما يبدو ــ في نهاية عهد الخلافة ودولة بني عامر ، حيث بلغت الاندلس ــ قرطبة خاصة ــ مبلغا كبيرا من التقدم الحضاري في شتى الميادين • فازداد عدد سكان بلنسية ونمت الزراعة والتجارة والصناعة ، وتوسعت خططها ، ونعم مجتمع بلنسية ــ مسلمون وغيرهم ــ بحياة طيبة في ظل الامن والاستقرار والتقدم الذي شمل عموم الاندلس(٣) • كان من شأن الحياة العلمية أن تخطو خطوات واسعة في نموها وتعمق مسيرتها في شتى ميادين العلم الواسعة •

هكذا كانت بلنسية منذ فتح الاندلس الى نهاية الدولة العامرية تتبع قرطبة اداريا ، ساهمت في احداث الاندلس المختلفة ولو بشكل محدود ، نعمت بما نعم به الاندلس من رقي وتقدم في مضامير الحياة •

---

(١) الصلة : ١ : ٣٠٧ ــ ٨ رقم ٦٧٨ •
(٢) نصوص : ١٥ ــ ٦ •
(٣) راجع : أندلسيات : ٢ : ٢٢ وبعدها •

ب ـ مملكة بلنسية في عهد الطوائف

أصبحت بلنسية في بداية القرن الخامس الهجري مملكة مستقلة ، شـأن العديد من مدن الاندلس ، توالى على حكمها عدد من الامراء ، ثم تسلط عليها القشتاليون الى ان استعادها المرابطون • يتكون الحديث عن بلنسية في هذا العهد من نقاط ثلاث :

١ ـ حكم أمراء الطوائف •

٢ ـ حكم القشتاليين •

٣ ـ إستعادة بلنسية •

١ ـ حكم أمراء الطوائف

يبدأ هذا العهد باعلان الفتيـان أو الممـاليك العـامرية استقلالهم بحكم بلنسية على يد مجاهد العامري حول سنة ٤٠١ (١٠١٠) ، الذي أعقبه مبارك ومظفر العامريان سنة ٤٠٥ (١٠١٤) ، اللذان تلقبا بلقب الامارة واستقلا بشؤونهما عن قرطبة • استمر الفتيان العامريون بحكم بلنسيـة من سـنة (٤٠١ ـ ٤١٧ = ١٠١٠ ـ ١٠٢٦) ، ثم تولى حكمها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر (٣٩٧ ـ ٤٥٢ = ١٠٠٦ ـ ١٠٦٠) ، الذي تلقب بالمنصور ، حكمهـا مـدة طويـلة (٤١٧ ـ ٤٥٢ = ١٠٢٦ ـ ١٠٦٠) •

لم تلبث بلنسية أن أصبحت جزءا من مملكة طليطلة سنة ٤٥٧ (١٠٦٤) ، تحت زعامة المأمون يحيى بن ذي النون ، ثم استعادت استقلالها على يد أبي بكر أحمد بن محمد بن مروان

ابن عبد العزيز عام ٤٦٧ (١٠٧٤) • في شوال ٤٧٨ (شباط ١٠٨٦) ، بدأ النفوذ القشتالي غير المباشر في بلنسية، عندما تولى أمارتها بمساعدة القشتالي القادر بن ذي النون ، الذي خسر أمارته في طليطلة •

شهدت بلنسية في مدة حكم امراء الطوائف (٤٠١ ـ ٤٧٨) نموا في شتى ميادين الحياة للاستقرار الذي نعمت به بشكل عام • فمنذ نهاية الدولة العامرية في قرطبة توجه الى بلنسية العديد من الفتيان العامريين ، الذين كان لهم دور في قيام الامارة فيها وفي احداثها[١] • وفي عهد مبارك ومظفر العامريين توجه اليها الكثير من الناس ـ خاصة من أهل قرطبة ـ بأموالهم عندما وجدوا فيها الهدوء والأمن[٢] • ثم زاد توجه أجناس الصقالبة اليها للخدمة في الجيش[٣] • أن

(١) راجع : البيان : ٣ : ٣٧ • كذلك : دول : ١٥٦ •

The History of Spain, Louis Bertrand, I, 999.

الفتيان العامريون : أو المماليك العامريون ، هم الجند وأصحاب الخدمة من الصقالبة ، الذين اختارهم المنصور محمد بن أبي عامر وولداه من بعده ، قوة مناصرة لهم • كانوا يربون في قصر الخلافة ، وتبذل العناية في تأهيلهم بعلم طيب ، وتغرس العقيدة الاسلامية في قلوبهم، ويوجهون لطاعة أمرائهم • راجع : الصقالبة في اسبانيا ، أحمد مختار العبادي ، ١٣ ـ ٤ ، تاريخ الفكر : ٨ •

(٢) راجع : الذخيرة (مخ) : ٣ ـ ٦ : ٨ ، البيان : ٣ : ١٦٠ ـ ١ ، أعمال : ١٢٢ •

(٣) راجع : الذخيرة (مخ) : ٣ : ٦ ، البيان : ٣ : ١٦٠ •

الصقالبة : صقلب Esclave كلمة فرنسية قديمة معناها عبد أو رقيق • المعنى الاصطلاحي : الأرقاء الذين حصل عليهم المسلمون من أية أمة نصرانية ، واستخدموهم في قصور الامارة أو الخلافة • راجع : الصقالبة : ٨ ـ ٩ ، الاسلام في اسبانيا ، لطفي عبد البديع : ٣٦ ـ ٨ •

Andalusian diplomatic relations, 207.

زيادة سكان وثروة بلنسية منذ مطلع القرن الخامس كان ذا اثر على حياتها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ·

أدى قيام الامارة واتخاذ الجند وزيادة عدد سكان بلنسية الى زيادة الطلب على المنتجات الزراعية والصناعية ، فنشطت الزراعة والصناعة والتجارة[1] · عمل غالبية سكان بلنسية بالزراعة سواء من سكن المدينة أو ضواحيها · لكن ساءت أحوالهم في أيام مبارك ومظفر العامريين بفرضهما الضرائب العالية عليهم[2] · بينما لم يتوفر ـ بعد ذلك ـ ما يشير الى سوء احوالهم · أما الصناع والتجار فزاد عددهم في بلنسية ونشطت صناعاتهم وتجارتهم وتحسنت أحوالهم ، فغدوا يؤلفون عددا ليس بالقليل من المجتمع البلنسي ، قدموا البضائع واتجروا بها مع الانحاء الأخرى ، لزيادة الطلب على منتجاتهم وبضائعهم[3] ·

بلغ المجتمع البلنسي في النصف الثاني للقرن الخامس الهجري مرحلة متقدمة من النمو الحضاري تشير الى بعض جوانبه أحداث وقعة بطرنه الآتية الذكر · فالحالة الطارئة للمجتمع البلنسي التي وضعت في بداية هذه المدة ، سواء من العناصر التي انضمت اليه أو بزيادة ثروات المجتمع بازدياد النشاط الزراعي والصناعي والتجاري ، وجدت الجو المناسب لتستقر وتتفاعل وتنمو طيلة هذه المدة في ظل الأمن والاستقرار وتوسعات امارة بلنسية السياسية · فلم يطل النصف الثاني

---

(١) راجع : الذخيرة (مخ) : ٣ : ٦ ، البيان : ٣ : ١٦٠ ·

(٢) راجع : الذخيرة (مخ) : ٣ : ٨ ـ ٩ ، المغرب : ٢ : ٢٩٩ ، البيان : ٣ : ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، أعمال : ٢٢٥ ·

(٣) راجع : الذخيرة (مخ) : ٣ : ٦ ، البيان : ٣ : ١٦٠ ·

من القرن الخامس حتى بلغ المجتمع البلنسي الغاية في نموه الاجتماعي ، وبلغت الفئة العليا مراحل جد متقدمة في الترف والاستكانة للحياة والتمتع بمطايبها ، ما دام السلام والامن يظلان المدينة(١) . خلال هذا كله كان الظرف ملائما لنمو العلم والادب والفنون لتقدم المجتمع ورقيه الاجتماعي .

كانت لبلنسية علاقات اتسمت بالسلم مع ملوك اسبانيا النصرانية طيلة هذه المدة ، سيما على عهد المنصور عبد العزيز(٢) . لكنها ساءت على أيام ولده المظفر عبد الملك (٤٥٢ ـ ٤٥٧ = ١٠٦٠ ـ ١٠٦٤) ، التي شهدت البداية العملية لاطماع القشتاليين في بلنسية ، حيث اشتبك البلنسيون مع قوة قشتالية بزعامة فردلند (الاول) ملك قشتالة في وقعة بطرنة في ذي الحجة ٤٥٦ (تشرين الاول ١٠٦٥) ، انهزمت فيها القوة البلنسية التي يتزعمها المظفر ، التي خرجت للدفاع عن المدينة(٣) .

ان تعرض فردلند بقواته لبلنسية ، يمثل أول تهديد للنضج الاجتماعي والعلمي والحضاري الذي وصل اليه المجتمع البلنسي .

استخدمت امارة بلنسية اشهر وزراء العصر وكتابه وأدبائه في تدبير شؤون الامارة(٤) . وكان بعض امرائها من

---

(١) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٧ .
(٢) راجع : أعمال ، ١٩٥ ، دول الطوائف،١٢٣ ، دائرة٤ : ١٢٠(بلنسية) .
(٣) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٦٦ ـ ٨ ، البيان ، ٣ : ٢٥٢ ـ ٣ ، نفح، ٤٤٨ ، ملوك الطوائف ، دوزي ، ١٧٦ .
(٤) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٢٠ ـ ٢ ، ١٣٣ ، البيان ، ٣ : ١٥٩ ، ١٦٥ ، أعمال ، ١٩٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، اعتاب الكتاب ، ابن الابار ، ٢٠١ ـ ٢ ، دول ، ٢٠٩ ، ٢١١ .

الادباء والعلماء الذين رعوا أهل العلم والادب[1] • وزر ابو محمد ابن حزم الاندلسي (٤٥٦ = ١٠٦٣) في بلنسية للمرتضي الذي دخل بلنسية بعد بيعة اهلها له في ذي الحجة ٤٠٨ (١٠١٨) ، بتقديم من بعض زعماء الفتيان العامريين[2] •

في هذه المدة اتسعت رقعة امارة بلنسية غاية اتساعها خاصة على عهد المنصور عبد العزيز بما اضاف اليها حربا أم سلما من كور شرق الاندلس[3] •

حكام بلنسية الطوائف (٤٠١ ـ ٤٨٧ = ١٠١٠ ـ ١٠٩٤) :

١ ـ مجاهد العامري (٤٠١ ـ ٤٠٥ = ١٠١٠ ـ ١٠١٤)[4] •

٢ ـ مبارك ومظفر العامريان (٤٠٥ ـ ٤٠٨ = ١٠١٤ ـ ١٠١٧)[5] •

٣ ـ لبيب الصقلبي ومجاهد العامري (٤٠٨ ـ ٤١١ = ١٠١٧ ـ ١٠٢١)[6] •

---

(١) راجع : أعمال ، ٢ : ١٥٥ ، الحلة ، ٢ : ١٥٥ ، دول ، ٢١٥ •

(٢) راجع : طوق الحمامة ، ابن حزم ، ١١٨ ، ابن حزم الاندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ، سعيد الافغاني ، ٢٥ ، ديوان ابن دراج ٨١ ـ ٢ ح ، الكامل ٩٥ : ٢٧١ ـ ٢ •

(٣) راجع : الكامل ، ٩ : ٢٨٩ ـ ٩١ ، البيان ، ٣ : ١٦٦ ـ ٧ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ـ ٢ ، ٢٣٩ ، ٣٠٢ ، أعمال ١٩٠ ، ٢١٧ ، ٢٦ ، العبر ، ٤ : ٣٤٨ ـ ٩ •

(٤) راجع : البيان ، ٣ : ٣٠١ ـ ٣ •

(٥) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٥ وبعدها ، المغرب ، ٢ : ٢٩٩ ، البيان ٣ : ١٥٨ وبعدها ، ٣٠٢ ، أعمال ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ـ ٦ •

(٦) راجع : البيان ، ٣ : ١٦٣ ـ ٤ ، ٣٠٢ ، أعمال ، ١٩٤ •

٤ ـ المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر (٤١٧ ـ ذي الحجة ٤٥٢ = ١٠٢٦ ـ كانون الثاني ١٠٦١)[1] ٠

٥ ـ المظفر (نظام الدولة) عبد الملك بن عبد العزيز بن ابي عامر (٤٥٢ ـ ٤٥٧ = ١٠٦١ ـ ١٠٦٥)[2] ٠

٦ ـ المأمون يحيى بن ذي النون (ذي الحجة ٤٥٧ ـ ٤٦٧ = تشرين الثاني ١٠٦٥ ـ ١٠٧٥)[3] ٠

٧ ـ ابو بكر أحمد بن ابي عبد الله محمد (ابن روبش) ابن عبد العزيز (٤٦٧ـ ٤٧٨=١٠٧٥ ـ ١٠٨٥)[4] ٠

٨ ـ ابو عمرو عثمان بن ابي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز (٩ صفر ٤٧٨ ـ شوال = حزيران ١٠٨٥ ـ شباط)[5] ٠

---

(١) راجع : نقط العروس ، ابو محمد بن حزم ، ٤٧ (مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الاول ، م : ١٣ ، جـ : ٢ ديسمبر ١٩٥١ ، تحقيق شوقي ضيف) ، الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٢٠ ـ ٢ ، ١٣٢ ـ ٣ ، الكامل ، ٩ : ٢٨٥ ، ٢٨٩ ـ ٩١ ، اعتاب ، ٢٠١ ـ ٢ ، البيان ، ٣ : ١٦٤ ـ ٧٠ ، ١٩٠ ـ ٢ ، ١٩٨ ـ ٩ ، ٢٣٩ ، ٣٠٢ ، أعمال ، ١٩٤ ـ ٥ ٠

(٢) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٢٠ ، ١٣٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ـ ٨ ، تاريخ الاندلس ، ٨٠ (نص ابن الكردبوس) ، الحلة ، ٢ : ١٢٩ـ٣٠ ، ١٧١ـ٢ ، البيان ، ٣ ـ ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٥٢ ـ ٣ ، ٢٦٦ ـ ٧ ، ٣٠٣،أعمال ١٩٥ ، نفح ، ١ : ١٨١ ، ٤٤٠ ٠

(٣) راجع : تاريخ الاندلس ، ٨٠ ـ ١ (نص ابن الكردبوس) ، البيان ، ٣ : ٣٠٣ ، العبر ، ٤ : ٣٤٩ ٠

(٤) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٣ ، ٢٠ ـ ١ ، ٣٠٤ ، تاريخ الاندلس ، ٨٠ ـ ١ (نص ابن الكردبوس) ، المعجب ، ١٢١ ـ ٢ ، الحلة ، ٢ : ١٤٠ ـ ٦ ، ١٥٥ ـ ٨ ، ١٦٤ ، البيان ، ٣ : ٣٠٤ ، أعمال ٢٠١١ـ٢ ٠

(٥) راجع : البيان ، ٣ : ٣٠٤ ٠

٩ ـ القادر بن ذي النون (شوال ٤٧٨ ـ رمضان ٤٨٥ = شباط ١٠٨٥ ـ تشرين الاول ١٠٩٢)[١] ٠

١٠ـ أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحـاف المعافري (٢٤ رمضان ٤٨٥ ـ منسلخ جمادى الاولى ٤٨٧=٢٨ تشرين الثاني ١٠٩٢ ـ ١٥ حزيران ١٠٩٤)[٢] ٠

٢ ـ حكم القشتاليين :

بدأ النفوذ القشتالي غير المباشر في بلنسية في شوال سنة ٤٧٨ (شباط ١٠٨٥)، عندما تولى القادر بن ذي النون رئاسة بلنسية بمعونة القشتاليين ، وينتهي بثورة أهل بلنسية على القادر ـ منفـّذ رغائب القشتاليين ـ وقتله ليلة الثلاثاء ٢٣ رمضان ٤٨٥ (٢٨ تشرين الاول ١٠٩٢) ٠ تم يبدأ النفوذ القشتالي المباشر في بلنسية في نهاية جمادى الاولى ٤٨٧ (١٥ حزيران ١٠٩٤) . عندما دخلها القمبيطور وجنده اثر انعقاد صلح بينه وبين اهل بلنسية ، بعد حصار طويل ٠ ينتهي النفوذ القشـتالي في ١٥ رجب ٤٩٥ (٥ مايس ١١٠٢) باسـتعادة المرابطين لبلنسية ٠

شهدت هذه المدة ٤٧٨ ـ ٤٩٥ أحداثا جساما يمكن ذكر

(١) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٥ ـ ٧ ، Recherches,II,V11—X1 تاريخ الاندلس ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٦ ـ ١٠١ ، ١٠٣ ـ ٤ (نص ابن الكردبوس) ، الكامل ، ٩ : ٢٨٨ ، البيان ، ٣ : ٣٠٤ـ٥ ، أعمال ، ٢٨١ ، ٢٠٣ ، العبر ، ٤ : ٣٤٨ ، نفح ، ١ : ٤٤٠ ٠

(٢) راجـع : الذخـيرة (مخ) ، ٣ : ٤٧ ـ ٨ ، Recherches,II,X1—X11 تاريخ الاندلس ، ١٠٣ (نص ابن الكردبوس) ، البيان ، ٣ : ٣٠٥ ـ ٦ ، ٤ : ٣١ ـ ٤ ، ٣٨ ـ ٤٠ ، ٤٧ ، ١٤٧ ـ ٨ ، أعمال ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ٢٠٣ ـ ٤ ٠

أبرزها لتوضيح ما تركته من تأثيرات على الحياة الاجتماعية والعلمية ٠

أ ـ ثورة أهل بلنسية :

كان من شروط تنازل القادر بن ذي النون عن امارته في طليطلة للفونش (السادس) ملك قشتالة في فاتحة صفر سنة ٤٧٨ (٢٥ مايس ١٠٨٥) ، ان يساعده على تملك بلنسية التي كانت تتبع إسميا إلى طليطلة من عهد المأمون بن ذي النون[١] ٠ ان تسليم القادر طليطلة للقتشاليين وفق ذلك الشرط ، كان صفقة خاسرة عقدها الأمير الضعيف الذليل ، فبجانب ما يعنيه سقوط طليطلة بيد الفونش من خسارة فادحة وتراجع للمسلمين في الاندلس ، فان حصول القادر على بلنسية بمساعدة الفنش ، سيكفل للقشتاليين انفسهم بسط نفوذهم على بلنسية وأعمالها بل على أجزاء واسعة من شرق الاندلس ، من وراء شخص القادر البائس[٢] ٠

تمكن القادر من دخول بلنسية وتولى امرها بمعونة قوة قشتالية بقيادة البرهانس (Alvar Hanez) ، ابن اخي رذريق الكبيطور (القمبيطور) ، جهزها له الفنش[٣] ٠

---

(١) راجع : دول ، ٢١٨ ٠

(٢) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣:٤٥ ـ ٦ ، Recherches,II, V11—V111. تاريخ الاندلس ٨٦ ـ ٧ (نص ابن الكردبوس) ، البيان ، ٣:٣٠٤ ، أعمال ، ١٨٢ ، العبر ، ٤:٣٤٨ ، ٣٤٩ ، السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، حسين مؤنس ، ٥٥ (المجلة التاريخية المصرية ، م : ٣ ، العدد : ١ مايو سنة ١٩٥٠) ، دول الطوائف ، ١١٣ ، ٢١٧ ٠

(٣) الكبيطور أو الكنبيطور أو القمبيطور : فارس قشتالي مغامر إسمه رودريجو (رذريق) ديماث دي فيفار (الفيفاري) Rodrigo Diaz de Vivar من مواليد قرية فيفار ، قرب مدينة برغش(Burgos)، حاضرة قشتالة ٠ كان من جند شانجة ، أخي الفنش (الفونسو السادس) ملك قشتالة وليون ٠ راجع : الاسلام في المغرب والاندلس ، ١٧٤ وبعدها ، السيد القمبيطور ، ٤٢ وبعدها ، ملحمة ، ٩٨ وبعدها ٠

كان تولي القادر أمر بلنسية بداية عهد سيء في تاريخ بلنسية • فقد غدت السيادة الحقيقية على بلنسية لالبرهانس وجنده ، الذين احالوا القادر لعبة بأيديهم ، ففرض على أهل بلنسية مغارم باهظة ، فهاجر كثير منهم عن أرضه ، فرارا من الطغيان المرهق • وهكذا ساءت الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في بلنسية و بعض المناطق المجاورة لها[1] •

ضاق االبلنسيون – وفي مقدمتهم العلماء – ذرعا بالقوة القشتالية و بالقادر المنفذ لمطاليبهم ، والذي لم يبد رغبة في التخلص من القوة القشتالية ، التي كانت تنفذ مخططها في الاستيلاء على بلنسية وشرق الاندلس[2] •

اعلن البلنسيون بزعامة عدد من علمائهم و بمعونة قوة من الاخوة المرابطين الثورة على القادر الخاضع للقشتاليين[3] • انتهت الثورة بقتل القادر وتولية قاضيها أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن جحّاف المعافري أمر بلنسية يوم الثلاثاء ٢٤ رمضان ٤٨٥[4] • بهذه الثورة انتهى النفوذ القشتالي الذي مثله في بلنسية في هذا الوقت القمبيطور ، لكنها كانت بداية

---

(١) راجع : تاريخ الاندلس، ١٠٣ ـ ٤ (نص ابن الكردبوس) ، الحلل ١ : ٤٢٧ . الاســـلام في المغـــرب والاندلس . ١٨٦ . Spanish Islam.Doz . 693 . دول ، ٢١٨ ، ملحمة السيد ، الطاهر احمد مكي . ١١٠ •

(٢) راجع : تاريخ الاندلس ، ٨٧ (نص ابن الكردبوس) ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ١٨٧ . السيد القمبيطور . ٥٥ . دول ، ٢١٨ . ٢٢٧ . قيام ، ٣٠٦ •

(٣) راجـــع : تاريخ الاندلس ، ١٠٣ (نص ابن الكردبوس) . البيـــان ٣:٢٠٤ ـ ٥ ، ٤:٣١ ، ١٤٧ . اعمـــال ، ٢٠٣ ، الاسلام في المغـــرب والاندلس ، ١٨٩ ، السيد القمبيطور ، ٥٧ ، دول ٢٠٣ •

(٤) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣:٧ ، Recherches,II. X—XI. تاريخ الاندلس ١٠٣ (نص ابن الكردبوس) ، البيان ، ٤:٣١ ـ ٢ ، ١٤٧ . أعمال . ١٧٩ ، ١٨٢ ، ٢٠٣ . The Cid. and his Spain. 295 - 300.

لابتلاء عظيم تعرضت له المدينة المؤمنة الصابرة ، التي ستشهد الخراب والدمار في أيامها القادمة ، وسيسجل أهلها صفحات رائعة في أصالة الامة المسلمة وثبات علمائها في مواجهة الاعداء والمحن ورفض الواقع الذي أراده لها أنانية بعض أمرائها الأتباع لأعدائها ·

ب ـ حصار بلنسية :

يشغل حصار القمبيطور لبلنسية جزءا خطيرا من تاريخها حيث دام عشرين شهرا ابتداءً من آخر رمضان ٤٨٥ (تموز ١٠٩٢) وينتهي منسلخ جمادى الاولى ٤٨٧ (١٥ حزيران ١٠٩٤) ·

لم يكن سهلا على القمبيطور ـ الموصوف بالمغامر النهاب ـ ان يرضى بالاوضاع الجديدة في بلنسية ، التي تمثلت بثورة اهلها ، التي انهت نفوذه فيها وقطعت الاموال عنه ، وافشلت جزءا مهما من مخططه والمخطط القشتالي ، لانهاء الوجود الاسلامي في شرق الاندلس ·

شدد القمبيطور الحصار على بلنسية « فضايقها مضايقة شديدة وحصرها حصرا عظيما وقطع عنها المرافق ، ونصب المجانيق ونقب الاسوار »[1] ·

طيلة مدة الحصار لم يقتحم القمبيطور بلنسية لاخضاعها واملاء شروطه عليها واسترداد مكانته فيها · هذا يشير الى تخوفه من عاقبة مغامرة قد تكون فاشلة ، لظنه في امكانية

---

(1) البيان ، ٣ : ٣٠٥ ، ٤ : ١٤٧ ـ ٨ ·
راجع : البيان ، ٤ : ٣٢ ، The Cid, 302, 304, 305.
بلنسية الاسلامية ، ١٢ ·

استمرار المسلمين في المقاومة وقابليتهم في النيل منه ، وقوتهم المتمثلة في ثبات البلنسيين على حقهم في الدفاع عن مدينتهم المسلمة ، لولا أن فتّ الحصار الطويل والجوع في عضدهم[1] . مع ذلك لم يمض وقت طويل حتى تحررت من نيره ، مستعينين بجند المرابطين ومنتفعين بحصانة المدينة . فاكتفى القمبيطور بالحصار الدائم والمناوشات المحدودة على سور المدينة ، واتضح في أشهر الحصار الاخيرة انه كان يرمي الى اماتة المدينة جوعا لتسقط بين يديه محطمة[2] . « قوي طمع لذريق في ملك بلنسية فلزمها ملازمة الغريم ، وتلذذ بها تلذذ العشاق بالرسوم . ينتسف اقواتها ويقتل حماتها ، ويسوق اليها كل منية »[3] .

يعد استبسال أهل بلنسية في الدفاع عن مدينتهم مثلا غاية في الروعة ، على التضحية والفداء وحب الاستشهاد دون العقيدة واهلها وديارها .

قدّم ابن علقمة أبو عبد الله محمد بن خلف الصدفي البلنسي (٥٠٩ = ١١١٥) ، مؤرخ بلنسية ، وصفا دقيقا مؤرخا لاحوال بلنسية في أيام الحصار المميت ،من هذا انه وصف أحوال بلنسية خلال ثلاثة أشهر من حصار القمبيطور لبلنسية ، ربيع الاول ، ربيع الثاني ، جمادى الاولى من سنة

(١) راجع عن بعض أحداث الحصار : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٧ ـ ٨ ، Recherhes, II, X1—X11. البيان ، ٣:٣٠٥ ، ٤:٣٢ ، ٣٣ ، ١٤٧ ـ ٨ ، أعمال ٢٠٣ ـ ٤ .

(٢) راجع عن بعض أحداث الحصار : الذخيرة (مخ) ، ٣:٤٧ ـ ٨ ، Recherches, II, X1—X11 ، البيان ، ٣ : ٣٠٥ ، ٤:٣٢ ، ٣٣ ، ١٤٧ ـ ٨ ، أعمال ، ٢٠٣ ـ ٤ .

(٣) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٧ ـ ٨ . Recherches, II, X1.

٤٨٧ ، وهو وصف ينطق بعظم البلاء ، فالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تدهور يوما بعد يـوم[١] • اسـعار الاطعمة الحلال منها والحرام في ارتفاع فاحش ، لندرة الطعام ، الذي نتج عن الحصار المطبق وانشلال الحياة الاقتصادية ، لظروف الحصار والحرب • فعاش أهل المدينة اياما سوداء من الجوع ، فتفشى المرض ، فبينما الرجل يمشي يسقط ميتا ، فتناقص أهل بلنسية كثيرا ، وكان هذا في جمادى الاولى ٤٨٧ [٢] •

تقدمت عدة نجدات مرابطية نحو بلنسية بناءً على دعوة أهلها أميرَ المسلمين يوسف بن تاشفين ، لكنها جميعا لم تفلح في تخليص بلنسية من قبضة القمبيطور ، وان هي اضعفت من القوى القشتالية[٣] •

رغم التدابير التي اتخذها البلنسيون لاطالة مدة الثبات وانتظار العون الناجز من الاخوة المرابطين والاندلسيين ، لكن الاحوال بلغت حدا من السوء لم يعد بالامكان تجاهله • لم يبق ما يقتات عليه ، وغدا البلنسيون ــ ممن بقي ــ كأشباح من ضر الجوع ، ولا مدد ناجز من الاخوة، فكان للصبر الطويل والثبات الرائع أن يقف عند حد[٤] •

انتهى الحصار باتفاق بين أهل بلنسية والقمبيطور في منسلخ جمادى الاولى ٤٨٧ ، مما جاء فيه ضمان سلامة أهل بلنسية في انفسهم واهليهم وأموالهم وان يتولى ابن جحاف منصب القاضي

---

(١) راجع : البيان ، ٤ : ٣٨ ــ ٩ •

(٢) انظر : البيان ، ٤ : ٣٩ (عن ابن علقمة) •

(٣) راجع : البيان ، ٤ : ٣٣ (عن ابن علقمة) ، الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٨ ، Recherches, II, X11. ، أعمال ، ٢٠٤ •

(٤) راجع : البيان ، ٤ : ٣٨ ــ ٩ •

الذي كان يشغله من قبل ، وأن يعين شخصين اتفق عليهما أحدهما يتولى أمرها والآخر يكون مسؤولا عن الضرائب ، أما القمبيطور فاشترط على ابن جحاف ان يعطيه جميع ذخائر القادر[1] • وواضح من نصوص الاتفاق ، أن البلنسيين ــ مع سوء حالتهم التي بلغت مداها ــ لم يستسلموا ، وانما كانوا طرفا املى شروطا مهمة ، لكن أنّى للقمبيطور ان يلتزم بشرط أو أن يفي بعهد •

في يوم عقد الصلح دخل القمبيطور ورجاله بلنسية ، وصعد جماعة من اتباعه فملكوا الابراج والابواب خلافا لشروط المعاهدة[2] • هكذا في منسلخ جمادى الاولى ٤٨٧ تمت سيطرة القمبيطور على بلنسية ، بعد حصار دام عشرين شهرا[3] • ليبدأ سلسلة من الاعمال الانتقامية الوحشية في المدينة[4] •

روعت الاندلس والمغرب (المرابطون) لسقوط بلنسية في أيدي النصارى[5] ، كما روعت من قبل بسقوط طليطلة ، فلم يكن دخول القمبيطور بلنسية ــ رغم الاتفاق ــ الا دخول عدو غاز •

---

(1) راجع : البيان ، ٤ : ٣٤ ، ٣٩ (عن ابن علقمة) ، تاريخ الاندلس ، ٣٠ ــ ١ (نص ابن الكردبوس) ، The Cid, 334—5 دول ، ٢٣٣ وبعدها ملحمة ، ١٣٤ ــ ٥ •

(2) راجع : البيان ، ٣:٣٠٥ ــ ٦ ، ٤:٣٤ ، ٣٩ ــ ٤٠ ، ١٤٨ ، The Cid, 335.M دول ، ٢٣٤ ، ملحمة ، ١٣٥ ــ ٦ •

(3) راجع : البيان ، ٤:٣٩ ، الحلة ، ٢:١٢٦ ، التكملة ، ١:٢٩٨ ، ٤٠٤ . ٢:٨٠٦ . ٨٠٧ . The Cid, 335.

(4) راجع : البيان ، ٤ :٣٥ . ٤٠ •

(5) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣:٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ــ ٥٠ ، Recherches, II,1V,XV—XV1. البيان . ٤:٣٩ ــ ٤٠ ، قيام ، ٣٠٨ ــ ٩ ، دول ، ٢٣٦ •

ج ـ حرق ابن جحّاف والتنكيل بالعلماء :

من الاحداث البارزة في عهد السيطرة القشتالية ، والتي تكشف عن حقيقة القمبيطور وسياسته الصليبية ، التي لم تعد خافيـة على أهل بلنسية[1] ، بعـد تلك السلسلة الطويلة من الاحداث الدامية ، هي قتل القمبيطور لعدد من علماء بلنسية صبرا وابرزهم رئيسها القاضي أبو أحمد بن جحاف المعافري .

ان قصة حرق القاضي ابن جحاف ، التي تناقلتها المصادر، تنم عن روح التعصب والانتقام التي اتصف بها القمبيطور . فصل ابن علقمة وابن بسام (٥٤٢=١٠٥٠) تلك الاحداث وهما معاصران لها ، والاول منهما بلنسي وشاهد عيان اشترك فيها[2] ، بيّنا أسباب قتل ابن جحاف والطريقة المروعة التي تم بها ، وما تركه من عميق الحزن والاثر في نفوس البلنسيين وغيرهم من المسلمين .

منذ ان دخل القمبيطور بلنسية ــ وفق الشروط التي اتفق عليها ــ وهو يفكر في أمر ابن جحاف وضرورة التخلص منه ويلتمس الاسباب الى نكبته يقول ابن بسام : « وبقي معه مديدة يضجر من صحبته ويلتمس الأسباب الى نكبته »[3] . أمـا اسباب ضجر القمبيطور من قاضي بلنسية ، فقد أوضحها ابن علقمة حيث قال : « لم يكن غضب الطاغية عليـه الا لشدة صبره على تلك الازمة ، واجتهاده في طلب النصرة ، ودفعه اياه بالمطاولة ، رجاءً في استمساك البلدة وإبقاء الكلمة »[4] اما

---

(١) راجع : البيان ، ٤:٣٤ ، ٣٩ ــ ٤٠ ، قيام ، ٣٠٦ .
(٢) انظر : البيان ، ٤ : ١٤٨ .
(٣) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٨ ، .Recherches, II, X111
(٤) البيان ، ٤ : ٣٨ .

الذي كان يشغله من قبل ، وأن يعين شخصين اتفق عليهما أحدهما يتولى أمرها والآخر يكون مسؤولا عن الضرائب ، أما القمبيطور فاشترط على ابن جحاف ان يعطيه جميع ذخائر القادر(١) • واضح من نصوص الاتفاق ، أن البلنسيين ـ مع سوء حالتهم التي بلغت مداها ـ لم يستسلموا ، وانما كانوا طرفا املى شروطا مهمة ، لكن أنّى للقمبيطور ان يلتزم بشرط أو أن يفي بعهد •

في يوم عقد الصلح دخل القمبيطور ورجاله بلنسية ، وصعد جماعة من اتباعه فملكوا الابراج والابواب خلافا لشروط المعاهدة(٢) • هكذا في منسلخ جمادى الاولى ٤٨٧ تمت سيطرة القمبيطور على بلنسية ، بعد حصار دام عشرين شهرا(٣) • ليبدأ سلسلة من الاعمال الانتقامية الوحشية في المدينة(٤) •

روعت الاندلس والمغرب (المرابطون) لسقوط بلنسية في أيدي النصارى(٥) ، كما روعت من قبل بسقوط طليطلة ، فلم يكن دخول القمبيطور بلنسية ـ رغم الاتفاق ـ الا دخول عدو غاز •

---

(١) راجع : البيان ، ٤ : ٣٤ ، ٣٩ (عن ابن علقمة) ، تاريخ الاندلس ، ٣٠ ـ ١ (نص ابن الكردبوس) ، The Cid, 334—5 دول ، ٢٣٣ وبعدها ملحمة ، ١٣٤ ـ ٥ •

(٢) راجع : البيان ، ٣٠٥:٣ ـ ٦ ، ٣٤:٤ ، ٣٩ ـ ٤٠ ، ١٤٨ ، The Cid, 335.M دول ، ٢٣٤ ، ملحمة ، ١٣٥ ـ ٦ •

(٣) راجع : البيان ، ٣٩:٤ ، الحلة ، ١٢٦:٢ ، التكملة ، ٢٩٨:١ ، ٤٠٤ ، ٨٠٦:٢ ، ٨٠٧ ، The Cid, 335.

(٤) راجع : البيان ، ٤ :٣٥ ، ٤٠ •

(٥) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٤٤:٣ ، ٤٥ ، ٤٩ ـ ٥٠ ، Recherches, II,1V,XV—XV1. البيان ، ٣٩:٤ ـ ٤٠ ، قيام ، ٣٠٨ ـ ٩ ، دول ، ٢٣٦ •

ج ـ حرق ابن حجّاف والتنكيل بالعلماء :

من الاحداث البارزة في عهد السيطرة القشتالية ، والتي تكشف عن حقيقة القمبيطور وسياسته الصليبية ، التي لم تعد خافيــة على أهل بلنسية[١] ، بعــد تلك السلسلة الطويلة من الاحداث الدامية ، هي قتل القمبيطور لعدد من علماء بلنسية صبرا وابرزهم رئيسها القاضي أبو أحمد بن جحاف المعافري .

ان قصة حرق القاضي ابن جحاف ، التي تناقلتها المصادر ، تنم عن روح التعصب والانتقام التي اتصف بها القمبيطور . فصل ابن علقمة وابن بسام (٥٤٢=١٠٥٠) تلك الاحداث وهما معاصران لها ، والاول منهما بلنسي وشاهد عيان اشترك فيها[٢] ، بيّنا أسباب قتل ابن جحاف والطريقة المروعة التي تم بها ، وما تركه من عميق الحزن والاثر في نفوس البلنسيين وغيرهم من المسلمين .

منذ ان دخل القمبيطور بلنسية ـ وفق الشروط التي اتفق عليها ـ وهو يفكر في أمر ابن جحاف وضرورة التخلص منه ويلتمس الاسباب الى نكبته يقول ابن بسام : « وبقي معه مديدة يضجر من صحبته ويلتمس الأسباب الى نكبته »[٣] . أمــا اسباب ضجر القمبيطور من قاضي بلنسية ، فقد أوضحها ابن علقمة حيث قال : « لم يكن غضب الطاغية عليــه الا لشدة صبره على تلك الازمة ، واجتهاده في طلب النصرة ، ودفعه اياه بالمطاولة ، رجاءً في استمساك البلدة وإبقاء الكلمة »[٤] اما

---

(١) راجع : البيان ، ٤:٣٤ ، ٣٩ ـ ٤٠ ، قيام ، ٣٠٦ .
(٢) انظر : البيان ، ٤ : ١٤٨ .
(٣) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٨ ، Recherches, II, X111.
(٤) البيان ، ٤ : ٣٨ .

زعم القمبيطور انه عثر فيما بعد على ذخيرة نفيسة من اموال القادر عند ابن جحاف ، الذي استحلفه على البراءة منها ، فكانت السبب لنكبته(١) ، فهو محض اختراع من القمبيطور للايقاع بالقاضي ، الذي ثبت وثبَّت أهل مدينته أمام أطماع القشتاليين(٢) . هذا وان زعم القمبيطور انه قتل ابن جحاف اخذا بثأر القادر بن ذي النون ، لم يكن الا تعللا واهيا قدمه القمبيطور لاخفاء حقيقة هدفه(٣) .

لم يكن قتل القاضي حرقاً إلا جزءاً من خطة شاملة، ابتدأها القمبيطور من أول يوم لضربه الحصار على بلنسية ، استهدفت اذلال المسلمين وتحطيم معنوياتهم وسلب أموالهم وانتزاع أوطانهم ، واستمر في تنفيذها بكل الوسائل التي امتلكها .

أمر القمبيطور « باضرام النار ، وسيق القاضي ابو المطرّف ، يرسف في قيوده ، واهله وبنوه حوله وقد حشر الناس من المسلمين والروم ، ... ، وأمر به و بجملته الى ذلك الضرم ، وقد لفح الوجوه على المسافة البعيدة فضج المسلمون والروم ، وتضرعوا إليه في ترك الأطفال والعيال ، إذ لا ذنب لهم ، ولا علم بتلك الامور عندهم ، فأسعف الرعية في رغبتهم بعد جهد ومدة ، وترك النساء والصبية . وحفر للقاضي حفرة ، وأُدخل فيها الى حجزته ، وسوى التراب حوله، وضمت النار اليه فلما دنت منه ، ولفحت وجهه ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم ضمها الى جسده ، فاحترق ، رحمه الله

---

(١) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٨ .Recherches, II, X111
البيان ، ٣ : ٣٠٦ ، الحلل ، ١ : ٣٣٦ .

(٢) انظر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٨ ، .Recherches, II, X111

(٣) انظر : البيان ، ٤ : ٣٧ .

تعالى ٠ »[١] كان هذا في جمادى الاولى ٤٨٨ (١٠٩٥)[٢] ٠

النص المتقدم من شاهد عيان ، لا يحتاج الى توضيح ٠ ان قتل القاضي ابن جحاف بهذا الشكل المروع ، صورة قاتمة في سجل القمبيطور الاسود ، تزداد قتامة اذا لوحظ حسن المعاملة التي ابتدأها المسلمون وساروا عليها دوما فلا وجه للمقارنة بين المعاملتين ٠ حيث فاضت المعاملة الاسلاميـة لغير المسلمين ـ في الاندلس وغيرها ـ بالانصاف والعدل والاحسان الى أهل البلاد المفتوحة وهو أمر معروف حتى نوه به عدد من المؤرخين غير المسلمين[٣] ٠ ولا عجب فالمسلمـون في سلوكهـم يتمثلون القرآن الكريم ٠ وما صبر البلنسيين وابن جحاف على الابتلاء العظيم إلا من خير المنهج القرآني ٠ فالنص المتقدم صورة مشرقة من صور الثبات على العقيدة ، والشجاعة المتناهية في مواجهة الموت في سبيل الله ٠ رحم الله قاضي بلنسية ورئيسها وعالمهـا الشهيد ابن جحاف ٠ الذي كان لاستشهاده عميق الالم في نفوس المسلمين ، يقول ابن بسام : « وأضرم هـذا المصاب الجليل يومئذ أقطار الجزيرة نارا ، وجلل سائر طبقاتها حزنا (خزياً) وعاراً »[٤] ٠

لم يقتصر عمل القمبيطور الوحشي على قتل ابن جحاف

---

(١) البيان ، ٤ : ٣٧ ٠ راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٨ ، البيان، ٣ : ٣٠٦، الحلة ، ٢ : ١٢٦ ، أعمال ، ٢٠٤ ٠

(٢) الحلة ، ٢ :١٢٦ ، التكملة ١ :٢٣٩ ـ ٤٠ رقم ٦٣٣ ٠
قارن : بغية ، ٢٤٠ رقم ٦١٥ ، العبر ، ٤ :٣٤٩ ٠

(٣) راجع : حضارة العرب في غوستاف لوبون ، ١٢٧ ـ ٨ ، ١٣٤ وبعدها ، ٢٧٦ ـ ٨ ، العرب في اسبانيا ، ٤٧ ، الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ٢٣ ـ ٥ ، اندلسيات ، ٢ : ٢٤ وبعدها ٠

(٤) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٩ ، Recherches, II, X1V.

وانما امتدت يده الى الجلة من أهل بلنسية وفيهم العلماء ، يقول ابن علقمة : « وعمد الطاغية لعنه الله بالقتل والسلب ، بعد احراق القاضي – رحمه الله – الى الجلة من أهل بلنسية – فثقفهم وأغرمهم حتى استأصل جميع ما عندهم ، وجعل الناس في المحنة أسوة ، بأخذهم على طبقاتهم ، حتى عمتهم المحنة ، وهلك في ذلك الثقاف كثير منهم »[1] .

كان أمراً متوقعا أن يبدأ القمبيطور بابن جحاف ويتبعه بجلة من العلماء ، فهو على علم بما يتمتعون به من مكانة في مجتمعهم ، أحلهم فيها علمهم وسلوكهم ، وأن بقاءهم يهدد سلامة بقائه ، وكان لهم الدور الكبير في تحريض البلنسيين – من قبل – على الثورة ، على عهد القادر التابع له . وأن العلماء سيعملون ثانية على تحريك الثورة على القمبيطور ، الذي نقض العهود . هكذا أساء القمبيطور من جديد – بقتله بعض العلماء – الى وجوده في بلنسية . فقد تحرك البلنسيون للثورة عندما رأوا جلة علمائهم يساقون الى الموت . غير أن القمبيطور تمكن من اخماد تحركهم في الوقت المناسب وبنفس القسوة المعهودة لديه[2] .

من بين العلماء الذين أحرقهم القمبيطور حتى الموت سنة ٤٨٨ أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البستي ، كان « كاتباً شاعراً لبيباً »[3] .

---

(١) البيان ، ٤ : ٣٨ . انظر : أعمال ، ٢٠٥ .
(٢) راجع : ملحمة ، ١٤٢ .
(٣) بغية ، ١٩٥ رقم ٤٤٢ . راجع : التكملة ، ١ : ٢٤ رقم ٥٦ ، المطرب ، ١٢٤ ، الذيل ١:١:٢٧٣ – ٦ رقم ٣٥٣ .

هاجر عدد من العلماء عن بلنسية ـ كما كان شأن الكثير من البلنسيين ـ في ظل تلك الظروف السيئة المضطربة(1) ، ومات العديد من العلماء في أثناء الحصار الذي ضربه القمبيطور على بلنسية ، وبعد دخوله إياها(2) .

٣ ـ إستعادة بلنسية

ينتهي عهد السيطرة القشتالية المباشرة على بلنسية في يوم ١٥ رجب ٤٩٥ (٥ مايس ١١٠٢) عندما دخلها المرابطون بقيادة أبي محمد عبد الله بن مزدلي (٥٠٨ = ١١١٤) ابن عم يوسف بن تاشفين(3) .

قام المرابطون بعدة محاولات قبل هذا التاريخ لاستعادة بلنسية من قبضة القمبيطور ، وبناء على دعوة أهلها لنصرتهم ، لكنها لم تفلح رغم الاستعدادات الكبيرة في إحدى المحاولات(4) . لكن هذه المحاولات أضعفت الوجود القشتالي في بلنسية وبالتالي جعلت الفونش وجنده يخرجون من بلنسية بعد أن وجد عظم قوة المرابطين العازمة على تحرير بلنسية ، وجعل شيمانة (Jimena) ، التي خلفت زوجها القمبيطور في بلنسية ، وجند القمبيطور ، يخرجون عن بلنسية صاغرين بعد أن يئسوا

---

(1) راجع : معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ ، التكملة ، ١ : ٢٨٦ رقم ٧٧٠ ، ٢ : ٥٠١ ـ ٢ رقم ١٣٨١ ، المعجم ١٨٨ ـ ٩٠ رقم ١٦٧ .

(2) راجع : التكملة ، ١ : ٢٩٨ رقم ٨٠٣ ، ١ : ٤٠٣ ـ ٤ رقم ١١٣٦ .

(3) راجع : التكملة ، ١ : ٤٢١ ـ ٢ ، المعجم ، ١٠٣ ـ ٤ ، دائرة ، ٤ : ١٢٠ (بلنسية) .
قارن : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٩ ، Richerches, II, XV.

(4) راجع : تاريخ الاندلس ، ١٠٧ ـ ٩ (نص ابن الكردبوس) ، البيان ، ٤ : ٣٤ ـ ٧ ، ٤٠ ـ ١ ، قيام ، ٣١٧ ـ ٨ .

وانما امتدت يده الى الجلة من أهل بلنسية وفيهم العلماء ، بالقتل والسلب ، يقول ابن علقمة : « وعمد الطاغية لعنه الله ــ بعد احراق القاضي ــ رحمه الله ــ الى الجلة من أهل بلنسية فثقفهم وأغرمهم حتى استأصل جميع ما عندهم ، وجعل الناس في المحنة أسوة ، بأخذهم على طبقاتهم ، حتى عمتهم المحنة ، وهلك في ذلك الثقاف كثير منهم »[1] ٠

كان أمراً متوقعا أن يبدأ القمبيطور بابن جحاف ويتبعه بجلة من العلماء ، فهو على علم بما يتمتعون به من مكانة في مجتمعهم ، أحلهم فيها علمهم وسلوكهم ، وأن بقاءهم يهدد سلامة بقائه ، وكان لهم الدور الكبير في تحريض البلنسيين ــ من قبل ــ على الثورة ، على عهد القادر التابع له ٠ وأن العلماء سيعملون ثانية على تحريك الثورة على القمبيطور ، الذي نقض العهود ٠ هكذا أساء القمبيطور من جديد ــ بقتله بعض العلماء ــ الى وجوده في بلنسية ، فقد تحرك البلنسيون للثورة عندما رأوا جلة علمائهم يساقون الى الموت ، غير أن القمبيطور تمكن من اخماد تحركهم في الوقت المناسب وبنفس القسوة المعهودة لديه[2] ٠

من بين العلماء الذين أحرقهم القمبيطور حتى الموت سنة ٤٨٨ أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البستي ، كان « كاتباً شاعراً لبيباً » [3] ٠

---

(١) البيان ، ٤ : ٣٨ ٠ انظر : أعمال ، ٢٠٥ ٠

(٢) راجع : ملحمة ، ١٤٢ ٠

(٣) بغية ، ١٩٥ رقم ٤٤٢ ٠
راجع : التكملة ، ١ : ٢٤ رقم ٥٦ ، المطرب ، ١٢٤ ، الذيل ، ١:١:٢٧٣ ــ ٦ رقم ٣٥٣ ٠

هاجر عدد من العلماء عن بلنسية ــ كما كان شأن الكثير من البلنسيين ــ في ظل تلك الظروف السيئة المضطربة[1] ، ومات العديد من العلماء في أثناء الحصار الذي ضربه القمبيطور على بلنسية ، وبعد دخوله إياها[2] .

٣ ــ إستعادة بلنسية

ينتهي عهد السيطرة القشتالية المباشرة على بلنسية في يوم ١٥ رجب ٤٩٥ (٥ مايس ١١٠٢) عندما دخلها المرابطون بقيادة أبي محمد عبد الله بن مزدلي (٥٠٨ = ١١١٤) ابن عم يوسف بن تاشفين[3] .

قام المرابطون بعدة محاولات قبل هذا التاريخ لاستعادة بلنسية من قبضة القمبيطور ، وبناء على دعوة أهلها لنصرتهم ، لكنها لم تفلح رغم الاستعدادات الكبيرة في إحدى المحاولات[4] . لكن هذه المحاولات أضعفت الوجود القشتالي في بلنسية وبالتالي جعلت الفونش وجنده يخرجون من بلنسية بعد أن وجد عظم قوة المرابطين العازمة على تحرير بلنسية ، وجعل شيمانة (Jimena) ، التي خلفت زوجها القمبيطور في بلنسية ، وجند القمبيطور ، يخرجون عن بلنسية صاغرين بعد أن يئسوا

---

(١) راجع : معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ ، التكملة ، ١ : ٢٨٦ رقم ٧٧٠ ، ٢ : ٥٠١ ــ ٢ رقم ١٣٨١ ، المعجم ١٨٨ ــ ٩٠ رقم ١٦٧ .

(٢) راجع : التكملة ، ١ : ٢٩٨ رقم ٨٠٣ ، ١ : ٤٠٣ ــ ٤ رقم ١١٣٦ .

(٣) راجع : التكملة ، ١ : ٤٢١ ــ ٢ ، المعجم ، ١٠٣ ــ ٤ ، دائرة ، ٤ : ١٢٠ (بلنسية) .
قارن : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٩ ، Richerches, II, XV.

(٤) راجع : تاريخ الاندلس ، ١٠٧ ــ ٩ (نص ابن الكردبوس) ، البيان ، ٤ : ٣٤ ــ ٧ ، ٤٠ ــ ١ ، قيام ، ٣١٧ ــ ٨ .

من امكانية البقاء في بلنسية[١] ٠

عز على الفونش وشيمانة وأعوانهم أن يتركوا مدينة بلنسية الجميلة ، بما بقي فيها سالما من دمارهم ، فانتهبوها وأضرموا النار فيها ، ولم يغادروها إلا بعد أن غدا معظمها أطلالاً دارسة[٢] ٠

دخل الاخوة المرابطون بلنسية بقيادة الامير مزدلي ، وهكذا عادت بلنسية الى حظيرة الاسلام ، وعاد السلام والامان الى ربوعها ، وانهار بانهيار القمبيطور وأعوانه أكبر عامل في بث الاضطرابات في شرق الاندلس ، واوقفت مغامرات النصارى في تلك الانحاء مدى حين[٣] ٠

تولى الامير مزدلي ولاية بلنسية ، واتخذها قاعدة لعمليات الجهاد في شرق الاندلس[٤] ٠ وباشر المرابطون بأداء واجبهم في تحويل خرائب بلنسية وأنقاضها الى مدينة جديدة يشرق فيها الخير والعطاء[٥] ، وتبسم فيها مجالس العلم والادب ، بعد قطيعة طويلة ، كانت بداية حصار القمبيطور لبلنسية في رمضان ٤٨٥ بدايتها واستعادتها في رجب ٤٩٥ نهايتها ٠ لم تجد الحياة العلمية ــ خلال المدة المذكورة ــ أي وضع مناسب

---

(١) راجع : تاريخ الاندلس ، ١٠٩ ــ ١٠ (نص ابن الكردبوس) ، البيان، ٤ : ٤١ ــ ٢ ، دول ، ٢٣٧ ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ١٩٥ ٠

(٢) راجع الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٥٠ ، Recherches, II, XV—XV1. تاريخ الاندلس ، ١١٠ (نص ابن الكردبوس) ، البيان ، ٤ : ٤٢ ، صفة ، ٤٨ ، دول الطوائف ، ٢٣٧ ــ ٨ ، دائرة ، ٤ : ١٢٠ (بلنسية)، الاسلام في المغرب والاندلس ، ١٩٥ ٠

(٣) راجع : دول ، ٢٣٨ ٠

(٤) راجع : تاريخ الاندلس ، ١١٠ ــ ١ (نص ابن الكردبوس) ٠

(٥) راجع : ملحمة ، ١٤٥ ٠

لاستمرارها بنفس النشاط والنمــو ، وإن ظهر نشاط أدبي محدود • والحقيقة أن انتقال القادر الى بلنسية بعد سقوط طليطلة ٤٧٨ ، يمثل بداية ظروف غير موفقة للحياة العلمية، لكن العلماء سجلوا فيهـا وما تلاهـا ، بجانب بعض النشاط العلمي ، صفحــة أخرى من السلوك ، بقوة الايمــان بالعلم الفاضل ، وأبدوا جانبا مشرقا للعلم وأهله ، طالما رعوه وما عرفوا غيره ، بقيادتهم الثورة على الواقع الفاسد وتصدرهم الثبات أمام الاعداء • ذلك وجه العلم العملي ، بدونه يغدو غير ذات قيمة • هكذا علَّم الاسلام أهله أن العلم صادق نافع، سلوك أصيل وخلقية وبناء وليس تجارة بيع وشراء ، بل إقامة للانسان وتقويم له يظهر به مرموقـا ويراه الآخرون عليـه سلوكاً قبله منطوقاً •

الباب الثاني

أسس الحياة العلمية وعوامل نموها

الفصل الأول : أسس ومقومات الحياة العلمية ·

الفصل الثاني : عوامل نمو وازدهار الحياة العلمية ·

الفصل الأول

أسس ومقومات الحياة العلمية

أولا : القرآن العظيم دعوة للعلم

ثانياً : الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة القرآن

ثالثاً : المسلمون يلبون دعوة القرآن

أسرة بني جحاف المعافري البلنسية
احدى أسر بلنسية العلمية

القاضي جحاف بن يمن (يحيى) بن سعيد المعافري(٣٢٧ = ٩٣٨)[١]
ولاه الخليفة الناصر قضاء بلنسية
استشهد بالاندلس في غزوة الخندق

القاضي عبد الرحمن[٢]
ولاه الحكم المستنصر قضاء بلنسية
وقام بنشاط دبلوماسي له

القاضي أبو بكر جعفر
(٣٧٦ = ٩٨٦)[٣]

القاضي أبو عبد الرحمن عبدالله
الملقب بحيدرة (٤١٧ او ٤١٨ =
١٠٢٦ او ١٠٢٧)[٤]

القاضي أبو أحمد جعفر
(بعد ٤١٩ = ١٠٢٨)[٥]
تولى قضاء بلنسية بعد حيدرة

القاضي أبو المطرف عبدالرحمن
(٣٨٤_٤٧٢ = ٩٩٤_١٠٧٩)[٦]
تولى القضاء بعد عمه ابي احمد جعفر

عبد الله

القاضي أبو عبد الرحمن عبد الله (بعد
٤٨٧ = ١٠٩٤)[٨] صاحب خطة الرد
والمظالم ببلنسية ولاه القاضي ابو احمد
القضاء مكانه بعد ان تولى امارة بلنسية
على ما يبدو

القاضي أبو أحمد جعفر (٤٨٨ =
١٠٩٥)[٧] صاحب أحكامها وقاضيها
بعد ابن عم أبيه أبي المطرف عبدالرحمن
ابن عبد الله وأميرها وهو الذي
احرقه القمبيطور

أبو عبد الله عبد الرحمن
(بعد ٥٠٩ = ١١١٥)[٩]

القاضي أبو محمد أحمد (٥٤٧ =
١١٥٢)[١٠] آخر قضاة بيته وخاتمتهم.

---

(١) راجع : تاريخ علماء . ١ : ١٠٣ _ ٤ رقم ٣٢٢ ، جذوة ، ١٩٠ رقم ٣٦٤ . بغية . ٢٦٢ رقم ٦٣٠ ، التكملة . ١ : ٢٣٨ ٠

(٢) راجع : التكملة (مجريط) . ٢ : ٥٤٥ . البيان ، ٢ : ٢٣٥ ٠

(٣) راجع : تاريخ علماء . ١ : ١٠٣ رقم ٣١٩ ٠

(٤) راجع : جذوة . ٢٦٢ رقم ٥٥٤ ٠ الصلة . ١ : ٢٦٢ _ ٣ رقم ٥٨٣ ـ

(٥) راجع : التكملة . ١ : ٢٣٨ رقم ٣٢٨ ٠

أسس الحياة العلمية وعوامل نموها

قامت الحياة العلميــة على أسس ومقومات ، وكانت لهــا عوامل في النمو والازدهار ، وأُسس وعوامل النمو واحدة لكل الحياة العلمية الاسلامية · وجدت عوامل خاصة ببلنسية ·

★ ★ ★

---

(٦) راجع : جذوة ، ٢٧٦ رقم ٦٢٦ · الصلة ، ٢ : ٣٤٠ رقم ٧٢٧ · بغية ، ٣٦٧ رقم ١٠٢٤ ·

(٧) راجع : التكملة ، ١ : ٢٣٩ ـ ٤٠ رقم ٦٣٣ ·

(٨) راجع : التكملة ، ٢ : ٨٠٦ رقــم ١٩٦٨ · التكملــة (مجريط) ، ٢ : ٥٥٥ ·

(٩) راجع : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥٥ رقــم ١٥٧٤ · التكملــة ، ٢ : ٨٠٦ ·

(١٠) راجع : المعجم ، ٣٦ رقم ٢٣ · التكملة ، ١ : ٥٥ رقــم ١٢٥٨ ·



الفصل الأول

أسس ومقومات الحياة العلمية

قامت الحياة العلمية في بلنسية على القرآن العظيم ، أساس ومقوم الحضارة والحياة العلمية الاسلامية . ويتضمن هذا القسم عدة نقاط :

تمهيد :

كانت معرفة القراءة والكتابة في بلاد العرب عند ظهور الاسلام قليلة جدا . فان مركزين مدنيين من أهم مراكزها هما مكة والمدينة (يثرب) لم يكن من أهلهما من يعرف الكتابة الا عدد محدود . ذكر البلاذري (٢٧٩ = ٨٩٢) : انه « دخل الاسلام وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب » . و « كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلا ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية . وكان تعلمه الصبيان في المدينة في الزمن الاول ، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج

عدة يكتبون »[1] • ووصف الله تعالى شيوع الأميّة بين العرب: « هو الـذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهـم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »[2] • وفي الحديث الشريف « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »[3] •

لما كانت الكتابة من مستلزمات الحياة العلمية الأساسية ولم تكن منتشرة في بلاد العرب ، فيبدو انها لم تعرف حيـاة علمية منظمة عند ظهور الاسلام •

لم يكن لأهل شبه الجزيرة الايبيرية حياة علمية عند الفتح الاسلامي للاندلس • فقد كانت « خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به[4] » • لم تكن بلنسية وهي الميناء الصغير وقتئذ الا احدى مدن الاندلس يسري عليها ما وجد فيـه •

---

(١) فتوح البلدان ، ٦٦٠ ، ٦٦٣ (بيروت) •
راجع : عن القراءة والكتابة عند العرب وقت ظهور الاسلام : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي ، ٨ : ٩١ وما بعدها ، عصر النبي عليه السلام ، محمد عزة دروزة ، ٤٣٥ وما بعدها •
(٢) القرآن الكريم ، سورة الجمعة ، الآية ٢ •
انظر : جامع البيان ، الطبري ، ٢٨ : ٩٣ ـ ٤ ، ايضا : م ، ن ، ١ : ٣٧٣ـ٤ ، من هو سيد القدر في حياة الانسان ، محمد سعيد رمضان البوطي ، ٩٨ وبعدها • ورأي آخر أن المقصود « بالاميين » في الآية الكريمة الذين لم يكن لهم كتاب سماوي ، جامع البيان ، ٢٨ : ٩٤ ، المفصل ، ٨ : ١٠٣ وبعدها • راجع : الامي والاميون في القرآن الكريم، أحمد الحوفي ، ٥٨ ـ ٦٦ ، ٢٠ ـ ٤ (الكتاب مجلة ، العدد ١٠ ، ١٢ ، السنة ٨) ، م • ن ، ٣٣ ـ ٤٠ ، ٤٢ ـ ٨ ، (الكتاب ، العدد ١ ، ٢ ، السنة ٩) •
(٣) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ٧٦١ •
(٤) طبقات الامم ، ٨١ •

أولا : القرآن العظيم دعوة للعلم

ان القرآن العظيم دعوة كذلك الى العلم • فأول آيات أوحاها الله تعالى إلى محمد عبده ورسوله عليه الصلاة والسلام تحث على العلم والتعلم والتعليم : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ،خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ، »(١) والآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن كثيرة كلها ترفع قدر العلم وتعلي شأن العلماء وتخفض من الجهل وأهله وتنبه الناس الى العلوم المختلفة وتضع أيديهم على مفاتحها •

وتكرر لفظ العلم ومشتقاته في القرآن الكريم حوالي ٧٦٥ مرة • يبلغ عدد الآيات العلمية حوالي ٧٥٠ آية تشمل مختلف العلوم • العلم المقصود في آيات القرآن ليس الفقه وحده ، بل العلم بكل ميادينه الخيرة النافعة(٢) •

ثانيا : الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة القرآن

كان الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أول مُجيب لدعوة القرآن الى العلم فدعا بدعوته وهو النبي الامي • الأحاديث الشريفة في هذا متوافرة متضافرة وفي مناسبات عدة توضح مدى اهتمامه عليه الصلاة والسلام بالعلم ورغبته في أن يتعلم المسلمون(٣) • « طلب العلم فريضة على كل مسلم • »(٤)

---

(١) القرآن الكريم ، سورة العلق ، الآيات ١ ــ ٥ •
(٢) المسلمون والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨ •
(٣) سنن ابن ماجه ، ١ : ٨٠ ، احياء علوم الدين ، الغزالي ، ١ : ٤ •
(٤) من حديث شريف ، سنن ابن ماجه ، ١ : ٨١ •

أي ومسلمة • واتخذ الكتاب لتسجيل ما ينزل من القرآن • ودعا الى تعلم لغات غير العربية و بيّن أهميتها(١) • كان فداء بعض أسرى بدر ممن يكتبون أن يعلم كل واحد الكتابة عشرة من أبناء المسلمين(٢) •

ازدادت أهمية الكتابة على عهده عليه الصلاة والسلام ومن بعده • فأخذ يزداد عدد الذيـن يعرفونها(٣) • توسعت دائرة المتفقهين بالقرآن والحافظين للسنة الشريفة والدارسين لهما • من ثم توجه المسلمون من القـرآن واليه الى العـلوم المختلفة •

ثالثا : المسلمون يلبّون دعوة القرآن

كان لتوجيـه الاسـلام النظري والعمـلي الـذي تربى المسلمون عليه وأُشربوا حبه أثره البالغ على مستقبل الحياة العلمية • اذ تحولت تلك التوجيهات الى سلوك واقعي مثله المجتمع الاسلامي • حرص عليها بذاتية عالية حتى تحولت عنده الى طبيعة(٤) • كانت استجـابة المسلمين لدعوة ربهـم وأحاديث نبيهم كبيرة « فأقبلوا على العلم بعزم وايمان• تعلموا القراءة ليقرؤوا قرآنهم ، وتعلموا الكتابة لينشروا دينهم •

(١) انظر : المسلمون ، ٣١ •
(٢) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ٢ : ٢٢ ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، عبد الحي الكتاني ، ١ : ٤٨ ــ ٩ ، التعليم في رأي القابسي ، أحمد فؤاد الاهواني ، ٥٨ ، المسلمون ، ٣١ •
راجع : فتوح البلدان ، ٦٦١ ــ ٤ •
(٣) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، أكرم ضياء العمري ، ٢٢٤ـ٥ •
(٤) حول التراث والحضارة ، عبد الرحمن علي الحجي ، ٣٩٤ (مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، العدد : ٥ ، ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م) •

وتعلموا لغات أعدائهم ليأمنوا شرهم . رغب المسلمون أن يتميزوا على غيرهم بدنياهم كما تميزوا بدينهم . كان العلم غايتهم وميدانهم . لا سيما أن الاسلام (منحهم) تفكيرا جديدا وأوجد لهم آفاقا واسعة يطوفون فيها بعقولهم »[1] .

قدّم الاسلام تصورا فريدا للحياة وغايتها ، بتحديده مصدر الوجود ، وعلاقة الانسان به وبالكون من حوله وعلاقة الناس ببعضهم وتوضيح هدف الحياة وتحرير الانسان من كل ألوان القهر والعبودية بعبوديته الخالصة لله تعالى وارساء أسس الحق والعدل . إن هذا التصور الذي تلقاه المسلمون نقلة كبرى بالانسان بكل طاقاته ليتعلم ويُعلم ويعمل .

شأن تطبيق المنهج الاسلامي في المجتمع أن يُهيىء الأجواء الملائمة لقيام حياة علمية تحمل عناصر النمو والازدهار . فالمنهج المسلم لا يعطي ثماره الطيبة الا حينما يؤخذ كاملا في حياة الناس . فعند ذاك تكون جوانبه المتعددة متكاتفة متضافرة تعطي الثمار الناضجة . هكذا كان المجتمع الاسلامي حينما أسلم لله رب العالمين ، فَشَرّف تاريخ الانسانية بأروع صورة حقيقية وأفردها ، كان الناس ولا يزالون يتطلعون اليها . وما العهود الزاهرة في التاريخ الاسلامي الا تعبيرا عن ذلك الافق المشرق المؤمن بالله وبرسالته[2] . التي ما أن يُؤخذ بها عن فهم وإدراك سليمين كما أراد الله تعالى الا نهضت بحياة المجتمع الانساني في كل ميادينه . لانها رسالة تعالج قضايا

(١) المسلمون ، ٣٥ .
(٢) انظر الحضارة الاسلامية في الاندلس ، عبد الرحمن علي الحجي ، ١٤

الانسان كلها معالجة واعية عادلة صادرة عن معرفة كاملة بالانسان « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »[1] ٠

معرفة المسلم بأمور دينه تتطلب قدرا معينا من العلم كان يمثل الحد الادنى للعلم في المجتمع الاسلامي ٠ باب التوسع والتعمق في العلم مفتوح على مصراعيه والدوافع والعوامل المشجعة متوفرة ٠ المجتمع الاسلامي في تطوره وثبات أركانه وتوسع رقعته بحاجة متزايدة الى العلم ٠ عدد المنصرفين اليه في تزايد ، وقاعدة المجتمع العلمية في توسع ٠

نشأ عن الاهتمام بالقرآن الكريم والحديث الشريف علوم عدة لخدمتهما ، رافقت نمو المجتمع وازدياد حاجته الى هذه الدراسات ٠ وكان طبيعيا أن ينصرف اهتمام الحركة العلمية الاسلامية أولا الى علوم القرآن والحديث ، فتبعه ذلك النمو والازهار الرائعان للحركة العلمية ٠ فالعلوم الشرعية غاية في الأهمية لكل المجتمع ٠ تحدد علاقة الافراد وتنظمها في السلوك والمعاملات وتبين حقوقهم وواجباتهم وتوضح علاقة المسلمين بغيرهم ٠ هكذا فلم يكن « الفقه الاسلامي » الا علم عملي ٠ هذه الأهمية وعموميتها جعلت علوم الشريعة تتبوأ تلك المنزلة الرفيعة وتلقى ذلك الاهتمام البالغ والعناية الفائقة لدى علماء المسلمين ٠ مما أدى الى نموها وازدهارها ٠

أوجدت دراسة العلوم الشرعية الدافع الاقوى للاهتمام بالعلوم الاخرى والعلوم التجريبية منها ، فلم تكن الا أرضا خصبة لإنبات هذه العلوم ٠ إن خصائص بعض العلوم مدعاة لتأخر ظهورها وبطء نموها وتدرج ازدهارها ٠ ارتبط هذا

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الملك ، الآية ١٤ ٠

بالمراحل التي مر بها المجتمع وحاجاته المتطورة الى العلوم وتجمع المعرفة لديه ٠

حفل المجتمع الاسلامي في كل اجزائه بنشاط علمي كبير في كل الميادين،وكان التقدم مضطردا٠ هذا من نتائج الاستجابة الحقيقية للقرآن الكريم ، أساس الحياة العلمية الاسلامية ٠

غدا الطالب والعالم المسلم ينطلق الى العلم وفي رحابه بهمة عالية ونشاط كبير وشغف بالعلم لا ينتهي ٠ يتحمل في سبيله كل المتاعب ٠ لا يدع فرصة الا ويزداد فيها علما ٠ مما يدل على قوة الدافع وعمقه وحقيقته واتساع أفق الهدف وإشراقه ٠ من طريف ما يذكر في هذا الخصوص ، ان طائفة من فقهاء طليطلة ونبهائهم ، ذهبوا سنة ٤٥١ (١٠٥٩) في وفد لأمير طليطلة المأمون يحيى بن ذي النون للعقد لابنته للمظفر عبد الملك بن أبي عامر أمير بلنسية ٠ فلما حلوا فيها لأداء مهمتهم، وجدوا أن الفرصة مواتية وثمينة ليسمعوا على أبي عمر يوسف بن عبد البر ٠ فسمع عليه من أعضاء الوفد أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الصدفي وأبو الحسن عبد الرحمن ابن أبي بكر محمد الصدفي[١] ٠

حين سجن أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجيّاني (٣٦٦ = ٩٧٦) صاحب « كتاب الحدائق » وغيره[٢] ، في « سجن جيان » لمحنة لحقته « وأقام في السجن أعواما سبعة أو أزيد منها » لم ينقطع عن العلم فكان « أهل الطلب يدخلون إليه في السجن ويقرؤون عليه اللغة وغيرها » [٣] ٠ مما يدل

---

(١) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥١ ـ ٢ رقم ١٥٥٨ ، التكملة ، ١ : ١٣٧ رقم ٣٥٣ ٠

(٢) جذوة ، ١٠٤ ـ ٥ ، الصلة ، ١ : ٥ ـ ٦ ٠

(٣) الصلة ، ١ : ٥ ـ ٦ ٠

على تأصل العلم في نفوس الطلاب والعلماء · حتى أن إحداهن وهي ابنة فايز القرطبي (٤٤٦ = ١٠٥٤) التي « شهرت بحفظ العلم والادب »[١] ، بعد ان درست على أبيها وزوجها ، قصدت أبا عمرو الداني (٤٤٤ = ١٠٥٢) لأخذ القراءات عليه بدانية · فألفته مريضا ثم ما لبث أن مات · فسألت عن أصحابه فذكر لها ابو داود فلحقت به بعد وصوله الى بلنسية وقرأت عليه بالقراءات السبع وجودتها في آخر سنة ٤٤٤ · »[١]
رحل القاضي ابو المطرف بن فطيس عبد الرحمن بن محمد (٤٠٢ = ١٠١١) في حديث واحد ، « الى بعض كور الاندلس حتى سمعه من الشيخ الذي رواه وانصرف · »[٢] ·

العالم المسلم يطلب العلم النافع للمجتمع ، « اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع »[٣] ويتحرى الامانة والدقة في عمله · ولا يبخل ان يعلم الناس مما علمه الله ، بل يحرص العالم على نشر العلم وبذله ، ففيه الخير له ولأمته · لا يرجو من وراء ذلك مغنما إلا رضاء الله تعالى وحسن ثوابه[٤] · يقول ابن حزم الاندلسي (٤٥٦ = ١٠٦٣) عند حديثه عن انتاجه العلمي : « لم نقصد بـه قصد مباهـاة فنذكرها ، ولا أردنا السمعة فنسميها ، والمراد بها ربّنا جل وجهه »[٥] · كما لم يكن حب

---

(١) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧٤٦ رقم ٢١١٨ ·
فايز القرطبي : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٥٢٧ رقم ١٠٠٩ ·
(٢) الصلة ، ١ : ٣١٢ ·
(٣) منحديث شريف ، سنن ابن ماجه ، ١ : ٩٢ ·
(٤) الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ١٤ ـ ٥ ·
(٥) نفح ، ٣ : ١٧٧ (رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) ·
انظر : الكتب والمكتبات في الاندلس ، عبد الرحمن علي الحجي ، ٣٥٩ (مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، العـدد : ٤ ، سنـة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م) ·

الشهرة والغنى هدف العالم ومحط نظره . ومن مأثور الامثلة ما أوردته المصادر عن العالم اللغوي « المذكور بالديانة والعفّة والورع »(1) ، أبي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيَّاني (٤٣٦ = ١٠٤٥) أنه صنف كتابا جليلا « تلقيح العين » فلما وقف عليه الامير ابو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري ، ايام تغلبه على مرسية ، ارسل الى ابن التياني الفا من الدنانير الاندلسية مع كسوة على أن يزيد في ترجمة الكتاب عبارة « مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد »(2) . لكن أبا غالب رد على مجاهد الألف دينار والكسوة وقال : « كتاب صَنَّفْتُه لله ولطلبة العلم أصرفه الى اسم ملك ؟ هذا والله ما لا يكون أبدا »(3) . فزاد التياني في عين مجاهد وعظم في صدور الناس(4) .

العلم في الاسلام مرتبط بالله تعالى كما هو شأن سائر الامور . « وسمته ان يكون نافعا بنّاء يكون زادا للناس في الدنيا ولصاحبه في الآخرة »(5) . من هنا يدرك سر تلك النهضة الحضارية الرائعة .

---

(1) جذوة ، ١٨٣ رقم ٣٤٢ ، بغية ، ٢٥٢ رقم ٦٠٠ ، وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، ١ : ٣٠٠ ، إنباه الرواة على إنباه النحاة ، القفطي ، ١ : ٢٥٩ .

(2) جذوة ، ١٨٣ ، إنباه ، ١ : ٢٦٠ ، نفح ، ٣ : ١٧٢ .

(3) المغرب ، ١ : ١٦٦ رقم ١١٣ ، نفح ٣ : ١٧٢ .
انظر : إنباه ١ : ٢٦٠ « وقال : لا أستجيز الدنيا بالكذب ، فانني انما صنفته للناس عامة » .

(4) المغرب ، ١ : ١٦٦ . نفح ، ٣ : ١٧٢ . الكتب : ٣٦٠ ـ ١ .

(5) الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ١٥ .

هكذا يتضح ان الحياة العلمية في بلنسية قامت ــ كما هي في العالم الاسلامي ــ على الاسلام ، الذي هو أساس ومقوم الحضارة الاسلامية في كل ميادينها · فالقرآن الكريم منهج الله تعالى للحياة لم يترك جانبا من جوانبها الا وضع له الاسس القويمة التي تتكفل للمجتمع الانساني الرفعة والحياة الكريمة السعيدة ·



الفصل الثاني

عوامل نمو وازدهار الحياة العلمية

أولا — القرآن الكريم

ثانيا — التوحد

١ — الصلات العلمية

٢ — التأليف

ثالثا — الحالة العامة في بلنسية

١ — الحالة السياسية

٢ — الحالة الاقتصادية

٣ — الحالة الاجتماعية

رابعا — دور الحكومة

خامسا — حرية الحياة العلمية

الفصل الثاني

عوامل نمو وازدهار الحياة العلمية

تعددت عوامل نمو وازدهار الحيـاة العلمية • وهـي العوامل التي قامت عليها الحياة العلمية والتوحد الذي عاشه العالم الاسلامي ودور الدولة في تشجيع الحركـة العلميـة واسهامها فيها وحرية الحياة العلمية ، وهذه عوامل عامة لكل الحياة العلمية الاسلامية ، وحالة المجتمع البلنسي السياسية والاقتصادية والاجتماعية •

أولا : القرآن الكريم

كان الاساس الذي قامت عليه الحياة العلميـة ، القرآن الكريم ، المعين الذي لا ينضب والقاعدة الامينـة الدافعـة للحركة العلميـة • حرصت على مواكبته وواكبها ، فهو لهـا الموجه والباعث والمقوم •

ثانيا : التوحّـد

ان قيام المجتمع الاسلامي في بلاده التي ترامت اطرافها على عقيدة وشريعة واحدة هي الاسلام ، جعل بـلاد الاسلام تعيش التوحد في ميادينه المتعددة وفي الحياة العلمية • فكان

العالم والطالب والكتاب كلهم يتنقلون بحرية في وطن الاسلام • الذي هو كل أرض يرفع فيها نداء « الله أكبر » • وحيثما حل المسلم في تلك البلاد فهو بين اخوته وفي ظلال شريعة واحدة وأعراف اسلامية متماثلة • يجد لغة واحدة شائعة في التفاهم والقراءة هي لغة القرآن العظيم(١) • الاندلس تقدم المثل الواضح على هذا الاتجاه ، حيث أنهى ارتباطه السياسي مع العالم الاسلامي منذ عهد الامارة • لكن الحركة العلمية فيه لم تعرف الا مزيدا من الارتباط مع الحركة العلمية الاسلامية(٢) • التوحد ظاهرة متأصلة تأصل العقيدة الواحدة في العالم الاسلامي وهي لها ثمرة •

كانت الحياة العلمية الاسلامية ، نتيجة الاتصال العلمي الوثيق بين ديارها ، شجرة واحدة • تستمد من القرآن العظيم ، تتقارب فروعها وتتعاضد ، فأعطت ثماراً واحدة طيبة • لم تكن الحركة العلمية في بلنسية الا فرعا في شجرة الاسلام العلمية الوارفة •

الحديث عن بلنسية لا يعني انقطاعها وتفردها • انها جزء من المجتمع الاندلسي الذي هو قطعة من العالم الاسلامي • يسري عليه وعليها ما يجري على وفي العالم الاسلامي • لا يقلل من قوة صفة التوحد ان لبلنسية صفات محلية •

أغنى التوحد العلمي الحركة العلمية ، بإفادتها من الانتاج العلمي ، اين كان مبعثه • فما يؤلف في سمرقند قريب

---

(١) انظر : المدنية الاسلامية وأثرها في الحضارة الاوربية ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، ٣٣ •

(٢) انظر : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، الدوميبي ، ٣٣٨ •

من بغداد والقيروان وقرطبة وبلنسية • وهذا أدى بدوره الى تضييق الشقة في المستوى العلمي العام[1] •

التوحد العلمي له مظاهر ونتائج عدة دلت عليه وعمقته منهـا :

١ ـ الصلات العلميـة :

كانت هذه روافد ثرة للحركة العلمية الاسلامية ، عبرت صادق التعبير ، عن التوحد الذي عاشه المجتمع الاسلامي • اتخذت الصلات طرقا متعددة وعبرت عنها مظاهر مختلفة ، أكسبت الحركة العلمية سمات متميزة • تعد الرحلة العلمية أهم مظاهر الصلات ، أكسبت الحياة العلمية الحركة والنشاط وجعلتها تفيد من نتاجاتها في كل ديارها • وهو أمر سيرد توضيحه في غير هذا الموضع • يقتصر هنا على توضيح موجز للرحلة وأهميتها بضرب أمثلة مختارة عنها وعن وفود العلماء بين بلنسية والاندلس والعالم الاسلامي •

اتخذت الرحلة طرقا متعددة ، كان نشاطها العلمي متنوعا • كان الراحلون لطلب العلم في تزايد • حتى غدت الرحلة عرفا في الحركة العلمية ومن مميزاتها[2] ، شارك في إيجاد مستوى علمي رفيع • فان الرحـلة ظاهرة عبرت عن حريـة الحيـاة العلمية الاسلامية وتوفر الدافع الذاتي وسمو الهدف في طلب العـلم •

---

(١) راجع : طبقات الاطباء والحكماء ، ابن جلجل : ٩٧ ـ ٨ •

(٢) يرد في كتب التراجم الاندلسية أن العالم الفلاني تبحر في العلم مع أنه لم يرحل الى المشرق لطلب العلم • راجع : جذوة ، ٣٦٧ •

انحصر خط سير الرحلة من والى بلنسية أمر غير ميسور • ويمكن تقديم صورة عامة له •

كان الطالب البلنسي يتلقى العلم على شيوخ عصره في بلنسية • ثم لا يكتفي بهذا بل يرحل الى قرطبة ، معرجا على مدن الاندلس كلما سمع بوجود علماء فيها • وفي قرطبة يجد الطالب البلنسي زادا علميا وافرا ، لا يغنيه عن الرحلة الى العالم الاسلامي ، شغفا بطلب العلم • استمر هذا حتى في عهد الخلافة ، اذ بلغت الحياة العلمية في قرطبة درجة مرموقة نافست فيها حواضر العالم الاسلامي الشهيرة •

للرحلة الى « المشرق الاسلامي »(1) دوافع عدة بجانب الدافع العلمي اهمها الحج والتجارة • وهي لم تكن تخلو من طلب للعلم أو بث له •

يقطع الطالب ــ الذي غادر الاندلس ــ الشمال الافريقي مارا بمدنه المتعددة واهمها القيروان ، آخذا العلم على ما شاء من علمائه • ثم يحط رحاله في مصر ، ليمكث فيها مدة أكبر يتتلمذ على علمائها • قد يختار من برز منهم في علم هو موضع عنايته • فالطالب في مقتبل حياته العلمية يدرس ما تهيأ له من علوم ، سيما علوم الشريعة واللغة بشكل عام وهي مالا يستغنى عنه • ومن ثم يتجه الطالب الى التخصص في فرع أو اكثر من هذين الميدانين أو الى علم آخر •

يرحل الطالب من مصر الى مكة المكرمة فيؤدي فريضة الحج ويدرس على كبار علمائها • ثم يمكث في مدينة الرسول

---

(1) المشرق الاسلامي : مصر وما بعدها الى الشرق •

عليه الصلاة والسلام ودار أصحابه وأتباعه علماء الأمة . كان المكوث في المدينة غالبا ما يكون طويلا . فهي دار الحديث والسنة وموطن الامام مالك بن انس (١٧٠ = ٧٩٥) وتلامذته من بعده . هذا يزيد الطالب ترغيبا في البقاء في المدينة لكون الاندلس على مذهب مالك .

يغادر الطالب المدينة المنورة إلى أنحاء أخرى من العالم الاسلامي . غالبا ما يرحل الى الشام أولا ثم الى ما يليه من بلاد الاسلام . متنقلا بين حواضره ومدنه قاصدا العلماء ، اينما وجدوا . مستزيدا من العلم . يجد العون والتقدير حيثما وجد بين اخوته . متمتعا برحلته رغم صعوبات التنقل، لبدائة الواسطة وبطئها ، ما دام مخلصا النية لله تعالى قاصدا وجهه الكريم جل شأنه . وله من رسول الله صلى الله عليه وسلم عون وهو يتمثل قوله : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وان الملائكة لتضعُ اجنحتها رضاءً لطالب العلم وان العالمَ ليستغفرُ له من في السموات ومن في الارض والحيتانُ في جوف الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضلِ القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، وان الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهما ، ورَّثوا العِلمَ ، فمن أخذهُ أخذ بحظٍ وافرٍ . »[1]

هذا وصف عام لخط رحلة طالب العلم البلنسي ـ وغيره ـ قد لا يستكمله فيعود او لا يعود ، مفضلا البقاء في مدينة ما من العالم الاسلامي ، وهذا يؤيد التوحد وصورة أخرى له .

---

(١) حديث شريف ، سنن أبي داود : ٢ : ٢٨٥ . وانظر : سنن ابن ماجه ، ١ : ٨٢ . سنن الترمذي : ٧ : ٣٢٥ .

تستغرق الرحلة الكثير أو القليل من الوقت · في اثناء رحلته ربما جلس للتدريس بعد الشوط الطويل من طلب العلم · وفي ذات الوقت لا يفتأ يطلب العلم · بل ربما تولى وظائف ادارية أو شرعية علمية خلال رحلته · انها ظاهرة يكاد يتفرد بها المجتمع الاسلامي الذي تحرر من عبودية العرق والأرض ، وكل أنواع العبودية ، بعبوديته الخالصة لله تعالى · فساح في رحاب الاسلام الواسعة ، رحاب العدل والحرية بمعناهما الحقيقيين · فلم يعد في المجتمع الاسلامي مقياس الا مقياس التقوى والعمل الصالح والكفاءة والفضل « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[٢] ·

هكذا يعود الطالب البلنسي وقد بلغ مبلغ العلماء بما اكتسبه من علم على علماء عديدين وبما قرأه من كتب وما اكتسبه من معرفة · حاملا معه ما تيسر له من المصنفات · من هذا تتضح أهمية الرحلة في نقل العلم والافكار والمعرفة بين بلاد الاسلام · فما اكتسبه العالم من علم يحرص على بثه كما حرص على طلبه « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة · »[١] · يتصدر في بلنسية للتدريس بينما يتقاطر عليه طلابها وطلاب الاندلس مهنئين بايابه مستمعين لحديثه مطلعين على بضاعته ـ العلم والكتب ـ واقفين على سير الحركة العلمية في البلاد التي شملتها رحلته الميمونة ·

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، آية : ١٣ ·

(٢) حديث شريف ، سنن أبي داود : ٢ : ٢٨٨ · سنن ابن ماجه : ١ : ٩٧· المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : ابن‌حجر العسقلاني:٣:١١٥·

الوصف المتقدم للرحلة الى العالم الاسلامي المستخلص من استقراء النصوص البلنسية له الشواهد العديدة · للقارىء أن ينظر في كتب التراجم ليجد الأمثلة العديدة التي ستغنيه وتدهشه · فهذا ابو القاسم خلف بن أحمد بن بطّال البكري (المولود في حدود سنة ٣٩٨ (١٠٠٧) والمتوفى سنة ٤٥٤ (١٠٦٢)(١) ، من أهل بلنسية ، بعد أن روى على علماء من أهل بلده(٢) رحل في طلب العلم فدخل « أفريقية سنة ثلاث وعشرين واربعمائة ، وتردد بالمشرق نحو أربعة أعوام طالبا للعلم » ثم رحل رحلة ثانية الى المشرق فحج سنة ٤٥٢ (١٠٦٠) « وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي ، وأبي علي الحسن بن عبد الرحمن الشافعي وغيرهما »(٣) ·

تبرز أهمية رحلة ابن بطال في اكتمال شخصيته العلمية، اذ غدا « فقيها اصوليا من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك · واستقضى ببعض نواحي بلنسية » وله تآليف حسان ، وحدّث عنه أبو داود المقري وأبو بحر الأسدي(٤) مما يدل على ممارسته للتدريس ببلنسية وربما في اشبيلية حيث كان فيها سنة ٤٥٤(٥).

ثمة مثل رائع من بين الامثلة على الرحلة الى العالم الاسلامي ايراد خبره يغني عن كثير من الامثلة لاشتماله على العديد من المواصفات · انه ابن سُكّرة أبو علي الصوفي ، حسين بن

---

(١) الصلة : ١ : ١٧٠ ـ ١ رقم ٣٨٨ · الديباج المذهب : ابن فرحون ، ١١٥ ·
(٢) الصلة ، ١ : ١٧٠ ـ ١ ·
(٣) م · ن ، ١ : ١٧١ ·
(٤) م · ن ، ١ : ١٧١ وانظر : الديباج ، ١١٥ ·
(٥) الصلة ، ١ : ١٧١ ·

محمد (٥١٤ = ١١٢٠) روى بسرقسطة و « سمع » ببلنسية من أبي العباس العذري (٤٧٨ = ١٠٨٥) . وسمع بالمرية ٠ ثم رحل الى المشرق أول محرم سنة ٤٨١ (١٠٨٨) فحج من عامه ٠ لقي في مكة عددا من العلماء ، ثم صار الى البصرة فلقي عددا من العلماء ٠ ثم خرج الى بغداد فسمع بواسط على عدد من علمائها ٠ ثم دخل بغداد يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٤٨٢ (١٠٨٩) ٠ وهكذا استغرقت الرحلة بحدودها هذه سنة ونصف الا أربعة عشر يوما تقريبا ٠ ثم أطال ابن سُكَّرة الاقامة في بغداد خمس سنين كاملة ٠ سمع خلالها على العديد من علمائها ٠ ثم رحل عنها في جمادى الآخرة سنة ٤٨٧ (١٠٩٤) ، فسمع بدمشق ٠ ثم رحل الى مصر وسمع بها واجيز له ، وسمع بالاسكندرية ٠ثم عاد الى الاندلس في صفر سنة ٤٩٠ (١٠٩٦)[1] ٠ فأي درجة من العلم بلغها الصدفي بعد هذه الرحلة الطويلة المفعمة بالنشاط العلمي والاستزادة من المعرفة ؟! ٠

غدا أبو علي الصدفي عالما بالحديث وعلله حافظا لمصنفاته قائما عليها « فاضلا دينأ متواضعا حليما ، وقورا ، عاملا ، عالما » جلس في مرسية « يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر سماعهم عليه » لأول وصوله الاندلس٠ كان حرصه على بذل العلم عاليا٠فقد « استقضي بمرسية .ثم استعفى عن القضاء فأعفي وأقبل على نشر العلم وبثه »[2] ٠

---

(١) الصلة : ١ : ١٤٤ ـ ٦ رقم ٣٢٠ ٠ بغية : ٢٦٩ رقم ٦٥٥ ٠ الديباج : ١٠٤ ـ ٥ ٠ تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ٤ : ١٢٥٣ ـ ٤ رقم ١٠٥٩٠

(٢) الصلة ، ١ : ١٤٥ ٠

واستمر على دأبه هذا حتى استشهد في وقعة قتندة ٥١٤ (١١٢٠)(١) ·

إن عودة الطالب من رحلته يحمل العلم والثقافةوالكتب، مثلما عاد ابن سكرة ـ أهم وسيلة ضيقت الشقة في المستوى العلمي العام للحركة العلميــة بين الأندلس والعالم الاسلامي وعبرت عن التوحد في أسسه ومظاهره ·

لم تقتصر الرحلة البلنسية الى العالم الاسلامي علىالكسب العلمي بل حملت من بلنسية والاندلس إلى العالــم الاسلامي مظاهر من حركتها العلمية ·وان كان ما اكتسبه الاندلسيون يفوق ما حملوه ، بحكم سعة رقعة العالم الاسلامي العلمية ، قياسا للاندلس ولكون حواضر منــه حواضر للعلم من عهــد الاسلام الاول ولظروف أخرى تاريخية وحضارية ·

فأبو بكر جعفر بن جحاف بن يـُمن (٣٧٦ = ٩٨٦) من أهل بلنسية ، رحل الى قرطبة فسمع بها « من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبد الله بن أبي د'ليم » وكان طلبه للعلم في قرطبة جزءاً من العلم الذي أهـَّله لأن يتولى أحكــام القضــاء ببلدة بلنسية(٢) ·

من أمثلة وفود أو هجرة علماء قرطبيين الى بلنسيةالحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري(٣٦٢ ــ ٤٦٣ = ٩٧٢ ــ ١٠٧٠) الذي « جلى عن وطنه ومنشئه قرطبة ، فكان في الغرب مدة ، ثم تحول الى شرق الاندلس وسكن منه دانية ، وبلنسية،

---

(١) م · ن ، ١ : ١٤٦ ·

(٢) تاريخ علماء ، ١ : ١٠٢ رقم ٣١٩ ·

وشاطبة ، وبها توفي »(١) • فكان لأبي عمر ببلنسيـــة نشاط ملحوظ وأثر بارز في الحياة العلمية •

كما تلقى بعض طلاب قرطبة العلم ببلنسيـــة في القرن الخامس الهجري بعد أن فقدت قرطبة مركزها المرموق• فمثلا أبو محمد بن حزم (٤٥٦ = ١٠٦٣) القرطبي النشأة كان حضوره مجلسا علميا في بلنسية محثا لطلبه العلم وتردده على ذلك المجلس(٢) •

كان العديد من مشاهير علماء بلنسية يتنقلون بين المدن الاندلسية يبثون العلم ويستزيدون منــه • فمثلا أبو داود المقرىء (٤٩٦) كان يتنقل بين بلنسيـــة ودانيـــة والطلاب يدرسون عليه(٣) •

هكذا تبرز أهمية الصلات العلميـــة بالتعبير عن التوحد والتأكيد عليه وفي إثراء الحياة العلمية •

أما وفود العلماء من العالم الاسلامي الى بلنسية فهو تيار واضح كان له آثاره العلمية البارزة • وشواهده كثيرة • فأبو عبد الله محمـــد بـــن سعـــدون القروي (٤٨٥ = ١٠٩٢) القيرواني ، دخل الاندلس « فسمع الناس منه بقرطبةوبلنسية والمرية وغيرها من البلاد »(٤) وهذا أبو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن خواست (خواسنث) الفارسي (٣٢٠ــ٤١٣ = ٩٣٢ــ١٠٢٢) روى بالمشرق ثم قصـــد الاندلس تاجرا سنـــة ٣٥٠

(١) الصلة ، ٢ : ٦٧٩ •
(٢) انظر : تذكرة الحافظ ، ٣ : ١١٤٦ ، ١١٤٨ •
(٣) انظر : المعجم : ٩٣ ــ ٤ •
(٤) الصلة : ٢ ــ ٦٠٣ •

(٩٦١) ، فلقي ابن الفرضي (٤٠٣ = ١٠١٢) وروى عنه ببلنسية في ربيع الاول سنة ٤٠٠ (١٠٠٩) عندما كان قاضيا فيها[١] • إنه مثل على رحلة الطلاب من العالم الاسلامي إلى بلنسية • يقدم أبو الفتح (أبو الليث) الشاشي نصر بن الحسن (٤٠٦ ـ ٤٧١ = ١٠١٥ ـ ١٠٧٨) ، مقيم سمرقند، المثل على رحلة الطالب ووفود العالم من العالم الاسلامي الى بلنسية • وهو مثل بارز في العديد من الدلالات العلمية • بعد أن روى أبو الفتح في المشرق ساح في بلاد الاسلام • دخل الأندلس تاجرا سنة ٤٦٣ (١٠٧٠) ، فالتاجر المسلم يطلب العلم ويبثه حدّث في الاندلس « بكتاب مسلم بن الحجاج في الصحيح »[٢] •

دخل أبو الفتح بلنسية عام ٤٦٤ (١٠٧١) فتلقى على بعض علمائها[٣] • كما روى عنه بها عدة أشخاص[٤] • لم يلبث أبو الفتح طويلا في بلنسية والاندلس بل عاد الى المشرق • حدث ببغداد عن شيخه البلنسي أبي المطرف عبد الرحمن بن عبد الله ابن جحاف المعافري[٥] •

أما الرحلة بين بلنسية والاندلس فكانت دائبة ، وكانت باتجاه قرطبة قبل سقوط الخلافة • ثم كثر الطلاب الذين قصدوا بلنسية من أنحاء الاندلس ، منذ مطلع القرن الخامس • نتيجة التغيرات السياسية والاجتماعية التي حدثت في الاندلس عامة وهجرة العلماء من قرطبة إلى أنحاء الأندلس • كانت هذه

---

(١) الصلة ، ٢ : ٣٧٥ رقم ٨٠٤ • العبر : الذهبي ، ٣ : ٣١٤ •
(٢) انظر : جذوة : ٣٥٦ رقم ٨٣٦ • الصلة ، ٢ : ٦٣٧ رقم ١٣٩٩ •
(٣) انظر : الصلة ، ٢ : ٦٣٧ •
(٤) انظر : م • ن ، ٢ : ٥٧٤ • الذيل ، ١ : ١ : ١٩٣ ، ٥ : ١ : ٤٠٣ •
(٥) الصلة ، ٢ : ٣٤٠ • بغية : ٣٦٧ •

الرحلات وحركة العلماء بين مدن الاندلس المختلفة عاملا مهما في طبع الأندلس بمستوى متقارب من العلم والثقافة ، وإن تفاوت المستوى بين مدنه في مجمل النشاط العلمي أو في علم من العلوم ٠

٢ ـ التأليف :

النظر فيما أنتجته الحركة العلمية الاسلامية من نتاج خصب في التاريخ والجغرافية واللغة وغيرها يظهر أن المؤرخ والجغرافي واللغوي كان مسلما في نظرته الشاملة الى بلاد الاسلام في رقعتها الجغرافية وأحداثها التاريخية وحركتها العلمية ٠ فالمؤرخ الأندلسي يؤرخ للعالم الاسلامي مثلما يؤرخ للاندلس ، والجغرافي الاندلسي يصف جزيرة العرب والجزائر الشرقية مثلما يصف الاندلس وهكذا ٠ لا يقلل من أهمية هذا وجود مصنفات تؤرخ لمدينة أو رقعة جغرافية اسلامية معينة أو تتحدث عن أدبائها ٠ فلم تكن هذه التآليف تحمل النظرة الاقليمية وانما قامت على المناقشة في الفضل وكانت سبيلا سهّل رصد وتسجيل نشاط المجتمع الاسلامي في كل ميادينه ٠

بل إن المؤرخ والجغرافي المسلم شملت نظرته تاريخ البشرية وجغرافية العالم ٠ يستمد هذا من التصور الاسلامي العالمي الذي يخاطب الانسان ويتحدث عنه من أي لون وعنصر ورقعة ٠ فالقرآن الكريم تحدث عن الامم السابقة وأشار الى المعاصرة للدعوة الاسلامية فنبه المؤرخ أن يبحث عن هذه الامم فيسجل تاريخها ٠

فمثلا إن أبا القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن

التغلبي القرطبي (٤٢٠ ـ ٤٦٢ = ١٠٢٩ ـ ١٠٦٩) الذي له نشاط علمي ببلنسية[1]، يؤلف كتابا عنوانه «طبقات الامم» يتحدث فيه لا عن علم المسلمين في بلدانهم المختلفة فحسب بل يتحدث عن الامم الأخرى وما اشتهرت به من علوم قبل الاسلام وبعده الى عهده .

لأبي عبيد البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (٤٠٥ ـ ٤٨٧ = ١٠١٤ ـ ١٠٩٤) الاندلسي كتاب في « المسالك والممالك » لم يصل منه الا الجزء الذي يشتمل على وصف الاندلس وأوربا[2] وأفريقية الشمالية وبلاد السودان[3] وله « معجم ما استعجم » « وهو معجم في الامكنة والبقاع الجغرافية التي تتعلق بالمشرق لا بالأندلس »[4] .

هكذا تتضح أهمية ظاهرة التوحد المتأصلة في الحركة العلمية الاسلامية ، تأصل العقيدة الاسلامية عند المسلمين ، في إنماء الحياة العلمية في بلنسية والعالم الاسلامي .

ثالثاً : الأحوال العامة في بلنسية

إن للأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية أهمية في تهيئة الاجواء الاكثر ملاءمة لنمو الحياة العلمية .

١ ـ الحالة السياسية : استمرت بلنسية طيلة تاريخها الاسلامي الى نهاية القرن الرابع مركزا لوال أو عامل تعينه

---

(١) انظر : طبقات الامم : ١٠٩ . الصلة ، ١ : ٢٣٧ .
(٢) حققه عبد الرحمن علي الحجي : بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م .
(٣) انظر : كتاب الجغرافيا : (مقدمة المحقق) : ٤٤ .
(٤) جغرافية الاندلس وأوروبا : (مقدمة المحقق) : ٣٣ .

الحكومة في قرطبة على ما يبدو . كانت بلنسية مركز كورة واسعة من كور شرقي الاندلس . وكان فيها لهذا وظائف ادارية مختلفة من قضاء وحسبة وغيرهما .

منذ مطلع القرن الخامس أصبحت بلنسية امارة مستقلة شاركت في بعض أحداث الاندلس . خضعت للنفوذ القشتالي غير المباشر اعتبارا من عام ٤٧٨ (١٠٨٥) ثم في عام ٤٨٥ (١٠٦٢) خضعت بشكل مباشر للقشتاليين بعد ثورة أهلها للتخلص من نفوذهم غير المباشر . استمرت بلنسية تحت الاحتلال والظلم القشتالي الى عام ٤٩٥(١١٠٢) بعودتها الى حوزة المسلمين على يد المرابطين[١] .

ان لمجمل الاحداث السياسية هذه التي شهدتها بلنسية نتائج اجتماعية ، انعكست بشكل أو بآخر على الجو العام الذي عاشت فيه الحياة العلمية .

٣ ــ الحالة الاقتصادية : ان اقتصاد بلنسية متنوع ، وهو زراعي بالدرجة الاولى . وصفت أراضيها بالخصب ومياهها بالغزارة واشتهرت بنظام الري المتقن . فكانت لها بساتين وحقول للمحاصيل الزراعية المختلفة . كانت غلالها كثيرة . ويفهم هذا من مجموع الضرائب التي كان يستحصلها منها مبارك ومظفر . وعندما يكون الكلام عن الزراعة في بلنسية فهو يشمل الاراضي الزراعية المحيطة بها وأصحابها ممن يسكنون بلنسية أو يجلبون انتاج أراضيهم اليها . كانت خيرات بلنسية الزراعية وفيرة عمت أهل بلنسية الذين كان معظمهم ــ على ما يتوقع ــ من المشتغلين بالزراعة .

---

(١) انظر : عن الحالة السياسية في بلنسية : الباب الاول ، الفصل الرابع، من هذا الكتاب .

كانت لبلنسية تجارة مع الاندلس برا وعن طريق مينائها . فان الكثير من الانتاج الزراعي والصناعي وجد طريق تجارته الى بلنسية . فهي مركز كورة ومن ثم مركز امارة ومركزا بشريا كثيفا ، يتوسط رقعة ساحلية زراعية خصبة تقع على البحر المتوسط .

كان لبلنسية سوقها الصناعي . فقد ازداد أصحاب الصنائع فيها سواء من أهلها أو من الوافدين عليها منذ عهد مبارك ومظفر لحاجتها والامارة الناشئة الى الآلات للجند والمنتجات الصناعية الأخرى لشؤون الحياة الأخرى .

انصب في بلنسية الكثير من الاموال ، في مطلع القرن الخامس . منها ما جلبته بعض الاسر القرطبية ، التي فضلت السكنى ببلنسية . كان لهذه الأموال شأن في السوق البلنسية ، استثمرها أصحابها في أمور كثيرة منها بناء القصور والمباني . وهذا يتطلب اليد العاملة الماهرة والصناعات لتلبية ما يحتاجه البناء وحاجات الناس المتنوعة المتجددة . فأنعش كل هذا اقتصاد المدينة وساهم في تحسن الوضع الاجتماعي فتهيئة جو أكثر ملاءمة لنمو الحركة العلمية .

٣ ــ الحالة الاجتماعية : استقر المسلمون في بلنسية والاماكن التابعة لها اداريا واقتصاديا بعد عهد الفتح . كان بين المسلمين من الأقليات النصارى واليهود . عاشوا في ظل العدل الذي وفره المجتمع الاسلامي المهتدي بنور الاسلام .

ازداد عدد سكان بلنسية زيادة كبيرة ــ كما يتوقع ــ بعد قيام الامارة فيها . فقد قصدتها العديد من الاسر القرطبية إثر عهد الفتنة وسقوط الخلافة لتمكن أمراء بلنسية من تهيئة

هدوء نسبي لها ، كان بينهم العديد من العلماء والادباء · كما قصدها العديد من موالي العامرية ومؤيدي الخلافة الاموية · فأمراء بلنسية من موالي العامرية المخلصين للأمويين · كانت حاجة الامارة الجديدة الى الجند والآلات والعمران قد جذب أعدادا أخرى من الناس وأصحاب الصنائع ·

هيأ هذا لبلنسية في مطلع القرن الخامس وخلاله كفاءات كثيرة متنوعة · زادت من حيوية ونشاط المجتمع البلنسي في شتى مجالات الحياة · فزيادة عدد السكان والخبرات والثروات وتوسع العمران وتعدد الفعاليات الاجتماعية أدى الى نمو النشاط العلمي · يقول ابن خلدون : « ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة »(١) · فالعلم من جملة الصنائع « والصنائع انما تكثر في الامصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لانه أمر زائد عن المعاش · فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش · من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع »(١) ·

عاش البلنسيون في ظل هدوء واستقرار منصرفين الى العمل والجد كلٌ في مجاله وليس هناك ما يشير إلى ما كدر وعرقل تقدم مسيرة التطور الذي ازداد وتعمق منذ مطلع القرن الخامس · وللمرة الاولى في تاريخ بلنسية ـ في حدود المصادر التي أطلع عليها ـ ورد أن بعض فئات المجتمع البلنسي أصابها الظلم على يد الأميرين مبارك ومظفر العامريين، اللذين أثقلا تلك الفئات بالضرائب · مما استدعى المتضررون الى

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ٩٩٠ ·

اعلان استنكارهم للظلم ومقابلة الحاكم في طريقه علنا ومطالبته برفع الظلم الذي لحقهم ٠

هذه صورة لها دلالات عدة منها انه لم يسبق لفئة في المجتمع البلنسي أن تعرضت لمثل هذا التعسف من قبل ٠ وما خلو المصادر من ذكر ما يماثلها الا دليلا على صحة هذه الدلالة ٠ لا يعني هذا أن البلنسيين لم يؤدوا ـ قبل أو بعد عهد الأميرين المذكورين ـ ضرائب مالية ٠ وإنما يشير الى عدالتها لشرعيتها ٠ من ثم فالصورة تدل على اصالة المجتمع البلنسي وقوة عقيدته ٠ فرفض أن يرضخ للظلم ، صغر أو كبر ٠

كان للهدوء السياسي ـ في العموم ـ الذي عاشته بلنسية حتى عام ٤٧٨ أثره على استمرار التقدم الحضاري في مسيرته ٠

هكذا نعم المجتمع البلنسي طيلة المدة ، بين الاستقرار في بلنسية وعام ٤٧٨ ، بهدوء واستقرار ، هيأ الجو المناسب للنمو الحضاري في شتى الميادين وفي الحياة العلمية ٠ فكانت دائبة نشطة في الميدان العلمي ٠ الكتاتيب تحتضن الصغار وعددها في تزايد وعددهم في تكاثر ٠ المساجد نشطة بحلقات الدرس في شتى العلوم ٠ والمكتبات بأنواعها تكثر وتزداد ثراءً بالكتب ٠ ومجالس العلماء عامرة بهم ٠ ومنازل الاساتذة ومكتباتهم ترحب بطلاب العلم الشغوفين به ٠ والمنى والمتنزهات تشهد أعراس العلم والادب ، في الجو البهيج والبيئة الجميلة ٠ والواردون والصادرون لطلب العلم يمثلون تيارات عطاء علمي مستمرة تفيض الخير على الحركة العلمية ٠

كيف لا يكون مثل هذا النشاط بوجوهه المتعددة ، ولم

لا يشغف الناس بالعلم ؟! كل ما في المجتمع البلنسي مشجع ودافع للعلم وللعناية به ، فالمجتمع المسلم والاسرة المسلمة والحاكم المسلم ، كلهم حب للعلم بل هو جزء من عقيدتهم • يحرصون عليه كما يحرصون عليها • والسلوك اليومي الرفيع للافراد وحسن معاملاتهم مع بعضهم وموازينهم القسط في تقويم الناس • كل أولئك كان عونا للحركة العلمية ومعينا لها فنمت وتطورت ونضجت فأثمرت في كل علم وفن •

لم يستمر الهدوء والاستقرار الذي عاشته بلنسية • فقد شهدت منذ سنة ٤٧٨ أحداثا خطيرة، هددت أمنها واستقرارها• أغرقتها بالفتن والظلم والجوع والموت • فالقادر بن ذي النون انتقل في هذا العام (٤٧٨) لحكم بلنسية بمعونة القشتاليين بعد أن خسر طليطلة • ومن هذا العهد بدأت بلنسية تشهد أحداثا مريرة• أنهكت قواها وأورثت أهلها وحضارتها التأخر والخراب • عاش المجتمع البلنسي كله تلك الاحداث ، ولم تجد الحركة العلمية نفسها في منجى منها • فبعض الاحداث السياسية ربما تجري الا أن العلم وأهله في بعد عنها • أما في حالة بلنسية فان العلماء والطلاب بل كل فئات المجتمع وجدوا أنفسهم في الاحداث ، فالخطر هدد الجميع ، انه النفوذ ــ ومن ثم الاحتلال ــ القشتالي الغاشم • الذي لم يعرف الا ابتزاز الاموال وقتل وجهاء المجتمع وهم العلماء وتخريب الاقتصاد باثقال الفلاحين بالضرائب •

هكذا لم يعد الوضع الاجتماعي نتيجة الاحداث السياسية ليساعد على نمو الحياة العلمية بقدر ما عرقلها • وان كانت لها أعمـال علمية وأدبية خـلال تلك الاحداث ، عبرت عن امكاناتها الذاتية ورصيدها السابق الثر من النشاط العلمي •

فالى جانب كون الجو العام لم يعد يساعد على استمرار النشاط العلمي في مؤسساته المختلفة ، قتل بعض العلماء صبرا دفاعا عن العقيدة ، واستشهد منهم وغيرهم كثير • وغادر آخرون بلنسية ، عندما لم يجدوا مفرا من مغادرتها ، بعد ادلهَامِّ الموقف ومعرفتهم بالمصير غير المأمون •

رابعاً : دَوْر الحكومة

ساهمت الحكومة في العالم الاسلامي بشكل عام في الحركة العلمية وتشجيعها فكانت عاملا في انمائها •

فالحكام من أفراد المجتمع الذي استجاب لدعوة القرآن الكريم الى العلم • والمجتمع المهتم بالعلم يكون حكامه من العلماء أو المهتمين بالعلم أو على أقل تقدير ممن تزودوا بقسط منه • وكان هذا من مؤهلات النجاح في الحكم والادارة • فكان الامراء والخلفاء لهذا يحرصون على تعليم أبنائهم ، ليكونوا حكاما للمجتمع المتعلم المحب للعلم •

وجد من الحكام المسلمين العلماء الذين شاركوا مشاركة فعالة في الحياة العلمية سواء بإيجاد المؤسسات العلمية أو تشجيعها أو المشاركة في المناظرات والتأليف وما الى هذا • وكان الكثير منهم مشجعا للعلماء والادباء والشعراء حبا للعلم والأدب • واتخذ التشجيع صورا مختلفة • ومع الدافع العلمي كان تشجيع الحكام لاهل العلم والادب يزيدهم في نفوس الناس مكانة • لمنزلة العلماء العالية في قلوب الناس[1] •

---

(١) راجع : شيوخ العصر في الاندلس : حسين مؤنس : ١٢ وما بعدها •

ونتج عن تقدم المؤسسات العلمية وحب المجتمع والحكام للعلم ، أن اتخذوا الحجاب والوزراء والقضاة والكتاب وغيرهم من أصحاب الوظائف الادارية والعلمية من العلماء والادباء • وكان هذا إسهاما آخر وعاملاً في إنماء النشاط العلمي •

فأمراء وخلفاء الاندلس وأمراء الطوائف معظمهم من العلماء أو المحبين للعلم والادب• تعاطوا العلم والادب وشجعوا أهله ، بتفاوت بينهم وبأشكال مختلفة •

هذه بعض الامثلة التي توضح جوانب من هذا الدور :

شهد عهد الامير عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨) تخطي الحضارة في الاندلس مراحل متقدمة • وكان ذا حظ من الادب والفقه وحفظ القرآن ورواية الحديث وعلم الفلسفة • وكانت أيامه هدوءاً وسكوناً واتخذ القصور والمتنزهات وجلب اليها الماء ، وبنى جوامع كثيرة وزاد في أبهة الملك[١] • وقد انعكس هذا في تهيئة المناخ الملائم لنمو النشاط العلمي • وشجع العلماء والشعراء والفنانين وأغدق عليهم • وصفه ابن عبد ربه (٤٢٨ = ٩٣٩) : « أندى الناس كفا ، وأكرمهم عطفا ، وأوسعهم فضلا »[٢] وتمتع الفقهاء على عهده بمكانة عالية[٣] • وكان عصره عصر وعي ثقافي تجلت آثاره في الاندلس بعد ذلك[٤] •

---

(١) انظر : أخبار : ١٣٥ • المقتبس : (بيروت) : ٢٢٢ • الكامل : ٧ :٦٩ـ ٧٠ • الحلة : ١ : ١١٣ ـ ٤ • البيان ، ٢ : ٩١ • العبر ، ٤ : ٢٨٣• نفح ، ١ : ٣٤٧ •

(٢) العقد ، ٨ : ٢١٨ •

(٣) انظر : المقتبس : (القاهرة) : ٢٠٢ •

(٤) الاسلام في اسبانيا : ١٦ •

٢ ـ كان الخليفة العالم الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦) مفرط الحب بالعلوم · آثر أهلها منذ عهد أبيه · وجمع من المصنفات في أنواع العلوم وبذل في سبيلها الكثير حتى تهيأت له مكتبة اشتملت على النفائس في كل علم · وكانت مع ما ورثه عن آبائه من كتب ، أغنى مكتبة في الاندلس ، وواحدة من كبريات المكتبات الاسلامية[1] · لك أن تقدر مدى إسهام مثل هذه المؤسسة العلمية « المكتبة » في توفير الكتاب الذي يعد من أهم ما تحتاج اليه النهضة العلمية ·

ساهم المستنصر بالحياة العلمية وكان من أعلامها · يقول ابن الابار (٦٥٨ = ١٢٥٨) : وكان « كثير النهم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ، وقلما تجد له كتابا كان في خزانته الا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ، ويذكر أنساب الرواة له ، ويأتي من ذلك بفوائد لاتكاد توجد الا عنده ، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن ، وكان موثوقا به مأمونا عليه · وصار كلُّ ماكتبه حجة عند شيوخ الاندلسيين وأئمتهم ، ينقلونه من خطه ويحاضرون به »[2] ·

يبين هذا مبلغ علم المستنصر وحبه له وهو الذي « رغَّب

---

(١) انظر : طبقات الامم : ٨٦ · جذوة : ١٣ · الحلة : ١ : ٢٠١ ـ ٢٠٢ · نفح ، ١ : ٣٩٥ · الكتب : ٣٧١ ·

(٢) الحلة ، ١ : ٢٠٢ · وانظر : البيان ، ٢ : ٢٣٤ · راجع : أمثلة من تسجيل الحكم المستنصر للوفيات وما كان يضيف من ملاحظات على الكتب التي قرأها : تاريخ علماء الاندلس : ١ : ١٠١ ـ ١٥٠ ، ١٥٨ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٣ ، ٣٦١ ، ٢ : ٣٧ ، ١٣٤ ·

الناس في طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته الى فقهاء الامصار النائية عنه »(١) • وهيأ التعليم المجاني لأولاد الفقراء في قرطبة (٢) • وكان يقترح على أهل العلم تأليف الكتب في مختلف الموضوعات(٣) • وكانوا يقدمون له مؤلفاتهم(٤) • كما أجرى المستنصر الجرايات لبعض العلماء(٥) إضافة الى إجراء المرتبات على المؤدبين لاولاد الفقراء • وفي هذا اتاحة الفرصة لبعض العلماء « للتفرغ » العلمي •

٣ ـ كان مجاهد العامري الموفق أمير دانية والجزائر الشرقية(٦) (٤٠٠ ـ ٤٣٦ = ١٠٠٩ ـ ١٠٤٤) من العلماء مشجعا للحركة العلمية • قال عنه ابن حيان القرطبي (٤٦٩) « كان مجاهد فتى أمراء دهره ، وأديب ملوك عصره ، لمشاركته في علوم اللسان ، ونفوذه في علوم القرآن ، عُني بذلك من صباه وابتداء حاله ، ولم يشغله عن ذلك عظيم ما مارسه من الحروب برا وبحرا حتى صار في المعرفة نسيج وحده وجمع من دفاتر

---

(١) الحلة ، ١ : ٢٠١ •

(٢) انظر : البيان : ٢ : ٢٤٠ ـ ٢٤٩ •

(٣) انظر : طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي : ٩ • قضاة قرطبة : الخشني : ١ • تاريخ علماء ، ٢ : ١١٣ • المقتبس : (بيروت) : ١٣٣ ، ١٣٤ • جذوة : ٢٥٢ ـ ٣ • الديباج : ٢٦٦ ـ ٧ •

(٤) انظر : تاريخ علماء ، ١ : ٧٣ ، ٩٢ ، ٢٥٨ ، ١٣٠ ـ ١ • جذوة : ١٠٤ • الصلة ، ١ : ٥ • المغرب ، ٢ : ٥٦ • الوافي ، ٥ : ٢٥١ ، ٨ : ٧٧ •

(٥) تاريخ علماء ، ١ : ١٢١ ، ٢٥٥ ٢٧٥ •

(٦) شارك مجاهد العامري لبيب العامري في حكم بلنسية حوالي سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) • ثم لم يلبث مجاهد أن انفرد بحكم بلنسية الى جانب مملكته في دانية ، واستمر على ذلك زهاء عامين • (انظر : دول : ١٩٢) •

العلوم خزائن جمة »(١) • ووصف ياقوت الحموي دانية بقوله: « وأهلها أقرأ أهل الاندلس لان مجاهد كان يستجلب القراء ويفضل عليهم وينفق عليهم الاموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده »(٢) • وألّفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير ومضى على ذلك طول عمره(٣) •

وسبق ذكر قصة مجاهد العامري مع التياني العالم التي تدل على حبه للانتساب الى العلم وتشجيع العلماء •

٤ ـ كان المظفر بن الافطس أبو بكر بن محمد بن عبدالله ابن مسلمة التجيبي صاحب بطليوس (٤٦٠ = ١٠٦٧) « كثير الادب ، جم المعرفة ، محبا لاهل العلم ، جمّاعة للكتب ، ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في أدب ومعرفة »(٤) • وقال عنه ابن بسام : كان « أديب ملوك عصره غير مُدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر اسمه أيضا بالكتاب ابن المظفر (المظفري) في خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم »(٥) • فالمظفر الامير كان عالما مؤلفا ، ألف الكتاب الذي يعرف ب « الكتاب المظفري »(٦) •

---

(١) البيان ، ٣ : ١٥٦ •
(٢) معجم البلدان ، ٢ : ٥٤٠ •
(٣) البيان ، ٣ : ١٥٦ •
(٤) التكملة ، ١ : ٣٩٣ • (نقلا عن ابن حيان) •
(٥) الذخيرة ، (مخ) ابن بسام ، ٢ : ٢ : ٣٩٨ • وانظر : التكملة : ١ : ٣٩٣ •
(٦) انظر : المعجب : ٧٥ • البيان ، ٣ : ٢٣٦ • نفح ، ٣ : ٣٨٠ •

وبدهي ان يشجع هذا الامير وامثاله الحركة العلمية ويخصونها بجل عنايتهم ٠

٥ ـ لم تحرم الحياة العلمية في بلنسية ـ وهي احدى مدن الاندلس الشهيرة ـ من رعاية الحكومة الاندلسية ، قبل قيام عهد الامارة فيها ٠ ولا يتوفر من النصوص ما يمكن الاستشهاد به على هذه الرعاية ٠ وربما يمكن الافادة من خبر العمال والقضاة الذين تولوا ادارة بلنسية وقضائها بتولية من قرطبة(١) ٠

هذا عالم من علماء بلنسية حظي ـ مثل العديد من علماء الاندلس وغيرهم ـ بنوع من المكانة الطيبة لدى الحكم المستنصر ٠ فقد صحب القاضي عبد الرحمن بن جحّاف بن يُمن المعافري إحدى السفارات التي وفدت عليه في ربيع الآخر عام ٣٥١ (٩٦٢) ، كما شارك في الأسفار للمستنصر في حدود ذلك العام ٠

أسهمت إمارة بلنسية في تشجيع الحركة العلمية ٠ فبعض الامراء من العلماء والادباء ٠ أما الوزراء والكتاب وأصحاب الوظائف الادارية المختلفة كالقضاء والحسبة في بلنسية ، فكانوا من الادباء والعلماء الشهيرين ٠ وطبيعي ان تناط الوظائف بالعلماء في مجتمع يسوده العلم ، والتفاضل فيه يقوم على العلم والكفاءة ٠

المنتظر ان تقدم المصادر اخبارا ذات شأن عن دور امراء بلنسية في الميدان العلمي ، غير ان ما اوردته قليل ٠ تمثل في

---

(١) راجع : جذوة : ١٩٠ ٠ ترتيب ، ٤ : ٤٦٣ ٠ بغية : ٢٦٢ ٠

أمور فيها : التأكيد على شخصية الامير ووزرائه وكتابه العلمية والادبيـة وعقدهم المجالس التي حضرها الادبـاء والشعراء والعلماء • كما نال عدد من الشعراء التشجيع من بعض امراء بلنسية • ونما في ظلهم فن الرسائل الادبية • لحاجة الامارة الى الكتابـة ولاشتغال كبـار من الادبـاء فيهـا ، وبسبب من الاحداث التي عاشتها بلنسية في القرن الخامس •

اعتمد مبارك ومظفر العامريان في تسيير شؤون الحكم على وزراء وكتاب من كبار الادبـاء • منهم من القرطبيين الذين نزحوا عن مدينتهم على أثر الفتنة التي اجتاحتها ، فوجدوا في بلنسية الهدوء والاستقرار[1] • يقول ابن الخطيب (٧٧٦) : « واختص بهذين الرئيسين من كتاب الحضرة ، الذين ضاقت عنهم بسبب الفتنة ، طائفة من الفضلاء البلغاء » « كالتاكُرُنِّي وابن مُهَلَّب وابن طالوت : رتبوهم في دولتهم مرتبة مشيخة الوزراء بقرطبة فكانـا يرجعـان اليهـم في الرأي والمشورة والتدبير • »[2] وهذا مبلغ التقـدير والعرفان للعلمـاء من مبارك ومظفر ، اللذين لم يشتهر لهما علم أو أدب ! فالعلماء أهل للرأي والمشورة والعصر وقتئذ عصر ازدهر فيه العلم •

واشتغل كل من التاكرني وابن طالوت ايضا في الكتابة لامير بلنسية المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر (٤١١ ـ ٤٥٢) وكان له كتّاب آخرون هم ابن عباس وابن عبد العزيز وابن صبغون •

ان نظرة في تراجم هؤلاء الكتاب تُظهر انهم كانوا من ذوي العلم والادب • يدل على اعتماد امراء بلنسية في تسيير

---

(١) انظر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٧ ، ٩ • الصقالبة : ١٩ ، ٢٠ •
(٢) أعمال : ٢٢٥ •

أمور إمارتهم على العلماء والكتاب • وهذا تشجيع لهم وللعلم • لكن ما هي اعمالهم ، وهم يشاركون في الحكم ، في الميدان العلمي ؟ انه أمر غامض •

ولعل التعريف ببعض هؤلاء الكتاب يفيد في محاولة القاء الضوء على الجانب العلمي لامارة بلنسية واسهاماتها في الميدان العلمي •

أفرد ابن بسام ٥٤٢ (١٠٤٧) حديثا مستقلا عن ابي عامر محمد بن سعيد التاكرني(١) الكاتب الماهر فقال : « كاتب مجيد ومحسن معدود • »(٢) وكانت أول خدمة التاكرني في بلنسية كما مر على أيام مبارك ومظفر(٣) • فلما اعتلى المنصور مُلْكَ بلنسية « مثل ابو عامر في دولته وعلا ، ونهض بأعباء مملكته واستقل • وكان بينه وبين أحمد بن عباس كاتب زهير الفتى المتقدمي الذكر مكاتبات تنازعا فيها فضل البلاغة والبراعة وتسابقا الى غايات هذه الصناعة • وقد أثبتُ منها ومن سائر كلام ابي عامر في هذا الديوان ما يقضي له بالاحسان ويشهد بتبريره على أهل الزمان »(٤) •

فأورد ابن بسام للتاكرني « فصول من رسائله السلطانيات »(٥) وهو في خدمة المنصور الذي كان ذا حظ من الادب وربما كان له نظم(٦) • وقال الحميدي ٤٨٨ (١٠٩٥)

---

(١) جذوة : ٦٠ رقم ٦٨ • بغية : ٨٠ رقم ١٣٨ معجم البلدان ، ١ : ٨١٢ • أعتاب الكتاب : ابن الابار : ٢٠١ رقم ٦١ •
(٢) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٢٠ •
(٣) م • ن ، ٣ : ١٢٠ • أعتاب : ٢٠١ ـ ٢ •
(٤) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٢١ • وانظر : أعتاب : ٢٠١ •
(٥) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٢١ • وانظر ، م • ن ، ٣ : ١٢٢ • أعتاب : ٢٠٢ •
(٦) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٢٢ • أعتاب : ٢٠٢ •

عن التاكرني « كان من أهل الادب والبلاغة والشعر . »(١) .

من كتاب المنصور المذكور ، الذي حكم بلنسية زهاء الاربعين عاما ، ابن عبد العزيز أبي عبد الله محمد بن مروان ابن عبد العزيز القرطبي المشهور بابن رويش (٤٥٦ = ١٠٦٣) . قال عنه ابن حيان القرطبي (٤٦٩ = ١٠٧٦) « من أرجح كبار الكتاب الطالعين في زمن هذه الفتنة المدلهمة وذوي السداد من وزراء ملوكها ، ذا حنكة ومعرفة وارتياض وتجربة وهدى وقوام سيرة الى ثراء وصيانة »(٢) . وهكذا يبلغ كاتب من كتاب بلنسية الى هذه المنزلة الاجتماعية العالية في عهد امارة المنصور .

ومن مظاهر حب ابن عبد العزيز للادب علاقته الطيبة مع الشاعر الوزير الشهير أبي الوليد بن زيدون أحمد بن عبدالله (٣٩٤ ـ ٤٦٤ = ١٠٠٣ ـ ١٠٠٧١)(٣) .

هذا ابو المطرف عبد الرحمن أحمد بن مثنى ويعرف بابن صبغون الكاتب (٤٥٨ = ١٠٦٥) أحد كتاب المنصور . كان من جلة الكتاب والادباء مشاركا في علم الحديث وغيره من الفنون كالعربية وسواها(٤) .

نال بعض الشعراء التقدير من امراء بلنسية . فقد مدح الشاعر الاندلسي الكبير ابن درّاج القسطلي (٤٢١ =

---

(١) جذوة : ٦٠ .
(٢) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٩ ـ ٢٠ .
(٣) راجع : قلائد العقيان : ابن خاقان : ٨٣ . نفح ، ٣ : ٢٧١ ـ ٣ .
(٤) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥٠ . انظر : أعتاب : ٢١٧ .

١٠٣٠)[١] مبارك ومظفر[٢] ومن ثم المنصور[٣] ٠

كان بعض امراء بلنسية ممن درسوا في مقتبل عمرهم على علماء من الاندلس ٠ فالامير عبد الملك المظفر الذي خلف أباه المنصور في حكم بلنسية سنة ٤٥٢ (١٠٦٠) ، كان قد قرأ في صغره عندما كان في مرسية على العالم اللغوي ابي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن بلال (نحو ٤٦٠ = ١٠٦٧)[٤] ٠ ومثل هذا مما كان يعد الامير ليكون عالما أو محبا للعلم واهله مقدرا لهم ٠

هذا آخر من رجال الدولة في بلنسية هو أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز تولى أمر بلنسية (٤٥٧ ـ ٤٦٧) باسم المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة ، ومن ثم استقل بحكمها (٤٦٧ ـ ٤٧٨ = ١٠٧٥ ـ ١٠٨٥) ، كان عالما ٠ قال عنه ابن بسام : كان « رجل السيوف والاقلام » ، وشبهه بأبي الحزم بن جهور[٥] ، جهور بن محمد بن جهور (٣٦٤ ـ ٤٣٥)الذي تولى أمر قرطبة اثر سقوط الخلافة في الاندلس[٦]. كما نقل ابن بسام اعجاب الفونش السادس بابي بكر بن عبد العزيز ، الذي كان يقول : رجال الاندلس ثلاثة فيعد آولهم

---

(١) ديوان ابن دراج ٠ جذوة : ١١٠ ـ ٤ رقم ١٨٦ ٠ نفح ٣ : ١٧٨ ، ١٩٥ ، (عن ابن حزم والشقندي) ٠
(٢) انظر : ديوان ابن دراج : ٢٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١٠١ ـ ٨ ٠ أعمال : ٢٢٢ ـ ٥ ٠
(٣) انظر : أعمال : ٧٤٣ ـ ٧ ٠
(٤) التكملة ، ١ : ٢٠ رقم ٤٢ ٠ الذيل ، ١ : ١ : ٣٩٢ ـ ٣ رقم ٥٥٦ ٠
(٥) انظر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٢٠ ٠
(٦) الصلة ، ١ : ١٣١ ٠

أبا بكر بن عبد العزيز[1] • وقال عنه ابن الابار : « كان واحد وقته رفعة وجلالة »[2] • « فقيها عدلا متصدرا للفتيا مشتغلا بالعلوم ، فلما ولي السلطان عدل وأحسن »[3] • أما ابن الخطيب فقال عن ابي بكر بن عبد العزيز : « احد رجال الكمال بالاندلس وعين بلنسية التي بها تبصر ، ولسانها التي تسهب به وتختصر »[4] •

ان عالما اديبا كابي بكر بن عبد العزيز اثنت عليه المصادر مثل هذا الثناء تولى أمر بلنسية نحو عشرين عاما • لا بد ان يكون اسهام الامارة على عهده بالحياة العلمية اسهاما كبيرا متنوعا ، الا ان المصادر المتوفرة لا تقدم عنه الا القليل وفي جوانب معينة • هذا وان كان ارتباط الحياة العلمية الاسلامية بالحكومة ضعيفا • فللحياة العلمية أجواؤها الخاصة إلا أنها لم تحرم من تشجيع الدولة واسهامها كما عمل الحكم المستنصر مثلا • ومن الامثلة على اهتمامات ابن عبد العزيز العلمية والادبية واسهامه : انه بذل جهدا في تخليص الاديب ابي عبد الرحمن بن طاهر (٥٠٧ = ١١١٣) من سجنه في مرسية • على أثر خلعه من ملكه فيها ، على يد ابن عمار وزير المعتمد ابن عباد سنة ٤٧١ (١٠٧٨) • ومن ثم كان ابن عبد العزيز على رأس المستقبلين لابن طاهر عندما أشرف على بلنسية[5] •

---

(١) الذخيرة : (مخ) ، ٣ : ٢٠ •
(٢) الحلة ، ٢ : ١٥٥ •
(٣) البيان : ٣ : ٣٠٣ ــ ٤ •
(٤) أعمال : ٢٠٢ •
(٥) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١١ • قلائد : ٦٤ وبعدها ، المعجب ، ١٢١ ــ ٢ • الحلة ، ٢ : ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٤٥ ــ ٦ ، ١٥٥ وبعدها •

ربما كانت أسباب سياسية وراء مساعدة ابن عبد العزيز لابن طاهر . إلا أن الدافع العلمي يبـدو هـو الآخر واضحاً . فالشخصيتين ممن عنيتا بالأدب ، وكان لابن طاهر شهرة أدبية قبل أن تستقبله بلنسية ، التي قضى بها بقية حياته . وقبل أن يصل الى بلنسية بعث برسالة أدبية الى ابن عبد العزيز شاكرا له جميل عمله ، كما له رسالة أخرى الى ابن عبدالعزيز وهو ببلنسية(١) . وحظي طيلة مدة امارة ابن عبد العزيز بمكانة لائقة به كأديب وأمير . وكانا يخرجان ومن معهما للنزهة(٢) . فربما تعاطيا ومن معهما العلم والأدب في تلك النزهات . ويتوقع أن ابن عبد العزيز عقد المجالس العلمية في قصر الامارة ودعا اليها العلماء والأدباء وكان ابن طاهر أحدهم . وهذه ظاهرة عامة متوافرة لأمراء الأندلس في عصر الطوائف .

إن جهود أمير بلنسية ابن عبـد العزيز في تخليص ابن طاهر من سجنه والترحيب به في بلنسية كانت مناسبة، تمخض عنها نشاط أدبي : شعر ونثر تبادله كل من ابن عبـد العزيز وابن طاهر ، وابن عمار والمعتمد وابن عبد العزيز . فابن عمار حمل على أمير بلنسية اهتمامه بابن طاهر، وأخذ يحرض أهل بلنسية عليه(٣) .

---

(١) انظر : قلائد : ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) انظر : م ، ن : ٧٢ .

(٣) انظر : قلائد : ٦٩ ــ ٧٠ . الحلة ، ٢ : ١٤٦ ، ١٥٥ ــ ٨ . دول : ١٧٨ ــ ٩ .

وشجع أبو بكر بن عبد العزيز الشعراء ، فقد مدحه بعضهم[1] .

أما رجال دولته فاختياره لهم والحالة هذه يكون من العلماء والأدباء . وربما كانت لهم إسهامات علمية وهم بمقام المسؤولية في الامارة أو كأشخاص في المجتمع البلنسي .

لم يكن القاضي ابن جحَّاف المعافري أبو أحمد جعفر بن عبد الله ، الذي تولى شؤون بلنسية (٤٨٥ ـ ٤٨٧ = ١٠٩٢ ـ ١٠٩٤) بتقديم من أهلها ، إلا أحد علمائها وكان صاحب أحكامها[2] . قال عنه ابن الخطيب : « ثالث القوم ابن عبد العزيز وابن طاهر ، وفي نمطهم »[3] .

لم تسمح الأحداث السياسية التي واجهتها بلنسية ـ وأتت بابن جحاف الى الامارة ، وساءت أكثر أثناء امارته ـ بأن يكون للامارة في بلنسية دور في الحياة العلمية .

هكذا يبدو دور الامارة في الحياة العلمية ، بجوانبه المحدودة . الذي يبرهن على الاستقلال بمتطلبات الحياة العلمية في بلنسية مثل بقية الاندلس . وما تحتاج إليه الحياة العلمية من هدوء واستقرار لنمو نباتها العلمي توفر ببلنسية بشكل عام حتى سنة ٤٧٨ . ويعود الفضل الى رجال السياسة فيها ومعظمهم من العلماء أو محبي العلم .

---

(١) راجع : قلائد : ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ . خريدة القصر ، العماد الاصفهاني ، ٤ : ٢ ٢٣ ، ٣٨ ، ٣٩ . المغرب ، ١ : ٦٥ ـ ٦ ، ٢ : ٣٤ رقم ٣٥٣. ثمرات الاوراق ، ابن حجة الحموي :٧٢ . نفح ، ٣ : ٢٧١ ـ ٢ . ٢٨٩ .

(٢) انظر : أعمال : ٢٠٣ . التكملة ، ١ : ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) أعمال : ٢٠٣ .

خامساً : حرية الحياة العلمية

لم ترتبط الحياة العلمية الاسلامية عامة بنظم مقيدة ، بل كانت حرة في مؤسساتها ونشاطاتها المختلفة ، وإن نمت أعراف علمية لكنها لم تكن ملزمة كقانون ، وربما اختلفت من مكان لآخر ومن زمن لغيره ، هذه الأعراف من جنس الاساس الذي قامت عليه الحياة العلمية فكانت عاملا في حريتها غير مقيدة لها . وهذه السمة « الحرية » في الحياة العلمية عامل مهم في نموها وازدهارها .

فالمؤسسات العلمية المختلفة ونشاطاتها المتنوعة كانت حرة من توجيه الحكومة إلا ما ينشأ فيها من أعراف تصيغها أسس الحياة العلمية والحاجة والتطور المنسجم مع الاساس .

لم يكن العلماء والطلاب بهذا مرتبطين بالحكومة ، فيسعون لوظائفها ويخضعون لتوجيهاتها ، وإنما يرتبطون بالعلم وله ، مخلصين النية في طلبه لله تعالى لا يرجون مغنما الا حسن ثوابه جل شأنه ، بل إن العلماء في الاندلس هم الذين وجهوا سياسة الدولة في كثير من العهود[1] .

وأتاحت حرية الحياة العلمية الاسلامية الفرصة للنساء والرجال من مختلف الديانات والاجناس والاعمار في التعلم والاستزادة من العلم . فتكونت قاعدة علمية متينة عمقت النمو العلمي في اتجاه الابداع والغزارة في الانتاج العلمي .

وكان العلماء يشاركون المجتمع في كل أحداثه أفراحه وأتراحه بل يتقدمون الصفوف عندما تلم الملمات[2] . فكانوا

---

(١) انظر : شيوخ العصر : ٥ وما بعدها .
(٢) أعلاه : ٨٢ .

القدوة والمثل الصالح . يجدون الطاعة من عامة المسلمين لما كانوا عليه من مكانة مرموقة في المجتمع رفعهم اليهـا علمهم وعملهم . فالعلماء والطلاب عندما يجدون مثل هذه المكانـة يتقدمون في مضمار البحث والمتابعة لتقديم مزيد من الخدمة لمجتمعهم . فكان معظم العلماء يبث العلم دون مرتب من حكومة أو من فرد بل كان مصدر معيشته المتقشفة ما تدره عليه مزرعته التي يعمل بها أو حرفة أخرى يمتهنها أو من أوقاف المسلمين .

الخلاصة أن الاساس النظري لهذه الدراسة يقوم على أن القرآن الكريم هو أساس الحياة العلمية الاسلاميـة والباعث لها والدافع لنموها والموجه لهـا . وسيظهر هـذا جلياً في البابين التاليين .

وإن أفراد المجتمع البلنسي والاسلامي عامة ـ رجالاً ونساء ـ تهيأت لهم فرص التعليم .

وكانت العلوم الشرعية ـ التي أخذت معظم نشاط الحياة العلمية ـ الباعث على العلوم الأخرى التي لم تنفصم عن باعثها في التصور .

إن الاستجابة للقرآن العظيم نماء للحياة العلمية، وجفاؤه والبعد عنه وعدم تدبره تعطيل للنمو الحقيقي لها . يسري هذا على كل مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية .

الباب الثالث

المؤسسات العلمية وأعرافها

الفصل الأول : المؤسسات العلمية

الفصل الثاني : الألقاب العلمية

الفصل الأول

المؤسسات العلمية وأعرافها

آ ـ المؤسسات العلمية

أولا ـ المساجد :

١ ـ المسجد في الأندلس

آ ـ مرحلة المسجد التعليمية

ب ـ أوقات التدريس

جـ ـ حلقات الدرس

٢ ـ المسجد في بلنسية

ثانياً ـ المكاتب :

١ ـ المكتب في الأندلس

آ ـ أعرافه :

١ ـ مرحلة المكتب التعليمية

٢ ـ موضوعات التعليم

٣ ـ ثقافة المكتبين

٤ ـ أجر التعليم

ب ـ أنواعـــه :

١ ـ المكاتب الأهلية

٢ ـ المكاتب الحكومية

٢ ـ المكتب في بلنسية

ثالثاً ـ التأديب وأماكنه :

١ ـ التأديب وأماكنه في الاندلس

آ ـ التأديب :

١ ـ أصناف المؤدَبين

٢ ـ موضوعات التأديب

٣ ـ ثقافة المؤدِبين

٤ ـ عدد المؤدَبين

٥ ـ أجر التأديب

ب ـ أماكن التأديب :

١ ـ دور المؤدَبين

٢ ـ دور العلماء

٣ ـ المساجد

٤ ـ المكاتب الحكومية

٢ ـ التأديب وأماكنه في بلنسية

رابعاً ـ دور العلماء :

١ ـ دار العالم الاندلسي

٢ ـ دار العالم البلنسي

خامساً ـ المكتبات :

١ ـ المكتبات في الاندلس

آ ـ مواد الكتاب :

١ ـ كتب العالم الاسلامي

٢ ـ المؤلفات الأندلسية

ب ـ الوراقــة :

١ ـ صناعة الورق

٢ ـ صنعة الوراقة

جـ ـ أنواع المكتبات :

١ ـ المكتبات العامة

آ ـ مكتبات المساجد

ب ـ مكتبات القصور

٢ ـ المكتبات الخاصة

٢ ـ المكتبة في بلنسية

آ ـ الوراقة والوراقون

ب ـ أنواع المكتبات

١ ـ المكتبات العامة

٢ ـ المكتبات الخاصة

سادساً ـ دكاكين الوراقين في بلنسية :

ب ـ شبه المؤسسات العلمية

أولا ـ القصور :

١ ـ القصر في الاندلس

٢ ـ قصر الامارة في بلنسية

ثانياً ـ الجنان ، الضياع ، المتنزهات :

١ ـ في الاندلس

٢ ـ في بلنسية

ثالثاً ـ أماكن أخرى ٠

★ ★ ★

المؤسسات العلمية وأعرافها

للحياة العلمية في بلنسية مؤسسات عدة، نشأت لها بمرور الزمن أعراف علمية ، عبرت عن مراحل نمو الحياة العلمية ، وحملت سمات الاساس الذي قامت عليه وعوامل نموها وعبرت عنها • فكان لكل مؤسسة « طرق تدريس » تكاد تتماثل في كل المؤسسات التي تلي مؤسسات تعليم الاولاد • تعارفت الحركة العلمية في المؤسسات المختلفة على « الألقاب العلمية» التي كانت منوطة بالعالم وحقاً من حقوقه ، وشارك المجتمع في إطلاقها •

★ ★ ★

الفصل الاول

المؤسسات العلمية

يقصد بالمؤسسات العلمية الاماكن التي شهدت نشاطا علميا • وتنقسم الى نوعين :

أ ـ المؤسسات العلمية •

ب ـ شبه المؤسسات العلمية •

البحث في المؤسسات سيشمل إبراز دورها في استيعاب النشاط العلمي ومدى اسهام كل مؤسسة فيه ومقدار الحاجة الى ظهورها • ودراسة ظواهر عدة في كل مؤسسة في محاولة لمعرفة جوانبها المتعددة بالقدر الذي تتيحه المعلومات المتوفرة •

تشتمل المؤسسات العلمية وشبه المؤسسات العلمية على مؤسسات « حرة » وأخرى « حكومية » • وقد تحتوي المؤسسة كلا النوعين أحياناً •

المؤسسات الحرة : هي التي لم يكن للحكومة فيها دور مباشر في انشائها والانفاق على ما تتطلبه مؤسسة علمية • هي شائعة في الاندلس عامة ، وان لم تحرم من تشجيع الحكومة ورعايتها بشكل ما •

ان المؤسسات العلمية الحرة امتداد حقيقي لاولى المؤسسات العلمية في الاسلام · تبرز اهميتها في بلنسية ـ كما سيتبين ـ من ذيوعها ، مما جعلهـا تسهم بالقسط الأكبر من النشـاط العلمي · أضفى عليها استقلالها ، عن الحكومة أو أية هيأة ، سمات علمية ربما لم يكن لها أن تعرفها لو ارتبطت بمثـل هذه الجهات ·

أما المؤسسات الحكومية : فهـي التي انشأتها الحكومة في الاندلس لتكون مكانا للنشاط العلمي · ووجد الطلاب فيها التعليم المجـاني ، اذ تكفلت الحكومة بـكل ما احتاجته هـذه المؤسسات من نفقات · كما هيأت الحكومة نوعا من المؤسسات العلمية أتاحت الفرصة للعلماء لتنمية قابلياتهـم ومواصلـة البحث بتوفيرها لهم الامكانات المادية ·

أ ـ المؤسسات العلمية :

أُنشئت ـ أصلا ـ لتكون مراكز علمية · يندرج معهـا اماكن لم تنشأ لهذا الغرض الا أنهـا شـهدت نشاطا علميا ملحوظا · والمؤسسات العلمية عدة ، هي :

أولا : المسـاجد

بناء المسجد من الاعمال الاولى في كل مدينة اسلامية ، وهكذا فعل الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة · ومن ثم سار المسلمون على هذه السنّة المحكمة والفريضة القائمة · فبناء المسجد أول ما يفكرون به عند فتحهم البلاد واختطاطهم المدن · وهو أمر يشير الى عظم مهمة المسجد وخطورتها ووجهة

الاسلام ورسالته(١) • هذا جار في كل بلدان الاسلام ، وفي الاندلس ، بوضوح •

فالمسجد المكان الذي تؤدى فيه الفرائض وتبلغ فيه تعاليم الاسلام الى الناس وتُدّرس لهم وفيه يتقاضى الناس ويلتقي قادة الامة للتشاور في جلائل الامور والبت فيها • بل كانت الامة تتجه اليه في كل شؤونها • وهو قلب المدينة المسلمة لا في موقعه فقط بل في دفعه ومهمته • يمثل المسجد بحق نشاط وحيوية المجتمع الاسلامي بكل ابعادها • وهو أول وأكبر وأهم « مؤسسة » كانت تأثيراتها في كل مناحي حياة المجتمع ومؤسساته الاخرى(٢) •

أدى المسجد المهمة العلمية من أول يوم أسس في الاسلام(٣) • فقد « تحلق » المسلمون حول الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد ، يأخذون عنه القرآن ويسمعون حديثه ويبصرون سنّته ، ويسألونه عن كل ما خطر لهم من أمر(٤) • فكان أول استاذ ومعلم في الاسلام وكانوا أول تلامذة ، مدرستهم المسجد ومنهلهم القرآن الكريم • وتولى الصحابة ومن تلاهم هذه المهمة • وان لم يقتصر النشاط العلمي خلال ذلك على المسجد الا أنه شهد قسطه الاكبر •

---

(١) المدنية الاسلامية ، ٢٤ ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، ٣٣ ، تاريخ التربية الاسلامية، أحمد شلبي ، ٨٥ ، ٨٦ •

(٢) انظر : تاريخ الجامعات ، ٢٧ ، فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، ٢٠٣ ــ ٤ •

(٣) انظر : تاريخ التربية ، ٨٥ •

(٤) راجع : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد ، أبو عمر يوسف ابن عبد البر ، ١ : ٣١٥ •

ثم نمت مهمة المسجد العلمية بنمو المجتمع الاسلامي[1] • فلم يكد يطلع القرن الثاني الهجري (التاسع الميلادي) حتى حفل المسجد بمزيد من النشاط العلمي • لاتساع رقعة البلاد المفتوحة وبناء الامصار فتعدد فعاليات المجتمع الجديد حيث وجد المسلمون أنهم امام قضايا عـديدة ، بحـاجة الى دراسة ومعالجة ، وفق الشريعة الاسلامية • فظهرت دراسات ونمت أخرى • والمهم في الامر ان المسجد كان الموضع الذي حفـل بمعظم هذه الدراسات في كل البـلاد الاسلاميـة[2] • وهكذا امتدت هذه المهمة، حيث يحل الاسلام، وعليه كانت الاندلس•

ان الحديث عن المسجد في بلنسية ، باعتباره مؤسسة ، تكتنفه صعوبات منها :

١ ـ ندرة المعلومات التي تلقي الضوء على هـذه المؤسسة بكاملها • وهي ظـاهرة تسري على المؤسسات الاخرى وبشكل أكبر كما يتبين بعد •

٢ ـ ان عددا من النصوص لا يمكن الافادة منها كثيرا لتعذر تحديد تواريخ أحداثها •

٣ ـ يمكن القول ان معظم النشاط العلمي في بلنسية لا يذكر معه المكان الذي قام فيه • ويرجح ان معظم هذا النشـاط جرى في المساجد • فهـي أبرز المؤسسات العلميـة في الاندلس • وربما كان هذا سببا في عـدم ذكـر مكان النشاط لكونه واضحا ومألوفا للمؤرخين وقتئذ •

---

(١) انظر : تاريخ الجامعات ، ٢٧ •

(٢) راجع : م • ن ، ٢٧ ـ ٨ •

٤ ـ تواجه البحث عقبة عامة ، وهي أن النصوص لا تذكر أي من مدن الاندلس جرى فيهـا النشـاط العلمي · مع أن البلنسيين أطراف بعض ذلك النشاط ·

وهذا أمر يستدعي الاستعانة ـ في هذا الموضع وغيره من البحث ـ بما كان عليه الحال في الاندلس عـامة والعـالم الاسلامي احيانا · فما كان في الاندلس لم تحرم منه بلنسية بشكل ما ـ وهي احدى مدنه الكبيرة ـ ولم يكن بعيدا عنها · سادّين ما أمكن من الثغرات بما يتلاءم وروح العصر وما عرف عن الحياة العلمية الاسلامية ·

فيما يلي إلمامة عن المسجد ـ كمؤسسة علمية ـ في الأندلس ومن ثم يعقبها الحديث عنه في بلنسية · باعتباره أهم مؤسسة علمية عرفتها الاندلس ، في محاولة للتعرف على حقيقة اسهامه في الحياة العلمية ومدى نجاحه عبر القرون الاربعة في استيعاب الحركة العلمية ، من خلال معرفة الاعراف العلمية المتبعـة وألوان النشاط العلمي الذي حفل بهـا في ضـوء المعلومات الضئيلة جدا عن هذه الامور في بلنسية وقلة تتبعها في الاندلس·

١ ـ المسجد في الاندلس

استمر المسجـد ـ في الاندلس ـ يحفـل بمعظم النشاط العلمي المتصاعد · ولم تظهر مؤسسة جديدة لعبت دوره · بينما وجدت في العالم الاسلامي منـذ أواخـر القـرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) مؤسسات جديدة لعبت دورا مهما في الحياة العلمية(١) ·

---

(١) راجع : مدارس قبل النظامية ، ناجي معروف ، ٨ ، تاريخ الجامعات ، ٣٠ ·

تعد المساجد من المؤسسات الحرة في الاندلس ٠وان انفقت الدولة على انشاء العديد منها ووفرت الكثير من الخدمات لها ٠ إلا أنه لم يحدث أن أنفقت الدولة على الحركة العلمية فيها بشكل منتظم ولم تباشر الاشراف على توجيهها ٠ ويرجع هذا ـ على ما يبدو ـ الى تهيؤ أسباب العلم من قبل المجتمع والحركة العلمية فيه ٠ اذ بقيت حرة من توجيه الحكومة باعتمادها على مقوماتها ٠وهو عرف علمي اسلامي لم تخرج الاندلس عليه ولم تلجيء الحاجة اليه ٠

تبرز قيمة دور الدولة في هذه المؤسسة من خلال بنائها للمساجد في الأندلس[1] ، التي كانت أنسب مكان لنشاط الحركة العلمية ٠ فالدولة ادركت بوعي ان بناءها للمساجد يحقق تلك المهمة العلمية ، بجانب مهمتها الاولى وهي كونها مكانا لاداء العبادات ٠ وقامت الدولة بدور آخر تمثل في تشجيعها للعلماء الذين كانوا مدار نشاط هذه المؤسسة ٠ كتقديم المنح المالية لبعضهم ، وأشار بعض الخلفاء على عدد منهم بالتأليف ومن ثم تقديم الجوائز السنية لهم ٠ وان اهتمام

---

(١) انظر : مسجد الرايات : بناه المسلمون في الجزيرة الخضراء لاول أيام فتح الاندلس ٠ مما يؤكد ان بناء المسجد من أول ما يفكر به المسلمون عند فتحهم البلاد ، صفة المغرب ، ١٧٦ ، ١٧٧ ٠
وانظر : جامع سرقسطة : اختطه التابعي حنش الصنعاني (١٠٠ = ٧١٨) ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ١٣١ ـ ٢ ، الكامل ، ٥ : ٥٦ ٠ ووصف الامير عبد الرحمن الداخل بأنه بنا مساجد الجماعات في الاندلس : الكامل ، ٥: ٤٩٦ ٠ كما وصف عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ ـ ٢٣٨ = ٨٢١ ـ ٨٥٢) بأنه « بنا جوامع كثيرة » : الكامل ، ٧ : ٧٠ ٠
وحظي المسجد الجامع بقرطبة بجل عناية الحكومة الاندلسية من عهد عبد الرحمن الداخل فالعهود التالية٠ وتجاوز عدد مساجد قرطبة الالف، انظر : قرطبة حاضرة الخلافة ، ١ : ١٨٢ ٠

بعض الخلفاء بتوفير الكتب وتيسيرها للعلماء للانتفاع بهـا أحد أوجه تشجيع الدولة لهذه المؤسسة التي بقيت ابرز وأهم مؤسسة علمية في الاندلس • بل تتوفر بعض الامثلة عن تكليف الحكومة الاندلسية لبعض العلماء للتدريس في المساجد(١) • وربما يشير هذا الى دفعها المرتبات لهم أو اقتصار الامر على المنح والهدايا • فمثلا إن أبا محمد مكي بن أبي طالب المقرىء (٤٣٧ = ١٠٤٥) نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الذي تولى أمر الاندلس بعد وفاة أبيه المنصور محمد بن ابي عامر (٣٩٩ = ١٠٠٨) « الى جـامع الزاهرة وأقـرأ فيـه حتى انصرمت دولة آل عامر • فنقله محمـد بن هشام المهـدي الى المسجد الجامع بقرطبة وأقرأ فيـه الفتنة كلها(٢) » • فلكي يتفرغ العلماء للانتاج العلمي وبث العلم والاستزادة منه لا بد من توفر ما يكفيهم مؤونة العيش •

لم يكن إنشاء المساجد قاصرا على الدولة بل إن كثيرا من المساجد في الاندلس أنشأها افـراد المجتمع وأوقفوا عليهـا الاوقاف • ويتوقع أن جزءا غير يسير من مواردها كان لمنفعة الحركة العلمية ــ بالاضافة الى تهيئـة المـكان الملائم لها ــ كتخصيص المنح للعلماء واعانة طلاب العلم وخاصة الوافدين(٣).

آ ــ مرحلة المسجد التعليمية :

يمثـل التعليم في المسجد « المرحلة الثانية » من مراحـل الدراسـة • حيث يعقـب مرحـلة التعـليم في « المكتب » •

---

(١) راجع : تاريخ علماء ، ١ : ١٥٠ ، الصلة ، ١ : ١٩٥ ، ٢ : ٤٨٥ •

(٢) الصلة ، ٢ : ٦٣٣ •

(٣) انظر : تاريخ علماء ، ٢ : ٦٠ ، ١٠٣ •

فالاستقراء المحدود يوضح أن تعليم الاولاد في الاندلس اتخذ ـ بشكل عام ـ أماكن في غير المسجد • وان وردت اشارات الى « التأديب » في المسجد[1] ، فانها ضئيلة لا تتخذ حجة لاضعاف القاعدة العامة وهي : قيـام المسجد بالدرجـة الاولى بمهمـة استقبال طلبة العلم بعد مرحلة تعليم الاولاد الاولى في المكتب ، وان الاولاد المؤدَّبين يتجاوزون خريجي المكاتب عمرا وعلما في الغالب ، ويتم تأديبهم في الأعم في بيوت آبائهم أو بيوت المؤدِّبين •

لم يكن سن الطالب محددا عندما ينتظم في حلقة المسجد العلمية • بل يتوقف على عوامل منها : العرف العلمي والمدة التي قضاها الطالب في « المرحلة الاولى » من تعليمه وهو في المكتب أو وهو مؤدَّبا ، وعمره عندما دخلها • هذا يرجع الى نباهة الطالب واستعداده العقـلي وحـالة اسرته الاجتماعية واهتمامها بتعليمه ، هذا الى أن فرص التعلم كانت ميسرة من جوانب عدة وتلمس من خلال استقراء كتب تراجم العلماء •

يرى عياض (٥٤٤ = ١١٤٩) ان الطالب متى « ضبط ما سمعه صح سماعه[2] » • ومراعاة للنابهين من أبناء المسلمين رأى بعض العلماء أن الحد الادنى لضبط السماع أربع سنوات أو خمس • « ولعلهم انما رأوا أن هذا السن أقل ما يحصل به الضبط وعقل ما يسمع وحفظه ، والا فمرجع ذلك للعادة ، ورب بليد الطبع غبي الفطرة لا يضبط شيئا فوق هذا السن ،

---

(١) انظر : الصلة ، ١ : ٢٧٠ •

(٢) الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، القاضي عياض، ٦٢ •

ونبيل الجبلّة ذكي القريحة يعقل دون هذا السن[1] » ٠

يبدو بشكل عام أن البلوغ (عند الذكور بين ١٣ ـ ١٥ سنة) هو السن الذي يدخل معه الطالب التعليم المسجدي تقريبا[2] ٠ ولم يرد ما يخالف هذا الحكم من أن أحد الاولاد تجاوز هذا العمر وكان في المكتب ، المؤسسة التي اهتمت بتعليمهم قبل هذه المرحلة[3] ٠ وينخفض سن دخول التعليم المسجدي ويرتفع ٠

وردت امثلة عن أعمار متفاوتة بدأ الطلاب معها السماع على العلماء : فابن مريوال بن جراح بن حاتم ابو أحمد بن عفيف بن عبد الله (٣٤٨ ـ ٤٢٠ = ٩٥٩ ـ ١٠٢٩) بدأ بالسماع وعمره لا يتجاوز احدى عشرة سنة[4] ٠ ويرتفع عمر بدء السماع فأحدهم بدأ بطلب العلم وعمره أربع عشرة سنة[5] ٠ وآخر عمره ست عشرة سنة[6] ٠ بينما بدأ أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي (٣٩٥ = ١٠٠٤) بطلب العلم وهو ابن خمسة وعشرين عاما[7] ٠

كان الالتحاق بالمسجد غاية في البساطة ، ولا يتطلب الامر غير ذهاب الطالب الى المسجد حيث يجلس الى الاستاذ الذي يود٠

---

(١) الالماع ، ٦٤ ٠

(٢) انظر : تاريخ الجامعات ، ٢٧٠ ، التعليم في رأي القابسي ، ٤٢ ، ٤٣ ٠
وراجع : أدناه ، ١٥٣ ٠
البلوغ : « بلغ الغلام : احتلم » ٠ لسان العرب ، ابن منظور ، ٨ : ٤٢٠ (مادة بلغ) ٠

(٣) راجع : التعليم في رأي القابسي (رسالة القابسي) ٢٨٧ ٠

(٤) الصلة ، ١ : ٣٨ ـ ٩ ٠

(٥) م ٠ ن ، ٢ : ٤٠٧ ٠

(٦) م ٠ ن ، ٢ : ٣٨٢ ٠

(٧) م ٠ ن ، ١ : ٨٤ ٠

« وكانت الحرية مكفولة له في التنقل بين من يشاء من الاساتذة دون قيد أو شرط . كما كانت حريته مكفولة في انتقاء ما يشاء من مواد الدراسة ما يرغب فيه منها والاعراض عما لا تميل نفسه اليه »(١) .

لا يعرف كم يقضي الطالب من السنوات في تلقي العلم ضمن اطار المسجد(٢) . فلا يوجد ما يحددها عدا العوامل العامة المتمثلة في نباهة الطالب واستعداده العلمي وهي مؤهلات سابقة وما يتوفر من تسهيلات . وقد تطول أو تقصر سنوات الدراسة في المسجد ، تتخللها رحلة الطالب الى مدن الاندلس والعالم الاسلامي، خلال ذلك يتلقى العلم على العلماء في المساجد بالدرجة الاولى ، مما يمكن معه القول : ان العمر الذي يقضيه الطالب في طلب العلم هو الوقت الذي تستغرقه دراسته في هذه المؤسسة العلمية ، حاشا تعليمه وهو صغير فيما يمثل « المرحلة الاولى » .

ان الحد الفاصل بين مرحلة طلب العلم في المسجد والمرحلة التالية ، ان ينتصب الطالب للتدريس فعندئذ يصير شيخا(٣) . أما سن الطالب وقتئذ فهو غير محدد . ويتناسب مع العوامل التي مر ذكرها . منها استعداده الشخصي لطلب العلم وتهيؤ الفرص ونوع العلم الذي عني به والشيوخ الذين درس عليهم وما كان له من نشاط في طلب العلم ومكانة وثقة في نفوس الناس يحددها علمه وسلوكه . للعرف العلمي المتبع دوره في

(١) تاريخ الجامعات ، ٢٧١ .
(٢) انظر : م . ن ، ٢٧١ .
(٣) راجع : التكملة ، ١ : ٤١١ رقم ١١٦٣ .

امكانية تحديده للعمر · لا يبدو العرف ثابتا أو مقيدا[1] ·
يرى عياض انه لا يصح الأخذ عن الطالب الا بعد بلوغه[2] ·
واشترط بجانب البلوغ ان يكون مسلما عادلا عاقلا ضابطا لما سمعه عارفا به حين أدائه[3] ·

ولا يكف الطالب عندما يصير شيخا عن طلب العلم ، بل هو دائم الطلب له · فتجده شيخا في حلقة وطالبا في آخرى ويتبحر في العلم الذي يميل اليه مهما تقدم به العمر ·

فالمغامي ابو عمر يوسف بن يحيى الازدي القرطبي (٢٨٣ أو ٢٨٨ = ٨٩٦ أو ٩٠٠) « رحل في طلب الحديث وهو يومئذ شيخ امام[4] · » وأبو الحسن علي بن خلف المقرىء (٤١٧ ــ ٤٩٨ = ١٠٢٦ ــ ١١٠٤) مــن جـلة المقرئين وفضـلائهم وعلمائهم وخيارهم « ولم يزل طالبا للعلم الى أن توفي[5] » ·

لا يترك العالم التدريس طوال عمره ، الا عندما يتغير[6] · فمن العلماء من حدث وحمل عنه وتعدوا الثمانين « وقارب كثير منهم المائة ، وبلغها بعضهم ونيف عليها[7] » · فأبو داود المقرىء (٤٩٦ = ١١٠٢) مثلا سمع احاديث من ابي محمد ابن ابي دليم سنة ٤٣٦ (١٠٤٤) وهــو وقتئذ ابن ثمانين عاما[1] · وهما ممن له نشاط علمي ببلنسية ·

---

(١) راجع : الالماع ، ١٩٩ وما بعدها ·
(٢) م · ن ، ٦٢ ·
(٣) م · ن ، ١٩٩ ·
(٤) تاريخ علماء ، ٢ : ٢٠١ رقم ١٦١٥ ·
(٥) الصلة ، ٢ : ٤٢٣ ·
(٦) انظر : الالماع ، ٢٠٤ وما بعدها ·
(٧) الالماع ، ٢٠٥ ، انظر : م · ن ، ٢٠٩ ·
(٨) التكملة ، ٢ : ٧٩٦ ، الذيل ، ٤ : ١٨٠ ــ ١ ·

ب ـ اوقات التدريس :

لم تكن هناك ساعات محدودة من اليوم للدروس التي تلقى في المسجد • وربما فضل العلماء والطلاب أوقاتا معينة مراعين فيها أوقات الكسب ومواقيت الصلوات الخمس ووجبات الغذاء واعتدال الجو والساعات المناسبة لتجمع الطلاب« ورغبة الاستاذ فهو الذي يحدد ميعاد محاضرته حسب حالته »(1) •

ربما اتخذت الدراسة في مسجد ما أوقاتا معينة تختلف عن أوقــات المساجد الاخرى • واختلفت أوقات نشــاط حلقات العلماء في المسجد الواحد ، مراعاة للظروف المذكورة وللعلم الذي يدرسه العالم • وكان الشيخ الذي يدرس أكثر من علم يفاضل بينها في الوقت • ولم تكن الساعات التي يستغرقها كل درس محددة ، بـل يتوقف أمرها على الشيخ وحسب مقتضى الحال • ولا يظن أن الطالب كان ملزما بحضور درس شيخه من بدئه الى نهايته ، الا ما يقتضيــه الادب وشــعور الطالب بالمنفعة العلمية • بل ان بعض الطلاب كان بامكانهم الانضمام الى حلقة العالم اثناء الدرس ومتى شاءوا • عدا ما كان من حال بعض الطلاب وملازمتهم لشيوخ معينين لا ينفكون عنهم • فحلقة ابي عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي (٣٦٧ = ٩٧٧) في الحديث كــان موعدها الجمعة غُدْوَة • يحدثنا تلميذه ابن الفرضي انه اختلف « اليه في سماع حديث الموطأ سنة ست وستين وثلاثمائة • وكانت الدُوَلَة فيه أيام الجمع

(1) تاريخ الجامعات ، ٢٧٤ •

بالغدوات ، فتم لي سماعه منه »(١) ٠

وكانت حلقة ابي عبد الله محمد بن سعيد الأموي الشنتجيالي (٤٣٦ = ١٠٤٤) في الحديث ، تعقد « بجامع قرطبة في موعدين طويلين حفيلين كل يوم موعد غدوة ، وموعد عشية »(٢) ٠ فتمكن الطلاب من قراءة صحيح مسلم عليه في نحو جمعة من شهر محرم سنة ٤٣٣ (١٠٤١)(٢) ٠ وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن (٤٣٣ ـ ٥٢٠ = ١٠٤١ ـ ١١٢٦) « كان صابرا على القعود للناس ، مواظبا على الاستماع ، يجلس لهم يومه كله وبين العشاءين »(٣) ٠ وأبو عبد الله محمد بن هاشم الهاشمي من أهل سرقسطة كان « يقرأ من حفظه كتاب البخاري على الناس فيما بين العشاءين بالسند والمتابعة لا يخل بشيء من ذلك »(٤) ٠

---

(١) تاريخ علماء ، ٢ : ١٩٢ ٠
الدُولة : « قال ابو عبيد : الدُولة ، بالضم ، اسم للشيء الذي يُتداول به بعينه ، والدولة ، بالفتح ، بالفعل ٠ « لسان العرب ، ١١ : ٢٥٢ (مادة دول) ٠
الغدوات : مفردها : « الغدوة : البكرة : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ٠ « لسان ، ١٥ : ١١٦ (مادة غدا) ٠

(٢) الصلة ، ١ : ٢٧٣ ٠
عشية : « قال الازهري يقع العشي على ما بين زوال الشمس الى وقت غروبها ، كل ذلك عشي ، فاذا غابت الشمس فهو العشاء » ٠ لسان ١٥ : ٦٠ (مادة عشا) ٠

(٣) الصلة ، ٢ : ٣٤٩ ٠
« العشاءان : المغرب والعتمة ، قال الازهري : يقال لصلاتي المغرب والعشاء العشاءان » ، وصلاة العشاء « وقتها حين يغيب الشفق » ٠ لسان ، ١٥ : ٦٠ (مادة عشا) ٠

(٤) الصلة ، ٢ : ٥٥٢ ٠

مما تقدم يبدو أن الغداة والعشي وبين العشاءين من الاوقات المناسبة للدرس عند الاندلسيين وخاصة لعلم الحديث٠ ولا يفهم من هذا ان بقية اليوم كان خاليا من الدرس فربما اشغلت أوقاتا منه علوم أخرى أو اتخذ النشاط العلمي صورا متنوعة وأماكن أخرى كمنزل العالم ٠ والظاهر ان هناك سبب مهم لتفضيل اختيار هذه الاوقات للتدريس هو اتاحة ممارسة العمل خلال النهار للعلماء ٠ فمثلا ذكر عن ابي الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد التجيبي (٤٠٣ ـ ٤٧٤ = ١٠١٢ ـ ١٠٨١) انه « أجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب ، وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب »(١) ، « قال عياض : قال لي اصحابه : كان يخرج الينا للاقراء وفي يده أثر المطرقة »(٢) ٠

جـ ـ حلقات الدرس :

كان الاسلوب المتبع في تجمع الطلاب لسماع درس الشيخ في المسجد نظام الحلقة غالبا(٣) ٠ فقد يجلس الشيخ الى أحد سواري المسجد أو يجلس على مرتفع بينما يجلس الطلاب بين يديه فيكوّن مجلسهم شكل دائرة أو نصفها تسهل على أكبر عدد من الطلاب سماع درس الشيخ والمشاركة في السؤال والمناقشة ٠

---

(١) نفح ، ٢ : ٧٦ ٠

(٢) م ٠ ن ، ٢ : ٧٧ ٠

(٣) الحلقة : « كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب ، وكذلك هو في الناس » ٠ لسان العرب ، ١٠ : ٦١ (مادة : حلق) ٠ وجمعها حِلاق وحلق وحلقات ٠ انظر : م ٠ ن ، ١٠ : ٦١ ، ٦٢ ٠
وردت عدة اشارات الى اشتقاقات الحلقة : فالعالم الفلاني كان « يتحلق » و « متحلقا » ٠ تاريخ علماء ١٥ : ٧١ ، ١٦٣ ٠ وكان « يتحلق اليه » م ٠ ن ، ١ : ١٦٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ٠
راجع ممن كان له حلقه في المسجد من علماء الاندلس : الصلة ، ١ : ٥٣، ٢ : ٤٧٣ ٠

ضمت بعض المساجد أكثر من حلقة في وقت واحد(١) ·
وربما أصبح عرفا ان مكانا ما في المسجد هو موضع حلقة الشيخ الفلاني أو زاوية الحديث أو التفسير وهكذا ·

يتوقع ان الحاجة الى الكتاب في حلق الدرس ، استوجبت وجود مكتبة ملحقة بالمسجد ، سواء في حرمه أو غرفة فيه(٢) ·

ان اساليب الحلقة العلمية في المسجد ـ التي تكاد تشبه في بعض اساليبها الصف الجامعي الحالي ـ لا يمكن حصرها ووصفها بدقة لعدم تكامل المعلومات عنها ولاتخاذها اشكالا عدة حسب الحاجة ونمو الحياة العلمية ·

ثمة ظاهرة ان عالمين كانا يتصدران الحلقة الواحدة في وقت واحد فأبو جعفر أحمد بن ميمون وصاحبه ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن حسين الاموي (٣٥٢ ـ ٤٠٢ = ٩٦٣ ـ ١٠١١) « كانت لهما حلقة في المسجد الجامع(بطليطلة) يُقرأ عليهما فيها كتب الزهد والرقائق والكرامات · ورحل الناس اليهما من الآفاق » فلما توفي أبو جعفر انفرد أبو اسحاق في المجلس(٣) ·

درست في المسجد أكثر علوم العصر ، واستأثرت علوم الشريعة واللغة بمعظم نشاط المسجد العلمي ·

---

(١) انظر : تاريخ علماء ، ١ : ٢١٣ ·

(٢) انظر : دراسات في الحضارة الاسلامية ، شريف (M.M. Sharif) ٥٢ ، تاريخ الجامعات ، ٢٨٣ ، وما بعدها ·

(٣) الصلة ، ١ : ٩٠ · وانظر م · ن ، ١ : ٩٠ ·

٢ ـ المسجد في بلنسية

ان معظم النشاط العلمي البلنسي لا يذكر معه المكان الذي قام فيه • المرجح أن غالبية هذا النشاط جرى في المسجد لانه ابرز المؤسسات العلمية الاسلامية بشكل عام • ويبدو ان المصادر اهملت ذكر المكان لوضوحه وقتذاك الا ما جاء عرضا • وأشير الى هذه الملاحظة في أكثر من موضع من البحث • كما ان منهج مصنفي كتب التراجم ـ التي تقـدم معلومات غاية في الاهمية عن الحياة العلمية ـ كان يتوخى الايجاز في الترجمة للعالم ، مؤكدا على نقاط أساسية في ايصال العلم : كذكـر شيوخ وطلاب المترجم لهم ورحلاتهم ومؤلفاتهم •

تتوفر نصوص عن النشـاط العلمي في ثـلاث مساجد بلنسية وهي : « جامع بلنسية أو المسجد الجامع » و « مسجد رحبة القاضي » و « مسجد الغلبة » • ولعل مساجد أخرى شهدت ذلك لكن المصادر لم تشر اليها • ان الاطلاع على ما سينشر من مصادر أندلسية كفيل بتوضيح بعض غموض هذا الأمر وغيره • سيما والنصوص المتوفرة عن المساجد الثلاثة المذكورة هي الاخرى نزرة لا تقدم للباحث الا ضوءا خافتا عن نشاطها العلمي • وان مسجد الغلبة الذي عد من المساجد التي شهدت النشاط العلمي لا يمكن الاطمئنان اليـه لعدم معرفة تاريخ النشاط الذي شهده على وجه التحديد • عدا انه ورد للعالم الذي مارس النشاط المذكور فيه نشاط مؤرخ في سنة ٥١٢ (١١١٨)[١] • دون ان يعين مكانه ولا يوجد ما ينفي أن يكون ذلك في مسجد الغلبة •

---

(١) انظر : التكملة ، ١ : ٤١٤ ـ ٥ (= أدناه ، ١٦٢) •

لعل الاخبار المختارة التالية تعين في القاء بعض الضوء على هذه المؤسسة ، لترسم – مع ما تقدم من حديث عنها في الاندلس – صورة تقريبية عما كانت عليه ٠

١ – أبو داود المقرىء سليمان بن ابي القاسم نجاح (٤١٣ – ٤٩٦ = ١٠٢٢ – ١١٠٢)[١] سمع من ابن القطاع ابي محمد جعفر بن علي التميمي الصقلي (بعد ٤٧٤ = ١٠٨١) « غريب القرآن » لابي بكر بن عزيز « بجامع بلنسية » مرتين ٠ احداهما في أول ذي القعدة سنة ٤٧٤ (١٠٨١)[٢] ٠ وابن القطاع من الوافدين على الاندلس و« كان من أهل المعرفة الكاملة باللغة والآداب والشعر مقدما في ذلك »[٣] ٠ فهل سمع ابو داود « غريب القرآن » عليه في المسجد منفردا ، ام أن آخرين شاركوه السماع؟ ومن ثم كيف كان ذلك السماع؟ ان هذه الاسئلة وغيرها من مثيلاتها لا تجد الجواب لها في النصوص المتوفرة ٠ الذي يبدو انه كان لابن القطاع حلقة بجامع بلنسية لتدريس علوم القرآن وربما اللغة لأنه كان من أهل المعرفة الكاملة بها ٠ ومما درسه على وجه الخصوص « غريب القرآن » ٠ سمعه منه أبو داود المقرىء ، ويتوقع مشاركة آخرين له في هذا السماع ٠ لا يعرف اذا كان هذا السماع املاء أو تحديثا ومن حفظ ابن القطاع أو من كتاب ٠

حظي إقراء القرآن الكريم بمكانة طيبة في جامع بلنسية فكانت لاقرائه حلقات منها حلقة تصدّرها أبو داود المقرىء

(١) الصلة ، ١ : ٢٠٣ رقم ٤٥٨ ٠

(٢) التكملة ، ١ : ٢٤٥ رقم ٦٤٨ ٠

(٣) م ٠ ن ، ١ : ٢٤٥ ٠

المذكور . تتلمذ فيها عدد من الطلاب[1] منهم ابن الصناع أبو بكر محمد ابن ابراهيم الازدي المقرىء (٥٠٨ = ١١١٤)[2] وأحمد بن محرز[3] .

كان ابن الصناع المذكور ـ الملقب بالهدهد ـ من جملة اصحاب ابي داود المقرىء « وأحد المتقدمين في الاقراء جودة ضبط ، وحسن اداء ، واحكام تجويـد مع المشاركة في الادب واللغة والحفظ للاشعار والاخبار ، والمعرفة بعقد الشروط ، والتصرف في الفقه »[4] .

مع ما كان عليه ابن الصناع من علم ومعرفة في اقــراء القرآن الكريم فلم ينتقل الى المرحلة التالية ، مرحلة المشيخة (الاستاذية) ، في حياة استاذه وشيخه ابي داود المقرىء اجلالا له لعظيم قدره في علم القراءات، بل تصدر ابن الصناع للاقراء بجامع بلنسية « اثر وفاة شيخه ابي داود ، وأخذ عنه بهـا جماعة ، منهم : ابو عبد الله بن أبي اسحاق اللّـرّي وغيره . ثم رحل الى غرب الاندلس فنزل قرطبة واقرأ بجامعها الاعظم وولي قضاء بعض كورها »[5] .

هـكذا يتضح المستوى العلمي لعلم واحـد ، هو علـم القراءات ، في وقت واحد جرت فعالياته في جامع بلنسية . يدل مع المثل الاول المتصل بتدريس علـوم القرآن الاخـرى

---

(١) راجع : من تلامذة أبي داود المقرىء الذين أخذوا عنه ببلنسية : المعجم، ٩٣ ـ ٤ رقم ٨٠ .
(٢) التكملة ، ١ : ٤١١ .
(٣) م . ن ، ١ : ٢٧ .
(٤) م . ن ، ١ : ٤١١ .
(٥) م . ن ، ١ : ٤١١ .

وغيرها من الامثلة على « جامعية التعليم »[1] في جامع بلنسية ، باعتباره مؤسسة علمية اضطلعت بمهام التعليم العالي ، شهدت تدريس أكثر من علـم ، على يد أكثر من عـالم ، تخرج على ايديهم طلاب تبوأوا حلقات الدرس ٠

٢ ـ شهد مسجد رحبة القاضي مثل هذا النشاط وقام بمثل المهمة التي قام بها جامع بلنسية ٠ فمثلا درس الحافظ ابو الوليد الباجي سليمان بن خلف (٤٠٣ ـ ٤٧٤=١٠١٢ـ ١٠٨١) علوم الحديث فيه ٠ ويبدو انه كانت له حلقة بهذا المسجد ارتادها الطلاب بانتظام ٠ من نشاطها ان ابن السماد ابا مروان المقرىء من أهل بلنسية « سمع » على ابي الوليد الباجي « صحيح البخاري » في سنة ٤٦٨ (١٠٧٥)[2] ٠ ويبدو انه في هذه المناسبة أو غيرها سمع ابو الحسن محمد بن واجب القيسـي (٤٤٦ ـ ٥١٩ = ١٠٥٤ ـ ١١٢٥) « صحيـح البخاري » بمسجد رحبة القاضي بقراءة ابن السماد المذكور علي ابي الوليد الباجي ، الذي اجازه له ولسائر اصحابه[3] ٠ فأبو الوليد ـ كما يظهر ـ كان يجلس في مسجد رحبة القاضي والطلاب من امـامه يتقدمهم ابن السماد يقـرأ في « صحيح البخاري » ٠ بينما ابن واجب وامثـاله يسمعون القراءة ٠ وربما كان كل واحد منهم ممسكا بنسخة من الصحيح ، بينما راح شيخ الحلقة ابو الوليد يصحح أو يقرأ أو يشرح ما قرأه ابن السماد ٠ وفي هذه الحالة قد يكون ابو الوليد هو الآخر ينظر في نسخة من « صحيح البخاري » أو يعتمد على حفظه

---

(١) راجع : تاريخ الجامعات ، ٢٣ ٠

(٢) التكملة ، ٢ : ٦٩٧ رقم ١٧٧٧ ٠

(٣) م ٠ ن ، ٢ : ٦٩٧ ٠ وانظر : الحلل السندسية ، ٣ : ٩٠ ـ ٩١ ٠

وفطنته • ولا يقتصر دور ابي الوليد على ضبط « صحيح البخاري » وانما كان يستطرد ـ كما يتوقع ـ فيفيد طلابه فائدة علمية عامة ، سيما في العلوم المتصلة بالحديث الشريف •

عقدت مجالس الوعظ في مسجد رحبة القاضي وهي من الوان النشاط الثقافي العلمي العام يحضرها من يشاء من الناس • ربما اقيمت هذه المجالس في شهر رمضان وبعد صلوات الجمع خاصة • فأبو المعالي ادريس بن يحيى الواعظ الاشبيلي (نحو ٥٠٦ = ١١١٢) « كان يجول في البلاد يعظ الناس ويذكرهم »(١) • ويبدو انه عقد مجالس وعظ في مسجد رحبة القاضي في وقت غير معروف أنشد فيه مما انشد ابياتا في الغربة(٢) •

٣ ـ شهد مسجد الغلبة الوعظ على يد ابي عبد الله محمد ابن سفيان بن ابي اسحاق الواعظ البلنسي(؟) المحتسب(٣) •

هكذا شهدت بعض مساجد بلنسية نشاطا علميا وعلى أعلى المستويات واتخذ شكل التدريس فيها ما كان في الاندلس عامة• وما وجد في مساجد الاندلس من اعراف علمية واشكال للنشاط العلمي ، يتوقع ان مساجد بلنسية عرفتها بشكل ما • وان معظم النشاط العلمي الذي لا يذكر معه المكان ـ وهو كثير ـ يرجح ـ كما سبق ذكره ـ انه كان في المساجد البلنسية • وعلى هذا يمكن القول ان المساجد كانت ابرز المؤسسات التي احتضنت النشاط العلمي المتنوع • وستوضح جوانب من

---

(١) التكملة ، ١ : ١٩٥ رقم ٥١٩ •
(٢) انظر : م • ن ، ١ : ١٩٥ ـ ٦ • وراجع : م • ن ، ١ : ٤١٤ ، ٤١٥ •
(٣) انظر : م • ن ، ١ : ٤١٤ ، الذيل ، ٦ : ٢١٦ •

هذا النشاط في مكان آخر من هذا البحث • ولا يتوفر ما يدل على عجـز المسـاجد كمؤسسات علميـة عن استيعاب النشاط العلمي وخاصة للعلوم الشرعية واللغوية وان قام في مؤسسات أخرى • أما العلوم التجريبية فالظاهر انها كانت تمارس في اماكن أخرى لمتطلبات لم تتوفر في المسجد •

ثانيـا : المكاتب

المكتبُ : موضع تعليم الاولاد• وجمعه مكاتب وكتاتيب• والمُكْتِـب أو المُكتِّب المُعلِّم والكُتَّاب : الصبيان[1] •

جرى تعليم الاولاد في المكاتب • وهـي نوعين من حيث الجهة التي تولتها : أهلية وحكومية • واتخذت لها اماكن عدة : ملحقة في المساجد وربما مستقلة عنها وفي بيت المكتب (المعلم)•

١ ـ المكتب في الاندلس

عرف تعليـم الاولاد في الاندلس من وقت مبكر على يـد المعلمين في المكاتب • فمثلا ورد ذكر لـ « معلم صبيان » من عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢)[2] • وكان عدد المعلمين يزداد باستقرار المجتمع وتقدمه • وتعليم الاولاد في الاندلس امتداد طبيعـي لتعليمهم في العالم الاسـلامي وضـرورة مـن ضرورات العلم في مجتمع حفل به •

---

(١) انظر : مادة « كتب » في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري، ١ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٠٩ ح ١ ، تاج العروس ، الزبيدي ، ١ : ٤٤٥ ، لسان ، ١ :٦٩٩•

(٢) انظر : تاريخ افتتاح ، ٦٣ ، العبر ، ٤ : ٢٦٧ •

أ ـ أعرافه :

لا تتوفر أخبار كافية عن أعراف المكتب العلمية والاجتماعية كأن تعرف أيام الدراسة والساعات المخصصة للدرس وما كان يقام من حفلات عند انهاء الصبية مناهج المكتب وغير هذا مما يتعلق بهذه المؤسسة الهامة التي تولت تعليم الاولاد وتهيئتهم للمراحل العلمية التالية • ولا يجدي التعميم مع عدم توفر الامثلة(١) •

يمكن ذكر النقاط التالية عن بعض جوانب هذه المؤسسة في الاندلس :

١ ـ مرحلة المكتب التعليمية :

التعليم في هذه المؤسسة يمثل « المرحلة الاولى » من مراحل طلب العلم • فالاولاد ـ بنون وبنات ـ أول ما يدفعون الى المكتب للتعلم • بعد ان اكتسبوا من الاسرة والمجتمع ما شاء لهم من المعرفة • « ولم تكن هناك سن معينة يبدأ عندها الطفل في تلقي العلم ، وانما كان الامر متروكا لتقدير آباء الصبيان ، فاذا وجدوا ان الطفل بدأ في التمييز والادراك ، دفعوا به الى المكتب »(٢) • ويبدو ان سن الخامسة الى السابعة ـ بشكل عام ـ هي التي يدفع عندها الصبي الى المكتب(٣) •

أما السن التي ينتهي عندها تعلم الصبي في المكتب ، « فلم

---

(١) راجع : عن أعراف المكتب العلمية والاجتماعية : التعليم في رأي القابسي (رسالة القابسي) ، ٢٦٤ وما بعدها •

(٢) التعليم في رأي القابسي ، ٤٢ •

(٣) م • ن ، ٤٢ • وانظر : م • ن ، ٤١ ، ٤٢ •

تذكر صراحة كذلك على أنه جاء أن المعلم ينبغي ان يحذر من الصبيان اذا بلغوا الاحتلام »(١) .

لا يمكن تقدير عدد الاولاد في المكتب الواحد وحتى وضع حد أدنى أو أعلى لعددهم الا ان الصيغ التي وردت في المصادر الاندلسية كانت جماعية مثل « صبية »(٢) و « صبيان »(٣) .

المكتب عبارة عن غرفة واحدة في بيت المعلم وربما اتخذ أكثر من غرفة لاستقبالهم ويتوقع ان المكاتب التي اتخذها الحكم المستنصر ضمت عدة غرف .

٢ ـ موضوعات التعليم

لا تعرف مواد الدراسة ومناهجها في المكتب على وجه الدقة . على أن المهمة التي اضطلع بها ـ كما يبدو ـ تعليم الاولاد القراءة والكتابة والخط والقرآن وتلقينهم مبادىء الاسلام ، بما يلائم اعمارهم المتفاوتة ومستوياتهم المختلفة(٤) .

أجمل ابن خلدون ما اتبعه أهل الاندلس في تعليم أولادهم في فصل « تعليم الاولاد واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه » ، فقال : « وأما أهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم . الا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصلا في التعليم . فلا يقتصرون لذلك

---

(١) م . ن ، ٤٢ . وانظر : م . ن ، (رسالة القابسي) ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
(٢) التكملة ، ١ : ٢٢٣ رقم ٥٩٩ .
(٣) الصلة ، ٢ : ٥٠٣ .
(٤) راجع : البيان ، ٢ : ٢٤٠ ، تاريخ التربية ، ٤٣ وما بعدها ، التعليم في رأي القابسي ، ٤٧ وما بعدها ، ١٥١ وما بعدها .

عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان روايــة الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربيــة وحفظها وتجويد الخط والكتاب • ولا تختفي عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها ، الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرّز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم على الجملة »(١) •

خلاصة ما يفهم من كلام ابن خلدون ـ غير المحدد بزمان ـ ان الاندلسيين هدفوا من مرحلة المكتب : تعليم أولادهم القراءة والخط • وكان القرآن الكريم مادة تعليمهم من حيث كونه « نصوصا » تؤدي مهمة اساسية وهي تعليم القراءة والخط للغة كلها وفي ذات الوقت تؤدي مهمة ترسيخ بعض معاني الاسلام وحب القرآن في قلوب الاولاد • ولم يُقتصر على اقرار القرآن العظيم منهجا اساسيا في التعليم، بل اختار الاندلسيون نصوصا من الشعر والنثر تؤدي الغرض ذاته ـ تعلم القراءة والكتابة ـ وتنمي لدى الاولاد ملكة اللغة وقواعدها والحس اللغوي الرفيع والمثل العالية • وكــان التأكيد على تعليم الخط كبيرا لدى الاندلسيين •

لم ترق طريقة الاندلسيين هذه ـ على ما يبدو ـ في تعليم الاولاد عالما من علمائهم وهو ابن العربي المعافري الاشبيلي أبو بكر محمد بن عبد الله (٤٦٨ ـ ٥٤٢ = ١٠٧٥ ـ ١١٤٧) ، يقول: « ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله أول

---

(١) المقدمة ، ٤ : ١٢٤٠ ـ ١٠

أمره ، يقرأ مالا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه »[1] .

ورد ذكر لمعلمي القرآن[2]، وعُلِّم في المكاتب التي انشأها الحكم المستنصر[3] . مما يؤكد ان مهمة المعلم الاساسية تعليم القرآن للاولاد . لكن ما المقصود بتعليم القرآن هل هو قراءته وكتابته فحسب أم معها استظهاره وتفهم معانيه ؟ ان قراءة القرآن وكتابته اساس مهمة المكتب ويبدو ان الاولاد كانوا يُحملون على استظهاره ولا يشترط فيهم جميعا ان يكملوا حفظه لكي يجتازوا مرحلة المكتب . أما تفهيم القرآن للاولاد فان أعمارهم ــ في العموم ــ تساعد على ادراك بعض معانيه فاذا ما تدرجوا في مراحل العلم التالية نما فهمهم له ولديهم رصيد ثر مما يحفظونه من القرآن الكريم[3] .

أخذ الجانب التربوي مكانه في العملية التعليمية في المكتب والمتوقع أن التأكيد عليه كان كبيرا . فالاولاد ــ في هذه المرحلة ــ بحاجة الى تربية بجانب مبادىء العلوم التي يتعلمونها . زرعت التربية الاسلامية في نفوس الاولاد حب

---

(1) أحكام القرآن أبو بكر بن العربي الاشبيلي ، ٢ : ٢٩١ .
راجع : طريقة أهل الحجاز في تعليم الاولاد كما أوردها ابن العربي الاشبيلي مادحا اياها : أحكام القرآن ، ٢ : ٢٩١ . وقارن : التعليم في رأي القابسي ، ٥٣ ، ٥٤ . وراجع : الطريقة التي اقترحها ابن العربي الاشبيلي في تعليم الاولاد : مقدمة ابن خلدون ، ٤ : ١٢٤٢ـ٠٣ .

(2) انظر : الصلة ، ١ : ٤١ ، التكملة ، ١ : ٢٢٣ رقم ٥٥٩ .
ورد ذكر لمكتب يعلم القرآن وهو : أبو عمر يوسف بن خلف الغساني البجاني المكتب (بعد ٤٠٠) سكن قرطبة « كان يؤم في مسجده ، ويعلم القرآن » . الصلة ، ٢ : ٦٧٥ .

(3) انظر : البيان ، ٢ : ١٤٠ .

(4) راجع : التعليم في رأي القابسي ، ١٤٦ وما بعدها .

الاسلام ومثله ووجهتهم الى اداء بعض العبادات : الصلاة وغيرها[1] •

٣ ـ ثقافة المكتبين :

كان المكتبون (المعلمون) على درجة عالية من العلم والمعرفة • يتضح هذا من تراجمهم[2] • فمثلا إن ابا عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى الزهري الاشبيلي (٣٢٥ = ٩٣٦) الزاهد من أهل قرطبة « كان معلم كتاب ، روى عن محمد بن وضاح ، وابراهيم بن محمد بن باز . والخشني ، قاسم بن محمد ، وإبراهيم بن قاسم بن هلال. وكان يجتمع اليه أهل الحسبة ، والمعلمون ، ويقرأون عليه »[3] •

٤ ـ أجر التعليم :

أخذ بعض المعلمين الأجر على تعليم الاولاد في المكتب ، وكان عماد رزق بعضهم • بينما غالبية المعلمين لم تذكر المصادر انهم أخذوا الاجر لقاء التعليم • فالتعليم عند المسلمين لم ير أخذ الاجر لقاء بذل العلم وخاصة في ادواره الاولى وانما كان المعلمون والعلماء يرجون ثواب الله تعالى من بث العلم بين أفراد الامة • يدل على هذا أن العديد منهم مارسوا أعمالا بجانب العمل العلمي لتوفير مورد لمعاشهم ، يعينهم على طلب

(١) انظر : م • ن ، ١٤٨ • وراجع : م • ن ، ١٧١ وما بعدها •

(٢) راجع : تاريخ علماء ، ١ : ٧٢ ، ٧٦ ، ٢ : ٤٥ ، ١٣٣ ، الصلة ، ١ : ٤١ ، ٧٢ ، ٢ : ٥٠٣ رقم ١٠٩٥ ، ٥٣٣ ، ٦٧٤ ـ ٥ رقم ١٤٩٢ •

(٣) تاريخ علماء ، ٢ : ٤٤ ـ ٥ •

العلم ونشره.منهم من اشتغل بالوراقة أو التجارة أو الزراعة.
مثلا ابن الخرّاز أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الوهراني (٣٣٨ ـ ٤١٠ = ٤٤٩ ـ ١٠١٩) من أهل بجانة « معاشه من ثياب كان يبتاعها ببجانة ويقصرها ويحملها الى قرطبة فتباع له ويبتاع بثمنها ما يصلح لبجانة ، ويجلب كتبه فيقرأ عليه في خلال ذلك »(١) • لكن لم يمتنع بعض المعلمين والعلماء عن قبول الاجر والهدايا لقاء التعليم والتدريس وصار التعليم حرفة لبعضهم خاصة في العصور المتأخرة عندما توسع التعليم واحتاج الى التفرغ • بل وجد ما يشير الى قبول الاجر على تعليم القرآن الكريم قبل نهاية القرن الثاني الهجري « قال ابن وهب في موطئه : سمعت مالكا يقول : لا بأس بأخذ الاجر على تعليم القرآن والكتاب »(٢) •

من الذين اتخذ التعليم حرفة لهم أبو بكر الصقلي المكتب (بعد ٤٦٠ = ١٠٦٧) كان مقتصرا في تدبير معيشته بما يحصل له من تعليم الصبية القرآن الكريم • لعل مورده الوحيد هذا كان ضئيلا الا انه لم يقصر في تعليم الصبية(٣) • يبدو من هذا ان الاجر الذي دفعه الاولاد الى المعلم غير محدد وكان يرضى بما يعطيه أباؤهم من أجر وما يقدمونه من هدايا عندما يجتاز أولادهم المرحلة خاصة •

(١) الصلة ، ١ : ٣١٧ رقم ٦٩٠ •
ترد في تضاعيف هذا البحث امثلة أخرى عن ممارسة العلماء لبعض المهن لتوفير مورد للعيش • ايضا : اعلاه : ١٥٦ •
(٢) التعليم في رأي القابسي (رسالة القابسي) ، ٢٦٩ •
وانظر : م • ن ، ٢٦٩ وما بعدها •
(٣) التكملة ، ١ : ٢٢٣ رقم ٥٥٩ •

ان المكتب ـ كأي مؤسسة ـ مرّ في مراحل ، بنمو المجتمع وتزايد حاجته للتعليم ، لا يتيسر من النصوص ما يسمح بتوضيحها وتتبعها ٠

ب ـ أنواعه :

١ ـ المكاتب الاهلية :

وهي الاماكن التي عُلِّم فيها الاولاد ولم يكن للحكومة فيها دور مباشر ، سبقت في وجودها المكاتب الحكومية وكانت أكثر انتشارا منها ٠

مكان المكاتب الاهلية غالبا بيت المعلم (المكتب) ٠ كأن يتخذ من بيته غرفة يستقبل فيها الاولاد ٠ مثلا محمد بن حزم المعلم (٢٨٢ = ٨٩٥) كان هو واخته وأبوه « تجمعهم كلهم في التعليم دار واحدة »(١) ٠

لا يتوفر من النصوص ـ حسب الاستقراء الممكن للكتب الاندلسية ـ ما يوضح تعليم الاولاد في المساجد ٠ ليس من المستبعد ان بعض المساجد خصصت زاوية منها كمكتب لتعليم الاولاد ٠ توجد اشارة الى تعليم القرآن الكريم في المسجد ويبدو ان هذا التعليم خص به الاولاد(٢) ٠ لعل الاندلسيين التزموا بما نسبته كتب الحسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم من أمره بتنزيه المساجد عن الصبيان لانهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات ٠ يقول ابن عبدون الاشبيلي (٥٢٠ =

(١) التكملة ، ١ : ٣٨٥ رقم ٩٦٤ ٠ انظر : تاريخ علماء ، ٢ : ٢٥ رقم ١١٦٣ ٠

(٢) راجع : الصلة ، ٢ : ٦٧٥ ٠

١١٢٦) : « ويجب ان لا يؤدب فيها الصبيان ، فانهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم ، فان كان ولا بد ففي السقائف »[1] • وكان جواب الامام مالك (١٧٩) حينما سئل عن هذا الموضوع : « لا أرى ذلك يجوز لانهم (الاطفال) لا يتحفظون من النجاسة »[2] • ولما كانت الاندلس على رأي الامام مالك فيمكن أن يكون هذا سببا آخر في تحرج الاندلسيين من اتخاذ المكاتب داخل المسجد • دعت كتب الحسبة لاتخاذ الحوانيت في الدروب وأطراف الاسواق لتعليم الاولاد بدل المساجد[3] • لكن الاندلس ــ كالعالم الاسلامي ــ لم تلتزم كليا بهذه الوصايا « فاتخذ المعلمون لهم زوايا بالمساجد ، وغرفا ملتصقة بها لتعليم الاطفال ، مهملين لسبب ولغيره هذه التوصيات الواضحة »[4] •

واذا كان مكان المكاتب الاهلية بالدرجة الاولى ــ في الاندلس ــ في بيت المعلم وبالامكان وجودها في المسجد أو ملحقة به ، فالمتوقع وجودها مستقلة تمام الاستقلال عن بيت المعلم والمسجد • هذا ما تتوفر الامثلة له في العالم الاسلامي ولا تتيسر للباحث مثلها في الاندلس[5] •

٢ ــ المكاتب الحكومية :

انشأتها الحكومة في الاندلس لتعليم الاولاد مجانا • أو

---

(١) ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، (رسالة ابن عبدون)، ٢٤ •

(٢) التعليم في رأي القابسي (رسالة القابسي) ، ٢٩٥ • وانظر : م • ن ، ٢٩٥ •

(٣) م • ن ، ٤٢ •

(٤) م • ن ، ٤٢ •

(٥) راجع : م • ن ، ٤٣ •

للعناية الخاصة بهم في التعليم وغيره ٠ خاصة أولاد الفقراء الذين لا يستطيع آباؤهم ارسالهم الى المكاتب الاهلية ٠

أول اشارة وردت عن هذه المكاتب ــ على ما يظهر ــ من عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ ــ ٣٦٦) ، الذي اتخذ « المؤدبين » ليعلموا أولاد الضعفاء والمساكين القرآن الكريم في المكاتب حــول المسجد الجامــع بقرطبــة وبكل ربض من أرباضها[١] ٠ كان عدد تلك المكاتب سبعة وعشرين مكتبا » ٠ منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة ، وباقيها في كــل ربض من أرباض المدينة ٠ في ذلك يقول ابن شُخيص :

وساحة المســجد الاعلى مكللة   مكاتبا لليتــامى من نواحيهــا

لو مكنت سور القرآن من كلم   نادتك ياخير تاليها وواعيها[٢]

أجرى المستنصر على المعلمين المرتبات ٠ ولكــي يقوموا بعملهم على خير وجه وتستمر المكاتب مضطلعة بدورها على على أتم صورة في تعــليم الاولاد حبّس عليهم في سنــة ٣٦٤ (١٠٧٠) حوانيت السراجين بقرطبة[٣] ٠ « وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم »[٤] ٠

---

(١) « يتفق كل من ابن يشكوال وابن الخطيب ، على أن عدد أرباض قرطبة بلغ عند نهايتها في الاتساع ٢١ ربضا ٠ » قرطبة حاضرة الخلافة ، ١ : ١٧٧ ــ ٨ ٠ بينما ورد في البيان ، ٢ : ٢٣٢ : ان عدد أرباضها ٢٨ ربضا ٠

(٢) البيان ، ٢ : ٢٤٠ ٠
انظر : Histoire Des Musulmans D'espagne, Dozy, II, 184—5 .

(٣) البيان ، ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٩ ٠
الاحباس : الاوقاف ٠

(٤) البيان ، ٢ : ٤٠ ٠

يمكن ذكر عدة أسئلة في هذا الموضع ، كما يمكن استنتاج عدة حقائق من خلال هذا الخبر الواحد المتوفر عن المكاتب الحكومية في الاندلس ،منها هل عرفت الاندلس قبل المستنصر مثل هذه المكاتب لتعليم الاولاد مجانا ؟ فكان عمله نموا لما وجد ، أم كان عمله بداية علمية لم تقم به الحكومة الاندلسية من قبل ؟ ومن ثم هل كانت منتشرة في انحاء الاندلس أم اقتصرت على قرطبة ؟ وهل قام من أتى بعد المستنصر في دولة بني عامر ودول الطوائف في الاندلس بالحفاظ على استمرار هذه المؤسسة والاكثار منها وتطويرها ؟ هذه الاسئلة تترك الاجابة عليها للمتتبعين في الانتاج العلمي الاندلسي المتيسر وفيما سيكشف منه ، يأمل فيه القاء ضوء عليها وعلى الفجوات الموجودة في موضوعات هذه الرسالة وسائر تاريخ الاندلس السياسي والحضاري على حد سواء ٠

واضح ان ثلاثة من المكاتب التي انشأها المستنصر ، كانت ملحقة بالمسجد الجامع « حوالي المسجد الجامع » ٠ كأن تكون ابنيتها مع سياج المسجد من الخارج أو بأي شكل آخر ٠ مما يمكن أن يؤكد على وجود عرف أندلسي وهو عدم اتخاذ المكاتب ضمن المسجد كما سبق الحديث عنه ٠ أما مكاتب الأرباض فربما كانت في موقعها على شاكلة مكاتب المسجد الجامع أي ملحقة بمساجد الارباض أو ربما مستقلة تمام الاستقلال عنها ٠ والحقيقة ان وجود المكاتب بجانب أو بقرب المساجد له فوائد منها : سهولة وصول الاولاد اليها لتوسط المساجد المدن والارباض الاسلامية ٠ كما يمكن المؤدبين الذين يتواجدون في المساجد عادة للصلاة وممارسة العلم من الوصول اليها بنفس السهولة ٠

قدمت هذه المكاتب «المؤسسات» خدماتها التعليمية للأولاد مجانا ، بتكفل الحكومة بالانفاق على انشائها وصيانتها واجراء المرتبات على القائمين بالتأديب فيهـا • وهي صورة حضارية متقدمة تعبر عن مبلغ النمو الذي وصلـه المجتمع في بنائـه الحضاري ، ومأثرة أخرى من مآثر المستنصر العالم الخليفة •

يبدو أن المجتمع القرطبي كان يرسل أولاده الى المكاتب الأهلية عامـة ، والموسرون منـه كانـوا يستقدمون المؤدبين لأولادهم • أما الفقراء فكان عوزهم المادي يحد من رغبتهم في إرسال أولادهـم للتعلم وبعض اليتامى من الفقراء أيضـا ، فكانت خطوة المستنصر علاجاً لهذه الظاهرة ليعم التعليم سائر فئات المجتمع • وثمة أمر : إن توفير « التعليم المجاني » يعبر عن الرغبة في اذاعة القراءة والكتابة والثقافة في المجتمع بشكل أكبر حتى وإن توفر الكثير من أسبابها • المحتمل أن المكاتب الحكومية رغبت في رعاية الأولاد وتثقيفهم بجانب تعليمهم ، لهذا اتخذ المستنصر المؤدبين للقيام بالمهمة التعليمية والتربوية في المكاتب •

استخدمت المصادر لفظ « المؤدبين » ، وليس المكتبين أو المعلمين ، للأشخاص الذين وَكَّلَ إليهم الحكم القيام بتعليم الاولاد • هـذا يشير الى نوع ثقافتهم • فالمؤدبون ـ غالبا ـ أرفع علما وثقافة من المعلمين، لذا كان الآباء الاغنياء يتخذونهم لتعليم أولادهم • وبهذا يكون المستنصر قد ندب لتعليم أولاد الفقراء رجالا على مستوى من العلم يوازي علم مؤدبي أولاد الموسرين •

حدد المستنصر الهدف والغاية من هذه المكاتب للمؤدبين:

فجعل من مهامهم الاساسية تعليم الاولاد القرآن الكريم وشدّهم الى غاية أسمى من الأجر المادي الذي يتقاضونه ، الى ابتغاء وجه الله العظيم في اجتهادهم ونصحهم · لا يقدم الخبر توضيحات عن المناهج والوسائل التي استخدمت لتعليم القرآن وما يتعلق بهذا من تفاصيل العملية التعليمية ·

يتضح من العرض الموجز السابق الذكر للمكاتب في الأندلس ونوعيها الأهلي والحكومي وجود تماثل واختلاف بينهما في أمور عدة :

١ ـ الجهة والزمن والمكان :

قام أفراد المجتمع بانشاء المكاتب الاهلية وفي وقت مبكر عن المكاتب الحكومية التي أنشأتها الدولة · بينما كانت الاهلية منتشرة في الاندلس ، كانت الحكومية في قرطبة بالدرجة الاولى · وفي الوقت الذي تكفلت الحكومة بالانفاق على كل ما تحتاجه مكاتبها ، دفع الآباء تكاليف المكاتب الاهلية الى المعلمين ، لقاء تعليمهم لأولادهم ، عوضا عن أتعابهم وأجر إشغال المكان في بيوتهم · حيث الغالب أن تكون الاهلية ضمن بيوت المعلمين ، بينما كانت الحكومية حول المساجد بعمارة مستقلة تماما ·

٢ ـ سياسة المكاتب :

كان للحكومة توجيه عام لمكاتبها ، إذ هي المنفقة عليها ، بينما استأثر الآباء والمعلمون في توجيه سياسة التعليم في المكاتب الاهلية جملة وتفصيلا · وأكدت سياستهما على تعليم القرآن للأولاد كهدف أساسي من العملية التعليمية وإن علّموا مبادىء

علوم أخرى كالحساب . أو اتخذ القرآن لتعليم العربية والخط . أو استعين بمختارات من الشعر والنثر لتعلم الكتابة وصقل الموهبة ، في طريق لفهم أشياء من القرآن . وهـذا واضح في المكاتب الاهلية على وجه الخصوص . واهتمت المكاتب عامـة بتزويد الاولاد بتربية اسلامية تعدهم اعدادا سليما ليكونوا أفراداً نافعين .

٣ ـ المستوى العلمي :

المستوى العلمي ومدى انتشار النوعين من المكاتب غـير معروف على وجه التحديد . إلا أن اتخاذ المؤدبين في الحكومية وافتراض كونهم أرفع مستوى في العلم من المكتبين (المعلمين) في الاهلية من المتوقع أنه جعل خريجي المكاتب الحكومية أرفع مستوى . وإن كان للمكاتب الاهلية خبرتها بحكم وجودها قبل الحكومية . أما فاعلية النوعين ومدى اسهامها في نشر التعليم الاولي في المجتمع فلا شك أن الحكومي يتقـدم على الاهلي في قرطبة لاتاحته الفرصة لجميع الاولاد وتعدد مكاتبه المعروفة وتوفر الموارد المنتظمة لما تحتاجه وتعاون المؤسسات الحكومية الاخرى معه كما هو متوقع . أمـا في سائر الاندلس ـ ولعدم توفر ما يشير الى وجود المكاتب الحكومية ـ فان المكاتب الاهلية هي السائدة وتولت لوحدها تعليم الاولاد واعدادهم لمراحل العلم القادمة وللعمل .

وتجدر الاشارة في ختام الحديث عن المؤسسة التي تولت تعليم الاولاد في المرحلة الاولى من طلبهـم للعلم وهي المكاتب بنوعيها ، القول إن مؤلفات عن التعليم في هذه المرحلة ـ كما

يبدو ـ ألفت في الاندلس • مما يدل على اتساع نطاق هـذه المؤسسة وفاعليتها • من ذلك أن أبا عمر أحمد بن عفيف بن عبد الله الأموي (٣٤٨ ـ ٤٢٠ = ٩٥٩ ـ ١٠٢٩) من أهل قرطبة جمع « كتابا حسنا في آداب المعلمين خمسة أجزاء »(١) •

٢ ـ المكتب في بلنسية

لم تقدم المصادر إلا معلومات قليلة جـداً عن المكاتب في بلنسية • فبعض البلنسيين حمل لقب « المكتب »(٢) •

ومما تعلمه الاولاد في بلنسية ـ ولا يظن أنه في غيرالمكتب ـ القرآن الكريم • فهذا أبو بكر حمدون بن المعلم البلنسي الفقيه المولود سنة ٤٥٧ (١٠٦٤) أشار في بيت من أبيـات قالها في صغرهْ الى أن أباه « المعلم » علمه تلاوة القرآن :

« فلـم يـزلْ بـي أبـي مولاي ذا لُطُفٍ
كيمـا يبـين لـي القـرآن تبيينـا(٣) »

والمتوقع أن المعلم المذكور علَّم أولاداً آخرين مع ولده في بيته • واذا كانت الاشارات الى المكاتب الاهلية هذه نادرة في بلنسية فانه لم ترد اشارة عـن المكاتب الحكوميـة فيهـا • فالمعلومات عن المكاتب بنوعيها لا يتوفر منها ـ والحالة هذه ـ غير الاحالة على ما وجد في الاندلس • فما وجد فيه لا يستبعد وجوده في بلنسية الا في حالات وظروف معينة •

---

(١) الصلة ، ١ : ٣٩ • وانظر : الوافي ، ٨ : ٤٦ رقم ٣٤٥٦ •
(٢) انظر : المعجم ، ٩٣ ـ ٤ ، التكملة ١ : ١٤٨ •
(٣) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي ، ١٠٥ • انظر : بقية الابيات ، م • ن ، ١٠٥ ـ ٦ •

وهكذا أسهم المكتب ـ في الاندلس وبلنسية ـ بدور بارز وفعال في نشر التعليم الاولي في المجتمع الاندلسي • دل عليه ومن نتائجه أن معظم الاندلسيين ـ كما سيأتي ـ كانوا يعرفون القراءة والكتابة وإن تعددت مصادر تعليمها •

ثالثا : التأديب وأماكنه

الأدبُ : « الذي يتأدَّبُ به الأديب من الناس ، سُمي أدباً لأنه يَأدِبُ الناس الى المحامد ، وينهاهم عن المقابح[1] » • وقال ابن السيد البطليوسي « الأدب أدب النفس والدرس[2] » • « وأدبه : أي علمه فتأدب » • يقول ابن عبدون الاشبيلي : « ومعنى التأديب أن يعلمه حسن الالفاظ في القراءة والخط الحسن ، واقامة الهجاء ، ويأمر من كان كبيراً بالصلاة ويكتب له التشهد وما يقول في الصلاة[4] » • واتسعت مهمة التأديب كما سيتضح •

فالتأديب تعليم وتربية يعد الشخص ليكون مثقفا مهيأ لمواصلة طريق العلم والعمل به • ومواقع التأديب عدة أبرزها بيوت المؤدبين وبيوت آباء الاولاد المؤدَبين •

---

(١) لسان ، ١ : ٢٠٦ (أدب) •

(٢) تاج ، ١ : ١٤٤ (أدب) •

(٣) م • ن ، ١ : ١٤٤ •
راجع : خزانة الادب ، عبد القادر البغدادي ، ٤ : ١٢٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ١ : ٥٣٢ (أدب ، جولد سيهر I. Goldziher) .

(٤) ثلاث رسائل ، ٢٥ •

١ ـ التأديب وأماكنه في الاندلس

أ ـ التأديب :

التأديب في الاندلس يشابه التأديب في العالم الاسلامي والحديث عنه في الاندلس يمكن أن نضعه في النقاط التالية :

١ ـ اصناف المؤدِّبين :

التأديب غالبا لبعض أولاد الجلة من الناس والامراء والخلفاء وكبار رجال الدولة والعلماء والموسرين ومن هم على مستواهم • فهذا الغازي بن قيس نافع بن عبد الرحمن (١٩٩ = ٨١٤) كان ملتزما للتأديب بقرطبة أيام دخول عبد الرحمن بن معاوية الاندلس (نحو ١٣٨) ، ويظن الزبيدي أنه أدّب ولده • واستأدبه أيضا الاميران هشام والحكم لأبنائهما[١] • وأبو عبد الملك عثمان بن مثنى (٢٧٣ = ٨٨٦) ، أدّب أولاد الامام عبد الرحمن بن الحكم ، وأولاد محمد وعمر الى أن بلغ تسعا وتسعين سنة[٢] • ومن مؤدبي الناصر لدين الله (٣٥٠ = ٩٦١) محمد بن محمد بن أرقم السبائي[٣] وأبو الوليد هشام بن الوليد بن محمد الغافقي (٣١٧ = ٩٢٩[٤]) •

---

(١) طبقات النحويين ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ •

(٢) م • ن ، ٢٨٨ ، تاريخ علماء ، ١ : ٣٠٢ رقم ٨٩١ •

(٣) التكملة ، ١ : ٣٦١ رقم ٩٧٣ •

(٤) تاريخ علماء ، ٢ : ١٧٤ رقم ١٥٤٥ •
راجع : ممن أدّب أولاد الامراء في الاندلس : تاريخ علماء ١ : ١١٤ ، ١٩٩ •

واتخذ الخلفاء المؤدبين لأولادهم فالرياحي محمد بن يحيى الأزدي النحوي (٣٥٨ = ٩٦٨) استأدبه الناصر لدين الله لابنه المغيرة[١] . وقام أبو الوليد هشام بن الوليد الغافقي ، الذي أدّب الناصر ، بتأديب ولي عهده الحكم المستنصر[٢] . الذي من مؤدبيه الحكيم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٣٣١ = ٩٤٢) الذي « كان الغاية في علم العربية والحساب وحد المنطق[٣] » . واستأدب المستنصر أبا بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي (٣٧٩ = ٩٨٩) لولده هشام[٤] . كما استأدب المستنصر لولده – ربما هشام – مِلْحان بن عبد الله ابن ملحان (٣٤٠ = ٩٥١[٥]) . وأدّب أبو عبد الله المكلفخي أيضا بعض ولد المستنصر[٦] .

واختار المنصور محمد بن أبي عامر بن العريف أباالقاسم الحسين بن الوليد (٣٩٠ = ١٠٩٦) النحوي الاديب الشاعر مؤدبا لأولاده[٧] . وكان أبو عمر (؟) مؤدب المظفر عبد الملك ابن أبي عامر[٨] . وأستأدب المنصور أيضا أبا العباس أحمد ابن علي الباغاني المقرىء (٣٤٥ – ٤٠١ = ٩٦٢ – ١٠١٠) لابنه عبد الرحمن[٩] .

---

(١) طبقات النحويين ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، تاريخ علماء ، ٢: ٦٩ رقم ١٢٩٢ .
(٢) تاريخ علماء ، ٢ : ١٧٤ .
(٣) طبقات النحويين ، ٣٠٠ ، ٣٠١ .
(٤) طبقات النحويين ، ٨٩ ، ٩٠ . وانظر : المقتبس (بيروت) ، ٣٣ .
(٥) طبقات النحويين ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .
(٦) م . ن ، ٣٢٩ .
راجع من أدب اولاد الخلفاء في الاندلس : تاريخ علماء ، ١ : ٨٧ ، ٩٤، ١٦١، التكملة، ١ : ٢٤٩ رقم ٩٥٦، ٢ : ٧٣٤، ٧٧٦ رقم١٩٠٥.
(٧) تاريخ علماء ، ١ : ١١٤ رقم ٣٥٦ ، معجم الادباء ، ١٠ : ١٨٢ ، ١٨٣.
(٨) الوافي ، ٧ : ٦٨ رقم ٣٠٠٨ .
(٩) الصلة ، ١ : ٨٥ رقم ١٨٥ .

جرى أمراء الطوائف على سنة الخلفاء والامراء من قبلهم في اتخاذ المؤدبين • فأدب أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدَّوْس (٥١١ = ١١١٧) ولدي المعتمد محمد بن عباد الراضي يزيد والمأمان الفتح(١) •

واتخذ بعض العلماء المؤدِّبين لأولادهم فأبو بكر الزبيدي النحوي استأدب لبنيه أبا عبد الله محمد بن عطاء الله النحوي (نحو ٣٩٤ = ١٠٠٣)(٢) •

اجتهد الآباء الموسرون ورجال الدولة في اختيار المؤدبين لأولادهم فلما « شب لهاشم بن عبد العزيز بنون شاور أصحابه ممن يتصرف في العمالات بالكور فيمن يستأدبه لبنيه ، فأشير له الى عبد الرحمن وأخيه » أبي مالك جابر (٢٩٩ = ٩١١) الذي وافق على التأديب بينما تعاصى عبدالرحمن على أن يؤدب. والاخوان من كورة لَبْلَه(٣) •

وكان للطَّبيخي أبي العباس وليد بن عيسى (٣٥٢ = ٩٦٣) « حظٌ من علم العربية ، وكان بصيرا بمعاني الشعر، حسن التلقين لمن تبلد فهمه عنها ، وكان يقربها ويضرب الامثال فيها ، حتى عرف بذلك ، وتنافسه الملوك ، فلم يؤدِّب إلا عند الجِلَّة »(٤) • وملحان بن عبد الله بن ملحان ـ الذي استأدبه المستنصر ـ « تصرف في تأديب الخاصة»(٥) • وأدَّب

---

(١) التكملة ، ١ : ٤١٢ رقم ١١٦٨ •

(٢) الصلة ، ٢ : ٨٤٠ رقم ١٠٤٠ •

(٣) طبقات النحويين ، ٢٨٩ •

(٤) م • ن • ٣٢٩ •

(٥) التكملة ، ٢ : ٣٧٤ • وانظر : م • ن ، ٧٣٣ •

محمد بن حزم (٢٨٢ = ٨٩٥) وأحمد بن بقي ، ومحمد بن هشام الأقشتين[١] ·

٢ ـ موضوعات التأديب :

تنوعت موضوعات التأديب وألوان الثقافة التي يتلقاها الاولاد المؤدَبون · ربما حددها الاب أو شارك المؤدب في تحديدها · وراعت في مجملها ـ على ما يبدو ـ المستقبل المرجو للولد · مزودة إياه بالعلم والمعرفة اللائقين ، فيالوسط الاجتماعي والعلمي ، وما يغذي العقل والروح والجسد · فهي مناهج للتعليم وللتربية ·

وأول العلوم التي أدّب بها المؤدبون القرآن الكريم والحديث الشريف ثم الفرائض والنحو والشعر والحساب والهندسة[٢] ·

---

(١) م · ن ، ١ : ٣٥٨ ·
أحمد بن بقي بن مخلد : بو عبد الله (٣٤٤ = ٩٥٥) من أهل قرطبة · تاريخ علماء الاندلس ، ١ : ٣٣ رقم ١٠٣ ، جذوة ، ١١٨ رقم ١٩٧ ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ابو الحسن النباهي،٦٣ـ٥٠ · وانظر : بقي بن مخلد ابو عبد الرحمن (٢٠١ ـ ٢٧٦ = ٨١٦ ـ ٨٨٩) من حفاظ المحدثين ، تاريخ علماء ، ١ : ٩١ ـ ٣ رقم ٢٩٣ ، الصلة ، ١ : ١١٦ ـ ١١٩ رقم ٢٨٠ ·

(٢) انظر : ممن أدب بالقرآن الكريم : تاريخ علماء ، ١ : ٥٣ ، ١١٣ ، ٣٤٠ ، الصلة ١ : ١٧٦ · ممن أدّب بالقرآن والشعر الحديث والنحو : طبقات النحويين ، ٣٢٨ · وممن أدّب بالعربية : طبقات الأمم ، ٩٧ ، تاريخ علماء ، ١ : ١٧٠ ، ٢٢٧ ، بالنحو : تاريخ علماء ، ١ : ٢٨٩ ، الوافي ، ٨ : ٩٣ رقم ١٥١٧ ، بالنحو والشعر : تاريخ علماء ، ١:٩٤ · ومن أدّب بالحساب : تاريخ علماء ، ١ : ١٠٧ ، ١٦٨ رقم ٤٩٩ ، الصلة ، ١ : ٣٤ · بالحساب والهندسة : طبقات الامم ، ١٠٥ ، التكملة ، ١ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ ·

لا يعرف أي المصنفات في العلوم ، اهتمام التأديب ، اتخذت لتأديب الاولاد • كما لا يعرف التدرج في ايصال تلك العلوم للاولاد ولا بد أنها راعت مستوى الاولاد العلمي وتفاوت أعمارهم •

يلاحظ – من استقراء النصوص المتوفرة – ان المعرفة التي حصل عليها الاولاد المؤدبون تجاوزت – كما ونوعا – المعرفة التي حصل عليها الاولاد في المكاتب • اطول مدة التأديب بشكل عام ، وتجاوز عمر المؤدَبين عمر المكتبيين • كانت مرحلة التأديب شاملة لعمر طلبة المكتب • يمكن القول ان بعض المؤدبين تجاوزوا في معرفتهم مستوى بعض طلاب حلقات العلم في المساجد •

٣ – ثقافة المؤدبين :

الظاهرة البارزة ان المؤدِبين كانوا من العلماء الأعلام ويفوقون المكتبيين (المعلمين) علما ، ويتضح هذا جليا من مراجعة تراجمهم • ورد ذكر اسماء طائفة من الفريقين يمكن مراجعتها في مظانها • يكفي الاشارة هنا الى بعض المؤدبين • فالحكيم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (٣٣١=٩٤٢) « كان الغاية في علم العربية والحساب وحد المنطق ، وكان دقيق النظر ، لطيف الاستخراج ، صحيح الخاطر ، ولم يكن أحد من أهل زمانه يتقدمه في علمه ونظره ، وانجب على يديه جملة من المؤدِبين والشعراء الكتاب »(١) •

هذا أبو عبد الله محمد بن يحيى الرباحي (٣٥٨=٩٦٨)

(١) طبقات النحويين ، ٣٠٠ •

« كان حاذقا بعلم العربية ، دقيق النظر فيها ، لطيف المسالك في معانيها ، غاية في الابداع والاستنباط ، ولم يكن ظاهره ينبيء عن كثير علم ، فاذا نوقش ونُوظِرَ لم يُصْطَل بناره ، ولم يشق غباره »[1] .

أما أبو بكر الزُبيدي النحوي (٣٧٩) صاحب « طبقات النحويين واللغويين » فشهير ذكره وأدب هو الآخر[2] .

لم يكن المُؤدِّب ـ وهو العالم ـ ليقتصر على التأديب بل يناظر ويؤلف وربما كانت له حلقة في المسجد في ذات الوقت[3] .

عرف عن بعض المؤدِبين حسن الطريقة في التأديب والتأديب بعلم معين كالعربية ، مما جعل الآباء يتنافسون فيهم لتأديب أولادهم . فالطَبيخي (٣٥٢ = ٩٦٣) كان حسن التلقين للعربية « لمن تبلد فهمه عنها ، وكان يُقربُها ويضربُ الأمثال فيها ، حتى عرف بذلك ، وتنافسه الملوك ، فلم يُؤدِّب الا عند الجِلَّة »[4] . وأبو مالك جابر بن غيث (٢٩٩ =٩١١) « كَان من أحدِّ الناس في التأديب ، فقلَّ من تأدب عندهِ الا وتعلق من العلم بمُسْكة »[5] .

كان المؤدبون يجدون بعض الصعوبات في تدريس العربية ، يقول الزبيدي : « ولم يكن عند مؤدِّبي العربية ولا عند غيرهم

---

(١) م . ن ، ٣٣٥ ـ ٦ .
(٢) انظر : المقتبس (بيروت) ، ١٢٣ ح .
(٣) راجع : طبقات النحويين ، ٣٣٦ ، المقتبس (بيروت) ، ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٤) طبقات النحويين ، ٣٢٩ .
(٥) م . ن ، ٢٨٩ .

من عني بالنحو كبير علم »[1] ، في تقريب معانيها للتلاميذ ، حتى عاد ابو عبد الله محمد بن يحيى الرباحي من رحلته بطريقة أهل المشرق وخبرتهم في تدريس النحو « فنهج نهم سبيل النظر ، وعلمهم بما عليه أهل هذا الشأن في المشرق ، من استقصاء الفن بوجوهه ، واستيفائه على حدوده ، وانهم بذلك استحقوا اسم الرياسة »[2] • وهو مثل واحد من بين العديد من الأمثلة على انتقال الكثير من خبرة وانتاج الحركة العلمية في المشرق الاسلامي الى الأندلس •

٤ ـ عدد المؤدِّبين :

ربما لم يتجاوز عدد الأولاد الذين أدّبهم المؤدب في كل مرة عدد أولاد الاسرة الواحدة • بل وجد من المؤدبين من اختص بتأديب ولو واحد في الوقت الواحد ، وربما استمر على تأديبه لوحده حتى تخطى مرحلة التأديب[3] • وهذا الاتجاه ـ اقتصار المؤدب على ولد واحد ـ نابع من حرص الآباء وكبير اهتمامهم في تأديب أولادهم ، فتوفر علم وثقافة عالم لولد واحد أكبر نفعا من اشتراك أولاد آخرين معه •

ويبدو ان عدد الأولاد الذين استقبلهم المؤدبون في دورهم أو المسجد كان قليلا قياسا الى عدد الأولاد الذين استقبلهم المعلمون (المكتبون) •

---

(١) م • ن ، ٣٣٦ •

(٢) طبقات النحويين ، ٣٣٧ •

(٣) راجع : ثلاث رسائل (ابن عبدون) ، ٢٥ •

٥ ــ اجر التأديب :

غير معروف قدر الأجــر الذي تقاضاه المؤدب عن الولــد الواحد فهو غير محدد • تفاوت بتفاوت ثراء آباء الأولاد وعلم ومكانة وجهد المؤدب • تجاوز ما تقاضاه المؤدب ما حصل عليه المكتِّب من تعليم الأولاد ، رغم أن عدد الأولاد الذين أدّبهم المؤدب في الوقت الواحد أقل من عددهم عند المعلم • فقد قدم آباء المؤدبين ــ وهم من علية القوم ــ الأجر والهدايا بسخاء الى المؤدِبين حرصا منهم عى امداد أولادهم بمعرفة رفيعة وتعويضاً للمؤدب عن قلة الأولاد الذين يؤدبهم[1] • هذا وان كان بعض الاولاد الذين ذهبوا الى المؤدبين لم يكونوا من أسر غنية • فمثلا ان رجلا خاصم بعض المؤدِبين في « الحذقة » وهي « ما يقدم للمؤلف حين يحذق صبيه تعليمه »[2] • فامتنع الرجل عن تقديمها ــ ولا يعرف قدرها ــ الى المؤدب ، فناظره في ذلك ، « وتعصب له المؤدبون بقرطبة واشفقوا ان ينفتح عليهم في ذلك باب منع ، فأتوا غازي بن قيس فقالوا : يا سيدنا ــ تعريضا له بالتأديب ــ عرض غرض لنا كيت وكيت ، فقال : يغرمها صاغرا قميئا وقضى لهم بذلك ، اذ هو مما جرى عليه أمر الناس »[3] •

يستنتج من هذا ان « الحذقة » كانت محددة القدر وعرفا تعليميا في قرطبة قبل نهاية القرن الثاني الهجري ، فوفاة غازي ابن قيس سنة ١٩٩ (٨١٤) • وهو وقت مبكر يكسب الخبر

---

(١) راجع : المقتبس (بيروت) ، ١٣٣ •

(٢) طبقات النحويين ، ٢٧٨ ح٤ • وراجع : التعليم (رسالة القابسي) ، ٢٨٣ •

(٣) طبقات النحويين ، ٢٧٨ •

قيمة كبيرة ودليل على انتشار التأديب قبل هذا الوقت بشكل واسع واستقرار اعرافه في المجتمع • ثمة أمر أن المؤدبين كانوا على وعي بالصلة التي تربطهم ببعضهم باعتبارهم أصحاب مهنة واحدة هي « التأديب » • فلما هدد وجه من وجوه مواردهم لجأوا الى عالم مؤدب كبير هو الغازي بن قيس يستفتونه بما حصل لهم وكأنهم يرشحونه للدفاع عن حقهم •

ب ـ أماكن التأديب :

جرى التأديب غالبا في دور آباء المؤَدَّبين ودور المؤدِّبين وجرى في المساجد والمكاتب الحكومية •

١ ـ دور المؤدِّبين :

فالزبيدي النحوي (٣٧٩) أدّب هشاما ولد الخليفة المستنصر في أحد قصور مدينة الزهراء(١) •

٢ ـ دور العلماء :

فأخت محمد بن حزم القرطبي المتوفى سنة (٢٨٢ = ٨٩٥) ـ الذي مر ذكره ـ كانت تؤدب وكان أبوهما « معلم عامة » وتجمعهم كلهم في التعليم دار واحدة »(٢) • والظاهر ان أخت محمد القرطبي هذه كانت تؤدب البنات ولا يمنع قيامها بتأديب الأولاد معهن •

وأبو عبد الله محمد بن يحيى الأزدي الرباحي (٣٥٨ =

---

(١) انظر : المقتبس (بيروت) ، ١٣٣ •

(٢) التكملة ، ١ : ٣٥٨ رقم ٣٥٨ •

٩٦٨) لزم التأديب بداره في قرطبة « فانجفل الناس اليه »[١].

٣ ـ المساجد :

كان محمد بن اسماعيل (؟)[٢] « يؤدب بمسجد متعة »[٣] « بالنحو والشعر »[٤] .

٤ ـ المكاتب الحكومية :

اتخذ الحكم المستنصر ـ كما سبق ذكره ـ المؤدِبين لتعليم أولاد الفقراء في المكاتب . مما يشير الى قيام التأديب في المكاتب الحكومية .

يبدو ان الاماكن التي احتوت التأديب بالدرجة الاولى هي دور آباء الاولاد المُؤدَّبين ودور المؤدِبين . والفائدة العلمية من التأديب في دور آباء أولاد المؤدبين في هذه الأماكن كانت أكبر منها في الأماكن الأخرى . فهي توفر المكان الملائم بشكل أكبر لمهمة التأديب وتجعل الولد يحظى بقسط أكبر من جهد العالم المُؤدِب فلا يكون معه الا إخوته إن وجدوا وعدد محدود من الأولاد ـ قياسا للتعليم في المكاتب ـ اذا جرى التأديب في بيت المؤدب . وتتم الفائدة بشكل أكبر من التأديب اذا ما سكن المُؤدِّب في جانب من دار أسرة الولد . أما دوام انتقال العالم الى بيوت آباء المؤدَّبين ففيه نصب له . ويلاحظ في المراحل

---

(١) طبقات النحويين ، ٣٣٦ .

(٢) م . ن ، ٣١٥ ، التكملة ، ١ : ٣٦٢ رقم ٩٧٩ ، الذيل ، ٦ : ١٣٢ رقم ٣٣٣ .

(٣) طبقات النحويين ، ٣١٥ .

(٤) الذيم . ٦ : ١٣٢ .

التالية من التعليم ان الطلاب في الأعم يرحلون الى العالم اينما وجد في المسجد أو في بيته وحيثما كان ·

حرص بعض الامــراء ان يجــري تثقيف أولادهم تحت نظرهم فاستدعوا المؤدبين اليهم واحيانا اسكنوهم قريبا من الأولاد · وحدث ان امتنع مؤدب عن التأديب عندما استدعاه شخص من جلة القوم(١) ·

٢ ـ التأديب واماكنه في بلنسية

تتوفر نصوص قليلة جدا عن التأديب في بلنسية · ويتوقع ان ما وجد في قرطبة ومدن الاندلس الأخرى لم تحرم منـــه بلنسية بشكل من الاشكال · وهي احدى مدنه الكبيرة وقواعده المعدودة ·

من مواضيع الدراســة التي أدب بهــا المؤدبون ، القرآن الكريم · فابن أبي الخير جعفر أحمد بن زرارة الأُميّ (؟) الذي سكن بلنسية « أدب القرآن · وكان مقرئا ضابطا غاية في الاتقان »(٢) · وابو الحسن علي بن رافع بن أحمد بن خليفة بن حلبس الأموي البلنسي (؟) « كان من أهل العلم بفرائض المواريث والحساب ، أدّب بذلك طويلا »(٣) ·

من المؤدبين البلنسيين أبو بكر اسحاق القباب المؤدب · روى عنه أبو نصر الفتح بن خلف المقرىء الخبري (٤٥٧ ـ ؟)

---

(١) انظر طبقات النحويين ، ٢٨٩ ·

(٢) التكملة ، ١ : ٨١ رقم ٢١٤ · وانظر : الذيل ، ١ : ١ : ١١٦ ـ ٧ رقم ١٥٦ ·

(٣) الذيل ، ٥ : ١ : ٢١٣ رقم ٤٢٥ ·

ابياتا من الشعر أنشده اياها في بلنسية[1] • ولا يعرف شيء عن نشاطه في التأديب •

شارك التأديب بأماكنه المتعددة في نشر التعليم والثقافة في المجتمع الأندلسي • ساهم مع التعليم المكتبي بتوسيع دائرة المتعلمين للقراءة والكتابة • يبدو ان دور المكاتب كان أوسع في هذا المجال • بينما سعة الثقافة العامة التي قدمها التأديب أوسع من مثيلتها في التعليم المكتبي •

رابعا : دور العلماء

لم يعتبر المسلمون الدار الخاصة مكانا صالحا للتعليم العام • فأهل البيت والطلاب جميعا لا يجدون اليسر في التوفيق بين هدوء المنزل ، وحلقة الدرس وبين ما تستدعيه من حركة ونشاط • واعتبروا المنازل مكانا للدرس عند الضرورة ، وعدوا المساجد أفضل مواضع التدريس[2] •

جرى التعليم الاسلامي بالمنزل في عهد الاسلام المبكر ، وقبل انشاء المساجد • اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام دار الأرقم بن ابي الأرقم مركزا يلتقي فيه بأصحابه[3] • ومن ثم جرى التدريس في دور العلماء في الأندلس كما في العالم الاسلامي • فربما وجد بعضهم ان بامكانه تهيئة الجو الملائم في سكنه لاستقبال الطلاب والعلماء، وفي ذلك الراحة والفائدة العلمية له ولطلابه أكثر مما لو خرج الى المسجد ، توفيرا

---

(1) أخبار وتراجم أندلسية ، ١٠٤ •
(2) انظر : تاريخ التربية ، ٥٤ ، ٥٥ •
(3) انظر : م • ن • ، ٥٥ •

ويسرا في الحصول على الكتاب من مكتبته الخاصة • وجد أفراد من العلماء ان تدريس بعض العلوم في المنزل اسهل منه في المسجد لأسباب تتعلق بموضوع الدرس وما يتطلبه وربما اعاق المرض العالم من الخروج الى المسجد • وان متانة العلاقة بين العالم والطالب وسعيهما الحثيث لبث العلم وطلبه وحرصهما على أن يعم ويرتفع مستواه ، طمعا في رضا الله تعالى وحسن ثوابه ، واستمتاعا بحلاوة المذاكرة والدرس ، ذلل من الصعوبات التي واجهت التعليم البيتي • فكان العالم المسلم ذا صدر رحب ، يستقبل الطلاب والعلماء ، بسرور بالغ ، وهكذا شأنه •

١ ـ دار العالم الأندلسي

يدل الاستقصاء القليل للمصادر على محدودية التعليم في دور العلماء بالأندلس مقارنة بما كان عليه الأمر في المساجد • والحقيقة ان العديد من الامور الهامة التي يتتبعها الباحث ويرى انها مكملة للبحث لا يجسد ما يلقي الضوء عليها • يبدو أن بعض هذا راجع الى المؤرخ المسلم الذي لم يحفل بها ، ربما لشيوعها • فوجد انها ثانوية اذا ما قيست بمعلومات أخرى مثل ذكر نسب العالم وموطنه وحياته وشهرته العلمية وأهم مؤلفاته ، وشيوخه وتلامذته(١) اما مكان النشاط العلمي « مؤسساته » وكيف جرى فيها ، فلم يحفل به الا ما جاء عرضا • لا يخفى ان عدم وصول معظم انتاجنا الاندلسي وعدم نشر

(١) راجع : تاريخ علماء ، ١ : ٢ (مقدمة المؤلف) ، الصلة ، ١ : ١ ـ ٢ (مقدمة المؤلف) •

الكثير مما وصل منه سبب آخر في قلة المعلومات في النواحي الحضارية من نشاط المجتمع الاسلامي ٠

لعل الامثلة المتنوعة التالية عن النشاط العلمي في دور العلماء بالاندلس تعين على دراسة الموضوع ببلنسية ٠ فأبو القاسم عباس بن فرناس (٢٧٤ = ٨٨٧) حكيم الاندلس اتخذ من بيته مكانا لتجاربه وبحوثه المختلفة(١) « وصنع في بيته هيأة السماء،وخيَّل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود »(٢) ٠

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجبلي القرطبي (٣١٠ أو ٣١٣ = ٩٢٢ أو ٩٢٥) ، « كان حافظا للرأي ، عالما بالاحكام وألف، في ذلك كتابا جمع فيه ما يجب على الحكام عمله، وأخذته ريح فأبطلته ، فلزم بيته فكان يجتمع اليه للمناظرة »(٣) ٠

اتخذ الطبيب ابن ملوكة النصراني (أوائل خلافة الناصر لدين الله) من بيته مكانا لنشاطه العلمي ولا يستبعد تتلمذ عدد من الطلاب عليه في صنعة الطب في بيته٠ فكان لابن ملوكة « على باب داره ثلاثون كرسيا لقعود الناس »(٤) للتداوي والتطبيب ٠ فقد كان يصنع بيده ويفصد العروق(٥) ٠

روى ابو عمرو عثمان بن سعيد المقرىء (٤٤٤ =

---

(١) راجع : بغية ، ٤٣١ رقم ١٢٤٧ ، المغرب ، ١ : ٣٣٣ رقم ٢٣٩ ،

(٢) نفح ، ٣ : ٣٧٤ ٠

(٣) تاريخ علماء ، ٢ : ٣٣ ــ ٤ ٠

(٤) طبقات الاطباء ، ٩٧ ٠

(٥) م ٠ ن ، ٩٧ ٠

١٠٥٢)[١] علي ابي بكر حاتم بن عبد الله البزاز بقرطبة في منزله[٢] . اما ابو القاسم خلف بن فتح بن جودي القيسي « فكان يقرىء بداره بحومة مسجد الاسكندراني من قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة »[٣] .

اذا كان المرض والشيخوخة يمنعان العالم عن الخروج من منزله ، فيستقبل الطلاب لديه ، فهناك صورة رائعة من الصور التي حفل بها نشاط الحركة العلمية الاسلامية . فالعالم هو الذي يقصد الرجل المريض في بيته ليسمعه العلم . فالفقيه العالم ، الزاهد ، الورع ، ابو اسحاق ابراهيم الذي يعرف بابن القزاز (٢٧٤ = ٧٨٧)[٤] ، اختلف الى اصبغ بن سفيان القرطبي ــ وكان مريضا ــ وأسمعه في بيته ، لقدره ولعلمه بفضله . فقد كان اصبغ « من أفضل أهل زمانه وازهدهم »[٥] .

لم تكن مهمة العالم تعليمية فحسب بل كانت تهذيبية في ذات الوقت . وهذا امتداد لما وجد في « المرحلة الاولى » من مراحل التعليم . فالتربية والتعليم لا يفترقان في التعليم الاسلامي . والعالم قدوة للطلبة في سلوكه . فمثلا هذا ابن المشكيالي ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن اسماعيل (٣١٢ = بعد ٤٠٠) « عينا من اعيان طليطلة ، ... ، لا تأخذه في الله لومة لائم »[٦] . قصده « المظفر عبد الملك بن ابي عامر بطليطلة

---

(١) بغية ، ٤١١ ــ ٢ رقم ١١٨٦ .
(٢) جذوة ، ١٩١ .
(٣) التكملة ، ١ : ٢٩٦ . راجع : م . ن ، ١ : ٦١ .
(٤) تاريخ علماء ، ١ : ١٠ ــ ١١ رقم ١٠ .
(٥) م . ن ، : ٨٠ .
(٦) الصلة ، ٢ : ٤٨٧ .

اثر صلاة جمعة ، وكان الشيخ قد لزم داره ، وكان يسمع عليه فيها ، فلما استأذن المظفر وعلم بذلك الشيخ قال لمن حوله من طلبة العلم : لا تقوموا • فامتثلوا أمره ، فدخل المظفر عليه فاكرم مثواه • ثم استنفره الدعاء »[1] •

تفاوت عدد الطلبة الذين استقبلهم العالم في داره في كل مرة ، تبعا لشهرته العلمية واستعداده لاستقبالهم • ويبدو — من المثال الذي سيرد ذكره — ان عددهم تجاوز الأربعين طالبا • وكان مستواهم العلمي على قدر يمثل «المرحلة الثانية» من مراحل التعليم في الأندلس وهي التي تلي مرحلة التعليم المكتبي والتأديب « المرحلة الأولى » •

أورد ابن بشكوال (٥٧٨) خبرا ذا أهمية عن التعليم في دار عالم طليطلي ، يكاد يقدم للباحث أوضح صورة عن التعليم في هذه المؤسسة ، ويبدو أنه خبر قل مثله في مدينة طليطلة • ولندع أحد التلاميذ يحدثنا عن مجلس شيخه العالم الطليطلي ابي عمر أحمد بن سعيد بن كوثر الانصاري(٤٠٣=١٠١٢) الفقيه المتفنن[2] ، « قال : كنت آتي اليه من قلعة رباح وغيري من المشرق ، وكنا نيفا على أربعين تلميذا ، فكنا ندخل في داره في شهر نُونبر ، ودُجنبر ، وينير في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات ، والحيطان باللبود من كل حول ، ووسائد الصوف ، وفي وسطه كانون في طول قامة الانسان مملوءا فحما يأخذ دفئه كل من في المجلس ، فاذا فرغ الحديث أمسكهم جميعا وقدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزّيت العذب ،

---

(١) الصلة ، ٤٨٧ •

(٢) م • ن ، ١ : ٣٦ — ٧ رقم ٧١ •

وأيام ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ، ويقدم بعد ذلك لونا واحدا ونحن قد روينا من ذلك الطعام ، فكنا ننطلق قرب الظهر مع قصر النهار ولا نتعشى حتى نصبح الى ذلك الطعام الثلاثة أشهر ، فكان ذلك منه كرما وجودا وفخـرا لم يسبقه أحـد من فقهـاء طليطلة الى تلك المكرمة »(١) ٠

ان هذا الخبر ذو دلالات عدة منها انه يمثل صورة من صور النمو الذي وصل اليه التعليم في الأندلس وفي بيت العالم الأندلسي ٠ ويشير ــ ولو من بعيد ــ الى آن الحركة العلمية في الأندلس غدت من النمو بحيث تطلعت الى مؤسسة علمية جديدة تقف مع المسجد في أداء مهمته العلمية ٠ وربما وجدت أمثلة أخرى مماثلة ــ في الأندلس ــ أو أكثر تطورا خصوصا والمثل المذكور من بدايــة القرن الخامس الهجري ٠ ومن ثــم يتضمن الخبر بوادر « المدارس الاهلية » في الأندلس ٠

ان الرغبة الصادقة في بث العلم جعلت العالم يتجنب أخذ الأجر على التدريس في العموم ٠ بل ان ابن كوثر الانصاري ــ المار الذكر ــ قدم لتلامذته كل يــوم ــ وعددهم نيفــا على أربعين ــ وجبة غذاء في داره فضلا عن تهيئة المكان المناسب لاستقبالهم ٠ ومما اعان ابن كوثر الانصاري على هذا البذل ــ على ما يبدو ــ يسر حالته المادية ٠

ان ما عرف من اساليب تعليمية في المسجد وجد ما يماثل

---

(١) الصلة ، ١ : ٣٧ ٠
نونبر ، دجينبر ، وينير ، تقابل الاشهر : كانون الاول ، كانون الثاني ، شباط ٠

معظمها في دار العالم الاندلسي لتماثل المرحلة التعليمية لكلا المؤسستين • و يتوقع ان معظم علوم العصر ــ وقتئذ ــ كان لها نشاط في دار العـالم الأندلسي من دراسـة وتدريس و بحث وتجربة و تأليف •

٢ ــ دار العالم البلنسي

لا تسعفنا المصـادر بنص عن النشاط العـلمي في منزل الاستاذ ببلنسية، بل يوجد قليل من النصوص عن ذلك النشاط في وقت متأخر(١) •

ان وجود أمثلة عن النشاط العلمي في منزل الاستاذ في مدن من الأندلس على الرغم من قلتها، ووجود نصوص قليلة متأخرة عنه في بلنسية ، يمكن القول معه أن منزل العالم في بلنسية لم يخل من مثل ذلك النشاط على طول تلك القرون الأربعة من تاريخ المدينة • فاجزاء الأندلس متواصلة علميا وظروفها الاجتماعية والعلمية تكاد تكون متقاربة وان ضرورات النشاط العلمي في المدينة ــ أية مدينة ــ لا بد أنه فرض وجود المجالس العلمية في منزل العالم بشكل من الاشكال وفي وقت من تلك القرون الأربعة •

يحتمل ان مجلس ابن واجب (؟) ــ في بلنسية ــ الذي حضرة أبو محمد بن حزم (٤٥٦) ونمـّا عنده حب العكوف على طلب العـلم ــ في احـدى الروايـات ــ كـان في بيت ابن

(١) راجع : المعجم ، ٩٤ ، ٢٨٥ ، ٣١١ •

واجب[1] . كان مجلس ابن واجب مجلسا علميا منتظما ، دارت فيه المناقشات والمناظرات العلمية وحضره ــ على ما يبــدو ــ العديد من العلماء والطلاب .

أسهمت دور العلماء بنصيب وافر في نشر العلم والثقافة على أعلى المستويات في الأندلس . وجاءت ــ كما يظهر ــ بعد المساجد في هذه المهمة . يتضح هذا من النماذج القليلة التي مر ذكرها في بلنسية والأندلس ويجد المتتبع في المصادر الاندلسية نماذج أخرى تعين على تقدير هذا الاسهام .

خامسا : المكتبــات

تعتبر المكتبات من المؤسسات المهمة التي تسهم في خدمة وانهاض الحركة العلمية والثقافية في المجتمع . وهي ظاهرة حضارية متقدمة تعبر عن رقي المجتمع واهتمام افراده بالكتاب وشغفهم به ، قراءة وتأليفا وما يتعلق بهذا من عناية بالكتاب من نسخ وضبط وبذل . وقــد تجــلى ذلك وبأروع صوره في المكتبات الاسلامية التي حفل بها المجتمع الاسلامي . الذي بذل أفراده وحكامه سواء الأموال الطائلة والجهود الكبيرة لكي يتيسر الكتاب لطالبه . بل لدفع الفرد أكثر الى القراءة والافادة . فكانت المكتبات بأنواعها المتعددة تزخر بالكتب على اختلافها . وقد جاء ذلك بعد نمو مستمر للحضارة الاسلامية رافقتــه غزارة في التأليف مع الأصالة ووفرة مواد الكتابة ووسائلها .

---

(1) انظر : تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٤٨ ، سير النبلاء جزء خاص بترجمة الامام ابن حزم الاندلسي ، شمس الدين الذهبي ، ٢٨ ــ ٩ ، ٣٦ ــ ٧ . لم يرد ان مجلس ابن واجب كان في مكان آخر . انظر : ادناه ، ٣٣٠ ــ ١

وأهم من ذلك وقبله وجود الرغبة والدافع والحب للقراءة والتزود من مناهل العلم الذي يعد الكتاب أحد أهم مصادره ، ولسمو واشراقة الهدف ، ووجود المشجع العارف بأهمية المكتبة(١) .

١ ـ المكتبات في الاندلس

يمكن القول أن الاندلس عرفت نوعين من المكتبات : الخاصة والعامة . وقبل الحديث عن هذين النوعين من المكتبات يجدر الكلام بايجاز عن موارد الكتاب والعناية به في الأندلس .

آ ـ موارد الكتاب :

للكتاب في الأندلس موارد عدة أولها تاريخيا ما حمل اليه من العالم الاسلامي وما ألف فيه وما ورده من غير العالم الاسلامي .

١ ـ كتب العالم الاسلامي :

ان الكتب التي وردت الاندلس من العالم الاسلامي كلها اسلامية المنشأ وبجانبها كتب ألـّفـَها علماء الأمم الأخرى سواء في ظل المجتمع الاسلامي أو خارجه وقبله . وهذه ـ وهي قليلة ـ دخلت الأندلس إما مترجمة الى العربية ـ وهي الأغلب ـ أو بلغاتها الأصيلة .

كانت الكتب المجتلبة من العالم الاسلامي تيارا ناميا على

---

(١) راجع : المكتبات في الاسلام ، نشأتها وتطورها ومصائرها ، محمد ماهر حمادة ، ٧ ، ٢٧ وما بعدها .

طول المدة الذي بصددها البحث · ولها وسائل عدة أدت بها الى الأندلس منها :

آ ــ العلماء والطلاب :

ما حمله العلماء والطلاب الوافدون على الأندلس من كتب في علوم شتى ويتبع ذلك ما جلبه الطلاب والعلماء الاندلسيون بعد إيابهم من رحلتهم في العالم الاسلامي · لعل هذا السبيل أثرى السبل التي أدت بالكتاب الى الأندلس · ولنضرب بعض الأمثلة على هذا السبيل بنوعيه : فأبو جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي «ادخل الاندلس بعض كتب أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، رواية عن ابنـه ابي جعفر ، وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ رواية »(١) · وعلى عهد الخليفة الناصر (٣٠٠ ــ ٣٥٠) « دخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم »(٢) · وقدم عبد العزيز بن الحسين بن سليمان الزجاج الأندلسي في نحو العشرين والثلاثمائة ، وكان حدثا متزهدا ، فادخل الأندلس عدة كتب في الزهد منها كتـاب « النجاة الى الطريق » لمحمد بن المبارك الصوري وغير ذلك ، وكتبها بخطه للحكم المستنصر(٣) ·

شارك الرحالة الاندلسيون من علماء وطـلاب مشاركة فعالة في نقل ما يظهر من كتب في العالم الاسلامي الى الأندلس، خصوصا مؤلفات شيوخهم في العالم الاسلامي وما حصلوا على حق روايته وأجيزوه · وهي كتب روى الطلاب معظمها عن مؤلفيها فتكون بذلك أكثر ضبطا ودقة وأرفع منزلة وأوسع

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ٦١ ·
(٢) طبقات الاطباء ، ٩٨ ·
(٣) الصلة ، ٢ : ٣٧٥ ·

انتشارا في الأندلس[١] . وكان أولئك الاندلسيون يتحرون الجديد الأصيل من المؤلفات التي لم تصل بلادهم وما يثير اهتمامهم ويلبي اتجاهاتهم العلمية . فمما انفرد به ابو عبد الرحمن بقيّ بن مخلد من أهل قرطبة (٢٠١ ــ ٢٧٦ = ٨١٦ ــ ٨٨٩) ولم يدخله سواه مصنف أبي بكر بن أبي شيبة بتمامه ، وكتاب « الفقه الكبير » لمحمد بن ادريس الشافعي بكامله، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط، وكتابه في الطبقات، وكتاب « سيرة عمر بن العزيز » للدورقي[٢] . وأبو سليمان أيوب بن سليمان بن اليان القوطي (٣٢٦ = ٩٣٧) أدخل كثيرا من كتب العراقيين »[٣] . وقد لقي أبو عبد الله محمد بن مفرج المعافري (٣٧١ = ٩٨١) بمصر « أبا جعفر أحمد بن محمد النحاس ، فروى عنه تأليفه في اعراب القرآن وفي المعاني والناسخ والمنسوخ وغير ذلك . وهو أول من أدخل هذه الكتب الأندلس رواية »[٤] . واما أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن ابن أحمد بن علي الكرماني (٤٥٨ = ١٠٦٥) من أهل قرطبة ، وأحد الراسخين في علم العدد والهندسة ، فقد جلب معه رسائل « اخوان الصفا » و « لا نعلم أحدا أدخلها الاندلس قبله »[٥] .

---

(١) راجع : تاريخ علماء ، ١ : ٣٠٢ ، ٣٥٠ ، ٢ : ٨٢ .
(٢) م . ن ، ١ : ٩٢ .
(٣) راجع : تاريخ علماء ، ١ : ٨٦ .
(٤) م . ن ، ٢ : ٨٢ .
(٥) طبقات الامم ، ٩٢ .
راجع : اندلسيين ادخلوا الاندلس كتبا بعد ايابهم من رحلتهم الى العالم الاسلامي : تاريخ علماء ، ١ : ٢١٩ ، ٣٠٢ ، ٢ : ١٦٤ ، طبقات الامم، ٩٢ ، ١١٣ ــ ٤ ، الصلة ٢ : ٤١١ .

ب ـ التجـار :

بعضهم تاجر بالكتب فنقلها من البلد الذي تتوفر فيه الى حيث الطلب عليها وقد لا تقتصر تجـارتهم على الكتب · وهذا الصنف من التجار لم تحل التجارة بينه وبين العلم تلقيا وبذلا · اذ عرف عن بعضهم ـ ان لم نقل معظمهم ـ الاهتمام بالعلم والحرص على طلبه · فكان يتاجر ويطلب العلم في آن واحد · ولعل بعض أولئك وجد في التجارة في الكتب أو غيرها من البضائع خير وسيلة لتوفير ما يحتاجه من مؤنة في رحلته الطويلة وان تجارته بالكتاب خدمة كبرى للحركة العلمية · وهؤلاء التجار من الأندلس والعالم الاسلامي · ولنورد مثلا يوضح هذا السبيل : فأبو عمر أحمد بن خالد بن عبـد الله الجذامي التاجر (٣٧٨ = ٩٨٨) من أهل قرطبة « رحل الى المشرق ودخل العراق تاجرا »(١) فسمع بالعراق من علماء عدة. كما سمع بمكة وبمصر(٢) ، « وأدخل الاندلس كتبا غريبـة تفرد برواياتها فسمعها الناس منه قديما وحديثا »(٣) ·

ج ـ حكومة الاندلس :

ساهمت الحكومة الاندلسية في العمل على ادخال الكتاب الاسلامي الى الأندلس · وأشهر من عني بذلك وفاق غـيره الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦) · كان « حريصا على اقتناء دواوينها ، يبعث فيهـا الى الاقطـار والبلدان ، ويبـذل في اعلاقها ودفاترها انفس الأثمان · ونفق ذلك لديه ، فحملت

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ٥٥ ·

(٢) تاريخ علماء ، ١ : ٥٥ ·

(٣) الحلة ، ١ : ٢٠٠ ـ ١ وانظر جذوة ، ١٣ ·

من كل جهـة اليه ، والملك سوق ، ما نفق فيها جلب اليها ، حتى غصت بها بيوته ، وضاقت عنها خزائنه »[١] يقول ابن خلدون عن المستنصر : « وكان يبعث في الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ، ويسرب اليهم الاموال لشرائها ، حتـى جلب منها الى الأندلس مالم يعهدوه »[٢] • وكان للمستنصر « وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم الى الآفاق عنها • ومن وراقيـه ببغـداد محمـد بن طرخان ، ومن أهل المشرق والاندلس جماعة »[٣]•

حرص المستنصر غاية الحرص ان يكون في المكتبة ، التي رعاها حق الرعاية ، انفس الكتب وافردها واحدثها ، « فبعث الى ابي الفرج الاصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عينا ذهبا ، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتـابه الذي ألفـه في الأغاني ، وما لأحد مثله ، ••• فارسل اليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه آحد منهم »[٤] •

كان المستنصر يجد في الحصول على الكتاب مهما غـلا ثمنه وشق الحصول عليه متعة علمية كبيرة وفائدة جمة مقدرا بفكرة الثاقب ـ الذي نشأ في مجتمع محب للعلم ـ أهمية الكتاب ودوره في أية نهضة علمية حضارية •

---

(١) الحلة ، ١ : ٢٠٠ ـ ١ • وانظر : جذوة ، ١٣ •
(٢) العبر ، ٤ : ٣١٧ •
(٣) الحلة ، ١ : ٢٠٢ •
(٤) الحلة ، ١ : ٢٠١ ـ ٢ • وانظر العبر ، ٤ : ٣١٧ •
Histoire Des Musulmans D'espagne, II, 184.

شارك علماء بلنسيــة في جلب الكتب الى الاندلس ، واصابها منها الكثير فساهم في حركتها العلمية ٠

٢ ــ المؤلفات الاندلسية :

ألف الاندلسيون في شــتى العــلوم ، وامتازت مؤلفــات العديد منهم بالغزارة والاصالة والتنوع ٠ بل ان استعراض كتب التراجم الاندلسية ترينا أن ظــاهرة الكثرة في التأليف معتادة[١] ٠ فألفوا في علوم القرآن والحديث والفقه واصوله وفروعه وفي القضاء وفي اللغة وعلومها والمعــاجم والفهرســة والتاريخ والتراجم والجغرافية ، كما ألفوا في الطب والحساب والهندسة والفلك والكيمياء والمنطق والفلاحة والملل والنحل والفلسفة والموسيقى وفي أصول العلم وفضله وآداب المعلمين وفي الزهد ٠ كما ألفت فئات المجتمع من اليهود والنصارى في علومهم المختلفة في ظــل المجتمع الاسلامي الذي وفــر فرص المعرفة والعلم ولم يحرم احدا من العلم والانتاج ٠ وغايــة القول ان الاندلسيين لم يتركوا حقلا من حقــول المعرفة الا طرقوه ، فدرسوه والفوا فيه الكتب الحسان ، التــي ارتقى مستوى بعضها الى غاية الاصالة والابداع والجودة والاتقان والسبق ٠ وجاء هذا تدريجا وبعد نمو مستمر في بناء الحياة العلمية ٠

---

(١) الكتب ، ٣٦٦ ٠
عن تنوع وضخامة ما ألفه الاندلسيون راجع :
طبقات الامم ، ٨٤ ــ ١١١ ، ١١٣ ــ ٦ نفح ، ٣ : ١٦٠ وما بعدها (رسالة ابن حزم في فضل الاندلس ، تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم ، رسالة الشقندي) ، الكتب ، ٣٦٣ ــ ٧ ٠

ونورد مثلا واحدا عن ذلك الصنف من العلماء الذين يمكن وصفهم بالموسوعيين، غزارة في التأليف وتنوعا واصالة.
فهذا بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن (٢٠١ ـ ٢٧٦ = ٨١٦ ـ ٨٨٩)[١] « من حفاظ المحدثين ، وأئمة الدين ، والزهاد الصالحين ، ... ، الف كتبا حسانا تدل على احتفاله واستكثاره »[٢] من مؤلفاته « تفسير القرآن »[٣] الذي قال عنه ابن حزم (٤٥٦) « فهو الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره »[٤] . « ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فروى فيه ألف وثلثمائة صاحب ونيّف ، ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه وأبواب الاحكام ، فهو مصنف ومسند ، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله ، مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه »[٥] . وقد نال مسند بقي الاعجاب في المشرق الاسلامي ، يقول أبو الحسن طاهر بن عبد العزيز الرعيني (٣٠٥ = ٩١٧)[٦] وهو أحد تلامذة بقي : « حملت مع نفسي جزءا من مسند أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد الى المشرق (مكة) فأريته محمد بن اسماعيل الصائغ

---

(١) جذوة ، ١٧٧ رقم ٣٣١ ، الصلة ، ١ : ١١٦ ـ ١٩ رقم ٢٨٠ ، بغية، ٢٢٩ ـ ٣٠ رقم ٥٨٤ ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، المجلدة العاشرة ، ٢٣٠ ـ ٤ .
(٢) جذوة ، ١٧٧ رقم ٣٣١ .
(٣) تاريخ علماء ، ١ : ٩٢ .
(٤) نفح ، ٣ : ١٦٨ (رسالة ابن حزم) ، جذوة ، ١٧٧ .
(٥) نفح ، ٣ : ١٦٨ (رسالة ابن حزم) ، جذوة ، ١٧٧ ، الصلة ، ١ : ١٧ .
(٦) تاريخ علماء الاندلس ، ١ : ٢٠٦ رقم ٦١٩ .

فقال : ما اغْتـُرف هـذا الا من بحر علم • وعجب من كثرة علمه»[1] • ولبقي بن مخلد مؤلفات غير ماذكر،قال عنها ابن حزم « فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام ، لا نظير لها ، وكان متخيـِّراً لا يقلد أحداً »[2] •

ان ضخامة التأليف وتنوعـه في الأندلس لـه ما يبرره ، فمجتمع كالأندلسي ــ نساؤه ورجاله جلهم « يقرأ ويهتم بالعلم يتذوقه ويستمتع بقراءته ومدارسته وفيه الآلاف من العلماء والمتخصصين في كل ميدان يؤلفـون ويكتبون بوفرة غـزيرة واصالة باهرة وتمكن نـادر ، فاننا نتوقع سيـلا من الانتاج جارفا واهتماما بالعلماء والعلم ، ووسيلة ذلك الكتاب• فكانت الأندلس قبلة العلماء والمتعلمين ، ليس من العالم الاسلامي فقط ولكن من خارجه ايضا • وغدا العلم والكتاب مصدر فخر وميدان سباق ، به ترتفع مكانة الانسان ويعرف موضعه »[3] •

يرى مؤنس ان المدة الواقعة بين (٤٥٠ ــ ٥٥٠=١٠٥٨ــ ١١٥٥) تمثل ذروة التأليف في الأندلس : « انها حقبة متميزة بخصائصها عما سبقها ولحقها من مراحل هذا التاريخ العامر بالفتوح الفكرية • فخلال هذه الأعوام المائـة وصل التأليف في شتـى ضروب العـلوم في الأندلس الى ذروتـه »[4] • ومن الخصائص المميزة للانتاج الفـكري الاندلسي خـلال ذلـك القرن (٤٥٠ ــ ٥٠٠) « التجويد والإحكام في التأليف ثم

---

(١) ن • م ، ١ : ٩٢ •
(٢) جذوة ، ١٧٨ ، نفح ، ٣ : ١٦٩ •
(٣) الكتب ، ٣٦٧ •
(٤) تاريخ الجغرافية ، ١٦٥ •
عن الخصائص المميزة للانتاج الفكري الاندلسي خلال المدة (٤٥٠ــ٥٠٠)•
(٥) راجع : م • ن ، ١٦٥ ــ ٧ •

وفرة الانتاج المنسوب الى كل علم من الاعلام ، ... ، نلاحظ اتجاها واضحا نحو التخصص »[1] • وان عرف الاندلسيون التخصص من وقت مبكر ولكن في ميادين العلوم الشرعية واللغوية • اما التخصص في الجغرافية والفلسفة والطب والنبات وما اليها فهو الجديد في الأندلس ــ خلال المدة المذكورة ــ ووصل التخصص الى ذروته في العلوم التي عرف الاندلسيون الانقطاع اليها من قبل[2] •

يدل على انتشار العلم والثقافة في صفوف المجتمع الأندلسي بشكل كبير كثرة العلماء الاعلام • • فاية مدينة لو احصي علماؤها في عصر واحد مهما كانت صغيرة لكان عندهم قائمة طويلة • ونظرة فيما لدينا من كتب تراجم تطلعنا على هذا • زخرت قرطبة بالعلماء في عصر الخلافة ، ذكر ابن الخطيب ــ مثلا ــ أسماء حوالي (١٣٨) عالما من علماء قرطبة الشهيرين الذين حضروا عهد بيعة هشام بن الحكم المستنصر (٣٦٦) ووصفهم بأنهم « هضاب راسية، وبحار في العلم زاخرة، واعلام قولهم مسموع »[3] •

ومن الأمور التي تدل على وفرة العلماء بقرطبة وقتئذ ما « ذكر ان المنتصر بالله (الحكم المستنصر !) أمر ونادى في أزقة قرطبة الا يتعمم رجل لا يحمل المدونة حفظا وفقها • قال : فتعمم فيها ثلاثة مائة رجل (٣٠٠) ونيّف • فما ظنّك بغيرها من العلوم والفنون »[4] •

---

(١) م • ن ، ١٦٥ •

(٢) انظر : م • ن ، ١٦٦ •

(٣) أعمال ، ٤٨ •

(٤) كتاب الجغرافية ، ٢١٩ •

« وقيل انه كان في قرطبة ثلاثة آلاف مُقلَّس ، وكان لا يتقلَّس عندهم في ذلك الزمان الا من صلح للفتيا »[١] • ويحتمل ان هذا كان على عهد الخلافة •

لم تكن قرطبة وحدها تستأثر بذلك المستوى الرفيع فى العلم والثقافة[٢] بل توفر ولو بشكل أقل — خاصة قبل سقوط الخلافة — في سائر انحاء الاندلس • فمدينة شِلب (Silves) « قل ان ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني الأدب ولو مررت بالفلاح خلف فدّانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وأي معنى طلبت منه »[٣] •

فلا غرابه ان قال دوزي(Dozy) (١٨٨٤ م) المستشرق الهولندي ومن تابعه : انه يمكن القول ان كل فرد في الأندلس — تقريبا — كان يحسن القراءة والكتابة ، بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة معرفة أولية في أوربا الا الطبقة العليا من القسس[٤] •

مما شجع على التأليف الرغبة الأصيلة لدى العالم في نشر علمه وافادة الناس منه ، الذين كانوا — في ذات الوقت — خير مشجع للعلماء في اتجاههم نحو التأليف باقبالهم على القراءة بنهم ورغبة في التزود من العلم • وكانت الحكومة الاندلسية

---

(١) المعجب ، ٣٧٢ • انظر : نفح ، ١ : ٤٥٨ •

(٢) راجع : مذكرات الامير عبد الله ، ١٧ أعمال ، ١٤٥ •

(٣) معجم البلدان ، ٣ : ٣١٢ • أيضا : آثار البلاد ، ٥٤١ • (مع اختلاف في بعض الالفاظ) •
وقارن طريق الرواية في كلا المصدرين المذكورين •

(٤) انظر :
Histoire Des Musulmans D'espagne, II, 184; The Cambridge Medieval History, III, 434; (The Western Caliphate);

هي الأخرى عنصر تشـجيع ورعـاية للمؤلفين واتخـذ ذلك التشجيع وتلك الرعاية اشكالا متعددة • ونخص هنا بالذكر الخليفة العالم الحكم المستنصر الذي كان يقترح على العلماء ان يؤلفوا ، وقدم العديد منهم ما جادت به افكارهم الى الحكم الذي اغدق على الجميع ـ سواء من الاندلسيين أو من اتصل به من العلماء من خارج الأندلس ـ من كبير التقدير والإعزاز والعطاء ماغذى مسيرة العلماء في إعمال الفكر والانطلاق الحر في رحاب العلم الواسعة الممتعة[1] • وكانت تلك الرعاية أصيلة ولغاية واحدة لاغيرها هي تهيئة المزيد من الاجواء المناسبة للحركة العلمية ـ التي هيأها المجتمع الاسلامي ـ لتزيد في ابداعها وعطائها • وليقدم اولئك العلماء لمجتمعهم نتاجا طيبا وزادا نافعا يغذي العقول ويهذب النفوس آخذا بيد المجتمع نحو العلا والرقـي القائم على دعائم واركان ثابتة مكينة دافعة •

مما وفر عدد نسخ الكتاب الواحد ازدهار صناعة الوراقة في الأندلس • حيث تولى الوراقون ـ ومنهم من عمل في مكتبات خاصة أو عامة أو عند الدولة ـ نسـخ ما ظهر من مؤلفـات بنسخ عدة حسب اقبال الناس عليها • وكل الذين اشتغلوا بالعلم ـ من علماء وطلبة ـ كانوا ينسخون الكتب وكان شأن كل هذا ان أثرى المكتبات وجعل الكتب ـ اندلسية أو غيرها ـ سهلة التنقل ميسورة الحصول • المتوفر ذكره مما ورد الاندلس من كتب غير العـالم الاسلامي ـ بشـكل مباشر ـ قليـل وفي مناسبات معينة • حمل تلك الكتب الى الاندلس التجار والطلاب

---

(1) الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ٢٨ •
أجرى الحكم المستنصر عطاءا لعدد من العلماء وأكرم علماء الاندلس والوافدين من العالم الاسلامي راجع : تاريخ علماء ، ١ : ١٢١ ، ١٢٩ ، ٢٥٥ ، ٢٧٥ ، ٢ : ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ •

وكانت سفارات تلك الأمم مع قرطبة أهم باب ـ على ما يبدو ـ دخلت الكتب منه الى الاندلس • اذ وجد عدد من حكام الافرنج ان خير ما يتقرب بــه الى قرطبة هــو الكتاب ، عندما عرفــوا المستوى الحضاري الذي بلغته، وحب خلفائها للكتاب والعلم• ولا يخفى ان حكام تلك الأمم وجدوا في ارسال الكتب الى قرطبة وسيلة طيبة لتعريف المسلمين ـ من الجانب الذي يهتمون به ـ بحضارة أممهم في عصورها السالفة[1] • فحين وصلت سفارة من الفرنج (فيما وراء البرت Pyreness) الى بلاط قرطبة في عام ٣٢٨ (٩٣٩) أيام الخليفة الناصر ، طلب ابنه وولي عهده الحكم المستنصر الى السفير ، الراهب غدمار ، ان يضع له كتابا عن بلاد و ملوك الفرنج ، أو أن الراهب ألفه وأهداه اليه[2] • وأخبر المسعودي انه وقف على ذلك الكتاب « بفسطاط مصر سنة ٣٣٦ هـ ، أهداه عرماز (غدمار) الاسقف بمدينة جربذة من مدن الافرنجة في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن »[3] • وأورد المسعودي نقولا من ذلك الكتاب[4] وربما يشير هذا الى ان عرماز الفه بالعربية أو ان الكتاب ترجم اليها •

« ويوم قدمت ســفارة امبراطور الدولة البيزنطيــة الى قرطبة سنة ٣٣٦ (٩٤٧) لم يجد قسطنطين السابع ما يتقرب

---

(١) انظر : المدنية الاسلامية، ٨٧، مجهودات مسلمة المجريطي فيالرياضيات، خوان بيرنت خينيس ، ١٦ (تقرير مدريد •••) •

(٢) الكتب ، ٣٧٢ • انظر : مروج الذهب ، ٢ : ٧ ، Andlusian Dipiomatic Relations, 134 - 6.

(٣) مروج الذهب ، ٢ : ٧ •

(٤) راجع : مروج الذهب ، ٢ : ٧ •

بـه الى الخليفـة الناصر لديـن الله خـيرا من اهدائـه بعض الكتب »(1) ٠

ان الكتاب ــ في الاندلس ــ بموارده المتعددة شاركت فيه بلنسية وكان لها منه نصيب ، فكان له أثره في حياتها العلمية ٠ فالكتاب بمتنـاول الأندلسيين جميعا ٠ وسيظهر ــ في هـذا البحث ــ كيف شارك البلنسيون في ميدان الكتاب الرحب ٠

وما حظيت قرطبة به من نصيب وافر من الكتب اصابه تلف أو توزع غير عادي على أثر الفتنة التي اجتاحتها بسقوط الخلافة ، فتوزع الكتاب من قرطبة بين انحاء الأندلس مثلما انتشر علماؤها(2) ٠

صدّرت الاندلس وبلنسية الكتب الى خارج شبه الجزيرة سـواء من مؤلفات علمـاء الاندلس أو غيرهم أيـام الاندلس وبعدها ٠ فكان له أثـره على الحياة العلمية في البـلاد التي وصلها ٠

وهكذا فالكتاب بموارده المتعـددة وحركته الدائبة بـين المهتمين بالعلم أغنى المكتبات الاندلسية وخدم الحركة العلمية فزاد في انمائها بـل هو من أهـم عوامـل نموهـا ومعبر عن مستواها ٠

---

(1) الكتب ، ٣٧٠ ٠ وانظر : المدنية الاسلامية ، ٨٧ ٠

(2) انظر : طبقات الامم ، ٨٧ ٠

ب ـ الوراقـة :

عني الاندلسيون بالكتاب غاية العناية ٠ فازدهرت عندهم صناعة الوراقة التي تعنى بنسخ الكتاب وتجليده وتصحيحه بالضبط والرواية وغيرها ٠ جاء هذا الازدهار بعد أن كثرت التآليف العلمية ، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق لتعم فائدتها العلمية(١) ٠ تهيؤ مواد الكتابة ومستلزماتها ، ورغبـة الناس الكبيرة في الحصول على نُسـخ مما يؤلف ، سـاعد على ذلك الازدهار ويسَّر لطالب الكتاب الحصول عليه بأيسر جهد وأجمل شكل واتقن محتوى ، وعمل كل ذلك على اغناء المكتبات التي حفل بها الاندلسيون ٠ ان ازدهار الوراقة حدا بالمقدسي (٣٨١ = ٩٩١) الى القول : « وأهل الأندلس احذق الناس في الوراقة »(٢) ٠

ومما يتعلق بالوراقة امور عدة منها :

١ ـ صناعة الورق :

« اشتهرت الاندلس بمصانع الورق وتميزت بهذا الانتاج بعض المدن مثل غرناطةGranada وبلنسـية Valencia وطليطلة Toledo وشاطبة Jative »(٣) وقد حاز مصنع شاطبة ـ من اعمال بلنسية ـ « شهرة واسعة في صناعة الورق الجيد »(٤) ٠ حتى امتدحه الادريسي (٤٩٣ ـ ٥٦٠) بقوله « ويعمل بهـا من الكاغد مالا يوجد له نظـير بمعمور الأرض ويعم المشارق

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ، ٣ : ٩٦١ ـ ٣ ٠

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، المقدسي المعروف بالبشارى ، ٢٣٩ ٠

(٣) الكتب ، ٣٦١ ـ ٢ ٠ انظر : المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية، خوليان ريبيرا ، ١ : ٨٥ ٠

والمغارب »[١] ، فقد كانت شاطبة مدينة تجارية نشطة اشاد بنشاطها الواسع ابو العباس العذري (٤٧٨) حيث قال : « وفيها يتجهز التجار بالأمتعة الى غانة وبلاد السودان والى جميع بلدان المغرب »[٢] .

٢ ـ صنعة الوراقة (النسخ ، الخط ، التجليد) :

ان نشاط التأليف ورغبة الناس الكبيرة في اقتناء الكتب وتوفر مادة الكتابة (الورق) وانتشار القراءة والكتابة وارتفاع المستوى الثقافي للاندلسيين ، عمل على زيادة الاهتمام بالكتاب نسخا وتجليدا وضبطا وما الى ذلك[٣] . وقد ربط ابن خلدون (٨٠٨) بين التقدم الحضاري الذي شهده العالم الاسلامي وبين العناية الفائقة بالكتاب ، فقال : « كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط . وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة . وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملّة الاسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس . اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاق اسواق ذلك لديها »[٤] .

ان نسخ الكتاب في الأندلس لم يكن ليقتصر على الوراقين

---

(١) صفة المغرب ، ١٩٢ .
انظر : خريدة العجائب ، سراج الدين بن الوردي ، ١٦ ، مواد اندلسية من الروض المعطار ، ٥٨ ، نفح ، ١ : ١٦٦ .

(٢) نصوص ، ١٩ .
راجع : دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٥٠ ، المدنية الاسلامية ، ١٨٧ .

(٣) راجع : مقدمة ابن خلدون ، ٣ : ٩٥٦ .

(٤) راجع : مقدمة ابن خلدون ، ٣ : ٩٦١ .

الذين كانت صنعتهم الوراقة بل تعداهم الى كل ذوي الاهتمام العلمي .

ومما يتصل بالنسخ والخط، فكان للاندلسيين خط متميز أثر على الخط في عدوة المغرب وافريقية[1] . ويقول المقدسي (٣٨١) ان خطوط أهل الاندلس مدورة »[2] ، ولقد تفنن الاندلسيون في الخط وتأنقوا بتجويده ، وليس ذلك بالنسبة للوراقين والوراقات ، لأنه مهنتهم ، بل بالنسبة للآخرين »[3] وأورد عبد الواحد المراكشي (٦٤٧) نصا في غاية الأهمية عن النسخ والخط في الاندلس ، ويتوقع ان ذلك كان في عصر الخلافة ، حيث قال : « حكى ابن فياض في تاريخه في اخبار قرطبة قال : كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها »[4] .

ان ما نسخ في الأندلس في عصور الازدهار تميز بالضبط وحسن الخط ، يقول ابن خلدون : « ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة . ومنها لهذا العهد بأيدي الناس في العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية في ذلك . واهل الآفاق يتناقلونها الى الآن ويشدون عليها يد الضنانة »[5] . غير ان الخط والنسخ تردى في عصور تالية « وصارت الكتب اذا انتسخت

---

(١) انظر : م . ن ، ٩٥٦ ــ ٧ .

(٢) أحسن التقاسيم ، ٢٣٩ .

(٣) الكتب ، ٣٨٥ .

(٤) المعجب ، ٣٧٢ .

(٥) مقدمة ابن خلدون ، ٣ : ٩٦٣ .

فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة ، حتى لا تكاد تقرأ الا بعد عسر ، ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول »(١) • ويفيد النص المتقدم في دراسة وتحديد خطوط المخطوطات الاندلسية التي وصلتنا •

وكان من شأن التجليد أن يحفظ الكتاب ويصونه من التلف لمدة أكبر • ويضفي عليه جمالا وسهولة في الاستعمال والنقل • فنال تجليد الكتاب عناية خاصة من أهل الاندلس « وكانت مالقة بالاندلس أكثر المدن براعة واتقانا في صناعة الجلود عامة وتجليد الكتب تجليدا نفيسا على وجه الخصوص، وقد بذل الهواة من جامعي الكتب كما بذل الامراء المسلمون جهدا رائعا كانت نتيجته تكوين المكتبات العامرة ، والتشجيع المتواصل لتنسيقها ، وابداع تجليد كتبها ، مما اسهم بنصيب ملحوظ في هذا التطور الذي لا نظير له في فن تجليد الكتب في العصور الوسطى »(٢) • وكانت مكتبة القصر في قرطبة ــ التي سيكون عنها حديث قادم في الموضع المناسب ــ تضم « أمهر المجلدين في اسبانيا ، يعملون باستمرار في القصر ومعهم مجلدون آخرون من صقلية وبغداد ، ومنمنمون ورسامون ليزينوا الكتب التي كان ينسخها أمهر النساخين بالمحليات البديعة • وكانت تقدم هذه الى جماعة من العلماء يتقاضون

---

(١) م • ن ، ٣ : ٩٥٧ ــ ٨ •

(٢) تاريخ التربية ، ١٤١ ــ ٢ •

أجزل العطاء لمقابلتها وتصحيحها »(١) . كذلك كان شأن الكتب الأخرى التي ينسخها الوراقون نساءً ورجالا . فالطالب بعد حصوله على نسخة من الكتاب يحرص على قراءته على العالم سواء أكان مؤلفه أو له حق روايته فتكون نسخته بذلك مضبوطة قراءة . وكان الوراقون على مستوى جيد من العلم والثقافة ، وسترد في هذا البحث أمثلة متنوعة عنهم ومدى اسهامهم في الحياة العلمية .

يكتفى في هذا الموضع بالمثل التالي : كان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة ويقال صارة الشنتريني (٥١٧) « لغوياً شاعراً مفلقاً ، مليح الكتابة ، قليل الحظ ، نسخ الكثير بالأجرة »(٢) وكان هذا الوراق قليل الرزق ضنك العيش اذ لم تكن الوراقة تدر عليه ما يكفيه فمن شعره يقول :

أما الوراقة فهي انكد حرفةٍ ... أوراقها وثمارُها الحرمانُ

شبّهت صاحبها بصاحب إبرةٍ ... تكسو العراة وجسمها عريان(٣)

ج ـ أنواع المكتبات .

١ ـ المكتبات العامة :

وهي المكتبات التي كانت في خدمة المجتمع والحركة العلمية فيه ، وهي على نوعين من حيث الجهة التي باشرت بانشائها وتنميتها ورعايتها .

---

(١) المكتبات ، ١ : ٨٦ ـ ٧ .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي ، ٢:٥٧ .

(٣) م . ن ، ٢ : ٥٧ ـ ٨ .

آ ـ مكتبات المساجد :

يتوقع ان كل مسجد من مساجد الاندلس كان يضم مكتبة ـ صغيرة أو كبيرة ـ وخاصة المساجد الجامعة • لأن المسجد في الاندلس كان المكان الأول للنشاط العلمي ، وهذا يتطلب وجود مكتبة تسهل ذلك النشاط[1] •

ان مصدر كتب هذا النوع من المكتبات ـ بالدرجة الاولى ـ هو ما أوقفه العلماء من مكتبات أو كتب على المساجد سواء في حياتهم أو حينما دنت وفاتهم، لينتفع بها أكبر عدد من الناس[2]. وأوقف بعض العلماء كتبه في منازل خاصة[3] • وموّلت الحكومة ـ على ما يبدو ـ المكتبات بالكتب وخاصة على عهد الأمراء والخلفاء الذين عرف عنهم الحب للكتاب • ويحتمل ان بعض أصحاب اليسار اشترى الكتب وأوقفها على المساجد تشجيعا لطلبة العلم • وكان الدافع هو الجو العلمي للمجتمع الأندلسي وفي كل حالات الوقف كان المُوقِف يبغي رضا الله تعالى وحسن ثوابه •

ولا يعرف عن هذه المكتبات فيما يخص العناية بها ونظام الاعارة • وواضح ان هذه المكتبات كانت أكثر عمومية من النوع الآخر من المكتبات العامة وهي مكتبات القصور ، من حيث امكان استفادة الناس منها •

---

(1) الكتب ، ٣٣٨ •

(2) انظر : المكتبات ١ : ٨٤ ، الكتب ، ٣٨٣ ، المدنية الاسلامية ١٧٨ •

(3) المكتبات ، ١ : ٨٤ •

ب ـ مكتبات القصور :

يقصد بها ما انشأه حكام الاندلس من مكتبات في قصور ودور الحكومة لرعاية الحياة العلمية • وتعتبر مكتبات عامة لأنها كانت مفتوحة لكبار العلماء والأدباء ـ خاصة ـ اضافة الى رجال الحكومة ومن يتصل بهم • وهي بهذا دون مكتبات المساجد في عموميتها • « واضخم مكتبة في الأندلس طرّا هي المكتبة الرئيسة في قرطبة التي رعاها امراء الاندلس وخلفاؤهم » الى عهد المستنصر الذي اثراها ايما اثراء(١) والحديث عن دوره هذا طويل مرت اشارات عنه في هذا البحث• يقول الحميدي (٤٨٨ = ١٠٩٥) : « جمع من الكتب في انواعها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك وذلك بارساله عنها الى الاقطار ، واشترائه لها بأعلى الاثمان ، ونفق ذلك عليه فحمل اليه »(٢) • ذكر القلقشندي (٨٢١ = ١٤١٨) انه يقال ان أعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن : منها خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس(٣) •

أما عدد كتب تلك المكتبة فيقول ابن حزم (٤٥٦ = ١٠٦٤) : « واخبرني تليد الفتى ، وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالاندلس ، ان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة • في كل فهرسة خمسون ورقة ، ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط »(٤) • وجاء في « نفح الطيب » حتى قيل انها كانت اربعمائة ألف

(١) الكتب ، ٣٧١ •
(٢) جذوة ، ١٣ ، نظر : الحلة ، ٤ : ٣١٦ ، ٣١٧ ، ١ : ٢٠٠ ـ ٢٠٢ •
(٣) صبح الاعشى ، ابو العباس أحمد القلقشندي ، ١ : ٤٦٦ ـ ٤٦٧ •
(٤) جمهرة ، ١٠٠ •

مجلد[1] ، أو ستمائة الف مجلد كما ورد في رواية آخرى ، ويظهر الفرق واضحا اذا قورن هذا العدد بما تحويه المكتبات المعاصرة في أوروبا[2] ٠

وقد لاقت مكتبة الخلافة كل العناية على يد الحكم المستنصر فقد جمع « بداره الحذاق في صناعة النسخ ، والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فأوعى من ذلك كله »[3] ٠ وهذه لبنى (٣٧٤ = ٩٨٤) كاتبة الخليفة المستنصر ، كانت احدى الخطاطين الذين عملوا في مكتبته ، « كانت حاذقة بالكتابة ، نحوية شاعرة بصيرة بالحساب ، مشاركة في العلم ، لم يكن في قصرهم انبل منها ٠ وكانت عروضية ، خطاطة جدا »[4] ٠

أما العالم مجاهد العامري (٤٣٦ = ١٠٤٤) امير دانية فقد جمع « من دفاتر العلوم خزائن جمة »[5] ٠ وكان المظفر ابن الافطس صاحب بطليوس (٤٦٠ = ١٠٦٧) « كثير الادب جمّ المعرفة ، محبا لاهل العلم ، جماعة للكتب ، ذا خزانة عظيمة ، لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب

---

(١) انظر : الحلة ، ١ : ٢٠٣ ، التكملة ، ١ : ١٣٥ ، العبرة ، ٤:٣١٦ ٠
المقرىء ، ١ : ٣٩٥ ٠
انظر : دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٥١ ، (دائرة المعارف الاسلامية)، ٨ : ٢ (الحكم المستنصر) ٠

(٢) دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٥١ ٠
انظر : المدنية الاسلامية ، ١٧٩ ، ١٨٠ ٠

(٣) العبر ، ٤ : ٣١٧ ٠

(٤) الصلة ، ٢ : ٦٥٣ رقم ١٥٢٩ ٠
راجع : عن أوجه اهتمام المستنصر بمكتبة الخلافة ٠ تاريخ علماء ، ١ : ٤٩ ، ٢ : ٦٩ ، ٧٣ ، التكملة ، ١ : ٣٤٧ ، المكتبات ١:٨٦ــ٨٠ ٠

(٥) البيان ، ٣ : ١٥٦ (عن ابن حيان) ٠

ومعرفة »(١) « انتفع العلماء والادباء بمكتبات الحكام التي كانت مفتوحة لهم بشكل أوسع ٠

ربما كان في الاندلس نوع من المكتبات العامة غير التي في المساجد وقصور الحكم ، وهي المكتبات المستقلة بعمارات خاصة بها ٠ « ذكر البعض ان عدد المكتبات العامة في الاندلس أيام الخلافة بلغت سبعين مكتبة »(٢) ٠ ويقول كرد علي : « وقد أنشأ الحكم الثاني عدة مكتبات للمطالعين »(٣) ٠ بينما يرى شريف SHARIF انه « كان في الاندلس حوالي عشرين مكتبة عامة ، منها مكتبة قرطبة »(٤) ٠

فهل المكتبات العامة التي ذكرها هؤلاء المؤلفون ـ دون ان نعرف على أي شيء اعتمدوا ـ هي مكتبات المساجد ، اذ هي مكتبات عامة ، أم أنها مكتبات أخرى مستقلة ؟ بالتأكيد لو قصدوا مكتبات المساجد واعتبروها لعموم الاندلس لكان هذا مردودا لان عدة مساجد قرطبة وحدها كما يذكر ابن حيان (٤٦٩) ، ١٦٠٠ مسجد على عهد المنصور محمد بن ابي عامر(٥) ٠ فاذا كان هذا الرقم قائم على احصاء ما وكان صحيحا فلعله يقصد به في المساجد الرئيسية في قرطبة ٠ أما

---

(١) نفح ، ٣ : ٣٨٠ (عن ابن الابار عن ابن حيان) ٠
انظر : الكتب ، ٣٧٣ ، دول ، ٤١٥ ، ٤١٦ ٠

(٢) الكتب ، ٣٧٠ ـ ١ ٠
انظر : مجالي الاسلام ، حيدر بامات ، ١١٣ ٠

(٣) غرائب الغرب ، محمد كرد علي ، ١٦٧ ٠
راجع : العبر ، ٤ : ٣١٧ ٠

(٤) دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٥١ ٠

(٥) نفح ، ١ : ٥٤٠ ٠
قارن : م ٠ ن ، ١ : ٥٤٠ ، ٥٤١ ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ١:١٨٢ ٠

اذا قصدوا المكتبات العامة المستقلة فلم يتوفــر نص ممكن استقاء هذه المعلومات منه • ليس الواقع في عدم الاخذ بهذا العدد عدم امكانية وجوده بل لا بد من مرجع وان بالامكان ان يكون العدد أعلى •

ان المكتبات العامة ـ مقيدة أو مطلقة ـ ليس من الضروري أن تكون من انشاء الدولة فمكتبات المساجد وبعض العلمــاء لا دخل للدولة فيها ، عــدا اسهامها في بعض مكتبات المساجد كما هو متوقع ، مما جعــل عدد المكتبــات العامة يتضاعف في الاندلس •

ان شغف الاندلسيين بالكتاب يجعل الاماكن التي تقــدم الكتاب للمجتمع كثيرة وهذا لا يستدعي جميع الناس الحاجة الى الكتاب فالبيوت تحوي مكتبات وهي ميسرة لمن يطلب كتبها •

ويبدو انه وجد في الاندلس نوع آخر من المكتبات العامة هي « مكتبات الحــدائق » التــي امتازت بهــا الاندلس زمن الامويين والدولة العامرية(١) • واذا صح الخبر فهو مظهر آخر عــلى حب الاندلسيين للكتاب وشغفهم بقراءتــه وتقديرهم لأهميته فوجدوا في انشاء المكتبات في المتنزهات وسيلة نافعة من وسائل ايصال المعرفة الى المطالع في جو المتنزهات الجميل •

٢ ـ المكتبات الخاصة :

هي المكتبات التي كان يمتلكها العلماء والمتعلمون رجالا ونساءً أغنياء أو فقراء في المجتمع الأندلسي •

---

(١) الوحدة والتنوع . ٣٣٥ •

يظهر ان المكتبات الخاصة كانت منتشرة بشكل كبير . وبطبيعة الحال فهي تفوق جدا عدد المكتبات العامة ، بل إن من هذه المكتبات الخاصة لكثرة محتوياتها من الكتب وفرط العناية بها كانت لها مبان خاصة بترتيب معين(١) . ونذكر من هذه المكتبات مكتبة القاضي ابن فطيس ابي المطرف عبد الرحمن ابن محمد (٣٤٨ ـ ٤٠٢ = ٩٥٩ ـ ١٠١١) الذي « كان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمسندين ، حافظا للحديث وعلله ، ... ، جمع من الكتب في أنواع العلم مالم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس ، ... ، وكان له ستة وراقين ينسخون له دائما ، وكان قد رتّب لهم على ذلك راتبا معلوما ، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه وبالغ في ثمنه . فان قدر على ابتياعه والا انتسخه منه ورده عليه »(٢) . أما عن بناء تلك المكتبة فقد « وضع تصميمه بحيث يسمح برؤية جميع خزائن الكتب من مكان معين ، وطلى مدخل المكتبة وسقفها وجدرانها وشرفتها والوسائد الوثيرة والأبسطة باللون الاخضر »(٣) وفي ذلك يقول ابو الحسن النُّباهي (بعد ٧٩٣) حين ترجم لابن فطيس بأنه « كان له بداره مجلس عجيب الصنعة ، حسن الآلة ، ملبَّس كله

---

(١) الكتب ، ٣٧٩ .
مكتبات خاصة ، راجع : تاريخ علماء ، ١ : ١٤ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ٣٠٣ ، ٣٣٠ ، ٢:١٢١ ، ١٣٧ ، طبقات الامم ، ١٠٧ ، الصلة ، ١ : ٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣ ، ٢٨٧ ، ٣١٠ ، ٢:٤٠٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، التكملة ، ١:٦١ ، البيان ، ٣ : ٢٧٦ ، تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٢٨ ، الوافي ، ٣ : ٢٤٥ .

(٢) الصلة ، ١ : ٣١٠ .
انظر : تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١٠٦١ رقم ٩٧٢ ، العبر ، الذهبي ، ٣ : ٧٨ ـ ٩ .

(٣) المكتبات ، ١ : ٩٠ .

بالخضرة : جدرانه وابوابه، وسقفه وفرشه وستوره ونمارقه، وكل ذلك متشاكل الصفات ، قد ملأه بدفاتر العلم ودواوين الكتب التي ينظر فيها ويخرج منها ، وبهذا المجلس كان آنسه وخلوته ــ رحمه الله ــ »(١) . « وقد عين (ابن فطيس) لهذه المكتبة امينا أو حافظا هو من أفاضل الأدباء ، وجعل لها فهارس منظمة »(٢) وكان يعد اعارة الكتاب بمثابة فقدانه لذلك « كان لا يعير كتابا من أصوله البتة ، وكان اذا سأله احد ذلك والحف عليه اعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه الى المستعير فان صرفه والا تركه عنده »(٣) وقد اعتبر ريبيرا مكتبة ابن فطيس أكبر مكتبة في قرطبة باستثناء مكتبة الخليفة الحكم المستنصر(٤) .

لقد اشتهر من أصحاب المكتبات الاغنياء والفقراء في الأندلس فاذا كان ابن فطيس المذكور يمثل الشخص الذي يمتلك الثروة الكبيرة والمنزلة العالية ، فينفق على شراء الكتب والعناية بمكتبته ، كذلك وجد اناس ذوي دخل محدود يعيشون على كد أيديهم جمعوا من الكتب الكثير ، فمحمد بن حزم (٢٨٢ = ٨٩٥) المؤدب « لم يكن قبله اجمع للدواوين منه ، ولا أصبر على الكتاب ولا أدوم على النظر »(٥) .

لم يقتصر أمر جمع الكتب على الرجال وحدهم بل كانت المرأة الاندلسية تعنى هي أيضا كالرجال بجمع الكتب ونسخها وتشارك هي وأفراد الأسرة الرجل الذي تؤول اليه في مكتبته

---

(١) المرقبة العليا ، ٨٨ . انظر : الصلة ، ١ : ٣١٢ .
(٢) الكتب ، ٣٨٠ .
(٣) الصلة ، ١ : ٣١٠ ــ ١١ .
(٤) المكتبات ، ١ : ٩١ .
راجع : تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١٠٦١ .
(٥) التكملة ، ١ : ٣٥٨ رقم ٩٦٤ ، الذيل ، ٦ : ١٥٨ .

فمكتبة الدار لكل أفراد الأسرة • فالمرأة الاندلسية متعلمة وعالمة ومعلمة • ولم يقتصر ذلك على اللائي خدمن عند الأمراء فأتيحت لهن فرصة أكبر للتعليم ، بل ان ذلك كان معروفا بين نساء الاندلس عامة • فمن نساء الخلافة مزنة (٣٥٨=٩٦٨) كاتبة الخليفة الناصر لدين الله • كانت حاذقة من أحسن النساء خطا[1] • ومر ذكر لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر • ومن عامة نساء الاندلس اللائي كان لديهن مكتبات عائشـــة بنت أحمد بن محمد بن قادم (٤٠٠ = ١٠٠٩) قال عنها ابن حيان القرطبي (٤٦٩) : « لم يكن في حرائر الاندلس في زمانها من يعدلها فهما وعلما ، وأدبا ، وشعرا وفصاحة ، وعفـــة وجزالة وحصافة ، ••• ، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعتني بالعلم ، ولها خزانة علم كبيرة حسنة »[2] •

واحترفت مئات من نساء الأندلس نسخ المصاحف وغيرها من الكتب ، وكن يبعنها الى الوراقين بسبب ما تميزن به في عملهن من اتقان ومهارة في الكتابة[3] •

اسهمت المكتبات الخاصة اســهاما كبيرا في تسهيل نمـــو الحركة العلمية ، لكثرة اعدادها ولامكان افادة طلاب العلم منها سواء بالاعارة من أصحابها أو بالتتلمذ على يد اصحابها العلماء والعالمات ، الذين كانوا دائمي التزود من المؤلفات التي

---

(١) الصلة ، ٢ : ٦٩٢ رقم ١٥٣٠ •
انظر : الكتب ، ٣٨١ ، المكتبات ، ١ : ٩٠ •
(٢) الصلة ، ٢ : ٦٩٢ رقم ١٥٣١ •
(٣) انظر : المعجب ، ٣٧٢ ، المكتبات ، ١ : ٩٤ •

تضمها مكتباتهم . وهيأ استقبال العلمـاء للطلاب في دورهم الفرصة ليطلعوا على ما احتوته مكتبات شيوخهم .

عرفت الاندلس نوعا ثانيا من المكتبات الخاصة هي مـا يمكن تسميتها بـ « مكتبات الهواة » وهي ان يقتني الشخص الكتب ويسعى باذلا الأموال للحصول على نوادرها لا ليقرأها قراءة العالم وطالب العلم ، بل ليشبع رغبة في نفسه وهواية تراودها وهي اقتناء الكتب فحسب ، ليزين بها داره ويفاخر بها أصحابه[1] ، اذ أصبح اقتناء الكتاب والسـعي للحصول عليه مجال فخر عند الاندلسيين ، وليس ذلك غريبا في مجتمع كالمجتمع الأندلسي ساده العلم وحفل أهله بالكتاب . « حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها ليس الا أن يقال : فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره ، والكتاب هو بخط فلان قد حصّله وظفر به »[2] .

ان هذا النوع من المكتبات افاد الحركة العلمية وساعد عـلى نشر الثقافة . فأقـل تقدير ان الرجل الهاوي وأفراد أسرته لا بـد أنهم وجـدوا أنفسهم يقرأون بـين الفينـة والأخرى تلك الكتب . وساعدت هذه المكتبات على انتقال حب الكتاب من الأب الى الأبناء وربما حفظت كثيرا من الكتب من الضياع .

كانت عنـاية الهـواة ـ على ما يبـدو ـ كبيرة في تنظيم مكتباتهم من حيث اختيار المكان المناسب لها في الدار وتنسيق

---

(١) انظر : الكتب ، ٣٦٩ ، تاريخ التربية ، ١٢٢ .

(٢) نفح . ١ : ٤٦٢ ـ ٣ . (عن ابن سعيد) .

كتب المكتبة على الرفوف ، وحرصوا على أن يكون الكتاب جيد الخط متقن الضبط حسن التجليد • ويتوقع ان الهواة كانوا يتبادلون الكتب فيما بينهم • ويبدو أن معظم هواة الكتب من ذوي اليسار •

توفرت حالة يمكن ان يذكر عن صاحبها انـه من هواة الكتب ويفهم منها انه عمّر بيته بمكتبة غنية لم يكن غناها قائما على حاجته اليها بل قد يحتاج بعضها لكن كانت هوايته في توفير مكتبة جيدة في داره ينتفع بها أهل الدار وغيرهم ولعل هذا كان دافعا آخر في حرصه على احتواء بيته لمكتبة من هذا النوع بجانب تحقيق هواية هي مجال فخر في المجتمع •

قال الحضرمي (؟) : « أقمت مدة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، الى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع اليَّ المنادي بالزيادة عليّ ، الى أن بلغ فوق حده ، فقلت له يا هذا ، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلّغه الى مالا يساوي ، قال : فأراني شخصا عليه لباس رياسة ، فدنوت منه ، وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حده ، قال : فقال لي : لست بفقيه ، ولا أدري ما فيه ، ولكني أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه »(١) •

(١) نفح ، ١ : ٤٦٢ ـ ٣ •

يمكن ان نقدر من خلال العرض السابق للمكتبات وانتشارها مبلغ اسهام المكتبة الأندلسية في نمو الحركة العلمية ونشر المعرفة بين أفراد المجتمع الأندلسي .

٢ ـ المكتبة في بلنسية

مثلما عنيت الاندلس عامة بالكتاب عني البلنسيون به . فهو ثمار عقول العلماء وحصيلة ابحاثهم وسبيل نهضة الامم وارتفاع مستوى ثقافة ابنائها . وتوفر الكتاب والعناية به له دلالات منها وجود العلماء المنتجين ، والرغبة في طلب المعرفة . فكان لبلنسية وراقون بارعون ومكتبات يسرت الكتاب لطالبه .

آ ـ الوراقة والوراقون :

الوراقة هي العناية بالكتاب نسخا وضبطا ، وتجليدا وتجميلا ، وبيعا وشراء . وكان الوراقون الاندلسيون على درجة من العلم اهلتهم لامانة نسخ الكتاب بدقة وجمال خط . وكان لهم حوانيت يمارسون فيها صنعتهم . وتعدت مهمة حوانيت الوراقين العناية بالكتاب وبيعه وشرائه الى أن تكون مكانا لالوان من النشاط العلمي والادبي .

اشيد بحسن وراقة الوراقين البلنسيين منهم ابو القاسم الأخشف خلف بن عمر (حوالي ٤٦٠ = ١٠٦٧) كان « وراقاً محسنا ، ضابطا يتنافس في ما يكتب ويُغالى به »(١) . وابو عبد الله محمد بن مروان بن يونس (٥٤١ أو ٥٤٢ = ١٠٤٩

(١) التكملة . ١ : ٢٩٧ رقم ٨١١ .

أو ١٠٥٠) « كان حسن الوراقة معروفا بذلك ، وكتب بخطه علما كثيرا »(١) • وانفرد الشواش (ابن الشواش) ابو عبد الله محمد بن علي بن عطية (حوالي ٥٤٠ = ١٠٤٨) « في وقته وبعده بحسن الخط وبراعته • وكان بديع الوراقة أنيقها يتنافس فيما كتب الى اليوم »(٢) • « وكم حام كثير من الوراقين على سلوك طريقته فلم يدركوها »(٣) •

وحتى يكون الوراق بارعا في صنعته ، في وسط يهتم بالكتاب ويغالي في الحصول عليه متقنا انيقا ، لا بد ان يكون خطاطا محسنا عارفا للخطوط ، جيد النسخ ، حسن التفنن بالكتاب تجليدا وتذهيبا وما الى هذا ، مع اختيار احسن الورق المتوفر • وقد مر انه ربما كان ببلنسية مصنعا للورق • ولم يكن انتاج المصانع الاندلسية من الورق بعيدا عنها • هذا الى توفر ثقافة عامة للوراق تعينه على اتقان صنعته •

فابن الاخفش المار الذكر حسن التفهم والتلقين مع المعرفة بالعروض ، يعلّم بالعربية والاداب • « وحكي انه بملازمته النسخ والوراقة ربما اشكل عليه ضبط الالفاظ ، فقرأ العربية وهو في عشر الاربعين من سنه وبرع فيها حتى اقرأها »(٤) • وهو مثل بارز على الوراق المحترف المتزود بالثقافة الحريص على استكمال جوانبها وخاصة فيما يخدم صنعته •

---

(١) م • ن ، ٢ : ٤٦٨ •
(٢) التكملة ، ١ : ٤٤٥ • وانظر : المقتضب ، ٣٠ ، الذيل ، ٦ : ٥٦ رقم ١٢٣٠ •
(٣) الذيل ، ٦ : ٤٥٦ •
(٤) التكملة ، ١ : ٢٩٧ •

كان ابو محمـد عبد الله بن الفضـل اللخمـي (حوالي ٤٩٠ = ١٠٩٦) اديبـا جليلا ، ذا حظ من اللغة والنحـو والشعر ، قعد لاقراء العربية ببلنسية ، وكان « بارع الخط ، رائق الوراقة »(١) ٠

والشواش ـ المار ذكره ـ كان « اديبا ذا حظ من الكتابة وقرض الشعر »(٢) ٠

استعمل البلنسيون أكثر من خط فابو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي بن العريف (٥٣٦ = ١١٤١) الذي تولى الحسبة ببلنسية « كان ينوع الخط فيجيد »(٣) ٠ ويرى ريبيرا Ribera انه « كان ببلنسية مدرسة خاصة بالخطاطين »(٤) ٠ ولا يعرف على أي شيء استند في قوله ومتى كانت، واذا ما صح هذا ففيه دلالة على تقدم الوراقة في بلنسية وفن الخط كذلك ٠

لاقى القرآن الكريم جل العناية نسخا وضبطا واتقانا وتجليدا(٥) ٠ فكان له دائما نساخون متفرغون يهيئون الاعداد اللازمة منه لتلبية طلب المسلمين الكبير له ٠ فعابد بن مسعود ابن عابد الصدفي (بعـد ٥٣٦ = ١١٤١) « مصحفيا بارع الخط مجيد الضبط مقتدى به في ذلك متنافسا فيما يكتب منه ومتغالى به »(٦) ٠ كان بعضهم يعتبر ذلك قربى الى الله تعالى ٠

---

(١) م ٠ ن ، ٢ : ٨٠٧ رقم ١٩٧٠ ٠
(٢) الذيل ، ٦ : ٤٥٦ ٠
(٣) المعجم ، ١٩ ٠
(٤) المكتبات ، ٢ : ٨٧ ٠
(٥) راجع : المكتبات ، ١ : ٩٤ ٠
(٦) الذل ، ٥ : ١ : ٩٨ رقم ١٨٠ ٠
راجع : عن ناسخي القرآن الكريم : التكملة ، ١ : ٩٦ رقم ٢٤٩ ، ٤٩٥ ، ٢ : ٨٣٦ رقم ٢٠٣٤ ، الذيل ، ١ : ٢ : ٤٣٢ رقم ٦٤٢ ، الحلل ٣ : ١٠٢ ٠

لـم يكن حسن الخط والجـودة في الضبط مقتصرا على الوراقين ، فعدد من العلماء البلنسيين وصفوا بالبراعـة في الضبط[1] . يفرقهم عن الوراقين انهم لم ينسخوا ليبيعوا وانما احتفظوا بمـا انتسخـوه من كتب لمكتباتهم وبمـا يفيدهم في التدريس . منهم مثلا أبو الحسن طاهر بن مُفوِّز بن أحمد بن مفوز المعافري (٤٢٧ ـ ٤٨٤ = ١٠٣٥ ـ ١٠٩١) كان « حسن الخط جيد الضبط »[2] .

كان من نتائج العوامل التي أدت الى سرعة وسعة انتشار الكتاب كثرة الوراقين وتجار الكتب ، هم دليل عليها .

ب ـ أنواع المكتبات :

مجمل ما يمكن ان يدونه الباحث عن المكتبات في بلنسية هو ما وجد في الاندلس . لكن النصوص المتوفرة بين ايدينا لم تعطنا صورة واضحة عنها ويمكن الانتفاع من معرفة الصورة العلمية العامة في بلنسية والاندلس .

١ ـ المكتبات العامة :

يتوقع ـ استنادا الى ما وجـد في الاندلس ـ انـه كان في بلنسية مكتبات عامة وعلى أقـل تقدير مكتبات المسـاجد . فالمسجد ـ الذي كان انشط المؤسسات العلمية ـ لا بد انـه

---

(١) راجع : علماءبلنسيون وصفوا بحسنالخط والبراعةفيه وجودة الضبط: التكملة ، ١ : ٤٣٢ ـ ٣ ، ٤٢٣ ، ٢ : ٤٦٩ ، المعجم ، ١٢١ رقم ١١١ ، الذيل ، ٤ : ٥٨ رقم ١٣٧ ، ٤ : ٢٢٣ رقم ٣٨١ ، الحلل ٣ : ٤٥٦ .

(٢) الصلة ، ١ : ٢٤١ .

احتوى مكتبة لبّت حاجة الطلاب والأساتذة • ويحتمل ان مصدر كتب تلك المكتبات المسجدية هو ما اوقفه العلماء وأفراد المجتمع وما اسهمت به الحكومة[1] •

٢ ـ المكتبات الخاصة :

تتوفر نصوص عن المكتبات الخاصة بما فيها مكتبات العلماء• فاقتناء العلماء للكتب أمر بدهي ، فهي عونهم وزادهم وعملهم وأهم مصدر لاثراء ثقافتهم وفتح آفاق المعرفة امامهم• فكانوا يسعون حثيثا لامتلاك أكبر واندر قدر منها وفي معظم حقول المعرفة ان لم يكن كلها فالعالم وقتئذ لم يوقف نفسه عند علم معين ، بل اجتهد ان يأخذ من كل علم بطرف • وهذا مما استدعاه ان يحرص على اقتناء امهات الكتب في حقول المعرفة المتنوعة ، ويزداد حرصه على اقتناء نسخة مما يُؤلف في العلم الذي هو اليه أميل • ولا يقف العالم عند حد اقتناء الكتب ، التي تكونت لديه في مراحل طلبه للعلم والمراحل التالية . والتي بذل في سبيلها الجهد الكبير والاموال الكثيرة ، بل يدفعه حبه لها وتقديره الصحيح لاهميتها ورسالتها ، الى العناية بها بنفسه وربما استعان بوراقين لهذا الغرض ، ممن اشتهر بانتساخ « دواوين الحديث » أبو عبد الملك مروان بن محمد بن عبد العزيز التُجيبي (حوالي ٤٩٠ = ١٠٦٩) الذي كان معتنيا بسماع الحديث وروايته مع جلالة القدر ونباهة البيت[2] •

---

(١) راجع : الكتب . ٣٨٣ . المكتبات . ١ : ٨٤ •

(٢) التكملة . ٢ : ٦٩٤ رقم ١٧٤٥ • انظر : م• ن ، ٦٩٣ •

ان تغذية المكتبة بصورة مستمرة بما يصدر من الكتب كان ديدن العلماء ، فهم مع كل جديد ليكونوا على صلة وثيقة بالانتاج العلمي ، ولتكون تلك المؤلفات عونا لهم فيما هم عليه عاكفون من بحث ودراسة • ومن اولئك أبو محمد عبد الله بن حيان بن فرحون بن حيان الانصاري الأروشي (٤٠٩ ـ ٤٨٧ = ١٠١٨ ـ ١٠٩٤) سكن بلنسية « كانت له همة عالية في اقتناء الكتب وجمعها • جمع من ذلك شيئا عظيما »(١) •

وقد تعرضت مكتبة الاروشي المذكور للنكبة ولا يعرف سبب ذلك • ذكر ابن علقمة الاديب الشاعر والمؤرخ البلنسي (٤٢٨ ـ ٥٠٩ = ١٠٣٧ ـ ١١١٥) الذي صاحب الاروشي،(٢) : « ان ابن ذي النون صاحب بلنسية أخذ كتب الاروشي من داره وسيقت الى قصره وذلك ماية عدل وثلاثة واربعون عدلا من اعدال الحمالين يقدر كل عدل منها بعشرة ارباع وقيل قد أخفى منها نحو الثلث »(٣) •

يبدو ان مكتبة الاروشي من كبريات مكتبات العلماء البلنسيين التي وصلت أخبارها(٤) ، وتشير الى امكانية وجود مكتبات للعلماء البلنسيين على هذا المستوى من السعة والغزارة •

---

(١) الصلة ، ١ : ٢٨٨ ، رقم ٦٣٤ ، م • ن ، ١ : ٢٧٨ ، رقم ٦٣٣ (القاهرة) • انظر : بغية ، ٣٤٣ ـ ٤ رقم ٩٢٠ •

(٢) التكملة ، ١ : ٤١١ رقم ١١٦٥ •

(٣) بغية ، ٣٤٤ ، وانظر : الصلة ، ١ : ٢٨٨ ح ٥ •

(٤) يذكر ريبيرا عددا من أصحاب المكتبات والوراقين البلنسيين ويبدو انهم متأخرون • راجع : المكتبات ، ٢ : ٨٤ ـ ٧ •

وكان لابي داود المقرئ سليمان بن ابي القاسم نجاح (٤٩٦=١١٠٢)[١] مكتبة عامرة بالكتب ، الكثير منها بخطه ٠ وقد آلت هذه المكتبة الى تلميذه ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي (٤٧١ ـ ٥٦٤ = ١٠٧٨ ـ ١١٦٨)[٢] الذي « كان اثبت الناس في ابي داود واليه صارت اصوله العتيقة الكثيرة في فنون العلم بخطه »[٣] ٠

ان المكتبة في بلنسية ـ والاندلس ـ قامت بمهمتها كمؤسسة علمية فلكل عالم مكتبة في بيته كما يتوقع ٠ وان دراسة بعض الطلاب على بعض العلماء في دورهم يشير الى امكان اتخاذ المكان المخصص من البيت للمكتبة مكانا للدرس والمناظرات ٠

ان اسهام المكتبة في بلنسية بالحياة العلمية ، وفق النصوص المتوفرة ، غير واضح الصورة ٠ ويمكن الافادة من الحديث الذي مرّ عنها في الاندلس ، لبيان دورها كمؤسسة علمية ٠ فوجود مكتبة كمكتبة الاروشي مثلا في بلنسية ، يشير الى نفاق سوق الكتب ، ووجود المكتبات التي اتسعت خزاناتها ، سواء مكتبات العلماء أو المكتبات العامة ٠ وان تلك المكتبات اسهمت اسهاما فعالا في الحياة العلمية ، بتوفيرها الكتاب لطالبه ، ولاتخاذها ـ كما يحتمل ـ مكانا لدراسة الطلاب على العلماء ، ولمناظرات العلماء ومناقشاتهم العلمية والادبية ٠

---

(١) الصلة . ١ : ٢٠٣ رقم ٤٥٨ ، بغية ، ٣٠٣ رقم ٧٧٨ ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد ، ١ : ٣٠٥ ٠

(٢) بغية ، ٤١٤ رقم ١٢٠١ ، التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٦٦ رقم ١٨٥٨ ، الذيل ، ٥ : ١ : ٣٦٩ رقم ٦٣٨ ، تذكرة الحفاظ ، ٤ : ١٣٢٠ ٠

(٣) الذيل ، ٥ : ١ : ٣٧٠ ـ ١ ٠

سادساً : دكاكين الوراقين في بلنسية

لم يقتصر عمل الوراقين في بلنسية والاندلس، على العناية بالكتاب ونشره • فبعض دكاكين الوراقين شهدت ـ كما يبدو ـ المناقشات العلمية والادبية • كان الوراقون على درجة من العلم والمعرفة ، ومن شأن بيع الكتاب وشرائه أن يهيىء الفرص للعلماء والطلاب أن يلتقوا في حوانيت الوراقين ، فيتبادلون أخبار الكتب وما ألف منها في مختلف العلوم وقيمتها العلمية ومبلغ علم مصنفيها •

ربما كان لبلنسية سوق للكتب ، أو عدة حوانيت متفرقة، قصدها العلماء والطلاب ، ليبتاعوا بغيتهم من الكتب ، وربما اتيحت لهم الفرصة في مناسبات ليعقدوا حلقات الدرس والمناظرة وان لم تكن منتظمة • وقد ألِفْنَا وجود سوق الكتب والوراقين في مدن أخرى من الاندلس(1) ، وورد ذكر باب الوراق من ابواب بلنسية(2)، لكن النصوص لا تعين على توضيح أكثر لهذا الموضوع في بلنسية •

ب ـ شبه المؤسسات العلمية :

وهي الاماكن التي شهدت نشاطا علميا وأدبيا بدرجة أقل من « المؤسسات العلمية » ، ولم تنشأ اصلا لتكون مراكز علمية • وهذه الاماكن عدة تفاوت احتفالها بالنشاط العلمي واستيعابها له •

---

(1) راجع : ذكر لباب الوراقين من أبواب قرطبة ، نفح ، ١ : ٤٦٥ • وانظر ذكر لاسواق وشوارع وحوانيت للوراقين في الاندلس : المكتبات ، ٢ : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ •

(2) اعلاه ٤٠ •

أولا : القصــور

١ ـ القصر في الاندلس :

يقصد به قصور الامراء والخلفاء الاندلسيين التي شهدت نشاطا علميا • فقــد كان كبار العلماء والادباء والشعراء يلتقون في تلك القصور ويلقون الترحيب من الامراء والخلفاء، العلماء والمشجعين للحركة العلمية والادبية • ويمكن القول إن أكثر أمراء وخلفاء الأندلس ومن ثم أمراء الطوائف كانوا يحرصون على أن ينتجعهم العلماء والادباء بدافع علمي في اغلب الاحوال ، وليضفي على ملكهم الشهرة ولاشخاصهم التخليد • وكان كثرة حكام الاندلس في العصور المذكورة من الادبــاء والشعراء والعلمــاء ، فكانت قصورهم منتــديات زاهــرة ، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون (١) •

ثلاثة من بين بلاطات امراء الطوائف امتازت بنوع خاص، بمشاركتها في النهضة الادبية والشعرية ، هي بلاط بني عباد باشبيلية ، وبلاط بني الافطس ببطليوس ، وبلاط بني صادح بالمرية (٢) •

كما كانت قصور الطوائف مثوى للفنون الجميلة ، وكانت بالأخص منتديات زاهرة للموسيقى وما يتبعها من الغناء (٣) •

كان الحكم المستنصر أشهر من جعل قصر الخلافة ميدانا

---

(١) انظر : دول الطوائف ، ٤٠٧ •
راجع عن نشاط قصور امراء الطوائف الادبي والعلمي : م • ن ، ٤٠٧ وبعدها • راجع : نفح (رسالة الشقندي) ، ٣ : ١٨٩ ـ ٩٠ •

(٢) دول الطوائف ، ٤٠٨ •

(٣) انظر : دول الطوائف ، ٤١٩ •

للعلماء على اختلاف اهتماماتهم[1] • وقبل ان يطمح الحكم في ان يرى ابداع العلماء في حقول المعرفة ، سعى بكل نشاط وبذل ليوفر للعلماء ـ في قصر الخلافة خاصة ـ كلما يحتاجونه في ابحاثهم ، وخصص لبعضهم المرتّبات الدائمة التي تكفيهم مؤونة الكسب ليعكفوا على العمل العلمي بكل همة لا يشغلهم شاغل •

سبق الحديث عن بعض مظاهر ذلك الاهتمام في هذا البحث • ويكتفى هنا بذكر مثل واحد ليوضح مع الامثلة الكثيرة الاخرى كيف حول المستنصر الكثير من مباني قصر الخلافة الى مكتبات وصيدليات ومجامع علمية ، كانت تتبارى فيها كل القابليات وتعاونت فيها كل الخبرات والكفاءات • كانت تلك المؤسسات بحق اسهاما عمليا فعالا في النضهة الحضارية الاسلامية الاندلسية • فأحمد بن يونس بن أحمد الحراني[2] كان من الاطباء المستخلصين لدى الحكم المستنصر أسكنه في قصره بمدينة الزهراء إكراما له ولعلمه • فتولى أحمد الحراني اقامة « خزانة للطب لم يكن قط مثلها ، ورتب لها اثني عشر صبيا (صقالبة) طباخين للاشربة ، صانعين للمعجونات ، واستأذن أمير المؤمنين ان يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى ،فاباح له ذلك »[3] • وربما كان يشارك الحراني عدد آخر من الاطباء في القيام على خزانة الطب

---

(1) موضوع الحياة العلمية أيام الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦) ممكن ان يكون بحثا مستقلا « كرسالة » •

(2) طبقات الامم ، ١٠٤ ، طبقات الاطباء ، ١١٢ ـ ٣ •

(3) طبقات الاطباء ، ١١٣ •

« الصيدلية » هذه ، فقد كان هناك « ديوان الاطباء » فيه اسماؤهم ومرتباتهم[1] .

هذا « وكان للشعراء في أيام المنصور محمد بن ابي عامر ديوان يرزقون منه على مراتبهم »[2] . وكان للمنصور ايضا « مجلس معروف في الاسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته ، ما كان مقيما بقرطبة » لان المنصور كان كثير الجهاد[3] . ويمكن ان يطلق على هذا المجلس اسم « الندوات العلمية » الاسبوعية . « وكان بنو عباد فضلا عن مواهبهم الادبية والشعرية الرفيعة ، يجمعون في بلاطهم وهو ازهى قصور الطوائف في هذا المضمار ، جمهرة من أكابر شعراء العصر وكتابه »[4] .

ان اتاحة الفرصة لالتقاء العلماء والادباء في مكان واحد، يتبادلون الآراء في العلوم والآداب ، في ظل جو ملائم ، عنصر مهم في صقل المواهب وابرازها وفي التوصل الى نتائج وبدايات ومقترحات في العلوم والآداب بعد النقاش الحر .

شهدت القصور الشعراء ينشدون من غرر القصائد وأروعها ، وحفلت بأمتع المجالس وأبدعها ، من حيث مكان

---

(١) انظر : طبقات الامم ، ١٠٣ ، طبقات الاطباء ، ١١٠ .
راجع : من الذين خدموا المستنصر بالطب: طبقات الامم ، ١٠٥ ، طبقات الاطباء ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥ .

(٢) جذوة ، ١١١ .

(٣) م . ن ، ٧٨ ، المعجب ، ٣٨ .
راجع : عن مجالس المنصور محمد بن ابي عامر العلمية والادبية : جذوة ، ١١١ ، ١٩٤ ، بغية ، ٢٦٧ ـ ٨ ، معجم الادباء ، ١٠ : ١٨٣ وبعدها .

(٤) دول ، ٤٠٩ .

تلك المجالس من القصور وما كان يدور فيها من مناقشات وطرائف ·

٢ ـ قصر الامارة في بلنسية

عندما أصبحت بلنسية امارة (مملكة) مستقلة في مطلع القرن الخامس الهجري ، حرص امراؤها ان تكون قصورهم مركز جذب للعلماء والادباء والشعراء ، مثلهم في ذلك مثل بقية أمراء الطوائف في الاندلس · غير ان بلنسية لم تبلغ في هذا وذاك ما بلغته اشبيلية مثلا ·

مضى الحديث عن دور الحكومة في بلنسية في انماء الحياة العلمية · ويكتفى هنا بالاشارة الى عدم توفر نصوص واضحة عن المناظرات العلمية والادبية التي يحتمل شهود قصور الامارة البلنسية لها وخاصة على عهد امرائها ووزرائها الذين اشتهروا بالعلم والادب ورحبوا بالادباء والعلماء في قصورهم·

خلال فترة حكم الكمبيطور لبلنسية (٤٨٧ ـ ٤٩٥) ورد انه طمح في الوقوف على بعض علوم وآداب المسلمين ويحتمل ان هذا النشاط كان في قصر الامارة السابق · يقول ابن مسلم : « وكان زعموا تدرس بين يديه الكتب ، ويقرأ عليه سير العرب، فاذا انتهى الى اخبار المهلب، استخفه الطرب، يعجب منها ويتعجب »[1] وهذا يشير الى معرفة الكمبيطور العربية ، فقد عاش بين المسلمين كثيرا قبل احتلاله لبلنسية ·

وهذا الخبر ان صح يلقي بصيصا من ضوء على تأثر

---

(١) الذخيرة ، (مخ) ، ٣ : ٤٩ ·

الآداب القشتالية بالآداب الاسلامية ولو فيما بعد والى حد وقت ٠

ثانياً : الجنان ، الضياع ، المتنزهات (المتفرجات)

١ ـ في الاندلس :

عرفت الاندلس بجمال بيئتها الجغرافية ، واضفت جهود المسلمين في الري والزراعة على تلك البيئة الخصب والخير والجمال ، فكانت البساتين والحقول والضياع النضرة تخترقها الأنهار والسواقي تحف بمدن الأندلس وتتخللها ٠ عمل بعض الادباء والعلماء من أهل تلك المدن في الضياع والجنان[1] التي يمتلكونها ٠ وطبيعي ان تشهد ضياع العلماء وجنانهم نشاطا علميا وادبيا ما دام ذلك العالم يقضي شطرا من وقته فيها ، في العمل للكسب ، أو النزهة أو لكليهما ، وما دام التعليم لم يعرف التقنين ، والطلاب يحرصون على الانتفاع العلمي ، والاساتذة لا يبخلون بعلمهم ، فحري ان تشهد تلك البقاع الجميلة الباعثة على السرور صورا من النشاط الادبي والعلمي.

كانت لابي وهب عبد الاعلى ، على عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ ـ ٢٧٣ = ٨٥٢ ـ ٨٨٦) ، جنان ، بقرب مقبرة قريش بقرطبة ، يعتمرها بيده ، وكان نفر من الطلبة في وقت من الاوقات يسمعون عليه في تلك الجنان ٠ قصده اليها هشام بن عبد العزيز وزير الامير محمد ، ليسأله

---

(١) الجنان ، جمع جنة : الحديقة أو البستان وغالبا ما تكون تلك الجنان داخل المدينة وبالقرب منها ٠ انظر : الاحاطة ، ١٢٢ ح ٣ ٠

في مسألة فقهية حصل على جوابها(١) .

اتخذ ابن بصال ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الطليطلي (القرن الخامس الهجري) وبعض المعاصرين له المهتمين بعلم الفلاحة الجنان مختبرات حقلية لتجاربهم العلمية على التربة والنباتات(٢) .

اهتم الاندلسيون بانشاء المتفرجات أو المتنزهات ، فالنفوس يسرها الماء والخضرة والمشاهد الجميلة ، اذ يبعث فيها مزيدا من النشاط بعد التعب ، والصفاء بعد الكدر . واذا كان هذا متوفرا في الحقول فلم لا تنقل صورا منه الى وسط المدن ، لتكون قريبة على الناس ، ويزرع فيها من الازهار والورود ما يسر الناظر ويبهج النفوس . فكانت المتنزهات مكانا للنزهة والراحة ، يجد الناس في ظلالها الوارفة ومياهها المتدفقة ونافوراتها الجميلة واطيارها المغردة ما يشيع في النفس الراحة والحبور . ووفّر الاندلسيون في هذه المتنزهات المصاطب لراحة البدن والمكتبات لرياضة الفكر .

تفاوتت بعض مدن الاندلس في عدد متفرجاتها فهذه المريّة « من متفرجاتها منى عبدوس ، ومنى غسان ، والنّجاد ، وبركة الصّفر ، وعين النطية »(٣) .

---

(١) انظر : التكملة ، ٢ : ٧٥١ .

(٢) راجع : كتاب الفلاحة ، ابن بصال ، ١١ ــ ٣٦ تمهيد بييكروسا ، دول ، ٤٢٠ .

(٣) المغرب ، ٢ : ١٩٤ .
يمكن القول أن المنى متنزهات خاصة غالبا ما تكون لأشخاص من الأمراء والخلفاء . والاثرياء يلحقونها بقصورهم أو ينشؤونها مستقلة تتوسطها القصور .

« ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق ، مقصود للفرجة ، يسرح فيه البصر ، وتبتهج فيه النفس »[1] ، ومن منتزهاتها السُدّ والمنبر[2] .

وفي اشبيلية من « المتفرجات والمنتزهات كثير ، ومن ذلك مدينة طريانة ، فانها من مدن اشبيلية ومنتزهاتها ، وكذلك تيطل »[3] .

ان جمال البيئة والمتنزهات جعل العديد من شعراء الاندلس يهيم في وصف مظاهر ذلك الجمال . فالشاعر ابن خفاجة ابراهيم بن ابي الفتح بن عبد الله (٥٣٣ = ١١٣٨) كان أوحد الناس في وصف الانهار والازهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين »[4] .

شهدت تلك المتنزهات جلسات للشعراء والادباء والعلماء، « قال ابن خفاجة ذهبت يوما اريد باب السّمارين بشاطبة ابتغاء للفُرجة على جرية ذلك الماء بتلك الساقية واذا الفقيه ابو عمران بن ابي تليد رحمه الله قد سبقني الى ذلك فألفيتُه جالسا على مصطبة كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه فأنشد اثناء ما تناشدناه قول ابن رشيق »[5] . وفي المصادر

---

(١) نفح . ١ : ٤٧٥ . (عن ابن سعيد) .

(٢) انظر : نفح ، ١ : ٤٧٥ ، ٤٧٨ .

(٣) راجع عن بعض متنزهات قرطبة : م . ن ، ١ : ٥٤٢ ـ ٤ ، ٦٢٨ وما بعدها .

(٤) نفح ، ١ : ١٨٢ .

(٥) نفح ، ١ : ٦٨١ .

راجع : عن وصف الشعراء لجمال البيئة الاندلسية : البديع في وصف الربيع ، أبو الوليد اسماعيل بن عامر الحميري، .

(٦) الوافي . ٦ : ٨٤ .

الاندلسية يجد الباحث صورا عدة لمثل هذا النشاط الادبي والعلمي ٠

حكى ابو محمد عبد الله بن محمد بن بلال الازدي (؟) : « قال : كنا نختلف الى ابراهيم بن محمد بن باز الى المُنية فنقرأ عليه وهو يزرع والقفيفة في ذراعه وهو يزرع ونحن نقرأ عليه ، فبينما نحن كذلك اذ جاءه فرانق من عند السلطان فناوله كتابه ففكه وقرأه ، ثم استمد مدةً وكتب ، ثم طوى الكتاب وسجّاه وناوله الفرانق ٠ (قال) : فسألناه وقلنا له : رأيناك لم تستمد الا مدة واحدة ؟ فقال لنا : كتب اليّ يقول : ما خير الخير ، وما شر الشر ؟ فكتبت اليه . خير الخير الصبر ، وشر الشر شرب الخمر »(١) ٠

٢ ـ في بلنسية :

شاركت بلنسية العديد من مدن الاندلس بوجود المتنزهات، يقول ابن سعيد (٦٨٥) : « وبهـا منـازه ومسارح »(٢) ٠ وشهدت نشاطا علميا وادبيا ٠ ووجد نشاط علمي في ضياع علماء بلنسية ٠

فابو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل (٤٧١ ـ

---

(١) الصلة ، ١ : ٢٩ ٠
ابراهيم بن محمد باز الاندلسي ينقل عنه القاضي عياض (٥٤٤) في كتابه « ترتيب المدارك » في عدة مواضع عند ترجمته لعلماء من القرن الثالث الهجري راجع : ترتيب ، ٢ : ٥٢٩ ، ٥٣٧ ، ٥٦٦ ٠ ربما كانت المنية التي وردت في النص من منى قرطبة ٠

(٢) نفح ، ١ : ١٧٩ ٠

٥٦٤)[١] صدر المقرئين وإمام المجوّدين « كان متى توجه الى ضيعته لميلة من جزء الرصافة بغربي بلنسية صحبه طلبة العلم إليها للقراءة عليه والسماع منه ، فيحمل ذلك منهم طلق الوجه منشرح الصدر جميل الصبر »[٢] ٠

و « متنزه باب الحنش » من متنزهات بلنسية التي قصدها أهلها للنزهة[٣] ٠ وقد قص ابن طاهر (٥٠٧) على ابن خاقان (٥٢٨) صوراً عن ارتياد الناس ذلك المتنزه ٠ يقول ابن طاهر : انه كان يخرج الى متنزه باب الحنش أكثر الليالي مع الوزير الاجل ابي بكر (امير بلنسية) وكان له فيه روضة جميلة ، والناس منتشيون في ذلك المتنزه ، الذي كانت له ساقية كبرى عليها دولاب يسقي المتنزه ويضفي عليه جمالا[٤] يقول ابن طاهر انه خرج مرة الى ذلك المتنزه فوجد الشاعر ابا طالب عبد الجبار المتنبي الجزيري (؟)[٥] وهو ينشد شعرا في الغزل[٦] ٠

ومن متنزهات بلنسية « الرصافة » من أحسن متفرجات

---

(١) بغية ، ٤١٤ رقم ١٢٠١ ، التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٦٦ رقم ١٨٥٨ ، الذيل ٥ : ١ : ٣٦٩ رقم ٦٣٨ ٠
(٢) الذيل ، ٥ : ١ : ٣٧٠ ٠
انظر : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٦٧ ٠ ربما كان هذا النشاط في وقت بعد ٤٩٥ ٠
(٣) انظر : قلائد ، ٧٢ ٠
(٤) انظر : قلائد ، ٧٢ ، نفح ، ١ : ٦٧٠ ٠
(٥) الذخيرة ، ١ : ٢ : ٤٠١ ـ ٢ ، المغرب ، ٢ : ٣٧١ ـ ٢ رقم ٥٨١ ، مسالك الابصار (مخ) ، ابن فضل الله العمري ، (١١ : ٤١٥ ـ ٦ ٠
(٦) انظر : قلائد ، ٧٢ ـ ٣ ، نفح ، ٠ : ٦٧٠ ـ ١ ٠

الارض »(١) • والبحيرة « المشهورة الكثيرة الضوء والرونق . ويقال إنه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هي موصوفة بذلك »(٢) • يتوقع ان الرصافة والبحيرة شهدتا نشاطا ادبيا وعلميا •

ومن أبدع منازه بلنسية ـ بجانب الرصافة والبحيرة ـ منية بن أبي عامر(٣) • التي كانت تشهد ـ كما يبدو ـ مجالس ادبية • ولم تكن من المتنزهات العامة كمتنزه باب الحنش مثلا •

ثالثا : اماكن أخرى

هناك حقيقة في تاريخ الحركة العلمية الاسلامية وهي ان العلم يمارس اينما وجد العالم والطالب ، والعلماء والادباء • لذلك لم تقتصر مراكز النشاط العلمي والادبي على ما ذكر من مؤسسات واماكن بل تعداه الى اماكن أخرى كالدكاكين والاسواق والمراصد والمستشفيات (المشافي) والربط والمشاهد وسوح الجهاد وسكك الرحلة بين المدن والفنادق(٤) •

لا يتوفر للباحث نصوص عن قيام نشاط علمي أو ادبي

(١) نفح ، ٣ : ٢٢١ (رسالة الشقندي) •
انظر : م • ن ، ١ : ١٧٩ ، ١٨١ •

(٢) م • ن ، ٣ : ٢٢١ (رسالة الشقندي) •

(٣) م • ن ١ : ١٧٩ (عن ابن سعيد) •

(٤) انظر : مدارس قبل النظامية ، ٦٢ ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٥٣ ، ٥٤ ، مجالي الاسلام ، ١٠٦ ـ ١١٣ •

في هذه الاماكن من بلنسية ولم يتتبع اخبارها في الاندلس وعلى أقل تقدير تتوفر امثلة عن بعضها ٠

هكذا يظهر اسهام مؤسسات « اماكن » متعددة في احتضان النشاط العلمي في الاندلس ـ وفي انمائه بتفاوت بينها ٠ كان المسجد ابرزها ثم دار العالم والمكتبة والمكتب ٠

★ ★ ★

الفصل الثاني

طرق التدريس

أولا : السماع

١ ـ السماع في الاندلس

٢ ـ السماع في بلنسية

ثانيا : القـراءة

١ ـ القراءة في الاندلس

٢ ـ القراءة في بلنسية

ثالثا : الاجازة العلمية

١ ـ انواع الاجازات في بلنسية

آ ـ إجازة معيّن لمعيّن .

ب ـ اجازة بغير معين

٢ ـ غاية الاجازة

الفصل الثاني

طرق التدريس

تعددت طرق أو اساليب تدريس العلوم من خلال حلقات الدرس التي حفلت بها المؤسسات العلمية المختلفة • وبعبارة أخرى تنوعت وسائل أو طرائق ايصال العلم وبثه واستمرار تداوله • ويرجع التنوع الى المراحل التي مرت بها الحياة العلمية والى طبيعة العلوم التي كانت موضع اهتمام الحركة العلمية • فلكل طريقة اهميتها ودلالتها التاريخية والعلمية(١) • ومن ثم فان « لطرق التدريس أهمية خاصة في التعليم بوجه عام • اذ هي الوسائل العملية التي تنفذ بها أهداف التعليم وغاياته • وقد كان للتعليم الاسلامي الطرق الخاصة التي تميز بها وسار على نهجها »(٢) •

حدد علماء الحديث طرق أخذ الحديث الشريف وروايته تحملا واداء واختلفوا في أهميتها من حيث توفر شروط ضبطه(٣) • يقول القاضي عياض (٥٤٤ = ١١٤٩) :

---

(١) راجع : لمحات في أصول الحديث ، محمد أديب صالح ، ٣٤٠ •

(٢) تاريخ الجامعات ، ١٧٧ •

(٣) انظر : لمحات ، ٣٤٤ •
التحمل : أخذ الحديث عن الشيخ •
الاداء : تحديث الشيخ تلاميذه بما كان قد تحمله انظر : لمحات ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ •

« اعلم ان طريق النقل ، ووجوه الاخذ ، وأصول الرواية ، على أنواع كثيرة ، ويجمعها ثمانية ضروب ، وكل ضرب منها له فروع وشعوب ، ومنها ما يتفق عليه في الرواية والعمل ومنها ما يختلف فيه » في جميعها أو في احدها(١) ٠

ان تعدد وسائل روايـة الحديث تفـاوت اهميتها لدى المحدّثين يمثل بحق ـ كما سيتبين ـ الحرص الشديد لديهم على ايصال حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام بكل امانة ودقة(٢) ، باعتباره المصدر التشريعي الثاني للمجتمع والموضح للمصدر الاول القرآن الكريم ٠ كـان التفاوت في أهميـــة الوسائل يتناسب مع الامانة في ايصال الحديث بين الرواة ٠ فكان تأكيد المحدثين ـ كما سيأتي ـ على انجع الوسائل فعدوا ـ مثلا ـ قراءة الطالب على الشيخ أو ســماعه منــه ، ارقى ضربين من ضروب الرواية اذ يتحقق بهما أخذ الحديث مباشرة من الراوي وتحت سمعه ونظره فيكون ذلك ادعى الى الاطمئنان على علو دقة الرواية ٠

غدت طرق المحدثين في الرواية طرق اغلب العلوم وخاصة التي درّست في المسجد فمعرفتها بمثابة معرفة أساليب التعليم لمجمل العلوم التي حفلت بهـا معظم المؤسسات العلميــة ، اذ استحسنت هذه العلوم ـ وخاصــة علــوم الشريعــة واللغــة والتاريخ ـ طرائق المحدثين في ضبط الرواية ونقلها لما وجدوا فيها من دقة ولكون العديد من علماء الحديث هم اعلام تلك العلوم . عكفوا عليها لأهميتها في خدمة الحديث أولا ٠ وهكذا

---

(١) الالماع ، ٦٨ ٠

(٢) راجع : م ٠ ن ١٣٥ وما بعدها ٠

فان مناهج المحدثين في البحث بشكل عام طبعت العلوم الاخرى بطابعها[1] ·

فيما يلي عرض موجز لكل ضرب من ضروب الرواية الاساسية يهتم بايراد اساسه النظري كما صاغه المحدثون الاندلسيون في مؤلفاتهم ـ خاصة ـ معتمدين على الواقع بتطوره وطامحون الى الافضل ومعبرين عن وجهات النظر المتعددة · وسيكون التأكيد على رأي الامام مالك في كل ضرب لشيوعه في الاندلس ، ومن ثم يردف بامثلة تاريخية متفرقة تحاول توضيح الاساس النظري · وهذه الامثلة من الاندلس أولا ومن بلنسية ثانيا ما اسعفت المصادر البحث · وسيقتصر في كل هذا على ضروب الرواية التي تتوفر امثلة عنها في بلنسية اما التي لا يتوفر عنها فسيعرض عنها البحث مع علمه بامكان تعاطيها في الحركة العلمية البلنسية · كما ان عدم ورود امثلة عنها يعطي انطباعا علميا عاليا فيما لو سلّم بما ورد في المصادر المتوفرة · اذ سيتبين من العرض التالي ان ما توفر من ضروب

---

(١) للقارىء ان يرجع الى فهارس الشيوخ مثل فهرسة ابن خير الاشبيلي (٥٧٥ = ١١٧٩) وفهرسة شيوخ الرعيني أبي الحسن علي بن محمد الاشبيلي (٥٩٢ = ٦٦٦) مثلا ليرى كيف تداول الاندلسيون كتب العلم المختلفة رواية · فلكل كتاب سلسلة رواة تبدأ من المؤلف وتنتهي بصاحب الفهرسة ثم تتخطاه · فمثلا الموطأ : عن مالك ثم عمن أخذه عنه من الاندلسيين أو غيرهم وأدخله الاندلس ·· ومن أخذه عنهم ·· فيكون للكتاب الواحد أكثر من سلسلة اسناد ، فأكثر من واحد روى الكتاب عن مؤلفه ·

ان كتب الفهرسة غاية في الاهمية في دراسة الحركة العلمية اذ توقف الباحث على المصنفات في كل علم مما اهتم به الاندلسيون وطرق رواياتها وما الف عليها واحوال نقلتها · ويفيد بعض هذا في تحقيق النصوص ومعرفة نوع الثقافة التي اهتمت بها الحركة العلمية في وقت ما من خلال الوقوف على الكتب التي عنوا بروايتها ومدارستها ·

الرواية في بلنسية هي ضروب اساسية ومن أعلى ضروب الرواية لدى المحدثين ضبطا وتفضي تفرعاتها الى ضروب أخرى من الرواية كما هو الحال في الاجازة ٠

أولاً : السماع :

يُعد السماع ــ الذي هو من المشافهة ــ أول طرق الاداء والتحمل تاريخيا ، وهو على طريقة الرعيل الاول من الرواة[1] ٠ فهو يمثل امتدادا لتحمل الحديث وادائه في عصر الرسالة والعصور التالية ، والذي كان تحديثا غالبا ثم تحديثا وإملاءً بانتشار الكتابة والتدوين[2] ٠

يقول عياض : والسماع « منقسم الى املاء أو تحديث » ، سواء من حفظ الشيوخ « أو القراءة من كتابه ، وهو ارفع درجات انواع الرواية عند الاكثرين ٠ ولا خلاف انه يجوز في هذا ان يقول السامع منه : حدثنا ، واخبرنا ، وأنبأنا ، وسمعت فلانا يقول ، وقال لنا فلان ، وذكر لنا فلان »[3] ٠

ومذهب مالك ومعظم علماء الحجاز والكوفة « ان حدثنا واخبرنا واحد ، وان ذلك يستعمل فيما سمع لفظ الشيخ ، فيما قرىء عليه وهو يسمع »[1] ٠

---

(١) انظر : علوم الحديث ومصطلحه ، صبحي الصالح ، ٨٨ ٠

(٢) انظر : تاريخ الجامعات ، ١٨١ ــ ٢ ٠

(٣) الالماع ، ٦٩ ٠
انظر : الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث ، ابن كثير ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن ابي حفص ، ١٠٩ ــ ١٠ ، علوم الحديث، ٨٨ ــ ٩ ، لمحات ، ٤٤٤ ــ ٦ ٠

(٤) الالماع ، ١٢٢ ٠
انظر : م٠ ن ، ١٢٢ وبعدها ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، ٢ : ٨ ــ ١١ ٠

يرجع الى طريقة السماع « السبب في اختلاف نصوص بعض الكتب التي وصلتنا روايتها من طرق متعددة ككتاب الموطأ للامام مالك »[1] ٠

هذه أمثلة متنوعة عن حالات السماع في الاندلس ومن ثم في بلنسية :

٢ ـ السماع في الأندلس :

كان السماع في أول أمره تحديثا من الحفظ ، فمثلا ان دحّون أبا سليمان حبيب بن الوليد المتوفى بعد المائتين بمدة قليلة « كانت له حلقة بجامع قرطبة ، يسمع الناس فيها » على عهد عبد الرحمن بن الحكم (١٨٠ ـ ٢٠٦ = ٧٩٦ ـ ٨٢٢)[2] ٠ ربما كان دحون يُسمع وأمامه نسخة واستمر التحديث من الحفظ على ـ ما يبدو ـ الى النصف الثاني من من القرن الرابع الهجري وربما استمر بعد ذلك ويمكن لأي باحث تتبع هذا الامر في الاندلس ٠ فابو القاسم خالد بن سعد (٣٥٢ = ٩٦٣) الامام الحافظ في الحديث كان « يحدث » في المجلس ،قال عنه المستنصر بالله (٣٥٠ ـ ٣٦٦ = ٩٦١ ـ ٩٧٦) : « اذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن معين ، فاخرناهم بخالد بن سعده »[3] ٠

و لايشترط ايضا ان يكون تحديث ابي القاسم حفظا ٠ فاعتماد الاصول مع الحفظ وجدت من وقت مبكر سيما وان

---

(١) تاريخ الجامعات ، ١٨٣ ٠

(٢) التكملة ، ١ : ٢٧٧ رقم ٧٣٨ ، نفح ، ٢ : ٥٠٣ ٠

(٣) تاريخ علماء ، ١٣٠ ، ١٣١ ٠

السماع والعرض عند الامام مالك في منزلة واحدة مما يشجع على تداول النسخ في الاندلس المالكية المذهب ·

ثم كان السماع املاءً من الحفظ أو من كتاب · وهي مرحلة تالية لم يتوقف عندها السماع دون الاملاء بل سارا سوية · ويعبر السماع املاء ــ من الحفظ أو من كتاب ــ عن أمور منها انتشار التأليف واستقرار قواعد بعض العلوم وتفرعها فوجدت الحاجة الى التدوين بتوفر وسائل الكتابة ولتسهيل ايصال العلوم الى الجم الغفير من الناس[1] ·

لم يفاضل علماء الحديث بين السماع والاملاء · وان كان الاسماع أو التحديث أو حتى الاملاء من الحفظ يدل على صفة علمية عالية لدى العالم فان الاملاء من كتاب لا يقلل من أهمية الرواية بل هو مدعاة للاطمئنان على صحتها ·

من الامثلة على املاء العالم لكتاب من غير مصنفاته : انه عندما « قدم العجلي من العراق منع كتبه وضنّ بها، واستدعى الناس الى أن يُملي عليهم ، فتسارب الناس اليه »[2] ·

أو أن يُملي العالم أحد مصنفاته على الطلاب فابو علي البغدادي اسماعيل بن القاسم (٢٨٨ ــ ٣٥٦ = ٩٠٠ ــ ٩٦٦) املى « النوادر » بجامع الزهراء[3] · واملى ابو علي البغدادي كتابه « الامالي » من حفظه ــ كما يذكر في مقدمته ــ

---

(١) يقول عياض عن عصره : « والحال اليوم داعية للكتابة لانتشار الطرق ، وطول الاسانيد وقلة الحفظ ، وكلال الفهم » الالماع ، ١٤٩ ·

(٢) طبقات النحويين ، ٢٩٨ ·

(٣) الصلة . ٢ : ٦٥٦ ·

في « الاخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء »[١] على عهد الحكم المستنصر ٠

واسمع ابو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي اللغوي (٤٧١ = ١٠٢٦) « كتاب الفصوص » الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب سنة ٣٨٥ (٩٩٥) بأمر من المنصور محمد ابن ابي عامر ٠ الذي جمع له ابو العلاء الكتاب المذكور في ربيع الاول سنة ٣٨٥ وأكمله في رمضان منها فاثابه المنصور عليه « بخمسة آلاف دينار دراهم في دفعة »[٢] ٠ والخبر يشير الى اسهام الحكومة في نشر العلم والادب مجانا بين الناس[٣] ٠

الطريقة الثانية في الاملاء أن يملي العالم على طلابه عن ظهر قلب دون الاستعانة بكتاب من ذلك ان ابن القوطية ابا بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (٣٦٧ = ٩٧٧) كان « حافظا لاخبار الاندلس ، مليئا برواية سير امرائها ، واحوال فقهائها وشعرائها : يملي ذلك عن ظهر قلب »[٤] ٠ وهذا ابو المطرّف ابن فطيس (٤٠٢ = ١٠١١) « كان يملي الحديث من حفظه في مسجده ، ومستملي بين يديه على ما يفعله كبار المهندسين المحدثين بالشرق والناس يكتبون عنه »[٥] ٠

---

(١) كتاب الامالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، ١ : ٣ (مقدمة ابي علي البغدادي) ٠

(٢) الصلة ، ١ : ٢٣٨ ٠ راجع : وفيات ، ٢ : ٤٨٨ ـ ٩ رقم ٣٠١ ٠
الدينار الاسلامي يساوي ٤٫٣٣٣ غم ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ٢٩ ٠ الدرهم يساوي حوالي ٣٫٣ غم في الاندلس ، م ٠ ن ، ١٨ ٠

(٣) راجع : ما يشير الى اسهام الدولة في تهيئة فرص التزود من العلم للمجتمع : الصلة ، ٢ : ٤٨٥ ، ٣٣٤ ، ٤٦٢ ، ٦٣٣ ، اعلاه ، ١٣٠ وبعدها ٠
انظر مثلا آخرا عن اسماع المؤلف لكتابه للناس : الصلة ، ٢ : ٤٨٥ ٠

(٤) تاريخ علماء الاندلس ، ٢ : ٧٦ ٠ انظر : العبر ، الذهبي ، ٣ : ٣٨ ٠

(٥) الصلة ، ١ : ٣١٠ ٠

وهكذا فلا يتأتى التدريس أو التحديث من الحفظ لعلم من العلوم الا لعالم متبحر في علمه ثقة ، فما يمليه يكون في عداد الصحيح الذي لا يتطرق الشك اليه · ربما أوقع هـذا الامر بعض العلمـاء باخطاء تنبـه لهـا اقرانهـم أو بعض تلامذتهم · نعم ان من علماء الحديث من كان غاية في الحفظ لمتون الاحاديث واسانيدها والامثلة على هذا متوفرة[١] · الا ان الاستعانـة بالكتـاب كانت تجنـب الروايـة التحـريف والتصحيف · ومن رأي الامام مالك ان لا يحدث المحدث من الكتب الا ما يحفظ ، مخافة « ان يزاد في كتبه بالليل »[٢] ·

لا يشترط في السامعين لاملاء الشيخ ان يكتبوا جميعا بل هم في مجال الاختيار[٣] ·

كان علماء الحديث أول من اتخذ من السماع طريقا لنقل الحديث الشريف وان كانت « الاخبار » هي الاخرى اتخذت هذه الوسيلة في وقت مبكر بل ان السماع الطريقة الفطرية في نقل الاخبار بين الناس ، الا أن المحدثين وضعوا قواعد واصول السماع وساروا عليها ·

كان الموطأ من كتب الحديث والفقه التي تسمع في الاندلس

---

(١) راجع مثلا من الشام : ذكر ان ابن شهاب الزهري أبا بكر محمد بن مسلم (١٢٤ = ٧٤١) املى على أحد كتاب هشام بن عبد الملك لاولاده ٤٠٠ حديث · وبعد شهر أو نحوه اراد هشام ان يختبر الزهري فقال له : « ان ذلك الكتاب قد ضاع قال : لا عليك فدعا بكاتب فأملاها عليه · ثم قابل هشام بالكتاب الاول فلم يغادر حرفا واحدا « الالماع ، ٢٤٤ · وانظر م · ن ، ٢٤٣ ·

(٢) الالماع ، ١٣٦ ·

(٣) انظر : تاريخ علماء ، ١ : ١٥٨ ·

وكانت مجالس اسماعه كبيرة • يقول ابن الفرضي : اختلفت الى ابي عيسى يحيى بن عبد الله (٣٧٢ = ٩٨٢) في سماع الموطأ سنة ٣٦٦ (٩٧٦) ـ وهي سنة بدئه السماع ـ « ولم اشهد بقرطبة مجلسا أكثر بشرا من مجلسنا في الموطأ ، الا ما كان من بعض مجالس يحيى بن مالك بن عائذ »(١) • مع ان العلوم الشرعية كانت موضع اهتمام الحركة العلمية بالدرجة الاولى ، مما جعل مجالسها تجذب الطلاب ، الا أن طول باع العالم المحدث وعلو اسناده وما يتمتع به من ثقة عوامل في زيادة عدد مستمعيه •

بجانب الموطأ كان صحيح البخاري مثلا من الكتب التي اهتمت بها حلقات السماع في الاندلس(٢) •

كانت كتب الفقه مدار السماع فقد جمع « الفقيه المستبحر » ابن العطار ابو عبد الله بن أحمد الاموي (٣٣٠ ـ ٣٩٩ = ٩٤١ ـ ١٠٠٨) « كتابا حسنا مفيدا يعول الناس في عقد الشروط عليه »(٣) « وقد اسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة عن عهد المنصور محمد بن ابي عامر »(٣) •

سمع الناس تفسير القرآن ليحيى بن سلام على ابي الحسن علي بن عمر الخولاني (٣٠٩ ـ ٣٨٤ = ٩٢١ ـ ٩٩٤) ، الذي سمعه على ابي الحسن المري في أحد عشر شهرا(٤) • كما

---

(١) م • ن ، ٢ : ١٩٢ •
راجع : مجالس املاء كبيرة : الصلة ، ٢ : ٣٦١ •
(٢) تاريخ علماء ، ١ : ١٥٢ •
(٣) الصلة ، ٢ : ٤٨٥ •
(٤) تاريخ علماء ، ١ : ٣١٥ •

املـي التاريخ من الحفظ على يـد ابن القرطيـة (٣٦٧ = ٩٧٧)[١] ٠

وحظي الادب بنصيبه في حلقات السماع املاء من مؤلف العالم وسماعا بالمسجد الجامع بالزهراء[٢] ٠

٢ ـ السماع في بلنسية :

تتوفر أمثلة ليست بالقليلة عن « السماع » في بلنسية ٠ وسيقتصر على ذكر امثلة مختارة من مجالس السماع علّها تعين على فهم حالاته وصوره وارتباطه التاريخي ٠

شهدت بلنسية حلقات عدة لسماع علوم الشريعة عامـة وقد حفل الحديث الشريف بالنصيب الاوفى منهـا ٠ فكانت له حلقات عدة في أوقات مختلفة ٠ فقـد « سمع » ابـو داود المقرىء (٤٩٦ = ١١٠٢) احاديث خراش بن عبد الله من ابي محمد بن ابي دلهم سنة ٤٣٦ (١٠٤٤) ، ويتوقع ان هـذا السماع ببلنسية[٣] ٠

و « سمع » ابو أحمد جعفر بن سعيد المقرىء (؟) ببلنسية من ابي عمرو الداني المقرىء (٤٤٤) الذي كان وقتئذ يرتاد بلدا يستوطنه[٤] ٠ ويبدو ان سماع ابي أحمد المقرىء ـ من أهـل بلنسية ـ على ابي عمرو المقـرىء كان في علـم القراءات . فابو عمرو يعد من ائمة وحفاظ هذا العلم ٠

---

(١) م ٠ ن ، ٢ : ٧٦ ٠

(٢) انظر : الصلة ، ١ : ٣٨ ، ٢ : ٦٥٦ ٠

(٣) التكملة ، ٢ : ٧٩٦ ، الذيل ، ٤ : ١٨٠ ـ ١

(٤) التكملة ، ١ : ٢٣٩ رقم ٦٣٠ ٠
انظر : ادناه ، ٢٣٣ ـ ٤ ٠

كانت لابي المطرّف المعافري (٤٧٢ = ١٠٧٩) حلقة للحديث على ما يبدو ٠ فقد « سمع » منه ابو الليث الشاشي سنة ٤٦٤ (١٠٧١) وابو بحر الاسدي (٥٢٠ = ١١٢٦) ٠ ويظهر انهما تتلمذا سوية في حلقة ابي المطرف في وقت وجود الشاشي ببلنسية (٤٦٤ ـ ٤٦٦)(١) ٠ كما ان ابا بحرالاسدي « سمع » من الشاشي مما يشير الى اتخاذه هو الآخر حلقة في بلنسية لاسماع « صحيح البخاري » الذي عرف بتحديثه به ٠ فقد « سمع » منه ايضا ابو الحسن طاهر بن مفوز المعافري (٤٨٤ = ١٠٩١) الذي « سمع » عليه الشاشي نحو سنة ٤٦٤(٢) ٠ و « روى » عنه ابو بحر الاسدي ببلنسية على ما يبدو(٣) ٠ مما يشير الى وجود حلقة أخرى للسماع تصدرها ابن مفوز ٠

بجانب حلقات « السماع » الثلاث التي حفلت بلنسية بها في وقت يقع بين ٤٦٤ ـ ٦٦٦ ، كانت حلقة ابي العباس العذري (٤٧٨ = ١٠٨٥) تجذب طلبة العلم لسماع « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » بالدرجة الاولى ٠ فقد « سمعه » منه سنة ٤٦٥ ببلنسية أبو أحمد جعفر بن جحاف المعافري (٤٨٨ = ١٠٩٥)(٤) ٠ كما « سمع » الشاشي من العذري(٥) ٠ وربما كانت « رواية » ابي بحر الاسدي على ابي العباس العذري ببلنسية خلال هذا الوقت(٦) ٠

---

(١) الصلة ، ١ : ٢٣٠ ، ٢ : ٣٤٠ ٠
(٢) م ٠ ن ، ١ : ٢٤٠ ، ٢ : ٦٣٧ ٠
(٣) م ٠ ن ، ١ : ٢٣٠ ٠
(٤) التكملة ، ١ : ٢٣٩ ٠
(٥) جذوة ، ٣٥٦ ، الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ٠
(٦) الصلة ، ١ : ٢٣٠ ٠

يبدو أن مجلس العذري استمر في إسماع الحديث وخاصة صحيح مسلم ببلنسية ، فمن تلامذته أبو محمد عبد الجبار اللاردي الذي « سمع » من العذري ـ على ما يبدو ـ ببلنسية في ذي الحجة ٤٦٧[1] ٠

يرد خبر عن حلقة من حلقات العذري في سنة ٤٧٤ (١٠٨١) يقدم فهما لطبيعة السماع ٠ فقد كانت « القراءة » و « السماع » وهما من ضروب الرواية ، يتحققان في آن واحد في المجلس العلمي ٠ فابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عائد الطرطوشي (٤٩٥ = ١١٠١) « قرأ » « صحيح مسلم » على العذري ببلنسية سنة ٤٧٤ وبقراءته سمع الصدفي[2] ٠

يمكن فهم صورة السماع والقراءة في مجلس العذري كما يلي : يتولى أحد الحضور في المجلس « القراءة » في كتاب من الكتب التي يرويها ـ وفي المثل المذكور صحيح مسلم ـ بينما يكون الآخرون في « سماع » للقراءة ٠ وربما كان منهم من ينظر في نسخة من الكتاب ٠ بينما يكون « الشيخ » العذري شاهدا على سلامة القراءة ومقوما وشارحا لها من حفظه أو من نسخته ٠ بهذا تكون النسخة التي قرأها الطالب مضبوطة وكذلك نسخ المستمعين ويحق لهم رواية صحيح مسلم عن العذري ٠ وهكذا تكون ثمرة هذا المجلس ـ في جلساته المتعددة ـ نسخا عدة من الصحيح مضبوطة على يد عالم له حق روايته ٠ يخول من يشاء ممن حضر سماع مجلسه نفس الحق ٠

---

(١) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٣٦ ٠

(٢) الصلة ، ٢ : ٤٢٢ ، المعجم ، ١١٧ ، ١١٨ ٠
يرجح أن سماع صحيح البخاري على أبي العباس العذري كان ببلنسية ، انظر : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧١٩ ٠

وهذا يؤدي الى تعدد نقلة العلم وحملته وباثيه مما يخدم الحركة العلمية ويسهل أمرها ·

ما جرى في حلقة العذري جرى في حلقة ابي الوليد الباجي (٤٧٤ = ١٠٨١) ، بل هو عرف علمي اسلامي · فقد « سمع » ابو الحسن محمد بن واجب القيسي (٥١٩ = ١١٢٥) أكثر صحيح البخاري ــ بقراءة ابي مروان بن السماد المقرئ ــ على ابي الوليد الباجي بمسجد رحبة القاضي من بلنسية سنة ٤٦٨ · واجازه لابن واجب وسائر اصحابه(١) ·

اذا كان من نشاط حلقات سماع العذري ما انصب على اسماع « صحيح مسلم » بالدرجة الاولى فان إسماع أبي الوليد الباجي ببلنسية انصب على صحيح البخاري · وهذا يشير الى اعتمادهما ــ صحيحي البخاري ومسلم ــ بدراسة الحديث الشريف ببلنسية · و « تخصص » كل منهما في احدهما ·

هذه صورة أخرى من مجالس سماع ابي الوليد الباجي في نفس ذلك العام ٤٦٨ ·

فقد « سمع » ابو القاسم خلف بن أحمد الصدفي (٤٨٦ = ١٠٩٣) من ابي الوليد الباجي « وبقراءته صحيح البخاري على ابي الوليد الباجي سمع ابو داود المقرئ وابو الوليد الاروشي وجماعة معهما وذلك في سنة ثمان وستين واربعمائة »(٢) والخبر يدل مع الاول على استمرار مجالس ابي الوليد وكثرة تلامذتها ·

---

(١) انظر : الصلة ، ٢ : ٥٧٤ ، التكملة ، ٢ : ٦٩٧ ·

(٢) التكملة ، ١ : ٢٩٨ ·

و « سمع » ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عـائد الطرطوشي (٤٩٥) على ابي الوليد الباجي وربما كان هذا ببلنسية سنة ٤٦٨[١] ٠

في عام ٤٧٤ « سمع » ابو عبد الله عبد الرحمن بن جحاف المعافري من أبيه أبي عبد الرحمن[٢] ٠ مما قد يشير الى اتخاذه حلقة للسماع ٠

هكذا كانت أكثر من حلقة لسماع الحديث في مدد متقاربة ببلنسية مثلما كان في الاعوام ٤٦٤ ـ ٤٦٦ و ٤٧٤[٣] ٠ هذا ما وفرته المصادر من معلومات والا فما حدث في السنين التي سبقت هـذه الاعوام من سماع لمختلف العلوم لا يقـل كثيرا ـ كما يتوقع ـ عما حدث فيها ٠ وما اعقبها من السنين يرجح ان السماع توسع فيها عما كان عليه ولو الى حين ٠

الذي يستخلص أن المصادر لم توضح معظم السماع ٠ فما الذي سمعه الطلاب وكيف تم السماع ٠ ويرجح ان معظم السماع كان للحديث الشريف عندما لا تنص المصادر على مادته ٠ اما كيف تـم السماع هـل بقـراءة الطالب على الشـيخ وسماع الحضور ؟ أم بتحديث الشيخ من حفظه أو من النظر بكتاب والطـلاب يسمعون ؟ أو أن الشيخ كان يملي عـلى طلابه المستمعين من حفظه أو من كتاب ؟ فكل هذا وما يندرج تحت « السماع » من أمور لا تجيب عنها المصادر بما يخص بلنسية الا ما تم عرضه وما سيأتي من حديث عن سماع الفقه وعلوم القـرآن ٠

---

(١) انظر : الصلة ، ٢ : ٤٢٢ ٠

(٢) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥٥ ٠

(٣) انظر : الصفحة التالية من البحث « سماع » في سنة ٤٧٤ ٠

فيبدو أنه كان لابي القاسم البريلي (٤٤٣ = ١٠٥١) حلقة لاسماع الفقه . فقد « سمع » منه موصل بن أحمد بن موصل (٤٨٠=١٠٨٧) ، فربما سمع منه كتابه « التقريب » في شرح المدونة واختصارها(١) . فقد « استعمله الطلبة في المناظرة وانتفعوا به »(٢) . وكان البريلي « فقيها حافظا للمسائل ، مقدما في علم الوثائق »(٣) . مما يكون مناسبا ان يدرس الفقه بالدرجة الاولى . فاذا صح هذا يكون مثلا على اسماع العالم البلنسي لكتابه ، أو سماعه لقراءته من قبل الطلاب .

كان لعلوم القرآن حلقات سماعها ببلنسية فقد « سمع » ابو داود المقرىء (٤٩٦ = ١١٠٢) من ابن القطاع أبي محمد جعفر بن علي بن علي الصقلي « كتاب ابي بكر بن عزيز في غريب القرآن بجامع بلنسية مرتين ، احداهما في أول ذي القعدة سنة ٤٧٤ »(٤) .

---

(١) الصلة ، ١ : ١٦٩ ، ٦٣١ ، الديباج ، ١١٣ .

(٢) الديباج ، ١١٣ .

(٣) الصلة ، ١ : ١٦٩ .

(٤) التكملة ، ١ : ٢٤٥ .
راجع : من أخبار « السماع » ببلنسية : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥١ ـ ٢ ، التكملة ، ١ : ١٣٧ ، المعجم ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢١ .
ورد في عدة مواضع من المصادر ان فلانا « روى » عن فلان دون تحديد ضرب الرواية سماعا أو قراءة وما الى ذلك . مما يصعب الانتفاع منها كثيرا . وقد أفاد البحث في « طرق التدريس » من بعضها وعدها سماعا . ويمكن للقارىء مطالعتها في الفصل الثالث من هذا البحث « اوجه النشاط العلمي » ، العلوم الشرعية خاصة . كما يرد ان فلانا « أخذ » عن فلان و « حدث » .

ثانيا : القـراءة

وهي قراءة التلميذ على الشيخ حفظا من قلبه أو من كتاب ينظر فيه • أو قراءة غيره وهو يسمع • سواء كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك اصله • وامساك الاصل اثبت • ولا خلاف انها رواية صحيحة[1] وتسمى القراءة ايضا عرضا « لان القارىء يعرض ما يقرؤه على الشيخ »[2] •

اختلف هل القراءة مثل السماع أو دونـه أو فوقـه في الرتبة فمذهب مالك التسوية بينهما[3] • بل ذهب مالك وغيره ان القراءة أرفع من السماع وأصح[4] • وتعليل مالك فيما يروى عنه انه اذا قرأ فربما سها أو غلط فلا يصحح له الطالب السامع لانه دونه علما ولهيبته له « واما ان يكون غلطه في موضع صادف اختلافا فيجعل خلافا توهما انه مذهبه فيحمل الخطأ صوابا » • بينما اذا قـرأ الطالب على الشـيخ فسها الطالب أو أخطأ رد عليه الشيخ « لعلمه مع فراغ ذهنه • أو يرد عليه غيره ممن يحضر » لان الرد على الطالب اهـون • كما لا يعد للطالب « مذهب في الخلاف ان صادف بغلطه موضع اختلاف »[5] •

وهذا المحذور من السماع يرد أكثر في حالة ان المستمعين

---

(1) الالماع ، ٧٠ ، ٧٥ ، تدريب الراوي ، ٢ : ١٢ ـ ١٣ ، الباعث الحثيث ، ١١٠ ، علوم الحديث ، ٩٣ ، لمحات ، ٣٤٦ •

(2) الالماع ، ٧١ • انظر : تدريب الراوي ، ٢ : ١٢ •

(3) انظر : الالماع ، ٧١ ، تدريب ، ٢ : ١٤ •

(4) الالماع ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ • انظر : تدريب ، ٢ : ١٥ ، لمحات ، ٣٤٦ـ٧ •

(5) الالماع ، ٧٤ ، ٧٥ •

طلابا اما حين يضم مجلس العلم بجانب الطلاب بعض العلماء فمجال ورود المحذور أقل مع أن مالك حذر من هذه الحالة اطلاقا دون تخصيص ٠

ومضى ان « حدثنا واخبرنا » واحد وتستعمل فيما قرىء على المحدث كما في السماع من لفظه(١) ٠

وواضح ان اختلاف علماء الحديث حول أي الضربين أعلى في رواية الحديث ، السماع أو القراءة ، نابع من حرصهم الشديد على ضبط الحديث ونقله الى الاجيال بكل امانة ٠ وتبين هذا من تعليل مالك المتقدم ٠ ويقول عياض ان امساك الشيخ الكتاب عند قراءة الطالب اثبت « لئلا يغفل ويذهب الوهم فيذكر الكتاب »(٢) اما اذا لم يكن الشيخ حافظا لما يقرأ عليه فلا بد من الامساك من قبله أو من ثقة(٣) ٠

لم تنفصل « القراءة » عن « السماع » في مجالس العلم وحلقاته في المسجد أو بيت العالم وغيرها من مواضع الدراسة٠ بل سارت القراءة مع السماع ، وهو الأقدم في الحياة العلمية ، من وقت مبكر غير معروف على وجه التحديد ٠ من وقت وجد التأليفوانتشر الورق واستقرت المجتمعاتفي المدن والحواضر. ويمكن ارجاع هذا الى أواخر القرن الاول الهجري ٠

فقد وجد المسلمون انه لم يعد بالامكان الاعتماد على الذاكرة في حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبار

---

(١) الالماع ، ١٢٢ ٠ انظر : تدريب ، ٢ : ١٦ ــ ٧ ٠

(٢) الالماع ، ٧٥ ٠

(٣) انظر : م ٠ ن ، ٧٥ ، ٧٦ ٠

أصحابه . واذا كانت صحائف القـرآن الكريم كتبت اثنـاء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وجمعت وانتسخت في عهد خلفائه ، فان الحديث الشريف لم يكتب في حياته صلى الله عليه وسلم الا لماما ، بل تناقلته شفاه المسلمين وصدورهم .

ووجد بعد عهد ان ما ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من نهي عن تدوين حديثه نابع من حرصه على أن لا يختلط بالقرآن .

ان ازدياد الحاجة الى الحديث في التشريع وتفرق الصحابة في الامصار ووفاة العديد منهم وتطاول الزمن اشعر رجال الامة بضرورة تدويـن السـنة ، فانبـرى لهـا رجـال صـادقون بالتدوين[1] .

ومن هذا الوقت ، وقت تدوين السنة ، تبدأ « القراءة » ضربا من ضروب الرواية بجانب السماع ، فقد كان الرجل يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظه ويحفظه السامعون عنه ، غير مستعينين بكتاب أو كتابة . أما بعد تدوين السنة فأصبح بامكان المحدث أن يحدث من حفظه أو من كتاب أو يجمع بين الأمرين .

عندما انتشرت نسخ الكتب بتوفر وسائل الكتابة التـي دعت حاجة التدوين اليها اتضحت معالم « القراءة » ، فكان الرجل ينسخ الكتاب ويقرأه على العالم لضبطه من حفظه أو من كتاب يرويه . أو يسمع الطالب قـراءة العـالم للكتاب

---

(1) انظر : السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، مصطفى السباعي ، ٦٢ وبعدها ، ١٠١ وبعدها ، أدب الحديث النبوي ، بكري شيخ امين ، ٢٩ وبعدها ، رسالة في علوم الحديث واصوله ، كمال الدين الطائي ، ٢٦ وبعدها .

وهكذا · وكان على المحدثين ان يضعوا قواعد للقراءة والسماع · فكانت بمثابة الدرع لحماية الحديث من الضياع والانتحال وما الى ذلك · ومع هذا لم ينقطع التحديث من الحفظ والحفظ من السماع لم يتوقف · الا ان تشعب علوم الحديث وتوسع دراساته جعل المحدثين يركنون الى الكتاب في مجالسهم العلمية وان لم ينقطعوا عن التحديث من الحفظ « السماع » الا انهم طالعوا كتب الحديث ووجد من طلابهم من يدون من السماع ·

ان أهمية القراءة ـ ضربا من ضروب الرواية ـ انها سهلت انتشار الحديث ، خاصة ، وبأمانة ·

وقد ادت طريقة الاقراء في أوقات متأخرة الى فكرة « تقرير كتب معينة على الطلاب يدرسونها بمعونة الاساتذة »(١) · يبدو ان هذا جاء بعد ان الفت المؤلفات في الاصول والفروع وبعد أن ميزت الحركة العلمية في اماكنها عددا من الكتب فاعطتها جل عنايتها لكونها امهات العلوم على أنه لم يرد انهم الزموا الطالب قراءة كتب معينة ·

لا بد من وقفة اجلال لعلماء الحديث ـ وغيرهم ـ من علماء الامة ، الذين كان عملهم بمثابة فتح للحركة العلمية · حيث كانت قواعدهم وعلومهم في الحديث نبراسا للعلوم الاخرى الشرعية واللغوية والتاريخية وغيرها ونبعا دفاقا امد الحياة العلمية الاسلامية على مر قرونها · وسيتضح من الامثلة التالية في هذا البحث كيف اتخذت هذه العلوم من « القراءة » طريقة في التدريس ·

---

(١) تاريخ الجامعات ، ١٨٦ ·

١ ـ القراءة في الاندلس

كانت مجالس « القراءة » جماعية أو فردية ٠ وهي ان يقرأ الطالب كتابا ما على العالم منفردا ٠ وهذا يحقق فوائد منها ان العالم ينصرف بكليته الى الطالب كي يتيح للطالب ضبط الكتاب فربما فاته بعض ما قرأه غيره في المجالس الجماعية ٠ وهذا ما دعا بعض الطلاب الى قراءة الكتاب على العالم منفردا بعد أن سمعه من قراءة غيره اطمئنانا على ما سمع واكمالا لنقص في الكتاب لم يسمعه لتغيبه عن المجلس أو لاي عارض ٠ فابن الفرضي سمع كتاب « معاني القرآن » للزجاج ـ عدا سورة البقرة ـ على ابي محمد عبد الله بن حسين (٣٨٣ = ٩٩٣) من قراءة آخرين ، ثم ان ابن الفرضي قرأه عليه من أوله الى آخره ، وقرأ عليه علما كثيرا[١] ٠

ووجد من العلماء من حبذ قراءة الطلاب عليه منفردين لعين السبب العلمي فابن رشيق الزاهد (٤١٠ = ١٠١٩) كان لا يسمح للطلاب بالدراسة عليه مجتمعين الا لمن وثق بصدق نيته في طلب العلم فكان يستقبله منفردا ٠ يقول ابو عبد الله بن عتاب « قرأت عليه منفردا اذ لم يكن يجتمع اليه »[٢] ٠

لم يكتف بعض الطلاب بقراءة الكتاب مرة واحدة على مؤلفه بل قرأه مرات[٣] ، زيادة في الضبط والفهم ٠ بل ان

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ٢٤٥ ٠

(٢) الصلة ، ١ : ٢١٥ ٠

(٣) انظر : م ٠ ن ، ١ : ٣٠٤ ٠

بعض الطلاب قـرأ الكتاب على أكثر من عـالم[1] ، ليحيط بالروايات المختلفة بالكتاب ويزيد من اتقانه ولا يتصور ان دور العالم في القراءة مجرد ان يسمع نص ما يقرأه الطالب فيقوّم له التصحيف والتحريف والخطأ اللغوي ، بل يتوقع انه كان يشرح للطالب ما غمض عليه من معاني وربما استطرد الى ذكر كتب أخرى أو قرأ فيها والى التحدث عن علوم في غير ما يتضمنه الكتاب ، لتوضيـح ما اشكل على الطالب فهمـه واستيعابه ٠

كان الطالب اذا أتم قراءة الكتاب سجل قراءته عليه[2] ، وربما يحصل على عبارة « توقيع » من شيخه يثبت كونه سمع الكتاب عليه وتكون هذه العبارة في أول الكتاب أو نهايته ٠

اما القراءة الجماعية فهي ان يســمع القراءة أكثر من القارىء على الشيخ ، ولها صور متعددة ٠ وبشكل عام أن يتصدر العالم المجلس أو الحلقة بينما يجلس الطلاب أمامه ، فيشير العالم الى أحدهم بالقراءة في الكتاب يروم أو يرومون قراءته وسماعه ، فيكون قارئا والعالم يستمع مع بقية الطلاب أو ينظر في نسخته أو يعتمـد على حفظـه في تقويم أخطـاء القارىء ٠

ومن صور القراءة يقول « ابو عمر الطلمنكي : دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا عني غريب المصنف فقلت لهم : انظروا من يقرأ لكم وأمسك كتابي ، فأتوني برجـل

(1) انظر : تاريخ علماء ، ١ : ٣٦ ٠

(2) انظر : الصلة ، ٢ : ٥٧٣ ٠

أعمى يعرف بابن سيده ، فقرأه علي من أوله الى آخره من حفظه . فعجبت منه »[1] ·

وهكذا فقد يكون من القراء من يحفظ الكتاب ومن العلماء من لا يحفظه بل ينظر فيه · ويزداد مجلس السماع فيكون كبيرا ويصغر فيضم بضعة أفراد[2] ·

عرف عن بعض الاشخاص ان يقع الاختيار عليه من العلماء ليقرأ في مجالسهم ، فابو عبد الله محمد بن أحمد بن بدر الصدفي (٤٤٧ = ١٠٥٥) من طليطلة « كان يُتخير للقراءة على الشيوخ لفصاحته ونهضته وقد قرأ الموطأ على المنذر في يوم واحد »[3] !·

شهدت حلقات الدرس صورة جديرة بالذكر والتنبه اليها وهي ان يجلس عالمان في وقت واحد والطلاب يقرؤون عليهما « كتب الزهد والرقائق والكرامات »[4] ·

وقد قرأت كتب معظم العلوم ، كما اسمعت على العلماء سواء كانت الكتب من مؤلفاتهم أو مما يحملون حق روايته ·

---

(١) معجم الادباء ، ١٢ : ٢٣٣ ·
غريب المصنف : لعله لابن سلام القاسم الهروي المُصنّف (١٥٧ ـ ٢٢٤ = ٧٧٣ ـ ٧٣٨) ، وصل مخطوطا ، منه فصل منشور مع ترجمة فرنسية مودع في المكتبة المركزية ـ جامعة بغداد ·
ابن سيده : ابو الحسن علي بن أحمد اللغوي الاندلسي (٤٥٨ = ١٠٦٥) . صاحب المخصص ، معجم الادباء ، ١٢:٢٣١ وبعدها رقم٦١ ·

(٢) راجع : اربعة نفر قرأوا الموطأ على أحد العلماء : الصلة ، ٢:٣٢٧ ·

(٣) الصلة . ٢ : ٥٣٤ ·
فهل يرتقي ابن بدر الصدفي الى مرتبة « معيد » ؟!

(٤) طبقات النحويين . ٣٠٥ ·

وحقيق أن يحتل الحديث مكانه المرموق في الدراسات الاندلسية وان تكون حلقات قراءة مصنفاته نشطة . من ذلك « كتب اسد بن الفرات» التي كانت « تقرأ » على ابي سعد سيرة بن مذكر التميمي (٣١٤ = ٩٢٧) التي قرأ عليه بعضها عام ٢٩٥ (٩٠٧)(١) .

أما الموطـأ فحظي بعناية فائقـة فمعظم الاندلسيين على مذهب مؤلفه الامام مالك(٢) .

كمـا قرىء صحيحا البخاري ومسلم(٣) وحظيا بعنـاية الحركة العلمية الاندلسية .

احتل اقراء القرآن الكريم الصدارة في المجالس العلمية في مواضعها المختلفة وخاصة في المساجد . فكان كبار العلماء المقرئين يتولون اقراءه للناس . وطبيعي ان يلقى القرآن والحديث غاية عناية المسلمين فهما منهج الحياة لهم بدأت بهما دراستهم وتفرعت ونمـت ونضجت عنهمـا وانطلقت عـن اجوائهما العلمية الدراسات المختلفة التي عرفتها الحركـة العلمية .

لم يكن اقراء القـرآن يقتصر على تدريس قراءاتـه المختلفة وضبط تجويده ، بل قرأت علومه المختلفة من تفسير

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ١٩٤ .
(٢) انظر : م . ن ، ٢ : ١٣١ .
(٣) انظر : الصلة ، ، ١ : ٣٢٧ .
(٤) انظر : م . ن ، ١ : ٢٧٣ .

وناسـخ ومنسوخ واسـباب النـزول ومـا الى ذلـك (١) ٠

من كبار المقرئين للقرآن ابو الحسن علي بن خلف بن ذي النون المقرىء (٤١٧ ـ ٤٩٨ = ١٠٢٦ ـ ١١٠٤) كان من جلة المقرئين وفضلائهم وعلمائهم وخيارهم « أقرأ القرآن بالمسجد الجامع بقرطبة »(٢) ٠

وابو محمد مكي بن ابي طالب المقرىء (٣٥٥ ـ ٤٣٧ = ٩٦٥ ـ ١٠٤٥) « امام علامة محقق عارف استاذ القـراء والمجودين »(٣) قدم الاندلس في رجب سنة ٣٩٣ (١٠٠٢) ، فاقرأ بمسجد النخيلة وبجامع قرطبة ثم نقله المظفر عبد الملك ابن ابي عامر الى جامع الزاهرة واقرأ فيه حتى انتهت دولة بني عامر سنة ٣٩٩ (١٠٠٨)(٤) والظاهر ان ما أقرأه مكي ابن ابي طالب القرآن الكريم ـ بالدرجة الاولى ـ الذي له فيه مؤلفات في قراءاته وتجويده وغير هذا(٥) ٠

لا تعد قراءة القرآن من قبل المقرىء بصوته « قراءة » باعتبارها طريقة للتحمل ٠ انما تدريس علم القراءات وعلوم القرآن الاخرى هي المقصودة من ذكـر العـالمين في المثـلين السـابقين ٠

وقد حظيت كتب علوم اللغة العربيـة بعناية الحركـة

---

(١) انظر : تاريخ علماء ، ١ : ٢٤٥ ، ٣١٥ ٠

(٢) الصلة ، ٢ : ٤٢٣ رقم ١٣٩٠ ٠
راجع: عن اقراء القرآن بالمساجد وعن علماء اندلسيين مقرئين: الصلة ، ٢ : ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٨٧ ، ٤٢١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٦٤٥٠

(٣) غاية النهاية ، ٢ : ٣٠٩ ٠

(٤) الصلة ، ٢ : ٦٣٣ ٠ وانظر : غاية ، ٢ : ٣٠٩ ٠

(٥) انظر : غاية ، ٢ : ٣١٠ ٠

العلمية ، فقرأت كتب النحو والصرف والعروض والبلاغة والادب[1] ، كما قرىء الشعر ، فقد تناقل الرواة دواوين الشعراء من اندلسيين ومشارقة ، فهذا ابو عبد الله الغابي (؟) « كان من احفظ الناس لاخبار أهل الاندلس واشعار شعرائهم، وما دار بينهم من نتف أخبارهم وفكاهاتهم ، وكان ذا فهم بارع ، وخلق نبيل ، ومنظر جميل »[2] « قرىء » عليه شعر ابي تمام حبيب بن أوس الطائي[2] ٠

قرأت كتب العلوم العملية فابو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر (من معاصري صاعد صاحب طبقات الامم) اعتنى بكتب جالينوس عناية صالحة وقرأ كثيرا منها على ابي عثمان سعيد بن محمد بن بغونش »[3] وقرأ ابو عبد الله بن سعيد الداني (؟) الحساب بدانية على المازي ابي العباس احمد ابن ايوب البحصي[4] وهذا مما يشير الى تأثر العلوم العلمية بطرائق المحدثين في دراسة العلوم وتداولها ٠

٢ ــ القراءة في بلنسية

درست العلوم المختلفة ــ قراءة ــ في بلنسية وخاصة علوم الشريعة واللغة ، وحظي الحديث الشريف بنصيبه الاوفى من القراءة كما في السماع ٠

---

(١) انظر : تاريخ علماء الاندلس ، ١ : ٧٦ ، معجم الادباء ، ١٢ : ٢٢٣ ٠ راجع عن اقراء كتب علوم اللغة بشكل عام : طبقات النحويين ٠

(٢) طبقات النحويين ، ٣١٥ ٠

(٣) طبقات الامم ، ١٠٩ ــ ١٠ ٠

(٤) التكملة ، ١ : ٣٣ ، ٣٤ ٠

كان صحيح البخاري ومسلم معتمدين في الدراسة لذا حفلت حلقات القراءة بهما • وتصدر – من علماء بلنسية والاندلس – لاقرائهما عالمان من كبار العلماء وهما ابو الوليد الباجي وابي العباس العذري •

فأول من « قرأ » « صحيح مسلم » على العذري ببلنسية سنة ٤٦٥ (١٠٧٢) ابو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافري (٤٨٨)[1] و « قرأ » ابو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني (؟) « صحيح مسلم » بمدينة بلنسية على أبي العباس العذري « في أيام من رجب وشعبان سنة ٤٧٠ »[2] •

ويمكن القول ان العـذري تخصص بتدريس « صحيح مسلم » بالدرجـة الاولى كما تخصص ابـو الوليـد الباجي بتدريس « صحيح البخاري »[3] • وكانا متصدرين مجالس العلم في أوقات عدة يدرسان طلبة العلم ببلنسية •

من صور الاقراء ان ينسخ الطالب الكتاب ثـم يقرأه مرة أو أكثر على عالم له حق روايته لضبطه والحصول على اذنه بروايته • وربما قرأ الطالب الكتاب الواحد على أكثر من عالم ولاكثر من مرة زيـادة في الضبط وتعمقا في الفهـم وحرصا على أن تكون نسخته متقنة علميا في نصها وفهمه لها ، نسخة تخدم الحديث الشريف وبثه بين الناس • فربما صارت

---

(١) التكملة . ١ : ٢٣٩ •
انظر قراءات لصحيح مسلم على ابي العباس العذري ببلنسية • أعلاه ، ٢٥١ •

(٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين ، ابو بكر محمـد بن خـير الاشبيلي . ٩٩ – ١٠٠ •

(٣) انظر : أعلاه . ٢٥٢ •

تسخته اصلا يؤخذ عنه ويكتب عنها · فيتوفر في هذا الخصوص عالم من علماء بلنسية فهـذا ابو داود المقـرىء (٤٩٦ = ١٢٠٢) « كتب بخط يده كتاب البخاري في عشرة اسفار وكتاب مسلم في ستة وقرأهما معا على الباجي وعلى ابي العباس العذري مرات واحتفل في تقييدهما حتـى صار كل واحـد منهما اصلا يقتدى به » يقول ابن عميرة (٥٩٩ = ١٢٠٢). الذي أورد هـذا الخبر ، : « رحلت الى بلنسية في عـام ستة وتسعين وقابلت بهما كتابي وانتفعت بهما »(١) ·

ولم يزل ابو داود المقرىء يقرىء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان توفي(٢) · وكيف لا يقرىء الحديث وقد تتلمذ على علمين من علماء الحديث وهما ابي الوليد الباجي وابي العباس العذري ورجل كان ذلـك احتفاله بالحديث ؟ مع أن المشهور لابي داود انه مقرىء للقرآن الكريم وعلومه · فقد قرأ كتاب الله عز وجل الى أن توفي كما اقرأ الحديث(٣) · ان اقراءه للقرآن لم يكن فقط لقراءاته وتجويده بل لبعض علوم القرآن الأخرى · فهذا أحد تلامذته أبو بكر محمد بن أحمد التجيبي (٤٧٧ ـ ٥١٩ = ١٠٨٤ ـ ١١٢٥) قصده ببلنسية اثر استرجاعها من القشتاليين « فأخذ » عنه في شوال سنة ٤٩٥ (١١٠١) القراءات السبع و « قرأ » عليه « جامع

---

(١) بغية ، ٣٠٣ ـ ٤ ·
راجع عن مقابلة الكتب عند المحدثين : الالماع ، ٧٦ ·
بغية ، ٣٠٤ ·

(٢) انظر : ممن قرأ على ابي داود ببلنسية ولا يعرف اقرأ عليه الحديث أ. القرآن : التكملة ، ١ : ٢٧ ·

(٣) نية ، ٣٠٤ ·

البيان » لابي عمرو المقرىء و « ايجاز القرآن » ، وبعض « التيسير » واجاز له سائره مع جميع رواياته[1] .

وهكذا كان الطالب بعد ان يتم قراءة كتب معينة على العالم يحصل على اذن منه بروايتها وهذا يعين في بث العلم بين الناس بامانة .

وكان ابو عمر يوسف بن عبد البر من علماء الشريعة المشهورين « أقرأ » ببلنسية في ربيع الآخر سنة ٤٥٣[2] . ويظن أنه كان يقرأ علوم الشريعة كما كان يسمعها فيما ورد عنه في سنة ٤٥١[3] .

كما « أقرئت » علوم اللغة العربية ببلنسية . فهذه اشراق السوداء العروضية (حدود ٤٥٠ = ١٠٥٨) « قرأ » عليها ابو داود المقرىء . ويرجح انه قرأ عليها في العروض والادب . فقد برعت اشراق في العروض وحفظت « الكامل » للمبرد و « النوادر » للقالي وشرحهما[4] . والخبر ذو دلالة هامة هي ان حلقات الاقراء في بلنسية لم يتصدرها الرجال فحسب بل وجد من النساء عالمات اديبات تصدرن حلقات للتدريس تضم رجالا .

كان كتاب « الامثال » لابي عبيد « يقرأ » على ابن رلان أبي عبد الله محمد بن حسين (المتوفي بعد الستين والاربعمائة بيسير) ببلنسية سنة ٤٦٠ ، وكان لا يقرأ

---

(١) لتكملة ، ١ : ٤٢١ ــ ٢ ، المعجم ، ١٠٣ ــ ٤ .

(٢) فهرسة ابن خير ، ٨٥ .

(٣) انظر : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥١ ــ ٢ ، التكملة ، ١ : ١٣٧ .

(٤) بغية الوعاة ١ : ٤٥٨ رقم ٩٣٩ .

شيئا لا يتحققه ، وعرف بأنه معلم بالعربية واللغة(١) .

وعرف في بلنسية ان يصحب أحدُ الطلاب أستاذه ويكون القارىء لما يؤخذ عنه(٢) فابن الخراز ابو عبد الله محمد الانصاري « روى » عن ابي الوليد الوقشي « واختص به وسمع منه روايته . وهو كان القارىء لما يؤخذ عنه »(٣) .

ثالثا : الاجـازة العلمية

الاجازة مأخوذة من جـواز المـاء الذي تُسقاه الماشية والحرث يقال : استجزتُهُ فاجازني ، اذا أسقاك ماءا لماشيتك وأرضِك ، ، كذا طلب العلم ، يسأل العالم ان يجيزه علمه فيجيـزه إياه ، فالطـالب مستجيـز والعالـم مجيـز(٤) . « واجاز له : سوغ له واستجاز : طلب الاجازة أي الاذن »(٥) .

أما المعنى الاصطلاحي للاجازة(٦) ، فهو : « اباحة المجيز للمجاز له رواية ما يصح عنده انه حديثه »(٧) . وبعبـارة

(١) التكملة ، ١ : ٣٩٤ . انظر نفس المصدر والصفحة « قراءة » احد الاشخاص على ابن رلان .
(٢) وهذا يماثل « المعيد » .
(٣) التكملة ، ١ : ٤٢١ .
(٤) مقاييس اللغة ، ابن فارس ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . ١ : ٤٩٤ (جوز) ، كتاب الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي ٤٤٦ ـ ٧ ، تدريب الراوي ، ٢ : ٤٢ . انظر : تدريب ، ٢ : ٤٣ (الشرح) .
(٥) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز ابادي ، ٢ : ١٧٠ ، ١٧١ (أجاز) .
(٦) راجع: تاريخ الجامعات ، ٢١٩ ، مدارس قبل النظامية، ٨١ ، الاجازات العلمية عند المسلمين ، عبد الله فياض ، ٢١ ، الحديث النبوي ، محمد الصباغ ، ١٥٣ .
(٨) الكفاية ، ٤٦٦ .

أخرى « اذن الشيخ للطالب بالرواية عنه »[1] • والاجازة بهذا أحد طرق ونقل الحديث وتحمله[2] •

واركان الاجازة اربعة المجيز والمجاز له ومادة الاجازة ولفظ الاجازة ، وهي إما مشافهة أو كتابة[3] •

١ ـ أنواع الاجازات في بلنسية

الاجازات أنواع عدة حددها علماء الحديث ولهم آراؤهم في تقويم علمية وصحة كل نوع منهـا حسب توفـر الاركان الاساسية فيها • وسيقتصر هنا على ايراد أنـواع الاجازات التي تتوفر امثلة عنها • وان كان هذا لا يلغي امكان وجود أنواع أخرى عرفتها بلنسية في الادوار المختلفة من الحيـاة العلمية[4] • وسيكون الكلام مقتصرا على الاجازات في بلنسية لتوفر نصوصها بقدر لا بأس به • ويبدو ان الحديث عنها في الاندلس لا يخدم البحث كثيرا •

---

(١) لمحات ، ٣٤٨ •

(٢) راجع : الكفاية ، ٤٤٦ وبعدها ، الالماع ، ٦٨ ، علوم الحديث ، ابن الصلاح ابو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، ١١٨ ، ١٣٤ •

(٣) انظر : الالماع ، ٨٨ ، تاريخ الجامعات ، ٢٢٣ ، الاجازات العلمية ، ٢١ وبعدها •

(٤) الف الاندلسيون كتبا مستقلة في الاجازة منهم : الوليد بن بكر ابي العباس الغمري الاندلسي (٣٩٢ = ١٠٠١) ، صاحب كتاب «الوجازة في الاجازة » • وابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (٣٤٨ ـ ٤٠٢ = ٩٥٩ ـ ١٠١١) الصلة ، ١ : ٣١٢ • وابن الصابوني ابو محمد قاسم بن ابراهيم الانصاري (٣٨٣ ـ ٤٤٦ = ٩٩٣ ـ ١٠٥٤) الصلة ، ٢ : ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ولا يعرف اذا وصل ما ألفاه أم لا• وقد نصت المصادر التيأوردت خبرهما انهما الفا في« المناولة والاجازة» وهما من ضروب الرواية •

آ ــ اجازة معيّن لمعيّن :

كأجزتك البخاري أو ما اشتملت عليه فهرستي ، وهذا اعلى أضربها المجردة عن المناولة وجائز الرواية والعمل بها على رأي الجمهور[1] . ويحق للمجاز له ان يقول « حدثني » ، يقول ابو مروان الطُبني(٣٩٦ ــ ٤٥٧ = ١٠٠٥ ــ ١٠٦٤) « انما تصح الاجازة عندي اذا عين المجيز للمجاز ما اجاز له ، فله ان يقول فيه : حدثني »[2] . كما يجوز له ان يقول « اخبرني »[3] .

ومن الامثلة على هذا النوع من الاجازات من بلنسية ان أبا القاسم خلف بن أحمد بن بطال البكري (٤٥٤ = ١٠٦٢) حصل على اجازة بتأليف ابي علي الحسين بن عبد الرحمن الشافعي سنة ٤٥٤ ، وقد حصل ابن بطال على تلك الاجازة اثناء رحلته الى الشرق[4] .

---

(١) تدريب الراوي ، ٢ : ٢٩ ، تاريخ الجامعات ، ٢٢٣ . راجع : آراء علماء الحديث في هذا النوع من الاجازة « معين لمعين » : الكفاية ، ٤٦٦ وبعدها ، الالماع ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، فهرسة ابن خير ، ١٦ ، علوم الحديث ١٣٤ ، ١٣٥ ــ ٦ ، تدريب ، ٢ : ٢٩ ــ ٣٠ ، لمحات في في أصول الحديث ، ٣٤٨ ، الحديث النبوي ، ١٥٣ .
المناولة : ضرب من أضرب الرواية . وهي اما مقرونة بالاجازة أو مجردة ، « فالمقرونة اعلى أنواع الاجازة مطلقا ، ومن صورها ان يدفع الشيخ الى الطالب أصل سماعه أو مقابلا به ويقول : هذا سماعي أو روايتي عن فلان فاروه أو أجزت لك روايته عني ، ثم يبقيه معه تمليكا أو لينسخه أو نحوه » تدريب ، ٢ : ٤٦ . انظر : م . ن ، ٢ : ٤٧ وبعدها . راجع عن المناولة المجردة عن الاجازة : م . ن ، ٢ : ٥٠ وبعدها .

(٢) انظر : الالماع ، ٨٨ ، علوم الحديث ، ١٣٤ .

(٣) الالماع ، ٩٠ . راجع : م . ن ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٢٨ وبعدها .

(٤) انظر : الصلة ، ١ : ١٧٠ ــ ١ .

هناك أمثلة أخرى على هـذا النوع من الاجازات اتخـذ اشكالا متنوعة فقد تكون الاجازة بالمعين الى المعين كتابة اليه ، أي من الشـيخ في مـكان ما الى الطالب في مكان آخر ، فهـي تحريرية وبدون لقاء ومعيَّنة ، فكل من ابي محمد بن أبي زيد ، وابي الحسن القابسي كتبا باجازة تواليفهما الى أبي شاكر عبـد الواحـد بن محمـد بن موهب التجيبي القبّري (٤٥٦ = ١٠٦٣) ، من أهل قرطبة ، وسكن بلنسية[١] ٠

وابو العباس العذري اجـاز في غرة شعبان سـنة ٤٧٠ (١٠٧٧) جميع ما الفه لابي الحجاج يوسف بن القاسم بن ايوب ولابنه ولابن أخيه ، ولم يثبت سماعهم عليه الا ابو الحجاج حيث سمع على ابي العباس العذري « صحيح مسلم » في التاريخ المذكور[٢] ٠

كما كان الشيخ يجيز الطالب الكتاب اذا قرأ عليه بعضه ، ثقة من الشيخ بتلميذه علما وخلقا ولسماعه عليه كتبا أخرى، كما كان الطالب يحصل على الاجازات في وقت مبكر من عمره، لنباهته لا لعلو مكانة ابيه فيالعلم كما حدث في أنواع الاجازات الاخرى ٠ والمثل التالي يوضح النقاط المذكورة ، فابو عبد الله وابو بكر محمد بن أحمد التجيبي (٥١٩ = ١١٢٥) من أهل لاردة « رحل الى بلنسية اثر استرجاعها من الروم منتصف رجب سنة ٤٩٥ ، فلقي في شوال منها ابا داود المقرىء وهو اذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة وأخذ عنه بها ـ وقد تناهت سنه ـ

---

(١) الصلة ، ٢ : ٣٨٤ ٠

(٢) المعجم ، ٢٠٩ ٠ (ليس من المؤكد كون النشاط المذكور في بلنسية) ٠

القراءات في ختمة واحدة • وقرأ عليه من كتب ابي عمرو المقرىء جامع البيان ، وايجاز البيان وبعض التيسير ، واجاز له سائره مع جميع رواياته »[1] •

ب ـ اجازة بغير معين :

« مثل ان يقول اجزت لك أو لكم جميع مسموعاتي أو جميع مروياتي »[2] • دون أن يحدد مسموعاته أو مروياته • فينقصها هنا ركن من اركانها الاربعة[3] • وهناك اعتراضات على هذا النوع من الاجازة[4] • والجمهور جوزوا الرواية واوجبوا العمل بها[5] •

يتوفر عدد من الامثلة على هذا النوع من الاجازات في بلنسية وفيما يلي أمثلة مختارة : فابن بطال البكري اجاز له أبو علي الحسين بن عبد الرحمن الشافعي روايته سنة ٤٥٤[6] • كما كتب أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسي باجازة روايتهما لابي شاكر عبد الواحد بن محمد التجيبي القبري[7] • وابو العباس العذري اجاز في غرة شعبان ٤٧٠ جميع ما رواه لابي الحجاج وابنه واخيه[8] •

---

(١) التكملة ، ١ : ٤٢١ ـ ٢ •

(٢) علوم الحديث ، ١٣٦ • انظر : الكفاية ، ٤٤٧ وبعدها ، ٤٩٢ ، الالماع ، ٩٠ ، تدريب ، ٢ : ٣٢ ، ٣٤ ـ ٦ •

(٣) تاريخ الجامعات ، ٢٢٣ •

(٤) انظر : الالماع ، ٩١ وبعدها ، علوم الحديث ، ١٣٦ •

(٥) تدريب ، ٢ : ٣٢ • انظر : الالماع ، ٩١ : ٢ •

(٦) الصلة ، ١ : ١٧١ •

(٧) م • ن ، ٢ : ٣٨٤ •

(٨) المعجم ، ٢٠٩ •

حدد بعض الشيوخ اجازة ما منحوه من مروياتهم وفي هذا يتوفر ركن مهم طالب بعض المحدثين بضرورة توفره لقبول هذا النوع من الاجازة • فقد اجاز ابو المطرف عبد الرحمن ابن جحاف المعافري (٤٧٢) حفيده أبا عبد الله عبد الرحمن ابن عبد الله بن جحاف المعافري « جميع روايته عن أبيه » أبي عبد الله بن ابي زمنين وغيرهما »(١) • واذا كان النص اشار الى روايات أخرى غير المحددة والتي رواها ابو المطرف عن ابيه وابي زمنين الا أن النص يشير الى تحديد تلك الروايات وحتى مع « غيرهما » •

يندرج تحت هذا النوع من الاجازات أنواع لم ينص بتاتا على مادة الاجازة لا المرويات ولا غيرها • فأبو عمر بن الحذاء ابا محمد عبد الجبار بن خلف بن لب اللاردي ساكن بلنسية « مع ابي الحسن طاهر بن مفوز وابي داود المقرىء وابي القاسم خلف بن مدير وغيرهم في عقب ذي القعدة سنة ٤٦٣ »(٢) • يرجح ان هذه الاجازة منحت ببلنسية للاشخاص المذكورين ، لان المجيز والمجاز لهم ممن لهم نشاط ببلنسية ، وبعضهم كان فيها في حدود ذلك الوقت • والنص يشير من جانب آخر الى كثرة طلاب العلم وانتشار الاجازة اسلوبا في بث الحديث الشريف بين طلاب العلم ، باعتبار الاجازة أحد طرق نقله الميسرة •

وقد اجاز ابو الوليد الوقشي من بلنسية كتابة سنة

---

(١) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥٥ •

(٢) م • ن • ٢ : ٦٣٦ •

٤٨٥ (١٠٩٢) ابا عبد الله محمد بن عثمان بن حسين البكري الحجاري ، من أهل وادي الحجارة(١) .

كان الشيخ يجيز الرجل واولاده دون تحديد مادة الاجازة ، فقد اجاز ابو عمر يوسف بن عبد البر ابا عبد الملك وابا المطرف مروان بن محمد بن عبد العزيز التجيبي من أهل بلنسية وولديه ابا عبد الله محمد واحمد(٢) .

كانت الاجازة في بعض الاحيان تأتي بعد أن يسمع الطالب على الشيخ كما في أمر ابي داود المقرىء الذي اجاز جميع روايته تلميذه أبي عبد الله (ابا بكر) محمد بن أحمد التجيبي(٣) . وروى ابو الحسن بن هذيل المقرىء عن أبي عبد الله بن يوسف الكناني (قبل ٥٠٠) من أهل طليطلة وسكن بلنسية ، ثم إن أبا عبد الله اجاز ابا الحسن(٤) . وفي نفس الوقت حدث ان استجاز القاضي ابو علي (الصدفي) ابا الوليد الوقشي روايته حينما لقاه ببلنسية ولم يسمع منه(٥) .

كان الطالب يحصل على اجازات عدة ولم يحدد في مثل هذه الحالة التالية مادة تلك الاجازات فقد حصل ابو بكر أحمد بن مروان التجيبي (٤٥٩ ـ ٥١١ = ١٠٦٦ ـ ١١١٧) من أهل بلنسية على اجازة ابي عمر يوسف بن عبد البر وأبي المطرف بن جحاف وأبي مروان بن سراج(٦) .

---

(١) التكملة ١ : ٤٢٢ .
(٢) انظر : التكملة ، ٢ : ٦٩٣ ، ٦٩٤ .
(٣) انظر : م . ن ، ١ : ٤٢٢ .
(٤) م . ن ، ١ : ٤٠٧ ، ٤٠٨ .
(٥) معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٦ .
(٦) التكملة ، ١ : ٣٠ ، الذيل ، ١ : ٢ : ٥٣٨ . راجع ايضا مثلا آخر : الحلل ، ٣ : ٩٩ .

كان الاب يحصل لاولاده على اجازة الشيوخ (دون معين) فقد استجاز مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز من من أهل بلنسية « ابا الوليد الوقشي في عقب رجب سنة ٤٧٧ ، وابا مروان بن سراج ، وغيرهما » ، لولديه ابي الحسن عبد الله (٥٣٥ = ١١٤٠)[١] ، واحمد ٠

هكذا انتشرت الاجازة وغدت من وسائل نقل الحديث وروايته ولا يمكن تحديد الوقت الذي شاعت فيه ببلنسية ٠ فابو الوليد الوقشي الحافظ « حدث عن ابي محمد الشنتحالي وابي عمر الطلمنكي اجـازة »[٢] ٠ ربما كان هـذا المثـل اندلسيا ، اذ يبدو ان رواية ابي الوليد عن شيخه اجازة جاءت قبل ان يدخل بلنسية[٣] ٠

٢ ــ غايــة الاجــازة

أكد علماء الحديث على ضرورة توفر الشروط المذكورة لكي تتخذ الاجازة أهميتها العلمية في بث الحديث بين الناس وبأمن الطرق واسلمها ٠ فرض فريق من العلماء انواعا من الاجازات لعدم توفر تلك الشروط بعضها أو معظمها ٠ فقـد

---

(١) التكملة ، ٢ : ٨٢٢ ٠

(٢) معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ ٠

(٣) عن أنواع الاجازات الاخرى راجع : الكفاية ، ٤٨٠ وبعدها ، الالماع ، ٩٧ـ١٠٧ ، علوم الحديث ، ١٣٦ وبعدها ، تدريب ، ٢ : ٣٢ وبعدها٠ وقد استوفى كل من الخطيب البغدادي في الكفاية والقاضي عياض في الالماع الحديث عن الاجازات ، يقول عياض : « وقد تقصينا اوجه الاجازة بما لم نُسبق اليه ، وجمعنا فيه تفاريق المجموعات والمسموعات والمشافهات والمستنبطات » ، الالماع ، ١٠٧ ٠
راجع : تاريخ الجامعات ، ٢٢٣ وبعدها ٠

« كان مالك رحمه الله يشترط في الاجازة ان يكون فرع الطالب معارضا بأصل الراوي حتى كأنه هو وان يكون المستجيز من أهل العلم ، وعليه سمته حتى لا يوضع العلم الا عند اهله »(١) . ويقول ابن الصلاح (٦٤٣ = ١٢٤٥) : « انما تُستحسن الاجازة اذا كان المجيز عالما بما يجيز والمجاز له من أهل العلم ، لانها توسع وترخيص يتأهل له أهل العلم لمسيس حاجتهم اليها ، وبالغ بعضهم في ذلك فجعله شرطا فيها . وحكاه ابو العباس الوليد بن بكر المالكي عن مالك رضي الله عنه . وقال الحافظ ابو عمر (يوسف بن عبد البر) الصحيح انها لا تجوز الا لماهر بالصناعة وفي شيء معين لا يشكل اسناده »(٢) . وهكذا يلمس تأكيد المتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث على أهمية المحافظة على المستوى العلمي الرفيع للمشتغلين بعلم الحديث ولم يكن ذلك قاصرا على الحديث فحسب بل على كل العلوم الاسلامية .

والمحدّثون هم أول من استعمل كلمة « اجازة » في الاغراض العلمية ، اذ كان المحدثون « أول من اهتم بتدوين العلم في الاسلام وأكثر المشتغلين به تحقيقا وضبطا له، وعناية بمصادره وتحريا لمآخذه »(٣) .

وقد بين ابن خير الاشبيلي فائدتين للاجازة « احداهما استعجال الرواية عند الضرورات ، والثانية الاستكثار من المرويّ حتى لا يكاد أن يشذ عمن استكثر من الروايات حديث

(١) الكفاية ، ٤٥٥ .
(٢) علوم الحديث ، ١٤٥ ــ ٦ .
(٣) تاريخ الجامعات ، ٢٢٠ .

عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وقد احتوت روايته عليه فيتخلص بذلك من الحرج في حكاية كلامه من غير رواية »(٤) • فيبدو أن علماء الحديث لم يبيحوا ان يروي الرجل الحديث قراءة من الكتب واشترطوا ان يأتي ذلك مرويا بأحد طرق الرواية المعروفة ، اذ عدوا ذلك اسلم الطرق في ضبط الحديث متنا وسندا(١) • ولما كانت الاجازة ايسر تلك الطرق اذ لم يكن من شروطها لقاء الشيخ كانت عاملا مهما في نشر الحديث بين الناس بشكل أكبر(٢) • فقد « كره المسلمون ان يأخذ المرء العلم بلا اجازة ولا جلوس الى مشيخة ، فيتلقاه عن الصحف والكتب مباشرة ، ولم يثقوا فيمن افاد علمه من هذا السبيل وسموا ذلك التصحيف »(٣) •

ويبين غنيمة أهمية الاجازة بقوله : « قامت الاجازة لضبط اسناد كتب الحديث ذاتها الى أصحابها ومؤلفيها بعد أن فرغ العلماء من تحقيق ما بها من احاديث ونسبتها الى رواتها ، ولم يعد هناك مطمع لمتأخر ان يستدرك شيئا منها على المتقدمين ، فانصرفت عناية العلماء من المتأخرين الى تمحيص وتصحيح ما يروى وتصحيح الامهات المكتوبة كالموطأ وصحيحي البخاري وضبطها بالرواية عن مصنفيها والنظر في اسانيدها الى مؤلفيها »(٤) وهذا يلمح الى تأخر ظهور الاجازة

---

(١) فهرسة ، ١٦ •

(٢) انظر : فهرسة ، ١٦ ـ ٧ •

(٣) الاجازات ، ٣٨ •

(٤) تاريخ الجامعات ، ٢٢١ • انظر : علوم الحديث ، ١٩٥ ، ٢٥٢ ـ ٦ • المصحف والصحفي : الذي يروى الخطأ عن قراءة الصحف باشباه الحروف ، مولدة ، لسان ، ٩ : ١٨٧ (صحف) •

(٥) تاريخ الجامعات الاسلامية ٢٢٠ • انظر : الاجازات ، ٤١ •

الى القرن الثاني الهجري ، الذي تمت خلاله عملية تنقية الحديث وتميزه ، وبعد انتشار حركة التأليف ورسوخها في القرنين الثاني والثالث الهجريين[1] .

لم تعد الاجازة « قاصرة على علوم الحديث فحسب ولكنها تجاوزتها الى كافة العلوم المتداولة النظرية والعملية ... وأضحت أصلا من أصول التعليم وقاعدة من قواعده . ولذا عني العلماء ـ وبخاصة المحدثون منهم ـ بتحديد اغراضها وبيان اركانها وذكر أصولها وانواعها »[2] .

وهكذا فالاجازات بأنواعها ولمختلف العلوم كانت « تهدف الى ضبط الرواية وضمان نشر الحقائق العلمية سليمة غير مشوهة أو مزيفة . وهي تجعل المادة العلمية الغرض الاساسي الذي تنصب عليه[3] .

ولما كان العالم محور الحركة العلمية الاسلامية وليس المؤسسة العلمية فكانت الاجازة منوطة به وهي حق من حقوقه[4] .

يظهر ان الاجازة لا تحدد مكانة العالم أو الطالب من العلم وانما هي اذن بالرواية . وقد تشابهها ـ من بعض الوجوه ـ الشهادات العلمية في عصرنا . وتطورت معاني

(١) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ٢٣٢ـ٢ . قارن : تاريخ الاجازة ليست لكتب فقط ، بل يمكن ان تكون لحديث أو جملة أحاديث . الجامعات ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢) م . ن ، ٢٢٢ .

(٣) تاريخ الجامعات ، ٢٢٤ .

(٤) انظر : م . ن ، ٢٢٩ .

الاجازة الاصطلاحية فيما بعد ولا يمكن تحديد هذا التطور[1].

ان الضروب الثلاثة التي مر عرضها في حمل الرواية وادائها ـ وغيرها من الضروب ـ غنمت طرائق لنقل العلوم المختلفة وتدارسها . وما اختلاف العلماء في أمرها الا تعبير عن امانة المسلمين العلمية العالية في نقل العلوم وايصالها ودراستها . وبقدر تعلق الامر بالحديث الشريف فقد شعر المسلمون بعظم المسؤولية « عند الحكم بنسبة الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لان الحكم بنسبة الكلام الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعني ان النص يحمل ـ في ساحة الهداية والاتباع ـ طابع الالزام والتكليف فهو دين يتبع ، ومنهج يقتدى به ، وليس كلاما عاديا يقال « فكان لا بد من التحري الامين في سماع الحديث وادائه[2] . « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »[3] . وان هذا كله « مما يبعث الثقة كل الثقة بالاصول التي قامت عليها ثقافتنا ، والمنابع التي استقت منها معرفة هذه الامة »[4] .

★ ★ ★

---

(١) راجع : م . ن ، ٢٢٤ ـ ٥ ، ٢٣٠ .

(٢) لمحات ، ٣٥٤ .

(٣) يوقف هذا الكلام على محمد بن سيرين عند الحافظ ابي نعيم : الالماع ، ٦٠ . وانظر : صحيح مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، ١ : ١١ . وقد روي مثله عن « مالك بن انس » ، الالماع ، ٦٠ .

(٤) لمحات ، ٣٥٤ .

الفصل الثالث

الألقاب العلمية

أولا : الامام

ثانيا : الحافظ

ثالثا : علامة ، عالم

رابعا : الشيخ

خامسا : الفقيه

سادسا : المحدث

سابعا : المقرىء

ثامنا : المعلم ، المؤدب

تاسعا : القاب أخرى

الفصل الثالث

الالقـاب العلميـة

اذا كانت الاجازة لا تحدد مكانة العالم من علم العـلوم ومقدار اتقانه له وبراعته فيه فان الحياة العلمية الاسلامية عرفت « مقاييس أخرى لبيان درجة العالم ومكانته في علمه ومدى اجادته له وحجيته فيه »(١) ومكانه في المجتمع ، تلك هي الألقاب العلمية ٠

ان لهـذه الالقاب اصـلا ومفهوما لغويـا ٠ ثـم غدت مصطلحات ثم اتسعت دائرة محتواها وفحواها واحتماله اشكالا عدة٠وهي تبدأ بسبب أو لصفة ثم يتسع استعمالها ومدلولها٠

لم تكن هذه الالقاب « تعطى بطريق الامتحان العام أو الخاص وانما تجيء نتيجة المكانة العلمية التي يكونها العالم لنفسه ويلمسها فيه المجتمع والمشتغلين بالدراسـة والبحث ، فتستفيض بذلك شهرته وينتشر ذكره ويلقبه رجال عصره باللقب العلمي الذي يناسبه ويدل على قدره »(٢) ٠

فالالقاب العلمية لا يؤهل لها أي عالم مهما كانت سعته العلمية دون المقومات الاخرى ٠ فاقتران العلم بالعمل واضح كل الوضوح في العلم عند المسلمين ٠ فكان علم العالم ومدى ظهوره في سلوكه اليومي مقومين اساسيين في اطـلاق اللقب

---

(١) تاريخ الجامعات ، ٢٣٠ ٠

(٢) م ٠ ن ، ٢٣٠ ٠

العلمي على العالم ايا كان تخصصه . فمكانة العالم تنحط بدون تقوى واضحة في سلوكه . وهذا يشير الى اختلاف أسس ومقومات بناء الحياة العلمية عند المسلمين عن المجتمعات الاخرى ، ويوضح دقة وموضوعية الميزان الذي قوم على ضوئه العلماء والذي اعطى نتائجه الحسنة في المحافظة على المستوى العلمي العالي ونموه ، وفي تمتع المجتمع باخلاقية عالية كان العلماء فيه القدوة والمثل . وهكذا فالالقاب العلمية اطلقها المجتمع والعلماء على بعضهم ولم تطلقها المؤسسة العلمية .

وجدت القاب عامة مثل أمام وحافظ وعالم تدل على المستوى عموما في علم أو أكثر مع المكانة الاجتماعية . والقاب خاصة مثل محدّث فقيه مفسر تدل على التخصص عموما وربما على المكانة .

يبدو أن العديد من الالقاب اطلقت على العلماء في حياتهم وبعضها الحق بهم بعد وفاتهم وفي الازمان المتتالية .

تولى العلماء اطلاق الالقاب على رجل العلم في حياته وفي البيئات المتعددة التي سكن فيها . كما شارك المجتمع بشكل اضيق في اطلاق هذه الالقاب . وهو عامل في تعدد الالقاب ـ التي اطلقت على العالم الواحد ـ وتفاوتها .

ان من الصعوبة تحديد العالم أو الفرد في المجتمع الذي يعد أول من اطلق اللقب .

ان تعدد الالقاب في حياة العالم من مصدريها العلماء والمجتمع يدل على تفاوت التقويم لاختلاف البيئات العلمية في

---

(١) انظر : تاريخ الجامعات الاسلامية ، ٢٣٠ .

مستواها ، كما يدل من جانب ثان على استمرار تزود العالم من العلم وتبحره وانتاجه فيه ومشاركته الاجتماعية فيستحق في كل وقت من عمره لقبا جديدا يكون ارفع من سالفه أو مطابقا لعلم جديد برز فيه ٠

ان الالقاب التي الحقت بالعالم بعد وفاته وجاءت في معظمها من العلماء المصنفين تعد تقويما له والحركة العلمية التي عاش في وسطها من علماء بيئة جديدة(١) ٠ ويلاحظ انه كلما تقدم الزمن على وفاة العالم كلما وجدت له القاب ارفع بشكل عام ٠ وهذا نابع من شعور العلماء التالين بفضل العلماء السابقين وهكذا فلا يبخس بعضهم بعضا ٠

وجدت درجات لكل لقب تلمس من النعوت التي تلحق ببعض الالقاب مثل « محدث متقن » اذ كان التفاوت موجودا بين من حملوا اللقب الواحد في عامة العلوم وفروعها(٢) ٠

يتباين الميزان العلمي لمعظم الالقاب الخاصة منها على وجه التحديد ٠ وسيستعان بالالقاب الاسلامية عامة ٠ ويبدو أن العرف العلمي في كل وقت حدد هذا الامر وغيره من أمور الحياة العلمية ٠ والعرف غير ثابت وغير مقيد دائما ٠ ويلاحظ ان علماء الحديث ثبّتوا في أوقات متأخرة ــ على خلاف بينهم ــ ميزان الالقاب ٠

تتباين بعض الالقاب التي توردها المصادر الاندلسية والمشرقية ويبدو انه راجع الى اختلاف البيئات في ازمانها

---

(١) يجب ان يعتد بالالقاب التي أطلقها المحدثون من المصنفين واقربهم عهدا من العالم ، فاطلاق الالقاب من صنعة المحدثين ٠

(٢) راجع : تدريب ، ٢ : ٤٠٤ ، ٤٠٥ (الشرح) ٠

أو ضياع الاصول التي اعتمدها أهل المشرق من المصنفين ، ويتضح من استقراء الالقاب التي حملها البلنسيون ان أهل المشرق الاسلامي أكثر احتفالا بها من الاندلسيين في اطلاقها وتنوعها ·

فيما يلي أهم الالقاب العلمية التي اطلقت على علماء بلنسية ابتداءا من ارفعها درجة قدر الامكان ، دون الكلام عنها في الاندلس ـ كما جرى المنهج في معظم نقاط البحث الاساسية ـ لانه لا يخدم الموضوع ببلنسية كثيرا ، لتماثل الالقاب في الحركة العلمية الاسلامية بشكل عام وتقارب مدلولاتها ، وتوفر مادة طيبة عنها ببلنسية ·

القاب علميـة بلنسية

أولا : الامـام

« الامام ما ائتم به من رئيس أو غيره »(١) · ولعل أصل هذه الكلمة في اللغة « المِئَمّ » وهو الدليل الهادي(٢) · « ثم استعملها الاسلام بمعنى الامامة في الصلاة ، وقد يكون هذا سبب اطلاقها على علماء المسلمين الكبار « ثم اتسع مدلولها العلمي

---

(١) القاموس المحيط ، ٤ : ٧٧ (أمّه) ·

(٢) م · ن ، ٤ : ٧٤ ·

في تفسير القرطبي لآية ، ٥ ، سورة القصص « ··· ونجعلهم أئمة··· » « قال ابن عباس : قادة في الخير ، مجاهد : دعاة الى الخير · قتادة : ولاة وملوكا دليله قوله تعالى « وجعلكم ملوكا » · قلت : وهذا اعم فان الملك إمام يؤتم به ويقتدى به » ، الجامع لأحكام القرآن ، ابو عبد الله محمد ابن أحمد الانصاري القرطبي ، ١٣ : ٢٤٩ ·

وسأل ابن وهب « مالكا عن الائمة من هم ؟ قال ائمة الدين في الفقه والورع » تدريب ، ٢ : ٣٩٩ (الشرح) ·

فصارت تطلق على كل عالم مبرز في علم أو أكثر من العلوم كالحديث والفقه والطب وغيرها من العلوم[1] ٠

أصبح لقب الامام « أسمى القاب العلم عامة ويدل على تمكن صاحبه من علمه وحجيته فيه بحيث يصير للناس قدوة تحتذى وإماماً يتبع في هذا العلم ويرجع اليه فيه ويقصد لاجله »[2] ٠

ترجم المستشرق الانجليزي جب (Gibb) لقب الامام الى كلمة « دكتور Doctor » ونعت به الامام أحمد بن حنبل (٢٤٠ = ٨٥٥)[3] « لكن الامامة ابعد غاية واوسع مدلولا من الناحية العلمية والاجتماعية من لقب دكتور »[4] فالامامة قيادة علمية ورياسة فكرية وتقوى اجتماعية وصفات نفسية وقدرات انسانية ٠ « وليس كل دكتور في علم من العلوم قائدا فيه يتبع ، ومرجعا يقصد وقدوة تحتذى »[5] ٠ « وهناك ممن لم يحصلوا على درجة الدكتوراه من هو أجدر بلقب الامامة من بعض الحاصلين عليه »[6] بل ان الدكتوراه لا تمنح على هذه الاسس ٠

حمل عدد من العلماء الذين شهدت بلنسية نشاطهم العلمي لقب « امام » منهم ابن الفرضي (٤٠٣ = ١٠١٢) أورده

---

(١) تاريخ الجامعات ، ٢٣١ ٠

(٢) م ٠ ن ، ٢٣١ ٠ وانظر : مدارس قبل النظامية ، ٨١ ٠

(٣) تاريخ الجامعات ، ٢٣١ (عن كتاب الديانة الاسلامية لمؤلفه (Gibb)

(٤) تاريخ الجامعات ، ٢٣١ ٠

(٥) م ٠ ن ، ٢٣٢ ٠

(٦) تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١٠٧٦ ٠

له الذهبي (٧٤٨ = ٣٤٧)[١] من بين المترجمين له[٢] ·
ويلاحظ انه قدم « الحافظ » على « الامام » · ولعل مرده الى ان الذهبي يترجم « للحفاظ » · ولم يكتف بلقب امام بل ونعته بالحجة[٣] ، « الامام الحجة » · فهل هي درجة ، أم لقب مستقل ؟ يبدو انها صفة للّقب تدل على درجته ·

واطلق لقب « امام » على ابي محمد بن حزم (٤٥٦ = ١٠٦٣) فقد وصفه الذهبي بـ « الامام العلامة »[٤] · فهل « العلامة » نعت للامام فيكون درجة أخرى من درجات الامامة ، أم انه لقب مستقل ؟!

وهذا ابو عمر يوسف بن عبد البر (٤٦٣ = ١٠٧٠) وصفه ابن بشكوال بأنه « امام عصره »[٥] وبهذا يحدد درجة امامته فهو امام عصره · لكن يا ترى الم يوجد عالم آخر عاصر ابا عمر وحمل مثل هذا اللقب ؟ وهل ان ابن بشكوال اطلق اللقب المذكور على ابي عمر أم أن عصره هو الذي اطلقه ؟ ومن ثم فهل ان أبا عمر امام عصره في الاندلس فحسب وفي كل العلوم ام في علوم معينة ؟ ان ما اورده المصنفون الآخرون من متقدمين ومتأخرين يلقي بعض الضوء على هذه الاسئلة ·

يحدد الحجاري ابو محمد عبد الله بن ابراهيم (٥٨٤ =

---

(١) « الحجة وهو الذي سما عى رتبة الحافظ ، وكان الحجة التي يحتج بها العام والخاص » · أدب الحديث النبوي ، ٢٨ · وانظر : رسالة في علوم الحديث ، ٦٢ ·
(٢) جذوة ، ٢٥٤ ، الصلة ، ١ : ٢٥١ ، وفيات الاعيان ، ٣ : ١٠٥ ·
(٣) تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٤٦ ·
(٤) الصلة ، ٢ : ٦٧٧ ·
(٥) الصلة ، ٢ : ٦٧٧ ·

١١٨٨) ، امامة ابي عمر فيقول : « امام الاندلس في علم الشريعة ورواية الحديث ، لا استثني ، من احد »(١) • أما ابن الكردبوس (٥٧٦ = ١١٨٠) فلم يخصص بل اكتفى بـ « الامام » مع ذكر القاب خاصة له(٢) • فماذا قال عنه علماء الحديث من المشرق في هذا الصدد ؟ يقول ابن خلكان (٦٨١ = ١٢٨٢) « امام عصره في الحديث والاثر وما يتعلق بهما(٣) هذا ويكتفي الذهبي بـ « الامام »(٤) دون تحديد •

فابو عمر يوسف ابن عبد البر امام الاندلس بل امام عمره في علوم الشريعة • هذا أكبر لقب يمكن استخلاصه له •

وأورد ياقوت (٦٢٢ = ١٢٢٥) لقب « امام » لابي الوليد الوقشي (٤٨٨ أو ٤٨٩=١٠٩٥)(٥) بينما لم تذكره له المصادر الاندلسية المتوفرة •

وقد يوقف اللقب على علم واحد فابو داود المقرىء (٤٩٦ = ١١٠٢) « كان امام وقته في الاقراء رواية ومعرفة »(٦) و « امام القراء »(٧) •

ان العلماء البلنسيين المار ذكرهم ممن حملوا لقب « امام » اهلهم له امران : أولا علمهم وثانيا مكانتهم الاجتماعية • فما يتعلق بالنقطة الاولى كان منهم المتبحر

---

(١) المغرب ، ٢ : ٤٠٧ •
(٢) تاريخ الاندلس ، ٧٨ (نص ابن الكردبوس) •
(٣) وفيات الاعيان ، ٧ : ٦٦ •
(٤) تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٢٨ •
(٥) معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ ، (وقش) •
(٦) بغية ، ٣٠٣ •
(٧) غاية النهاية ، ١ : ٣١٦ رقم ١٣٩٢ •

في علم واحد فكان اماما في الاقراء مثلا أو متبحرا في عدة علوم فكان اماما في علوم الشريعة اطلاقا • بل كان منهم الامام في علمه على أهل عصره « امام عصره » أو على أهل بلده « امام الاندلس » •

ويلاحظ ان هؤلاء العلماء حملوا القابا أخرى دون « الامام » سيرد ذكرها في موضعها • وان الرجوع الى تراجمهم ترى مبلغ علمهم ومؤلفاتهم واسهامهم في الحركة العلمية مما جعلهم اهلا لهذه الالقاب •

أما النقطة الثانية في تقويم العالم واطلاق اللقب عليه فهي المكانة الاجتماعية ، وكان يحددها سلوك العالم الشخصي ومدى اسهامه في النشاط الاجتماعي بجانب علمه • وقد مر في ثنايا هذا البحث ان كلا من ابن الفرضي وابن حزم وابي الوليد الوقشي مثلا كانوا من المساهمين في الاحداث السياسية التي شهدتها الاندلس أو بلنسية كما ان الاول والثالث منهم توليا مناصب ادارية علمية مثل القضاء • اما ابن حزم في سلوكه اليومي مثلا فقد « كان فيه دين وتورع وتزهد وتحر للصدق »[1] • وهكذا سائر العلماء • فكان منهم من شارك في الجهاد واستشهد في سوحه ، ومنهم من انفق من ماله عندما الت الحوادث باخوته ، ومن وقف بوجه السلطان الجائر وقفة ترضي الله تعالى ومن بث العلم بين الناس طوال حياته وتولى الرياسة والمناصب الادارية المختلفة فوهبوها علمهم وحياتهم فكانت لها حياتهم وعلمهم •

---

(1) تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٤٦ •

ان العلماء نخبة الامة الطيبة هي التي رفعتهم فحياتهم لها كما ان علمهم لها • فالعلم ذاتـه متصل بالحياة وهكذا طبيعته ونحوه بهذا الاتجاه ، فصار العلماء قدوة في كل ميدان واسوة للجميع • فاحلتهم الامة مكانتهم اللائقة لا ليترفعوا عنها ولكن ليحسنوا خدمتها والنهوض بها على اسس العلم القويمة والاستقامة على طريق الله •

ثانيا : الحافظ

« لقب يطلق على كبار علماء الحديث وهو لقب عزيز يقتضي علو الشأن ولو انهم لم يتفقوا على تحديده »(١) • واختلفوا في عدد الاحاديث التي يحفظها العالم — مع المقومات الاخرى — حتى يستحق هذا اللقب(٢) • واختلافهم « جعل بعض المحدثين حفاظا عند اناس وغير حفاظ عند آخرين »(٣) •

بيد « ان مدلول لقب « الحافظ » لم يعد قاصرا على علماء الحديث وحدهم ، اذ شاركهم فيه أصحاب اللغة • يقول السيوطي في معرفة آداب اللغوي : فاذا بلغ الرتبة المطلوبة صار يدعى الحافظ كما ان من بلغ الرتبة العليا من الحديث يسمى الحافظ وعلم الحديث واللغة اخوان يجريان من واد واحد »(١) •

وقد عرفت الحياة العلمية في بلنسية عدد من « الحفاظ »

---

(١) تاريخ الجامعات ، ٢٣٢ • راجع : صبح الاعشى ، ٦ : ١٢ •
(٢) راجع : رسالة في علوم الحديث ، ٦١ ، ٦٢ ، ادب الحديث ، ٢٨ •
(٣) تاريخ الجامعات ، ٢٣٣ •

منهم ابن الفرضي[1] وخصه الحميدي ـ من بين الذين أوردوا له هذا اللقب ـ بأنه كان « حافظا متقنا »[2] فهل الاتقان درجة للحافظ وما هي مكانتها أم انه لقب مستقل ٠

وهذا ابن الفخار ابو عبد الله محمد بن عمر (٤١٩ = ١٠٢٨) قال عنه جاره ابو عمر وعثمان بن سعيد الداني المقرىء (٣٧١ ـ ٤٤٤ = ٩٨١ ـ ١٠٥٢) : « هو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العالمين بالكتاب والسنة بالاندلس[3]. فابن الفخار آخر الفقهاء الذين بلغوا مرتبة عالية في الفقه ، فهو حافظ فقيه راسخ عالم بالكتاب والسنة ٠ وهو آخر الفقهاء في الاندلس في مثل هذه المنزلة في عهد ابي عمرو المقرىء ٠ فلقب الحافظ هنا محدد بعلم وهو الفقه مستندا الى مصدريه : الكتاب والسنة ٠ اما ابن حيان (٤٦٩ ـ ١٠٧٦) فقال في معرض تعداد القاب ابن الفخار وصفاته بانه « الحافظ المستبحر »[4] ٠ وذهب ابن فرحون (٧٩٩) الى ان ابن الفخار « احفظ الناس »[5] ٠ وهكذا تكبر الالقاب كلما مر الزمن على وفاة العالم ٠ فكيف يكون ابن الفخار احفظ الناس (اطلاقا) ؟! ربما بالنسبة لاهل الاندلس أو لاهل زمانه !

وتبرز شخصية ابن الفخار الاجتماعية من خلال لقب « الحافظ » الذي منح له لعلمه بالفقه ٠ هذا العلم الذي

---

(١) جذوة ، ٢٥٤ ، الصلة ١ : ٢٥١ ، وفيات الاعيان ، ٣ : ١٠٥ ، تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١٠٧٦ ٠

(٢) جذوة ، ٢٥٤ ٠

(٣) الصلة ، ٢ : ٥١١ ، نفح ، ١ : ٦١ ٠

(٤) الصلة ، ١ : ٥١١ ، نفح ، ٢ : ٦١ ٠

(٥) الديباج ، ٢٧١ ٠

احله مكانة مرموقة بين افـراد مجتمعه يقول ابن حيـان : « مكثمدته ببلنسية مطاعا عظيمالقدر عند السلطان والعامة» وعندما توفي ببلنسية « كان الحفل في جنازته عظيما »[١] • فالتقدير والاحترام للعالم في حياته وبعد مماته • وفي هذا الخصوص يقول المقّري عن أهل الاندلس : والعالم عندهم معظّم من الخاصة والعامة ، يشار اليه ويحال عليه ، وينبُه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة ، وما أشبه ذلك »[٢] •

ممن ورد له لقب « الحافظ » ابو محمد بن حزم[٣] • وابو عمر يوسف بن عبد البر فقد ورد انه « الحافظ »[٤] و « حـافظ مكثر »[٥] و « حـافظ الاندلس »[٦] و « حافظ المغـرب »[٧] و « أحفظ أهـل المغرب »[٨] واللقب الاخـير ، الذي لا يختلف عن الذي قبله عدا في الصياغة ، اطلقه ابو الوليد الباجي (٤٧٤ = ١٠٨١) معاصر ابي عمر • فهو لقب له دلالته واهميته ، فضلا انه ابرز لقب منح لابي عمر خلا الامام •

---

(١) الصلة ، ٢ : ٥١١ •

(٢) نفح ، ١ : ٢٢٠ •

(٣) تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٤٦ •

(٤) المغرب ، ٢ : ٤٠٧ ، وفيات الاعيان ، ٧ : ٦٦ ، ٧١ •

(٥) جذوة ، ٣٦٧ •

(٦) المغرب ، ٢ : ٤٠٧ ، (عن المسهب) •

(٧) تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٢٨ •

(٨) الصلة ، ٢ : ٦٧٨ •

وأورد الذهبي ان أبا العباس العذري « حافظا »[1] ·

كما حمل ابو الوليد الوقشي لقب « الحافظ » أورده له ياقوت الحموي[2] ·

وكان ابو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري (بعد ٤٨٧) « حافظا »[3] ·

وهذا ابو بكر عبد الباقي بن محمد الانصاري (٤١٦ — ٥٠٢ = ١٠٢٥ _ ١١٠٨) كان « حافظا »[4] ·

كذلك ابو العباس بن ابي جمرة أحمد بن عبد الملك (٥٣٣ = ١١٣٨) كان « حافظا »[5] ايضا ·

ان معظم البلنسيين الذين حملوا لقب « الحافظ » ممن مر ذكرهم حملوا القابا أخرى خاصة مثل المحدّث الفقيه مما يجعل لقب الحافظ في كثير من الاحيان ينصب على علم مخصوص أو أكثر أي أنه متبحر بذلك العلم بدرجة حافظ وهكذا ·

ثالثا : علاّمة ، عالم

ورد هذان اللقبان لعلماء بلنسيين · « فالعلامة » أي العالم جدا[6] أورده الذهبي لابي محمد بن حزم الاندلسي

---

(١) العبر ، ٣ : ٢٩٠ ·
(٢) معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ (وقش) ·
(٣) التكملة ، ٢ : ٨٠٦ ·
(٤) الصلة ، ٢ : ٣٨٥ ·
(٥) الذيل ، ١ : ١ : ٢٦٧ ·
(٦) العلاّمة : « رجل علامة ، أي عالم جدا · والهاء للمبالغة ، كأنهم يريدون به داهية » الصحاح ٥ : ١٩٩٠ (علم) ·

بعد لقب « الامام » واعقبه « بالحافظ »[١] فهل العلامة يأتي بعد الامام في المنزلة ؟ ويبدو انه لقب عام أيضا ٠

ووصف ابو جعفر الذهبي (؟) « بالعلامة » في مجال ذكر ولده ابي بكر الذهبي عتيق بن أحمد البلنسي[٢] واسرة الذهبي اسرة بلنسية منها ابو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي (٤٥٦ = ١٠٦٣) ، وهو احد علماء بلنسية الشهيرين بالطب والفلسفة والكيمياء[٣] ٠

ورد ذكر « العالم »[٤] اطلاقا ، فهو لقب عام ، وفي علوم معينة فهو لقب خاص ٠ فهذا ابن الفرضي قال الحميدي انه كان «عالما»[٥] اطلاقا دون أن يحدد بأية علوم كان ابن الفرضي عالما ٠ بينما عمم صاحبه ونظيره ابو عمر يوسف بن عبد البر ثم خصص في اللقب فقال : كان « عالما في جميع فنون العلم في الحديث ، وعلم الرجال »[٦] بينما قال عنه ابن خلكان : الذي ينقل كما يبدو بتصرف عن قول ابي عمر ــ كان « عالما في فنون من العلم » ٠وليس في جميع فنون العلم « الحديث وعلم الرجال والادب البارع وغير ذلك »[٧] ٠

وكان حيدرة ابو عبد الرحمن بن جحاف المعافري

---

(١) تذكر الحفاظ ، ٣ : ١١٤٦ ٠

(٢) الذيل ، ٥ : ١ : ١١٥ ٠

(٣) طبقات الامم ، ١٠٩ ٠

(٤) العالم : خلاف الجاهل : من القاب العلماء ، صبح ، ٦ : ١٩ ٠

(٥) جذوة ، ٢٥٤ ٠

(٦) الصلة ، ١ : ٢٥٢ ٠

(٧) وفيات ، ٣ : ١٠٥ ٠

(١٤١٧ و ٤١٨ = ١٠٢٦) « من جملة العلماء الجلة [١]
وهو لقب عام ٠

وهذا ابو محمد عبد العزيز بن أحمد بن مُغلِّس الاندلسي البلنسي (٤٢٧=١٠٣٥) « من أهل العلم بالعربية واللغة ، مشارا اليه فيها »[٢] ٠وفي هذا المثل حدد لقب «العالم» كما حدد لقب أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله الكلبي (؟) « كان عالما بالعدد والحساب مقدما في ذلك ولم يكن أحد من أهل زمانه يعدله في علم الهندسة انفرد بذلك »[٣] ٠ وكذلك كان ابو عمر يوسف بن عبد البر « عالما بالقراءات ، وبالخلاف في الفقه ، وبعلوم الحديث والرجال »[٤] ٠

اما ابو الوليد الوقشي فهو « عالم الزمن » و « عالم في كل فن » كما أورده ياقوت الحموي[٥] فاللقب هنا عام – على ما يبدو – بالنسبة للعلوم ولعصر ابي الوليد أو بالنسبة لعصر ياقوت كما هو واضح ٠ وما يوضح هذا ما أورده ابن بشكوال عن ابي علي الريولي قوله : والله ما اقول فيه الا كما قال الشاعر :

وكـان من العـلوم بحيث يُقضى
لـه في كـل علـم بالجميـع »[٦]

---

(١) الصلة ، ١ : ٢٦٣ ٠
(٢) جذوة ، ٢٨٨ رقم ٦٤٥ ، الصلة ، ٢ : ٣٦٩ رقم ٧٨٨ ٠
(٣) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥٠ ٠
(٤) جذوة ، ٣٦٧ ٠
(٥) معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ (وقش) ٠
(٦) الصلة ، ٢ : ٦٥٣ ٠

وورد لقب « عالم » اطلاقا ايضا فابن اللونقة ابو الحسن علي بن عبد الرحمن (٤٩٨ = ١١٠٤) كان « عالما » وورد له هذا اللقب بعد « الفقيه » واعقبه « ورعا مجتهدا وكان يشارك في حظ وافر من الطب »(١) ٠

رابعا : الشيخ

اضيف هذا النعت الى بعض الالقاب العلمية للدلالة على رئاسة العلم كما هي رئاسة الشيخ للقبيلة على ما يبدو ٠ فالقاضي عياض أورد لابي عمرو يوسف بن عبد البر بانه « شيخ علماء الاندلس »(٢) وأورد له شمس الدين الذهبي (٧٤٨ = ١٣٤٧) بأنه « شيخ الاسلام »(٣) ٠

واذا كان « شيخ الاسلام » و «شيخ الاندلس» لقبين عامين فقد ورد نعت الشيخ مضافا الى علماء في علم معين فكان لقبا خاصا ٠ فمثلا ان ابا داود المقري « شيخ القراء » كما أورده له ابن الجزري(٤) ٠

---

(١) صلة الصلة ، ٨٠ ٠
المجتهد « من القاب العلماء ، والمراد به في الاصل من يستنبط الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس » ٠ صبح الاعشى ، ٦ : ٢٦ ٠ المجتهد مطلقا « من حفظ وفهم أكثر الفقه واصوله وأداته في مسائله اذا كانت له أهلية تامة يمكنه معرفة احكام الشرع فيها بالدليل ٠٠٠ » صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ، أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي ، ١٥ ٠

(٢) ترتيب ، ٤ : ٨٠٨ ٠

(٣) تذكرة ، ٣ : ١١٢٨ ٠

(٤) غاية النهاية ، ١ : ٣١٦ ٠

خامسا : الفقيه

الفقه لغة هو الفهم ، واصطلاحا العلم بالاحكام الشرعية[١] . و يطلق لقب الفقيه في الجملة على العالم بالاحكام الشرعية »[٢] . بيد انه في المغرب « لم تعد كلمة فقيه قاصرة على المشتغل بالفقه فحسب ، وانما توسعوا في استعمالها فأطلقوها على الرجل المثقف بصفة عامة »[٢] . يقول المقري (١٠٤١ = ١٦٣١) : « وسمة الفقيه (الفقه) عندهم جليلة ، حتى أن الملثمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذين يريدون تنويهه بالفقيه ، وقد يقولون للكاتب النحوي واللغوي فقيه لانها عندهم ارفع السمات »[٣] .

ويلاحظ ان نص المقري عام مما يصعب معه تحديد الزمن الذي تطور فيه لفظ « الفقيه » في الاندلس الى هذا المعنى[٤] .

حمل عدة علماء بلنسيين لقب « فقيه » ، منهم من حمل بعض الالقاب السابقة ، فابن الفرضي قال عنه صاحبه و نظيره أبو عمر يوسف بن عبد البر انه كان « فقيها »[٥] وأبو عبد الله بن الحذاء كان « فقيها »[٦] .

---

(١) كتاب الحدود في الاصول ، ابو الوليد سليمان بن خلف الباجي الاندلسي، ٣٥ . شرح صحيح البخاري ، الكرماني محمد بن يوسف ، ٢ : ٣١ . راجع : مقاييس اللغة ، ٤ : ٤٤٢ ، الانموذج في أصول الفقه ، فاضل عبد الواحد عبد الرحمن ، ٨ ـ ٩ .

(٢) تاريخ الجامعات . ٢٣٣ .

(٣) م . ن . ٢٣٤ . نفح ، ١: ٢٢١ . انظر : صبح ، ٦ : ٢٢ .

(٤) راجع شيوخ العصر ، ٢٦ وبعدها .

(٥) الصلة . ١ : ٢٥٢ . وفيات الاعيان ، ٣ : ١٠٧٧ .

(٦) معجم الادباء . ١٩ : ١٠٨ .

وقال ابو عمرو الداني المقرىء عن معاصره وجاره ابن الفخار بأنه « آخر الفقهاء الحفاظ ... بالاندلس »[1]. بينما نعته ابن حيان بـ « الفقيه المشاور »[2] . والفقيه المشاور » عادة من كبار أهل العلم والفقه ممن هم في مستوى قاضي الجماعة ، لان الشورى والفتيا في الاندلس كانتا شيئا واحدا ، والفقيه المشاور كان مفتيا » « والحقيقة ان الفقهاء المشاورين أو المفتين كانوا جماعة من اعلام العلم في البلد يختارهم الامراء ليستشيروهم فيما يعرض عليهم من المشاكل ولكي يستشيرهم القضاة ايضا اذا رأوا ذلك ، وقد يختارهم القاضي نفسه بشرط موافقة الامير »[3] .

وهكذا يلاحظ ان بعض الالقاب لها صفات فالمشاور صفة أضيفت للفقيه . ومن فقهاء بلنسية عبد الله بن عبد الرحمن ابن الجحّاف المعافري (٤١٨ = ١٠٢٧)[4] .وابو القاسم خلف بن أحمد بن بطال البكري (٤٥٤ = ١٠٦٢) « كان فقيها اصوليا من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك »[5] . وابو محمد بن حزم الاندلسي[6] . وابو شاكر عبد الواحد بن محمد التجيبي القبري (٣٧٧ ـ ٤٥٦ = ٩٨٧ ـ ١٠٦٣)[7] وابو عمر يوسف بن عبد البر[8] .

---

(١) الصلة ، ١ : ٥١١ ، نفح ، ٢ : ٦١ .
(٢) الصلة ، ٢: ٥١١ (عن ابن حيان) ، نفح ، ٢ : ٦١ (عن ابن حيان).
(٣) شيوخ العصر ، ٢٧ ، ٢٨ ـ ٩ .
راجع : حديثنا عن الفقهاء المشاورين في الاندلس : م . ن، ٢٩ وبعدها.
(٤) جذوة ، ٢٦٢ ، بغية ٣٤٦٠ .
(٥) الصلة ، ١ : ١٧١ ، الديباج ، ١١٥ .
(٦) تذكرة ، ٣ : ١١٤٦ .
(٧) جذوة ، ٢٩٠ ، الصلة ، ٢ : ٣٨٤ .
(٨) جذوة : ٣٦٧ ، تاريخ الاندلس ، ٧٨ (نص ابن الكردبوس) .

وكان ابن القدرة ابو بكر عبد العزيز بن محمد (٤٨٤ = ١٠٩١) « فقيها مشاورا ببلده »[١] بلنسية • وكان ولده ابو الحسن عاصم الذي روى عنه « فقيها مشاورا »[٢] ايضا • ومن فقهاء بلنسية ايضا ابو عبد الرحمن عبد الله بن جحاف المعافري (٤٨٧ = ١٠٩٤)[٣] •

وجاء وصف ياقوت الحموي لابي الوليد الوقشي بأنه « الفقيه الجليل »[٤] • ويبدو ان « الجليل » صفة للّقب العلمي « الفقيه » وليست لقبا • وهذه الظاهرة تبدو في الكثير من الالقاب لتحديد درجات اللقب الواحد •

من فقهاء بلنسية « الاصوليين » ابو عبد الله محمد بن يوسف الكناني (قبل ٥٠٠ = ١١٠٦)[٥] • وابن اللونقة ابو الحسن علي بن عبد الرحمن الانصاري الخزرجي (٤٩٨ = ١١٠٤)[٦] • والشارقي ابو العباس أحمد بن محمد الواعظ (٥٠١ = ١١٠٧)[٧] •

وكان ابو الاصبغ عيسى بن حزم الغافقي (بعد ٥٣٠) « فقيها مشاورا »[٨] • وأبو العباس بن أبي جمرة (٥٣٣ = ١١٣٨) » فقيها وورد انه « مشاورا »[٩] •

---

(١) الصلة ، ٢ : ٣٧١ •
(٢) الذيل ، ٥ • ١ : ١٠٤ •
(٣) التكملة ، ٢ : ٨٠٦ •
(٤) معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ (وقش)
(٥) التكملة ، ١ : ٤٠٨ •
(٦) صلة الصلة ، ٨٠ •
(٧) التكملة ، ١ : ٢٦
(٨) صلة الصلة ، ٤٨ •
(٩) الذيل ، ١ : ١ : ٢٦٧ •

« لقب يطلق على العالم المختص بدراسة علوم الحديث النبوي · ولم يكن كل دارس يسمى محدثا · يقول الزركشي: أما الفقهاء فاسم المحدث عندهم لا يطلق الا على من حفظ سند الحديث وعلم عدالة رجاله وجرحها دون المقتصر على السماع »[1] ·

وقد ورد لقب « محدث » لعدد من البلنسيين وغالبا ما اقترن مع لقب آخر وهو « الفقيه » وهما لقبان من ألقاب التخصص في الحديث والفقه في الغالب ، ومقاييسهما غير محددة · ويأتي لقب الفقيه قبل المحدث في الذكر غالبا ·

فمن الفقهاء المحدثين ابن الحذاء[2] · وعبد الله بن الجحاف المعافري القاضي (٤١٨ = ١٠٢٧) الذي روى عنه الحديث أبو محمد بن حزم[3] · وأبي شاكر عبد الواحد ابن محمد القبري (٤٥٦ = ١٠٦٣)[4] · وأبو عمر يوسف ابن عبد البر[5] · وعبد الله بن حيان الاروشي (٤٨٧)[6] ·

وأورد الذهبي أن أبا العباس العذري كان « محدثاً متقناً »[7] · و « المتقن » صفة للقب · وهذا أبو داود

(١) تاريخ الجامعات ، ٢٣٤ ــ ٥ · انظر : أدب الحديث النبوي ، ٢٨ . رسالة في علوم الحديث ، ٦١ ·
(٢) معجم الادباء ، ١٩ : ١٠٨ ·
(٣) جذوة ، ٢٦٢ ، ٣٤٦ ·
(٤) الصلة ، ٢ : ٣٨٤ ·
(٥) تاريخ الاندلس ٧٨ (نص ابن الكردبوس) ·
(٦) بغية ، ٣٤٣ ·
(٧) العبر ، ٣ : ٢٩٠ ·

المقري (٤٩٦) امام وقتـه في الإقراء كان « محدثاً »[١] ·

وكان أبـو العبـاس بن أبـي جمـرة (٥٣٣ = ١١٣٨) « محدثا »[٢] ·

سابعاً : المقـرىء

يبدو أن هذا اللقب أطلق بشكل عام على مقرئي القرآن الكريم العارفين بقراءاته الملمين بعلومه ·

وقد حمل هذا اللقب عدد من البلنسيين منهم أبو مروان ابن السمّاد المقرىء[٣] ·

وكان أبو داود المقرىء (٤٩٦) « من جلة المقرئين وعلمائهم وفضلائهم وخيارهم · عالما بالقراءات ورواياتها وطرقها حسن الضبط لها » وله تواليف كثيرة في معاني القرآن وغيره »[٤] · وورد انه « كان أمام وقته في الاقراء رواية ومعرفة »[٥] ·

من المقرئـين البلنسيين ابن الصناع الملقب بالهدهـد أبو بكر محمد بن ابراهيم الازدي المقرىء (٥٠٨ = ١١١٤) كان « أحد المتقدمين في الاقراء جودة ضبط ، وحسن أداء ، وأحكام تجويد ··· اقرأ دهرا بجامع بلنسية ، وتصدر لذلك

---

(١) بغية ، ٣٠٣ ·
(٢) الذيل ، ١ : ١ : ٢٦٧ ·
(٣) التكملة ، ٢ ٢٩٧ ·
(٤) الصلة ، ١ : ٢٠٣ ـ ٤ ، ٢٠٤ ·
(٥) بغية ، ٣٠٣ ·

إثر وفاة شيخه أبي داود »[1] المقرىء المذكور • وهكذا يخلف التلميذ شيخه في علم من العلوم وتستمر سلسلة العلوم دائمة نامية •

ومن المقرئين أبو عبد الله محمد بن أبي العافية الاشبيلي النحوي المقرىء (٥٠٩ = ١١١٥) امام جامع بلنسية[2] وأبو عبد الله بن باسة المقرىء (؟) الخطيب بجامع بلنسية ، ورد انه حدث بأرجوزة أبي عمر عثمان بن سعيد المقرىء الداني (٤٤٤) في القراءات[3] •

ثامناً ـ المعلم ، المؤدب

المعلم لقب لمن يعلم الاولاد في المرحلة الاولى من تحصيلهم العلم • وقد حمل هذا اللقب بعض البلنسيين •

أما المؤدب : فهو الذي يؤدب أولاد الخاصة • وكان بعض البلنسيين من المؤدبين •

تاسعاً ـ ألقاب أخرى

بجانب الالقاب الرئيسة التي مر ذكرها وردت ألقاب أخرى وألقاب تخصيصية في الغالب ، منهـا ما يتعلق بعلوم اللغـة

---

(١) التكملة ، ١ : ٤١١ •
(٢) الوافي ، ٣ : ١٨٠ •
(٣) التكملة ، ١ ٣٢٨ •
راجع عن أبي عمرو المقرىء الداني ومؤلفاته : غاية النهاية ، ١: ٥٠٣ رقم ٢٠٩١ •

وفنونها مثـل : الاديب[1] ، النحوي[2] ، كاتب بليـغ شاعر خطيب مصقع[3] ٠

ووردت ألقاب ادارية علمية مثل: القاضي[4]، المفتي[5]، عاقد للشروط[6] ، وحمل لقب « الراوية » ابن الفخار أورده له ابن حيان في آخر ألقابه[7] ٠ ولعل « الراوية » لقب عام لمن يحمل الحديث ويرويه ٠

وكان أبو عبد محمد بن يوسف الكناني (قبل ٥٠٠) « متكلما »[8] ٠

وهكذا يظهر أن الحياة العلمية في بلنسية تداولت ألقابا

---

(١) راجع مثلا : التكملة ، ١ : ٢٩٨ ، ٣٩٤ ، ٤٠٨ ، ٢ : ٧٩٦ ؛ ٢ : ١١٦ ؛ الذيل ، ٥ : ١ : ١٠٤ ٠

(٢) راجع مثلا : المطرب ، ١٣ ؛ التكملة ، ٢ : ٧٩٦ ٠ الوافي ، ٣ : ١٨٠ ٠

(٣) راجع مثلا : الصلة ، ٢ : ٣٨٤ ٠ التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧١٩ ٠

(٤) تولى القضاء عدد من البلنسيين فحملوا لقب « القاضي » ٠ وان أسرة بني جحّاف المعافري من الاسر البلنسية التي اشتهر رجالها في تولي قضاء بلنسية وأقل منها شهرة أسرة بني واجب ٠ وورد في ثنايا البحث أمثلة عمن حمل لقب القاضي ٠
راجع : بعض من تولى القضاء من بني جحاف : التكملة ، ١ : ٢٣٨ رقم ٦٢٨ ، ٢٣٩ رقم ٦٣٣ ٠

(٥) راجع مثلا : الديباج ، ١١٣ ـ ٤ ٠
المفتي : « هو المخبر بحكم الله تعالى لمعرفته بدليله ٠٠٠ وقيل هو المتمكن من معرفة أحكام الوقائع شرعا بالدليل مع حفظه لاكثر الفقه ». صفة الفتوى ، ٤ ٠

(٦) راجع الذيل ، ٥ : ٢ : ١١٣ ٠

(٧) الصلة ، ٢ : ٥١١ ، نفح ، ٢ : ٦١ ٠

(٨) التكملة ، ١ : ٤٠٨ ٠

عدة ومن أعلى المستويات وان معرفة عدد العلماء الذين حملوا الالقاب في عصر واحد يعين ــ من جانب ــ على ادراك المستوى العلمي في ذلك العصر • وليس البحث في مجال احصاء للعلماء وألقابهم وتحديد زمنهم انما يحاول دراسة ظواهر متنوعة من الحياة العلمية لتقديم صورة عنها قدر المستطاع •



الباب الرابع

ميادين الحياة العلمية

الفصل الأول : العلوم

الفصل الثاني : الصلات العلمية

الباب الرابع

ميادين النشاط العلمي

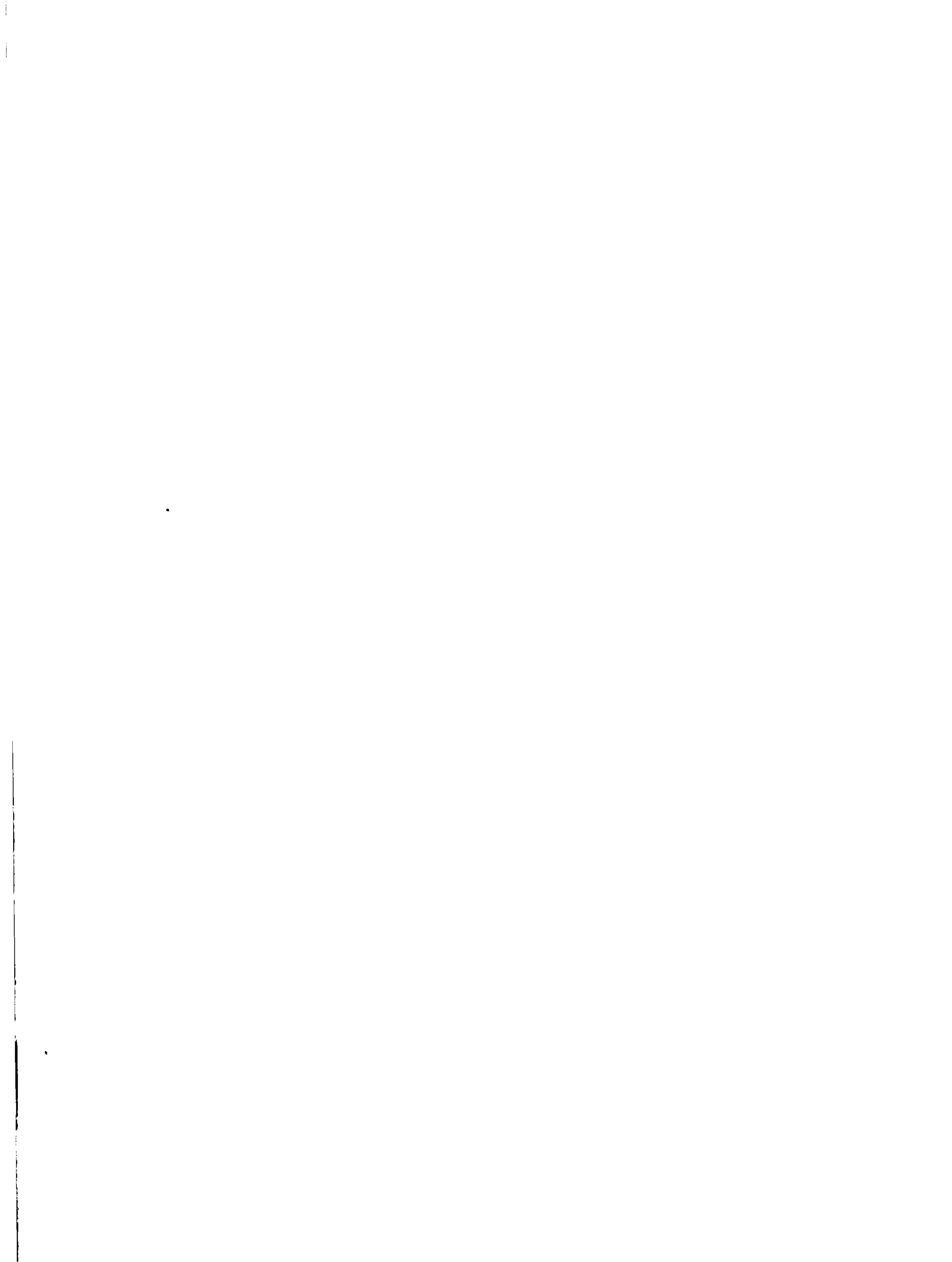
يتناول هذا الباب ميادين النشاط العلمي في بلنسية ، وتسهيلا للبحث سيكون في فصلين وتمهيد ٠

الفصل الاول : ظواهر من نشاط العلوم التي حفلت بها الحيـاة العلمية في بلنسية مع اشارات عنـه من الاندلس والعالم الاسلامي كلما اقتضاها البحث ٠

الفصل الثاني : الصلات العلميـة بين بلنسية والعالم الاسلامي والاندلس باعتبارها صورا من صور النشاط العلمي كان لها أثرها على العلوم في نموها ونشاطها المتنوع ٠

مُهد لهذا الفصل بنظرة عامة مركزة عن بعض جوانب الحياة العلمية العامة في الاندلس ، الامل أن تعين على دراسة العلوم في بلنسية وبموجز عن مراحل نمو العلوم في بلنسية ، علّها تنفع في دراسة ظواهرها المتنوعة ٠

★ ★ ★



الفصل الأول

العلوم

أولا : العلوم الشرعية

١ ـ علوم الحديث والفقه

٢ ـ القرآن وعلومه

أ ـ تفسير القرآن واعرابه وغريبه

ب ـ علم القراءات

ثانيا : علوم اللغة وآدابها

١ ـ الأدب وفنونه

أ ـ الشعر

ب ـ العروض

ج ـ الخطابة

د ـ الرسائل

٢ ـ النحو

ثالثا : التاريخ

رابعا : العلوم التجريبية

١ ـ الطب وفروعه

٢ ـ الفلك ، الحساب ، الهندسة

خامسا : علوم وفنون أخرى

تمهيـــد :

أولا : تكاد تجمع المصادر على أن شبه الجزيرة الايبيرية كانت متدهــورة سياسيا واجتمــاعيا وفــكريا عنــد الفتــح الاسلامي(١) • وان احتفظت بتراث بعض العلماء الاسبان فلم تكن مثل مصر وسوريا والعراق وفارس(٢) • بل ان صاعدا (٤٦٢ = ١٠٦٩) ذهب الى القول ان الاندلس كانت « خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به »(٣) •

كان القرآن الكــريم والحديث الشريف قاعــدتا العلم وبذرتها الصالحة التي تحمل النماء والخــير في الاندلس • حملهــا الفاتحون قرآنا يتــلى وسلوكا ومعــاملة • وكان بعض التابعــين الذين اشتركوا في الفتح يمثلون كبــار الفقهاء ـ من الفاتحين ـ بكتاب الله وسنة رسوله تولوا مع غيرهم مهمة تفقيه الناس بالاسلام ونشر الدعوة في صفوف أهل البلاد واستنباط الاحكام من مصدري التشريع(٤) •

---

(١) راجع : عن حالة اسبانيا قبل الفتح الاسلامي : أعلاه ، ٥٥ ـ ٦ • المدنية الاسلامية ، ٤٩ • الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ٢٢ • الوحدة والتنوع ، ٣٠٩ •

(٢) راجع : شمس العرب تسطع على الغرب ، زغريد هونكة ، ٤٧٤ ، الوحدة والتنوع ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ •

(٣) طبقات الامم ، ٨١ •

(٤) راجع عن التابعين الذين دخلوا الاندلس : تاريخ عبد الملك بن حبيب ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ • جغرافية الاندلس وأوربا ، ١٣١ ـ ٣ • نبذ تاريخية ، ١١ ـ ٢ (فتح موسى المغرب الاقصى ، ابن عذارى ، نشر ا• لافي بروفنصال) • تاريخ افتتــاح ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ (الرسالة الشريفية) • نفح ، ١ : ٢٨٧ ـ ٨ •

يمكن القول ان الاندلس لم تحفل بنشاط علمي ملحوظ حتى عهد الامارة الذي بدأ عام ١٣٨ (٧٥٥) وانما اقتصر الامر ـ كما يبدو ـ قبل عهد الامارة على بث العقيدة في البلاد المفتوحة واقامة الشعائر الاسلامية ومعالجة القضايا الاساسية والملحة التي واجهت الفاتحين ومن ثم كانت العناية بالقرآن بالدرجة الاولى والحديث واللغة ، بيد أنه لم تظهر لها دراسات منظمة ، بحكم ظروف الفتح والاستقرار وما صاحبها من جهاد(١) ٠

ان العناية بعلوم الشريعة واللغة ، قبل غيرها من العلوم ، أمر اعتيادي ٠ فهي علوم أساسية وضرورية للجميع ، فلا بد أن يأخذ كل واحد منها بمقدار بجانب توفر المتخصصين فيها ٠

كان المسلمون ـ بشكل عام ـ في جهاد مستمر ٠ فالاندلس خط الاحتكاك مع غير المسلمين في غرب العالم الاسلامي ٠ لكن هيمنة المسلمين على معظم شبه الجزيرة في وقت مبكر ، نقل خطوط المواجهة الى الشمال ، فتهيأ في عصر الامارة والعصور التالية جو مناسب لترعرع الحركة العلمية في ابعاد جديدة ٠ وثمة أمر آخر أن الجهاد والعلم يسيران جنبا الى جنب مع المسلمين ٠ فهم اصحاب دعوة وعقيـدة وشريعـة خرجوا من أجلها مكلفين بنشرها والذّب عنهـا ٠ والعقيدة والشريعة المتمثلة بكتاب الله وسنة نبيه اساس العلوم ومفاتحه ٠ بيد ان ظهور العلوم المختلفـة ونموهـا يحتـاج وقتا كافيـا بجانب الاستقرار ٠

---

(١) راجع : طبقات الامم ، ٨٢ ٠ تاريخ الفكر ،١ ٠ دولة الاسلام ، ٢ : ٦٩١ ٠

ان تولي عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢) امارة الاندلس وسياسته الحازمة في توطيد دعائم الاستقرار داخل الاندلس ووقوفه بحرص على حماية فتوح المسلمين في شبه الجزيرة عامل في تهيئة الجو المناسب لترعرع الحياة العلمية ٠ كانت عهود الامراء والخلفاء الذين اتوا من بعده مدعاة لتهيئة مثل هذا الجو المناسب بشكل عام ٠ هـذا وكان معظم امراء وخلفاء الاندلس من عهد الداخل الى سقوط الخلافة من الادباء والعلماء أو محبيهما وممن شجع الحركة العلمية(١) ٠

ان نمو المجتمع بعد استقراره وتعرّف المسلمين على أهل البلاد وما استجد من ظروف وحاجات عوامل في تهيئة المناخ للحركة العلمية ونموها ٠ ان الحركة العلمية أكثر ما تحتاج الى الاستقرار والزمن الكافي في نموهـا اذا توفرت البـذور الصالحة والدوافع الحقيقية ٠

اتجه بعض أهل شبه الجزيرة منذ عهد الفتح الاول الى تعلم العربية ، خاصة الذين اعتنقوا الاسلام ٠ كان عددهم يتزايد لما لمسوه من عدل وتسامح وفـرّه المسلمون(٢) ٠ فزاد اقبـالهم على العـلوم الاسلامية ٠ ويمكن ان يفهم هـذا من عبارات التعجب والاستنكار التي سجلها « الفـارو القرطبي Alvaro » في عهد عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦ـ٢٣٨)(٣) ٠

---

(١) راجع : دولة الاسلام ، ٢ ٦٩١ وبعدها ٠ تاريخ المسلمين ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٣١٢ ـ ٥ ، ٣١٧ ٠

(٢) تاريخ الفكر ، ١ ، ٣ ٠

(٣) راجع عبارات الفارو القرطبي : تاريخ الفكر ، ٥ ٠ الوحدة والتنوع ٣١٧ ـ ٨ ٠

توفرت مصادر جديدة للحركة العلمية في الاندلس زادها نماءا عـلى تتابع الايام • كان العلماء والادباء يتوافدون عليها ــ و بتزايد، وفقا للظروف ــ من انحاء البلاد الاسلامية • فمثلوا تيارا علميا حمل معه الكثير مما عند المسلمين من علم الى الاندلس • فكان ذا مردود طيب على الحركة العلمية وفي تقليل التفاوت في مستواها ، بين أنحاء بلاد الاسلام ، تعزيزا للتوحد الذي عاشته ، لقيام مجتمعاتها على أسس واحدة •

كانت في الجانب الآخر رحلة الاندلسيين العلمية الى العالم الاسلامي ــ وهي ظاهرة بارزة ــ عاملا على امداد العلم في الاندلس بما ينميه ويضفي عليه ابعادا جديدة • حمل تيار الرحلة الاندلسي التأثير العلمي الى بلاد المسلمين ، خاصة بعد ان بلغت الاندلس مبلغها في عصر الخلافة والطوائف •

حظيت قرطبة بنصيب وافر من العوامل المتعـددة التي هيأت جوا مناسبا لنمو بذور العلم في الاندلس ، بحكم مكانتها السياسية والادارية ، فكان نمو الحركة العلمية فيها مبكرا عن أنحاء الاندلس وعطاؤها العلمي المتنوع أغزر ، الى أن فقدت مركزها السياسي باعتبارها حاضرة الاندلس •

وصلت قرطبة عام ٣٩٩ (١٠٠٨) الى قمة ازدهارها العلمي ولم تشهد بعد هذا التاريخ ما بلغته في النشاط العلمي وبتلك السعة والكثافة •

ان سقوط الخلافة وفقـدان قرطبة لمكانتهـا السياسية باعتبـارها حاضرة الاندلس وتوزع هـذه المكانة بـين مدن الاندلس المختلفة بقيام ما يعرف بعهد دول الطوائف ، افقد

قرطبة قوة الجذب التي تمتعت بها • واخذت مدن اندلسية أخرى تتنافس على تلك القوة السياسية والمكانة العلمية •

غادر كثير من أهل قرطبة الى أنحاء الاندلس من جراء الفتنة التي اجتاحت مدينتهم ومن ثم فقدانها مركزها السياسي والحضاري • وصاحب هذا انتشار العلماء والكتب • فكان له كبير الاثر على وضع بلنسية الاجتماعي والعلمي منذ مطلع القرن الخامس الهجري •

لم يعد علماء وادباء العالم الاسلامي الوافدين على الاندلس ـ منذ مطلع القرن الخامس ـ ليقفوا عند قرطبة بل وجدوا مدنا اندلسية أخرى عديدة تستقبلهم،. الفوا في أهلها رغبة في العلم ومن امرائها التشجيع لغايات مختلفة ومعروفة•

كان لنهاية التمركز العلمي بقرطبة مردود طيب على عموم الحركة العلمية في الاندلس حيث اتسع نطاق الحركة العلمية • فوجد ابناء المدن الاندلسية ان علماء قرطبة الشهيرين ـ الذين هم حصيلة الاندلس كلها ـ بين ظهرانيهم • وبعد ان كان طلاب الاندلس يرحلون الى قرطبة ، أخذوا يدرسون في مدنهم ومن ثم يرحلون الى مدن عدة ليدرسوا على علمائها • وبدل ان تقف رحلة علماء المشرق الاسلامي ـ بشكل عام ـ عند قرطبة ، اخذوا يطوفون انحاء الاندلس لا يحد اسفارهم مثل ما كان في قرطبة من قوة ادبية وعلمية • لهذا تعددت مراكز الحركة العلمية ، منذ مطلع القرن الخامس تقريبا • فكان في تعددها نفع أورث التوسع في قاعدة الحركة العلمية والادبية وفي عمقها •

كان الاندلسيون على مذهب الامام الاوزاعي ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد (٨٨ ـ ١٥٧ = ٧٠٧ ـ ٧٧٤) قبل قيام الامارة الاموية في الاندلس ، للعلاقة الوثيقة بينها وبين بلاد الشام التي كانت على مذهب الاوزاعي . ويقال ان الذي أدخل مذهب الاوزاعي الاندلس ابو عبد الله صعصعة ابن سلام الشامي الاندلسي (١٨٠ أو ١٩٢ = ٧٩٦ أو ٨٠٧)[١] . ومهما يكن فان جهودا وعوامل مشتركة ساعدت على انتشار هذا المذهب والمذاهب اللاحقة في الاندلس .

على عهد عبد الرحمن بن معاوية الداخل (١٣٨ـ١٧٢) دخل مذهب الامام مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩ = ٧١١ ـ ٧٩٥) الاندلس[٢] وغلب مع الزمن بين اهله بمساعدة العوامل المتعددة[٣] .

ان التزام الحكومة في الاندلس ـ بشكل عام ـ لمذهب مالك عامل في انحسار المذاهب الاخرى عن الاندلس[٤] . فقد وجد امراء وخلفاء الاندلس في فقهاء المالكية سندا لهم في تثبيت

---

(١) راجع : تاريخ علماء ، ١ : ٢٠٣ ـ ٤ رقم ٦١٠ . جذوة ، ٢٤٤ رقم ٥١٠ . ترتيب ، ١ : ٥٥ ، ٨٠ . بغية ، ٣٢٤ رقم ٨٥٣ . تذكرة الحفاظ ، ١ : ١٨٢ . الديباج ، ١٣ . التاريخ الاندلسي ، ٢٢٩ ـ ٣٠ .

(٢) راجع : تاريخ افتتاح ، ٥٨ ، ٥٩ ، ترتيب ١ : ٥٥ . الوافي بالوفيات (مخ) ، ٨ : ٩٥ : تاريخ الفكر ، ٣ ، الاسلام في اسبانيا ، ٤٠ . التاريخ الاندلسي ، ٢٣٠ ـ ١ .

(٣) انظر : ترتيب ، ١ : ٥٥ ، ٨٠ . نفح ، ١ : ٢٢١ . تاريخ المسلمين ، ٢١٨ ، ٢١٩ . راجع أسباب انتشار مذهب مالك في الاندلس : مقدمة ابن خلدون ، ٣ : ١٠٢٠ ـ ١ ، الامام مالك ، محمد المنتصر الكتاني ، ١٠٦ ـ ٨ . تاريخ الادب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، احسان عباس ، ٢٧ ـ ٨ ، الاسلام في اسبانيا ، ٤٠ .

(٤) راجع : ترتيب ، ١ : ٥٥ .

اركان دولتهم ووجدوا هم فيهم عونا على نشر مذهب مالك ٠ ومع هذا فان المذاهب الاسلامية الاخرى وجد من التزم بها ودعا اليها مثـل مذهب الامـام الشافعي محمـد بن ادريس (٢٥٠ = ٨٦٤) والمذهب الظاهري الذي تزعمه فيالاندلس ابو محمد بن حزم الاندلسي (٤٥٦ = ١٠٦٣) ونافح عنـه[١] ٠

ان سيادة مذهب مالك في الاندلس كانت لها نتائج عديدة في نواحي الحياة المختلفة ومنها الحياة العلمية ٠ فقد اتسمت بخصائص منها : ان الرحلة في طلب العلم غالبا ما كانت تقصد مدينة الرسول صلى الله عليهوسلم موطن الامام مالك وتلامذته من بعده ٠ كما ان الموطأ وما صنف فيمذهب مالك وجد طريقه الى الاندلس وحظي بجليل العناية تدريسا واختصارا وشرحا وتأليفا ٠ فكان معظم نشاط العلوم الشرعية يدور في فلك مذهب مالك ٠ بل ان أعراف الحركة العلمية وجدت في سلوك مالك وطريقته قدوة لها[٢] ٠

ثانيا : يمكن تقديم موجز عن مراحل نمـو العـلوم في بلنسية يعين على دراسة ظواهرها المتنوعة ٠

١ـ تبرز بدايات النشاط العلمي الواضحة في بلنسية منذ مطلع القرن الخامس الهجري ٠ ولا يعني هذا انه لم يكن ببلنسية نشاط علمي قبل هذا التاريخ ، وهي احدى حواضر

---

(١) راجع : ترتيب ، ١ : ٥٥ ٠ الديباج ، ١٣ ٠ نفح ، ١ : ٢٢١ ، تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ٢٩ ـ ٣٠ ، ٣١ ٠ الاسلام في اسبانيا ، ٤١ ـ ٢ ٠

(٢) راجع : دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، أحمد بدر ، ١٧٣ ـ ٥ ٠

شرق الاندلس ومركز كورة واسعة • ويبدو ان المدة التي سبقت مطلع القرن الخامس كانت بمثابة دور نمو لبذرة العلم في هذه المدينة ، كما هو الامر في انحاء أخرى من الاندلس ، سار مع النمو الحضاري للمجتمع •

تتوفر معلومات قليلة ـ في المصادر التي بين يدي الباحث ـ عن النشاط العلمي ببلنسية قبل نهاية القرن الرابع • تتمثل في أمور منها : انه في سنة ٢٣٩ (٨٥٣) ولي قضاء بلنسية القاضي معاوية بن محمد[1] • ومع عدم معرفة المدة التي انفقها القاضي المذكور ببلنسية وعدم افصاح المصادر المتوفرة عن أي نشاط علمي له في المدينة فيمكن ان يعد التقاضي لون من الوان النشاط العلمي الشرعي • ويحتمل انه كان مع القاضي المذكور نخبة من العلماء المتفقهين بالشريعة الاسلامية يعينونه على عمله •

المثل المذكور يعد متأخرا ولا تتوفر امثلة تسبقه • وربما وجد نشاط علمي محدود في بلنسية فلم يحفل به المؤرخون أو أنه لم يصلنا • فاقل تقدير ان المسجد الجامع فيها كان يحتاج الى عدد من العلماء العارفين بأمور الشريعة الاسلامية •

يصبح عدم ذكر المصادر المتوفرة لصور من نشاط بلنسية العلمي مثيرا للتساؤل أكثر عندما نعلم انه حتى نهاية القرن الرابع لا نلمس نشاطا واضحا عدا تولي قضاء بلنسية ستة قضاة خلال المدة ٢٣٩ ـ ٤٠٠ •

---

(١) التكملة ، ٢ : ٦٩٢ رقم ١٧٣٩ •

أول هؤلاء ـ على ما يبدو ـ أبو جعفر جحاف بن يمن ابن سعيد المعافري (٣٢٧ = ٩٣٨) تولى قضاء بلنسية بأمر من الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠ ـ ٣٥٩)(١) ٠

نص الحميدي (٤٨٨) ان جحاف بن يمن كان محدثا(٢) ٠ وقال عنه القاضي عياض (٥٤٤) : « كبير بلنسية ٠ كان مذكورا بالفقه ، موصوفا بالعلم ، ولي قضاء بلده ، وعليه كان مدار فتواه »(٣) ٠

بيد ان المصادر لم تذكر لجحاف بن يمن أي نشاط علمي ببلنسية الا ممارسة القضاء والفتيا ٠ ان وجود ابن يمن المعافري ببلنسية وهو المحدث الفقيه يحتمل انه شدّ اليه الطلاب البلنسيين وغيرهم ٠

عاصر ابن يمن ببلنسية عالما آخر هو محمد بن خضر (٣٥١ = ٩٦٢) وعليهما كان مدار الفتوى فيها(٤) ٠ كان محمد بن خضر « عالما فقيها نبيها نبيلا ، اجاد الفهم ، ذكي الادراك »(٥) ٠ وما يشير بوضوح الى ان بلنسية كانت ذات حركة علمية في النصف الاول من القرن الرابع وجود العالمين المذكورين وما أورده عياض من أن محمد بن خضر المذكور من أهل بلنسية « اخذ عن أهل بلده ، ورحل الى القيروان ، فسمع

---

(١) جذوة ، ١٩٠ رقم ٣٦٤ ٠ ترتيب ، ٤ : ٤٦٣ ٠ بغية ، ٢٦٢ رقم ٦٣٠ ٠
(٢) جذوة ، ١٩٠ ٠
(٣) ترتيب ، ٤ : ٤٦٣ ٠
(٤) انظر : م٠ ن ، ٤ : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ٠
(٥) م٠ ن ، ٤ : : ٤٦٢ـ٣ (عن ابن حارث شيخ محمد بن خضر بالقيروان)٠

من مشـــايخها ، وتفقـــه عندهم ، وصحب ابن حارث هناك ، وانصرف الى بلده[1] ٠ فهذه اشارة الى وجود علماء ببلنسية كان الطالب البلنسي أول ما يدرس عليهم ثم يشد الرحال لطلب المزيد من العلم ثم يعود الى بلده بعلم نافع يذيعه بين الناس ٠

اتخذ القاضي جحاف بن يمن المعافري المذكور وذريته من بلنسية سكنا ٠ وان رجالا من تلك الذرية كان لهم دورهم في الحركة العلمية في بلنسية ٠ لهذا تعد اسرة بنـــي جحاف المعافري من الاسر العلمية ٠

صحب قاضي بلنسية للحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦) عبد الرحمن بن جحاف بن يمن بن سعيد المعافري مع غيره احدى السفارات التي وفدت على المستنصر في ربيع عام ٣٥١ (٩٦٢) ووفد مع غيره للمستنصر في حدود ذلك العام[2] ٠

يمكن القول ان عبد الرحمن المعافري كان خيط وصل علمي بين قرطبـــة حاضرة الخلافة ومدينـــة بلنسية ، شـــأن الآخرين من أهل بلنسية وغيرها ٠ وان تمتعه بالمكانة الرفيعة لدى المستنصر يزيد من أهمية تنقله بين قرطبة وبلنسية ٠

ذكر ابن حزم ان ابا عبيد الجبيري قاسم بن خلف بن فتح ابن عبد الله بن جبير (٣٧١ = ٩٨١) الطرطوشي الاصل ، القرطبي السكنى »[3] ولي قضاء بلنسية، وطرطوشة، فحكمها دهـــرا »[4] ٠

---

(١) ترتيب ، ٤ : ٤٦٢ ٠

(٢) انظر : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٤٥ ٠ البيان ، ٢ : ٢٣٥ ٠

(٣) تاريخ علماء ، ١ : ٣٦٩ رقم ١٠٧٧ ، ترتيب ، ٤ : ٥٦٢ ـ ٣ ٠

(٤) ترتيب ، ٤ : ٥٦٣ ٠

ولم يشر ابن الفرضي الى تولي الجبيري قضاء بلنسية(٢) ٠
واذا صح توليه قضاءها فله أهميته العلمية ٠

فالجبيري « كان فقيها عالما حسن النظر ٠٠٠ ، صدرا في أهل الشورى ٠ وكان يجتمع عنده ويناظر عليه في الفقه ٠ وكانت الدراية اغلب عليه من الرواية »(٣) ٠ يبدو ان هذا الوصف له عندما كان بقرطبة ٠ وكان المستنصر قد احلّه منزلة واسكنه معه الزهراء(٤) ٠

كانت بلنسية خلال ذلك ترسل ابناءها الى قرطبة لتلقي العلم بعد أن يدرسوا على علماء مدينتهم ٠ فهذا ابو بكر جعفر ابن جحاف بن يمن المعافري (٣٧٦ = ٩٨٦) نجده بقرطبة طالبا للعلم « فسمع من قاسم بن أصبغ ، ومحمد بن عبد الله ابن ابي دليم »(٥) ٠ وحقيقي ان رحلة جعفر المعافري الى قرطبة جاءت بعد ان تتلمذ على والده وعلى علماء بلنسية ، برغم خلو المصادر من ذكر لطلبه العلم ببلنسية ٠ فهذا ــ على ما يبدو ــ أحد أعراف الحركة العلمية ٠

ثم لم يلبث جعفر بن جحاف المعافري ان تولى « احكام

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ٣٦٩ ٠

(٢) م٠ ن ، ١ : ٣٦٩ ٠

(٣) ترتيب ، ٤ : ٥٦٣ ٠

(٤) تاريخ علماء ، ١ : ١٠٣ رقم ٣١٩ ٠ محمد بن عبد الله بن أبي دليم (٣٣٨ = ٩٤٩) ٠ انظر تاريخ علماء ٢ : ٥٦ ــ ٧ رقم ١٢٤٦ ٠
قاسم بن اصبغ يعرف بالبياني أبو محمد (٢٤٤ــ٣٤٠ = ٨٥٨ــ٩٥١) من أئمة الحديث ، انظر : تاريخ علماء ، ١ : ٣٦٦ رقم ١٠٧٠ ٠ جذوة ، ٣٣٠ رقم ٧٦٩ ٠

القضاء ببلنسية »[1] . ربما كان هذا بعد انقضاء مدة قضاء أخيه عبد الرحمن . يشير هذا الى أن ابا بكر جعفر المعافري عاد الى بلنسية بعلم وافر . ويحتمل انه كان مهتما بالحديث الشريف ، غير انه لا يوجد ما يؤيد انه حدث ببلنسية .

حلّت أواخر القرن الهجري شخصية علميـة قرطبية مدينة بلنسية وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الرعيني المعروف بابن المشّاط (٣٩٦ أو ٣٩٧ = ١٠٠٥ أو ١٠٠٦) ، قاضيا لبلنسية عن المنصور محمد بن أبي عامر (٣٩٢ = ١٠٠١)[2] .

وبرغم عدم معرفة تاريخ ومدة تولي ابن المشاط قضاء بلنسية على وجه الدقة ، فيحتمل أن شخصيته العلمية تركت أثرها ببلنسية ، فهو من أهل العلم والفهم[3] ، « حافظا للقرآن حسن الصوت مجودا لتلاوته »[4] .

يشرف القرن الرابع على الانتهاء فتحفل بلنسية بعالم كبير من علماء قرطبة ، وللمرة الاولى في تاريخ بلنسية العلمي تنص المصادر بوضوح على تدارس العلم فيها عـلى يد ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف(٣٥١ ـ ٤٠٣ = ٩٦٢ ـ ١٠١٢) العالم الفقيه[5] الذي استقضاه المهدي

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ١٠٣ .
(٢) ترتيب ، ٤ : ٦٧٩ . الصلة ، ١ : ٣٠٧ رقم ٦٧٨ .
(٣) انظر : ترتيب ، ٤ : ٦٧٩ . الصلة ، ١ : ٣٠٧ .
(٤) الصلة ، ١ : ٣٠٧ .
(٥) جذوة ، ٢٥٤ ـ ٦ رقم ٥٣٧ . الذخيرة ، ١ : ٢ : ١٣٠ ـ ٢ . الصلة، ١ : ٢٥١ ـ ٥ رقم ٥٧٢ . بغية ، ٣٣٤ ـ ٦ رقم ٨٨٨ ، المطرب ، ١٣٢ ، ١٥٥ ، وفيات الاعيان ٣٥ : ١٠٥ . تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١٠٧٦ رقم ٩٨١ . الديباج ١٤٣ .

محمد بن هشام بن عبد الجبار (جمادى الاولى ـ ٧ شوال ٣٩٩) بمدينة (كورة) بلنسية[١] ٠

لا يعرف على وجه التحديد متى انتهى قضاء ابن الفرضي لبلنسية ومتى غادرها ٠ غير ان نصا يثبت وجوده قاضيا في بلنسية في ربيع الاول سنة ٤٠٠[٢] ٠ ثم هو يقتل في قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ ، في الاضطرابات التي شهدتها قرطبة[٣] ٠

يبدو من هذا أن المدة التي أنفقها ابن الفرضي ببلنسية قصيرة لا تتجاوز أحد عشر شهرا ، باعتبار أنه تولى قضاءها في جمادى الاولى سنة ٣٩٩ ، وانه كان فيها قاضيا في ربيع الاول سنة ٤٠٠ ٠ أما اذا بقي فيها حتى عام ٤٠٣ حيث انتقل الى قرطبة التي قتل فيها ، فتكون مدة مكوثه عند ذاك في بلنسية مدة مناسبة ومهمة فيما يخص النشاط العلمي غير أن التوقع الاخير لا دليل عليه في النصوص المتوفرة كما لايتوفر ما يشير الى وجوده بقرطبة قبل سنة مقتله ٠

ان ما يهم الباحث من المدة التي قضاها ابن الفرضي ببلنسية حتى وان أخذ بالرأي الاول الذي جعلها أحد عشر شهرا ، هو ان وجود هذا العالم الجليل ببلنسية ، وهو في أعلى نضجه العلمي والفكري ، كان بمثابة فرصة طيبة للبلنسيين وغيرهم لكي ينهلوا من علمه ٠

---

(١) طوق الحمامة في الالفة والآلاف ، أبو محمد علي بن حزم الاندلسي ، ١١٨ ـ ٩ ٠ الصلة ، ١ : ٢٥٣ ٠ المطرب ، ١٣٢ ٠ وفيات ، ٣ : ١٥٦ ٠

(٢) الصلة ، ٢ : ٣٧٥ ٠

(٣) الصلة ، ١ : ٢٥٣ (عن ابن حيان) ٠

غير أن هذا النشاط العلمي الذي يتوقعه الباحث لا تمدنا المصادر عنه الا بالنذر القليل · ولا يعرف الى أي حد كان تولي منصب القضاء وما يتطلبه من وقت ليصرف القاضي عن بث العلم · ربما كان للاحداث الجارية وقتذاك في قرطبة، والتي يظهر أن ابن الفرضي كانت له وجهة نظر فيها ، من عوامل ندرة أخبار نشاطه العلمي ببلنسية · وهو أمر لا يمكن أخذه الا بحذر ، اذ سبق أن تولى قضاء بلنسية علماء في ظروف اعتيادية لم ترد أخبار نشاطهم العلمي ·

إن النزر اليسير الذي وصل ، من نشاط ابن الفرضي العلمي ببلنسية يتمثل في « رواية » أبي القاسم عبد العزيز ابن جعفر بن محمد بن خواست الفارسي البغدادي (٣٢٠ ـ ٤١٣ = ٩٣٢ ـ ١٠٢٢) عنه بمدينة التراب (بلنسية) ، عندما لقيه فيها في ربيع الاول سنة ٤٠٠[1] · الظاهر أن أبا القاسم البغدادي « روى » الحديث الشريف عن ابن الفرضي ·

إن ورود أبي القاسم البغدادي الى بلنسية يشير في أحد جوانبه الى وجود جذب علمي فيها يتمثل اما بوجود علماء طمح أبو القاسم في الدراسة عليهم ، أو انه كان يحمل علما أراد أن يذيعه ببلنسية ، ويمكن أن يكون الامـران معا ، وكلاهما يشيران الى وجود بيئة علمية في المدينة ·

ذكرت المصادر خلال المـدة المذكورة (٢٣٩ ـ ٤٠١) رحلتين لرجلين يحملان النسبة الى بلنسية من غير بيان عن ممارستهما نشاطا علميا فيها : أبو عثمان سعد بن جُزي

---

(١) الصلة ، ٢ : ٣٧٥ رقم ٨٠٤ ·

البلنسي (٣٧٨ = ٩٨٨)[١] ٠ وأبو عثمان سعد بن مكرم (٣٨١ = ٩٩١) من أهل بلنسية[٢] ٠

وثمة رجل آخر يحمل النسبة الى بلنسية وهو أبو زكرياء يحيى بن شراحيل (٣٧٢ = ٩٨٢) من ساكني نقسرة « كان حافظا للمسائل على مذهب مالك ، عاقدا للشروط ، ولم تكن له رواية تشهر عنه ، وكان موصوفا بالعلم ، معدودا من أهله ٠ وله كتاب في توجيه حديث الموطأ »[٣] ٠

الظاهر ـ مما سبق ـ ان العلوم الشرعية أول ما درّست في بلنسية ٠ ويتوقع أن علوم اللغة كانت تدرس بجانب العلوم الشرعية لحاجتها اليها ويمكن أن يلمس هذا من تراجم القضاة والعلماء الذين مرّ ذكرهم فابن الفرضي المذكور ـ مثلا ـ كان أديبا شاعرا[٤] ٠

كانت بذرة العلم في نمو والاحوال الاجتماعية والسياسية في بلنسية والاندلس في تغير لصالح الحياة العلمية في بلنسية ٠ وهكذا ستحفل منذ مطلع القرن الخامس بمزيد من النشاط العلمي في شتى الميادين ٠

٢ ـ شهدت بلنسية منذ مطلع القرن الخامس نشاطا علميا واضحا ـ كما سبق ذكره ـ في حقل العلوم الشرعية خاصة ٠ حيث أخذت البذور التي غرست طيلة القرون الماضية

---

(١) انظر : تاريخ علماء ، ١ : ١٧٩ رقم ٥٤٠ ٠ بغية ، ٣٠٥ رقم ٧٨٧ ٠

(٢) انظر : تاريخ علماء ، ١ : ١٧٩ ـ ٨٠ رقم ٥٤١ ٠ بغية ، ٣٠٥ رقم ٧٨٥ ٠

(٣) تاريخ علماء ، ٢ : ١٩٣ ٠

(٤) راجع : الصلة ، ١ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ـ ٥ ٠

بالنمو · وتهيأت عوامل زادت في هذا النماء نتجت عن التغيرات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها الاندلس وبلنسية منذ نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس ·

ان أحداث الفتنة التي شملت قرطبة وانتهت بسقوط الخلافة جعلت الكثير من أسرها تهجرها الى أنحاء من الاندلس وكان لهجرتهم تأثيرها العلمي والاجتماعي على بلنسية · فقد كان نصيبها من الاسر القرطبية ذات العلم والمال وافرا ، حيث فضّلت السكنى ببلنسية التي وفّر لها العهد الجديد ــ عهد الامارة ــ الاستقرار النسبي والحماية الكافية ·

إن العديد من علماء قرطبة الذين استقروا في مدن أندلسية أخرى ــ وكان لهم تأثيرهم العلمي عليها ــ كانوا يرتحلون بين مدن الاندلس ومنها بلنسية ·

إن استقبال بلنسية لعدد من علماء قرطبة(1) وما كان معهم من كتب وما أصابها من كتب ــ عن طرق عدّة ــ انفرطت من مكتبات قرطبة العامرة(2) كان له أثره الواضح على نمو نشاط الدراسات العلمية في بلنسية · فوجود بعض علماء قرطبة ــ وهم أعلام الاندلس ــ في بلنسية يعتبر عاملا من عوامل تزايد النشاط العلمي · فكل عالم بحق كان مدرسة ــ وهكذا العالم المسلم ــ تخرج على يديه العديد من الطلاب في علوم عدّة ·

---

(1) راجع : من علماء قرطبة الذين ألجأتهم الفتنة الى بلنسية : الصلة ، ٢ : ٦٧٩ · ترتيب ، ٤ : ٧٢٥ ، ٨٠٨ ، ٨١٨ ، ٨٢٧ ، الديباج ، ٢٧٢ ·

(2) راجع : طبقات الامم ، ٨٧ ·

كان لتحول بلنسية من مركز كورة تابعة لقرطبة ـ منذ القرن الخامس ـ الى امارة مستقلة أثــره في تهيئة ظــروف جديدة زادت في نماء الحياة العلمية • تمثل هذا في أمور منها: ان بلنسية استمرت تتمتع بالاستقرار في بداية عهد الامارة فانصبت فيها أموال وخبرات عديــدة لتفضيل بعض الاسر القرطبية وغيرها السكنى فيها ، بتشجيع من الامارة الناشئة وحاجتهــا الى خدمات كثيرة • فكان لهذا أثره عــلى الحالة الاقتصادية والاجتماعية في بلنسية • فازداد عدد سكانهــا والثروة العامة وعمرانها فكان لكل هذا أثره في تهيئة أوضاع اجتماعية جديدة تساعد على مزيد من الاتجاه نحو العلم •

كان لقيام الامارة أثره المباشر على الحركة الادبية فقصد بلنسية عدد من شعراء الاندلس لمدح أمرائها • واتخذت الامارة عددا من الادباء والعلماء كتّابا ووزراء لتدبير شؤون الادارة والحكم •

٣ ـ اتسع نشاط العلوم بأوضح ما يكون منذ النصف الثاني للقرن الخامس الهجري كما تنوعت واتسعت أوجهه • وسيتضح هذا فيما يلي من البحث في العلوم والصلات العلمية •

٤ ـ برغم الاحوال السيئة التي عاناها البلنسيون في ظل الحماية القشتالية التي بدأت منذ عام ٤٧٨ ومن ظروف الحصار القاسي ، الذي دام عشرين شهرا (٤٨٥ ـ ٤٨٧) ، والاحتلال القشتالي المباشر لبلنسية ، برغم كل ذلك فان الحركة العلمية لم تخمد جذوتها ولم تقف مسيرتها وان ضعفت وحدّ من عطائها ، وان ألوانا جديدة من النشاط العلمي والادبي ظهرت مشاركة ما أصاب المدينة المبتلاة •

إن عددا من العلماء توفوا في مدة حصار الروم لبلنسية والسبب الظاهر لوفاتهم هو الجوع والمرض . فان الحصار أضر اقتصاد المدينة غاية الضرر . فاجتاح الجوع والمرض - الذي يصحب الجوع - أهل بلنسية فراحوا يتساقطون جوعا ومرضا - وفيهم العلماء والطلاب - وهم ثابتون يأبون فتح أبواب مدينتهم للكمبيطور وقواته حتى بلغ السيل الزبى .

هذا وان عددا من العلماء قتلوا على يد الكمبيطور وأعوانه بعد أن دخلوا بلنسية . فقد أدرك الكمبيطور أن العلماء قادة الأمـة في جهادها ودفاعهـا عن كرامتها فانتقم منهم لثباتهم - وأبناء المدينة - في مقاومة حصاره وعدم رضوخهم لمطالبه .

وخرج عـدد من العلمـاء من بلنسية هربا من الظلـم والاضطهاد وظروف الاحتلال المميتة .

إن مجموع المهتمين بالعلم - الذين لا يعرف عددهم على وجه التحديد - الذين استشهدوا أو خرجوا عن بلنسية نتيجة الحصار والاحتلال القشتالي يقدم صورة بائسة عن الآثار السيئة التي تركها التسلط القشتالي الذي تزعمه الكمبيطور على مجمل الحياة العلمية في بلنسية . فعندما كانت الحركة العلمية في نمـوها الاعتيادي الزاهر تـزداد عمقا واتساعا دهمها العدو الهمجي الخاوي الذي لا يرحم ، فعطل من نموها الحقيقي . ولا أدل على هذا من « انعدام » أخبار النشاط العلمي في بلنسية خلال مدة الاحتلال ، عدا أشكال جديدة أدبية كانت صوتا عميقا مدويا في وجه الظلم واستغاثة بالحق لنصرة بلنسية ، وعودة النشاط العلمي من جديد الى المدينة

الصابـرة المنتصرة بعـد تحريرها مباشرة في رجب ٤٩٥ ·
وستأتي ـ في هذا البحث ـ صور من هذا النشاط الذي دبّ
من جديـد في الحركة العلمية بتخلصهـا من الحكم الاجنبي
وعودتها الى حظيرة الاسلام · وسيكون للحركة العلمية في
بلنسية في القـرون التالية · حتى سقوطها النهـائي ٦٣٦
(١٢٣٨) ـ نشاط متنوع متسع فائض بالعطاء زاخر بالأمجاد
العلمية في كل ميدان ·

★ ★ ★

الفصل الأول

العـــلوم

حفلت بلنسية بالعلوم المختلفة · ووجدت علوم أساسية وضرورية اجتهد كل تلميذ في طلبها ومعظم العلماء أوقفوا حياتهم عليها لوعيهم بأهميتها لمجتمعهم ، وهي علوم الشريعة واللغة ، التي قامت لخدمـــة القرآن الكريم بالدرجـة الاولى والحديث الشريف ·

كان ظهور العلوم ونموها ـ بشكل عام ـ متفاوتا لأمر يتعلق بطبيعة العلوم فبعضها أسرع في النمو من غيرها وكانت ظروف البلد وحاجاته وصلاته عوامل واضحة في النمو · فبعض العلوم وجـدت في وقت مبكر ونمت في أوقات تالية وتفرعت عنها علوم عدّة.والاخرى لم تكن فكانت وهكذا[1] ·

تطالعنا ظاهرة علمية هي ان العالم لم يكن متخصصا في دائرة من العلم ضيقة وإن برّز في علم أو فرع من علم ، بل هو ملم بأكثر علوم عصره سيما علوم الشريعة واللغة · وهذا ينعكس على البحث فسيرد ذكر العالم في أكثر من موضع في أحيان كثيرة ·

---

(١) راجع : طبقات الامم ، ٨٢ ·

إن ظواهر طلب وتدريس كل علم والتأليف فيه وعوامل نموه وأهميته أمور أساسية ستنصب عليها دراسته . كما سيطمح البحث الى معرفة مستواه بين العلوم في بلنسية وإن أمكن معرفة مستوى كل علم في بلنسية قياسا لما كان عليه في الاندلس .

ستقسم العلوم الى أقسام أساسية مثل العلوم الشرعية والعلوم اللغوية ومن ثم تقسيمها الى فروعها تسهيلا للبحث .

أولا : العلوم الشرعية

يقصد بالعلوم الشرعية تلك التي خدمت بشكل مباشر القرآن الكريم والحديث الشريف وهما مصدرا التشريع للمجتمع الاسلامي .

تعددت العلوم التي عنيت بالحديث الشريف . وأدت دراساته الى علوم أخرى تأثرت بمنهج المحدّثين الذين غدت طرائقهم في البحث والدراسة مما تهتدي به بعض العلوم[1] .

إن فقه القرآن تطلب دراسات عدة كانت في نمو وتفرع ، استمدت من نبعه وسارت مع معالمه الاساسية مستجيبة لدعوته: « وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نَفَرَ من كل فرقة طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »[2] .

---

(١) راجع : الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدّثها ، يوسف العش ، ٢ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية : ١٢٢ .
انظر : الالماع ، ٨ .

حدد القرآن معالم الطريق للمجتمع وترك لعلمائه في كل عصر البت في شؤونه المتنوعة المتجددة في ضوء هذه المعالم ٠ وهذا تفسره عمليا الدراسات التي تناولت القرآن في العصور المتتالية ٠

قامت العلوم الشرعية لدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف ، ونتج عن دراستهما توجه نحو علوم عديدة ٠

١ ــ علوم الحديث والفقه

عنيت الحركة العلمية في بلنسية بعلوم الحديث والفقه عناية كبيرة وهــذه العناية سمــة بارزة للحركة العلميــة الاسلامية(١) ٠ فحرصها على التحقق من مصدر التشريع الثاني والنظر في أمور المجتمع المختلفة جعلها توجه قسطا كبيرا من جهودها الى هذا الميدان ٠

اهتم أكثر علماء بلنسية بالحديث والعديد منهم بالفقه بتفاوت بينهم ٠ كان كل فقيه محدثا ولم يكن كل محدث فقيها فالصلة وثيقة بين الفقه والحديث فهو المصدر الثاني لاستنباط الاحكام الشرعية ٠ بل ان الاحاطة بطرف من كل علم من العلوم الشرعية يمثل الحد الادنى لثقافة الفقيه ، هذا فضلا عن العلوم اللغوية ٠

فأبو جعفر جحاف بن يمن بن سعيد المعافري (٣٢٧ =

---

(١) راجع عن الحديث والمحدثين في الاندلس : نفح ، ١ : ٢٢١ ٠ تاريخ الفكر ، ٣٩٤ وبعدها ٠ راجع عن الفقه والمذاهب الفقهية في الاندلس: نفح ، ١ : ٢٢١ ، تاريخ الفكر ، ٤١٤ ٠ دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ١٧٨ ــ ٨٠ ٠

٩٣٨) كان محدثا[١] ، مذكورا بالفقه[٢] • وابن الفرضي

أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (٤٠٣ = ١٠١٢)

يقول عنه أصحابه ونظراؤه ـ ممن أخذ معه عن أكثر شيوخه ،

الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر (٤٦٣ = ١٠٧٠) ـ

انه « كان فقيها عالما في جميع فنون العلم في الحديث ، وعلم الرجال[٣] » •

ذكر ابن حيان (٤٦٩ ـ ١٠٧٦) « لم يُر مثله بقرطبة من سعة الرواية وحفظ الحديث ، ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم »[٤] •

كان بامكان الطالب ان يتلقى الحديث في بلنسية حوالي أواخر القرن الرابع الهجري ، وفق النصوص المتوفرة • وقبل هذا كان الطلاب البلنسيون يرحلون الى قرطبة والعالم الاسلامي لطلب الحديث • فكان عدد رواته يتزايد بمرور الزمن فتطول سلسلة الاسناد للاحاديث ومؤلفات الحديث •

فأبو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن خواست الفارسي البغدادي (٣٢٠ ـ ٤١٣ = ٩٣٢ ـ ١٠٢٢) « روى » عن ابن الفرضي بمدينة التراب (بلنسية) في ربيع الاول سنة ٤٠٠ (١٠٠٩)[٥] •

---

(١) جذوة ، ١٩٠ رقم ٣٦٤ •

(٢) ترتيب ، ٤ : ٤٦٣ •

(٣) الصلة ، ١ : ٢٥٢ •

(٤) الصلة ، ١ : ٢٥٣ • راجع: وفيات ، ٣: ١٠٥ • تذكرة ، ٣ : ١٠٧٦• راجع : بعض الامثلة عن علماء كانوا فقهاء محدثين : جذوة ، ٢٦٢ رقم ٤٥٤ ، ٢٩٠ رقم ٦٥٥ • ترتيب ، ٤ : ٧٢٤ ، ٤ : ٨١٨ •

(٥) الصلة ، ٢ : ٣٧٥ رقم ٨٠٤ •

ورد ذكر رحلتين مبكرتين ـ مر ذكرهما ـ لرجلين يحملان النسبة الى بلنسية من غير افصاح عن ممارستهما لنشاط علمي في بلنسية ، تفيدان شاهدا على رحلة البلنسيين لطلب الحديث وغيره من العلوم قبل نهاية القرن الرابع . اولهما ابو عثمان سعد بن جزيَ البلنسي (٣٧٨ = ٩٨٨) فقد « سمع بقرطبة ورحل الى المشرق رحلة اقام فيها أحد عشر عاما . وسمع سماعا كثيرا »[١] . أما الثاني فهو ابو عثمان سعد بن مكرم (٣٨١ = ٩٩١) الذي « سمع » بقرطبة من « محمد بن عبد الملك بن ايمن ، ومحمد بن قاسم ، وقاسم بن اصبغ . ورحل الى المشرق حاجا ، وله هناك سماع كثير »[٢] .

لا يظن ان ابن جزي البلنسي وابن مكرم سمعا الحديث فحسب بل يتوقع انهما درسا الفقه وغيره من العلوم . ويمكن لمس بعض هذا من تراجم شيوخ الاخير منهما .

شهد مطلع القرن الخامس وما تلاه نموا في دراسات الحديث والفقه ، فوجد الطلاب في بلنسية من العلماء في هذين العلمين ما يروي بعض ظمئهم العلمي . بيد أن الرحلة الى قرطبة والعالم الاسلامي لطلب العلم لم تتوقف بل هي في نمو ايضا ، هذا بينما كان عدد الطلاب الوافدين على بلنسية يتزايد هو الآخر للتتلمذ على علماء الحديث والفقه .

أدى نمو الدراسات الحديثية والفقهية الى التأليف في

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ١٧٩ رقم ٥٤٠ . انظر : بغية ، ٣٠٥ رقم ٧٨٧ .

(٢) تاريخ علماء ، ١ : ١٨٠ . انظر : م. ن ، ١ : ١٧٩ ، بغية ، ٣٠٥ رقم ٧٨٥ .

علومهما وهو دليل عليه . واتخذت بعض هـذه المؤلفـات لاهميتها ـ على ما يبدو ـ مواد للتدريس لاوقات معينة من مؤلفيها وغيرهم .

عدم استقرار العالم في بلد جعل من الصعب معرفة المكان الذي صنّف فيه مؤلفاته . وبالامكان القول ان لبيئة بلنسية العلمية من الفضل العلمي على كل مؤلف لأي عالم بلنسي سواء الّفه فيها أو في مكان آخر ، وان لكل مؤلفات العالم سواء التي الفها في بلنسية أو غيرها فائدة كبيرة للحركة العلمية .

اتخذ التصنيف في الحديث والفقه اتجاهات عدة ولهذا دلالاته العلمية . فقد كانت الشروح والاختصارات على امهات الكتب في هذين العلمين . فهذا ابو زكرياء يحيي بن شراحيل (شراجيل) (٣٧٢ = ٩٨٢) ، المنسوب الى بلنسية دون بيان عن نشاطه فيها ، له كتاب في توجيه حديث الموطأ[١] . وهو خبر جدير بالالتفات لكونه مبكرا نسبيا وفيه اشارة الى اعتماد الموطأ في الفقه والحاجة الى دراسات عليه . ومن مصنفات ابن الفرضي « المؤتلف والمختلف » قال عنه ابن حزم تلميذ ابن الفرضي : « لا أعلم مثله في فنّه البتّــة »[٢] . و « مشتبه النسبة » و « تاريخ علماء الاندلس » الذي يعد في اغلبه تراجم لرواة الحديث في الاندلس ، « وبلغ في النهاية والغـاية من

---

(١) تاريخ علماء ، ٢ : ٩١٣ . أعمال ، ٥٢ . ورد في تاريخ علماء الاندلس (طبعة القاهرة) ، ٢ : ١٩٠ : انه يحيي بن شراجيل .

(٢) نفح ، ٣ : ١٧٠ (رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) .

الحفل والاتقان »[١] . ولم يرد انه الف بعضها في بلنسية كما لا يتوفر على ما يبدو ما يشير الى انه الفها في غيرها .

هذا ابن الحذاء ابو عبد الله محمد بن يحيي بن محمد التميمي الاندلسي (٤١٠ = ١٠١٩) المحدث الفقيه الذي تولى قضاء بلنسية في نحو مطلع القرن الخامس الهجري له عدة مصنفات منها « الاستنباط لمعاني السنن » و « الاحكام » في عدة اسفار و « التعريف برجال الموطأ »[٢] .

وابن الفخار الحافظ ابو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف (٤١٩ = ١٠٢٨)[٣] الذي رحل عن قرطبة « إثر الفتنة »[٤] واستقر بقية حياته في بلنسية[٥] ، له اختصارات وردود ، كبير الاحتمال ان بعضها في الحديث والفقه . فهو أحد ائمة المالكية ، حافظ للحديث والاثر[٦] . قال عنه جاره ابو عمرو المقرىء الداني (٤٤٤ = ١٠٥٢) « هو آخر

---

(١) الصلة ، ١ : ٢٥٢ . انظر : جذوة ، ٢٥٥ . وفيات ، ٣ : ١٠٥ . تذكرة ، ٣ : ١٠٧٧ .
تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي الذي ذكر في المتن مطبوع عدة طبعات وقد اعتمد عليه البحث في مواضع كثيرة . وقد ذيل عليه ابن بشكوال (٥٧٨ = ١١٨٢) بكتابه « الصلة » .
انظر الصلة ، ١ : ١ .

(٢) معجم الادباء ، ١٩ : ١٠٨ ـ ٩ .
وصلنا كتاب « التعريف برجال الموطأ » مخطوط خزانة القرويين بفاس تحت رقم ٦٩ و ٨٠ : ١١٨ .

(٣) ترتيب ، ٤ : ٧٢٤ ـ ٦ . الصلة ، ٢ : ٥١٠ رقم ١١١٣ . الديباج ، ٢٧١ ـ ٢ . نفح ، ٢ : ٦٠ .

(٤) الديباج ، ٢٧٢ .

(٥) ترتيب ، ٤ : ٧٢٥ . انظر : ن٠ م ، ٦٦٩ .

(٦) ترتيب ، ٤ : ٧٢٥ ، الديباج ، ٢٧٢ .

(٧) انظر : ترتيب ، ٤ : ٧٢٤ .

الفقهاء الحفاظ الراسخين العالمين بالكتاب والسنة بالاندلس »(١) ٠

والف عبيد الله بن يوسف بن مِلْحان (عند ٤٣٠)(٢) بمدينة بلنسية مجموعا في الفقه لبعض بني عبد العزيز ٠ فابن ملحان « من أهل العلم والفقه »(٣) ٠

ادى نمو الدراسات الفقهية واقبال الطلاب عليها الى ظهور أنواع من التآليف سهّلت على طلاب الفقه تحصيله ، من هذا ان الفقيه ابا القاسم خلف مولى يوسف بن بهلول المعروف بالبربري (٤٤٣ = ١٠٥١) كان له « كتاب في شرح المدونة سماه (التقريب) استعمله الطلبة للمذهب في المناظرة وانتفعوا به ٠ واخذت عليه فيه أوهام في النقل »(٤) ٠ وأورد ابن بشكوال (٥٧٨) ان « له مختصرا في المدونة حسن ٠ جمع فيه أقوال أصحاب مالك وهو كثير الفائدة ٠ وكان ابو الوليد هشام بن أحمد الفقيه يقول : من أراد أن يكون فقيها من ليلته فعليه بكتاب البربلي »(٥) ٠

---

(١) الصلة ، ٢ : ٥١١ ٠ انظر : ن٠ م ، ٢ : ٥١١ ٠ ترتيب ، ٤ : ٧٢٤ ٠

(٢) الصلة ، ١ : ٣٠٢ رقم ٦٦٨ ٠ التكملة ، ٢ : ٩٣٢ رقم ٢١٦٩ ٠ وأورد صاحب التكملة نسبه هكذا : عبيد الله بن عبد البر بن ملحان ، وذكر الصورة التي أوردها ابن بشكوال في نسبه كما أحال الى « تاريخ ابن مدير » (غير متوفر) ٠

(٣) التكملة ، ٢ : ٩٣٢ ٠

(٤) ترتيب ، ٤ : ٨٢٩ ٠ انظر : الديباج ، ١١٣ ٠ ورد في الصلة ، ١ : ١٦٩ : انه يعرف بالبَرْبَلي ، وورد في الديباج ، ١١٣ : البرال والبريلي ٠ ولا بد أن تصحيفا وقع فيما يعرف فيه أبو القاسم ٠ وقد أثبتنا انه يعرف بالبربري لوروده هكذا في ترتيب المدارك ، الذي يعد أقدم مصدر متوفر محقق ٠

(٥) الصلة ، ١ : ١٦٩ ٠ انظر : الديباج ، ١١٣ ــ ٤ ٠ أبو الوليد هشام ابن أحمد الفقيه : يحتمل انه أبو الوليد الوقشي (٤٨٨) ٠

ورد في «الديباج المذهب» ان شرح المدونة واختصارها كتاب واحد لابي القاسم سماه «التقريب»[1] • ويبدو أن هذا وهم ، فالشرح والاختصار لا ينصب على كتاب ما في مؤلف واحد في الغالب •

انتشر كتاب ابي القاسم ولقي قبولا حسنا من الطلاب العلماء على حد سواء فسهل عليهم تناول المدونة التي تضم فقه الامام مالك • يدل عليه قول الفقيه ابي الوليد هشام بن أحمد المذكور ، الذي خص أحد الكتابين •

وجرت قصة لاحد الكتابين الشرح أو الاختصار فاذاعت شهرته مما جعل المهتمين بالعلم يتنافسون فيه • فان نسخة منه أو أكثر دخلت صقلية ، وهذا يشير الى سرعة انتشار الكتاب مع بداءة وسائل النقل ، فأراد ابو محمد عبد الحق ابن محمد بن محمد السهمي القرشي (٤٤٦ = ١٠٧٣) الفقيه[2] شراء الكتاب بعد ان نظر ما فيه واستحسنه « فلم يتيسر له ثمنه فباع حوائج من داره واشتراه ، فغلا الكتاب وتنافس فيه الناس »[3] •

ان كتابي ابي القاسم البربري افادا طلاب الفقه البلنسيين • وقد درس ابو القاسم « فسمع » منه موصل بن أحمد بن موصل[4] • ربما درس كتابيه من بين ما درسه •

---

(١) ابن فرحون ، ١١٣ •

(٢) ترتيب ، ٤ : ٧٧٤ ـ ٦ •

(٣) الديباج ، ١١٣ ـ ٤ •

(٤) الصلة ، ٢ : ٦٣١ •
موصل بن أحمد بن موصل توفي قريبا من سنة ٤٨٠ (١٠٨٧) من ناحية بلنسية : الصلة ، ٢ : ٦٣١ رقم ١٣٨٨ •

والجدير بالذكر ان ابا القاسم كان « مفتي بلنسية في وقته وعظيمها ومن أهل العلم والجلالة »[1] .

كان لابن بطال البكري ابي القاسم خلف بن أحمد (٤٥٤ = ١٠٦٢) من أهل بلنسية مؤلفات حسان[2] ، لا يعرف ما هي وكبير احتمال ان بعضها في الفقه فقد كان « فقيها أصوليا من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك »[3] .

هكذا يتضح ان فقه مالك هو السائد في بلنسية كما في الاندلس فكان الموطأ والمدونة عمدة أهل الفقه وطلابه في دراستهم ومؤلفاتهم وشروحهم واختصاراتهم .

اذا كانت المصادر لم تذكر اسماء مؤلفات ابن بطال البكري ، فقد ألّف ولده ــ على ما يبدو ــ ابو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري ويعرف بابن النجّام (٤٧٤=١٠٨١) شرحا كبيرا لكتاب البخاري ، كان كثير الفائدة يتنافس فيه[3] .

ان ظاهرة الشرح والاختصار في التأليف تشير الى تعارف الحركة العلمية واستقرارها على كتب تعد اصولا أو اركان علم ما ومن ثم قيام الشروح والاختصارات عليها لتفقيه الناس بها . لهذه الظاهرة دلالاتها وهي بلوغ العلم درجة متقدمة من البحث والتقصي مما يظن معه التالون أنهم في غنى عن التأليف بل يكفيهم ما الّف من قبلهم وان الشرح والاختصار يساعد على ترسيخ ما تحويه تلك المؤلفات في اذهان الطلبة .

---

(1) الديباج ، ١١٣ . انظر : الصلة ، ١ : ١٦٩ .

(2) الصلة ، ١ : ١٧١ . الديباج ، ١١٥ .

(3) ترتيب ، ٤ : ٨٢٧ . انظر : الديباج ، ٢٠٤ .

وهو أمر قد يؤدي الى مساوىء تتمثل في الاتكال على ما ألّف دون التطلع الى الابداع في التأليف فلكل عصر مشاكله وقضاياه التي يعالجها علماؤه . وما يتعلق بالفقه والحديث فالامر يختلف في كون أصولهما ثابتة فحسب .

أما تآليف الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد البر (٤٦٣ = ١٠٧٠) فيطول ذكرها في هذا البحث فقد « ألّف تواليف مفيدة طارت في الآفاق »[١] « وكان موفقا في التأليف ، معانا عليه ، ونفع الله بتواليفه »[٢] . ومن تآليفه كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد » سبعون جزء[٣] . وجعله عياض (٥٤٤ = ١١٤٩) « عشرين مجلدا »[٤] . وقد اثنى العلماء المعاصرون واللاحقون لأبي عمر بن عبد البر على التمهيد منهم صاحبه أبو محمد بن حزم (٤٥٦ = ١٠٦٣) : « كتاب لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا فكيف احسن منه »[٥] .

ان كثرة تآليف ابي عمر وتنوعها ، خاصة في الحديث والفقه ، مثل على النمو الواسع للحركة العلمية ودليل على

---

(١) ترتيب ، ٤ : ٨٠٩ (عن أبي علي الجياني) .

(٢) الصلة ، ٢ : ٦٧٩ . انظر : وفيات الاعيان ، ٧ : ٦٦ . راجع تآليف أبي عمر يوسف ابن عبد البر : جذوة ، ٣٦٨ ـ ٩ . ترتيب ، ٤ : ٨٠٩ ـ ١٠ . الصلة ، ٢ : ٦٧٨ ، ٦٧٩ . وفيات الاعيان ، ٧ : ٦٦ . تذكرة ، ٣ : ١١٢٩ .

(٣) جذوة ، ٣٦٨ ، ترتيب ، ٨٠٩ ، الصلة ، ٢ : ٦٧٨ .

(٤) ترتيب ، ٤ : ٨٠٩ . حقق وطبع جزءان من « التمهيد » .

(٥) نفح ، ٣ : ١٦٩ (رسالة ابن حزم) . انظر : جذوة ، ٣٦٨ . ترتيب ، ٤ : ٨٠٩ . الصلة ، ٦٧٨ .

خصبها وتخطيها مراحل بعيدة وكل هذا في وقت لا يتجاوز مطلع النصف الثاني للقرن الخامس الهجري ·

مارس ابو عمر نشاطات علمية في بلنسية في أوقات مختلفة منها في سنة (٤٥١ = ١٠٥٩)[١] وسنة ٤٥٣ (١٠٦١)[٢] · وتتلمذ عليه فيها العـديد من البلنسيين[٣] ومن الوافدين على بلنسية مما يدل – مع غيره – على اتساع النشاط العلمي ·

لا يتوفر ما يمكن الاعتماد عليه لمعرفة أي من مؤلفات ابي عمر الّفها في بلنسية ·

كان للحافظ ابي الوليد الباجي سليمان بن خلف (٤٠٣ – ٤٧٤ = ١٠١٢ – ١٠٨١)[٤] تصانيف « مشهورة جليلة ، ولكن ابلغ ما كان فيها في الفقه واتقانه ، على طريقة النظار من البغداديين وحذاق القرويين والقيام بالمعنى والتأويل »[٥] ·

---

(١) التكملة ، ١ : ١٣٧ ·

(٢) فهرسة ابن خير ، ٨٥ ·

(٣) راجع بلنسيون تتلمذوا على أبي عمر يوسف بن عبد البر : الصلة ، ١ : ١٨٠ – ١ رقم ٤١٣ ، ٢٠٣ رقم ٤٥٨ ، ٢٤٠ ، ٢٨٨ رقم ٦٣٤ ، ٢ : ٣٧١ رقم ٧٩٤ ، ٦٣١ رقم ١٣٨٨ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، بغية ، ٣٤٣ رقم ٩٢٠ ، التكملة ، ١ : ٣٠ ، ٢٣٩ رقم ٦٣٣ ، ٢٩٨ رقم ٨٠٣ ، ٤٠٣ – ٤ رقم ١١٣٦ ، ٢ : ٦٩٣ – ٤ رقم ١٧٤٥ ، ٨٠٧ – ٨ رقم ١٩٧٢ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٣٦ رقم ١٧٧٥ ، صلة الصلة ، ٨٠ رقم ١٥١ ·

(٤) ترتيب ، ٤ : ٨٠٢ – ٨ ، الصلة ، ١ : ٢٠٠ – ٢ رقم ٤٥٤ ، بغية ، ٣٠٢ – ٣ رقم ٧٧٧ · المغرب ، ١ : ٤٠٤ – ٥ رقم ٢٨٧ ، الوافي بالوفيات (مخ) ، ٨ : ١٧٠ – ١ ، نفح ، ٢ : ٦٧ – ٩ ، ٧١–٧٧ ·

(٥) ترتيب ، ٤ : ٨٠٣ · انظر : مؤلفات ابي الوليد الباجي : ترتيب ، ٤ : ٨٠٦ – ٧ ، المغرب ، ١ : ٤٠٥ ، الوافي (مخ) ، ٨ : ١٧٠ – ١ ·

من مؤلفات ابي الوليد الباجي « المعاني (المنتقى) في شرح الموطأ عشرون مجلدا لم يؤلف مثله »[١] .

رحل ابو الوليد الباجي في طلب العلم رحلة امدها نحو ثلاثة عشر عاما بدأها سنة ٤٢٦ (١٠٦٩) أو نحوها سمع فيها على علماء بالحجاز وبغداد والشام ومصر والموصل[٢] . وعندما عاد الى الاندلس كان اكثر تردده « بشرق الاندلس ما بين سرقسطة وبلنسية ومرسية ودانية »[٣] . وبلغ من العلم والمكانة درجة مرموقة حتى قال عنه تلميذه ابو علي بن سكرة الحافظ (٥١٤ = ١١٢٠) : « هو أحد ائمة المسلمين »[٤] . ويقول أبو محمد بن حزم الذي له مناظرات مشهورة مع ابي الوليد: « لم يكن للمالكية بعد عبد الوهاب مثل ابي الوليد »[٥] .

من الفقهاء الذين صنفوا في احكام الصلاة الشارقي ابو العباس أحمد بن محمد الانصاري الواعظ (قريبا من : ٥٠١ = ١١٠٧) من ناحية بلنسية « الّف كتابا صغيرا في احكام الصلاة »[٦] . وقف عليه ابن الآبار (٦٥٨ = ١٢٥٨)[٧] .

حظيت بعض كتب الحديث والفقه بعناية العلماء والطلاب البلنسيين . فكثر رواتها بطرق مختلفة وتعددت شروحها

---

(١) الوافي (مخ) ، ٨ : ١٧١ . أيضا : ترتيب ، ٤ : ٨٠٦ .
(٢) انظر : ترتيب ، ٤ : ٨٠٢ ـ ٣ ، الصلة ، ١ : ٢٠١ ، الوافي (مخ) ، ٨ : ١٧٠ .
(٣) ترتيب ، ٤ : ٨٠٣ .
(٤) الصلة ، ١ : ٢٠٢ .
(٥) ترتيب ، ٤ : ٨٠٣ .
(٦) التكملة ، ١ : ٢٦ رقم ٦٤ .
انظر : الذيل ، ١ : ٢ : ٤٦١ رقم ٦٧٦ .
(٧) التكملة ، ١ : ٢٦ .

ومختصراتها وعقدت المجالس والمناظرات عليها واخذت من تاريخ الحركة العلمية كبير سنيّها . ومعظم هـذا النوع من الكتب مما لم يؤلفه الاندلسيون .

مرّ ذكر بعض المختصرات والشروح والدراسات التي قام بها علماء بلنسية على بعض هذه الكتب . التي وجد فيها العلماء بغيتهم فتصدوا لتدريسها . فراح الطلاب يتداولون روايتها . ولا بدّ من ميزات تمتعت بها هذه المؤلفات فحازت ثقة العلماء فوجهوا طلابهم اليها . واولى هذه المميزات انها ضمت الاصول مع الاتقان . وواضح هذا في موطأ مالك وصحيحي البخاري ومسلم مثلا .

فأول ما يطمح اليه الطلاب في رحلتهم روايتها وقد لا يكتفون بطريق واحد من الرواية بل بعدة طرق متحرين « السند العال » .

والوافدون من العالم الاسلامي الى بلنسية أو العائدون من ابنائها يدخلون معهم هذه المؤلفات بعد ان تمّ لهم روايتها فيجلسون لاسماعها لطلاب العلم . وهكذا يكتب للمؤلفات التي تحمل عناصر البقاء مزيدا من العناية – في صورها المختلفة – على مر القرون .

كان لهذا مردوده على الحركة العلمية في بلنسية اذ طبعها بطابعه . فغلبت علوم هذه الكتب على سائر العلوم . وليس هذا مقتصرا على كتب الحديث والفقه فحسب بل يشمل علوم الشريعة الاخرى وان برز بشكل أوضح عليهما .

فموطأ الامام مالك من كتب الحديث والفقه التي لاقت

رواجا في اوساط الحركة العلمية البلنسية . ولم تكن بلنسية وحدهـا متفردة في هـذه الظاهرة بل إن الاندلس والمغرب الاسلامي قاطبة والمدينة المنورة حفلت بالموطأ ، لغلبة مذهب مؤلف الموطأ الامام مالك عليها . فكان حريًا بعلمائها وطلابها ان يعطوا الموطأ جُلّ عنايتهم لما تمتع به من مزايا فقهية مثلت آراء مالك في أصول التشريع .

بجانب الموطأ كان الصحيحان من المؤلفات التي عنيت بها الدراسات الشرعية في بلنسية غاية العناية .

هذا ابو الليث (ابو الفتح) الشاشي نصر بن الحسن التُنكتي (٤٠٦ ـ ٤٧١ = ١٠١٥ ـ ١٠٧٨) دخل الاندلس تاجرا وطالبا وعالما سنة ٤٦٣ (١٠٧٠) وحدث بـ « صحيح مسلم » وكان ثقة[١] . وكان ببلنسية بين سنتي ٤٦٤ ـ ٤٦٦ (١٠٧١ ـ ١٠٧٣) طالبا للعلم وذائعا له . حيث تتلمذ على عدد من شيوخها[٢] ، كما روى عنه عدد من البلنسيين صحيح مسلم ـ على ما يبدر ـ بالدرجة الاولى[٣] .

درّس ابو العباس العذري (٤٧٨ = ١٠٨٥) صحيحي مسلم والبخاري ببلنسية واول مرة قُرأ عليه صحيح مسلم سنة ٤٦٥ (١٠٧٢) ببلنسية[٤] .

---

(١) جذوة ، ٣٥٦ ، الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ، العبر ، الذهبي ، ٣ : ٣١٤ .

(٢) انظر : الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ، ٦٣٨ .

(٣) انظر : الصلة ، ٢ : ٥٧٤ ، الذيل ، ١ : ١ : ١٩٣ ، ٥ : ١ : ٤٠٣ .

(٤) التكملة ، ١ : ٢٣٩ .

وكان العذري قد « سمع » على الكثير من شيوخ مكة ، والقادمين اليها من « المحدثين » من أهل العراق وخراسان والشام · من ذلك سماعه « صحيح البخاري » مرات من الحافظ ابي ذر عبد بن أحمد الهروي(١) · فقد استغرقت رحلة العذري الى المشرق ما يقرب من ثمانية أعوام ٤٠٧ ـ ٤١٦ (١١١٦ ـ ١٠٢٥)(٢) ·

هكذا يظهر جليا كيف كان الطالب يصرف الجزء الاكبر من رحلته لسماع امهات كتب الحديث ، وعندما يعود الى بلده يعمل على بثها بين الناس · يقول ابن بشكوال عن العذري : « سمع الناس منه كثيرا ، وحدّث عنه من كبار العلماء ابو عمر بن عبد البر وابو محمد بن حزم وابو الوليد الوقشي وطاهر بن مفوّز وابو علي الغساني وجماعة من كبار شيوخنا »(٣) ·

الجدير بالذكر ان ابا محمد بن حزم وابا عمر يوسف بن عبد البر هما شيخا العذري قبل ان يرحل في طلب العلم الى المشرق(٤) · وهذا أمر يكاد يكون عرفا في الحركة العلمية

---

(١) انظر : جذوة ، ١٣٦ ـ ٧ ، الصلة ، ١ : ٦٦ ـ ٧ ، بغية ، ١٩٥ ، معجم البلدان ، ٢ : ٥٨٢ ، ٤ : ٥١٧ ·

(٢) انظر : الصلة ، ١ : ٦٧ ، معجم البلدان ، ٢ : ٥٨٢ ، ٤ : ٥١٧ ·

(٣) الصلة ، ١ : ٦٧ · أورد ابن بشكوال خبر ما يقرب من واحد وعشرين شخصا اندلسيا ممن درسوا « سماعا » و « رواية » على ابي العباس العذري ، الصلة : ١ : ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٥ ـ ٦ ، ١٣٨ ـ ٩ ، ١٤٢ ـ ٣ ، ١٧٣ ، ٢ : ٣٤٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٥٦٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٩ ، ٥٨٨ ، ٦٥٥ ، ٦٨٩ ـ ٩٠ ، ٦٩٠ ـ ١ · انظر ايضا : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٣٦ رقم ١٧٧٥ ·

(٤) انظر : الصلة ، ١ : ٦٧ ، معجم البلدان ، ٤ : ٥١٧ ·

الاسلامية فلا يأنف العالم ان يأخذ عن تلميذه اذا اتيح له أن يبلغ مبلغ العلماء وحصل على مالم يحصله ٠

ودرس عدد كبير من البلنسيين على العذري(١) ، منهم من درس عليه صحيح مسلم ببلنسية(٢) ، أو صحيح البخاري(٣) . وكبير الاحتمال ان الآخرين درسوا عليه الصحيحين ايضا وان لم تذكره المصادر ٠ وبعض هؤلاء ذكرت المصادر ان دراستهم عليه ببلنسية(٤) ٠

درّس ابو الوليد الباجي (٤٧٤ = ١٠٨١) « صحيح البخاري » ببلنسية(٥) وتتلمذ عليه العديد من البلنسيين الذين درسوا عليه فيما درسوه « الصحيح » كما يتوقع(٦) ٠ فلم تذكر المصادر في هذه الحالات العلم أو الكتاب الذي سمعه أو درسه اولئك البلنسيون ولا حتى ذكر بلنسية ٠

هكذا اعتمد كبار علماء الحديث البلنسيين الصحيحين في تدريس الحديث الشريف وفي أوقات متتالية لأنهم ـ كما يظهر ـ عدوّهما كما هو شأن معظم علماء المسلمين أفضل كتابين عنيا بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) راجع من البلنسيين الذين درسوا على ابي العباس العذري ولم يرد ان دراستهم عليه كانت ببلنسية : الصلة ، ١ : ١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤٠ ، ٢ : ٥٧٤ ، بغية ، ٣٠٣ ، التكملة ، ١ : ٢٨٦ ، ٤٢٣ رقم ١٢٠٢ ، ٢ : ٨٢١ ، التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧١٩ ، الذيل ، ١ : ٢ : ٥٣٠ ، ٥٧٨ ، ٥ : ١ : ٢١٣ رقم ٤٢٣ ٠

(٢) انظر : فهرسة ، ٩٩ ـ ١٠٠ ، المعجم ، ١١٨ ، التكملة ، ١ : ٢٣٩ ٠

(٣) انظر : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧١٩ ٠

(٤) انظر : جذوة ، ٣٥٦ ، الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ٠

(٥) انظر : الصلة ، ٢ : ٥٧٤ ، التكملة ، ١ : ٢٩٨ ، ٢ : ٦٩٧ ٠

(٦) راجع من البلنسيين الذين درسوا على ابي الوليد الباجي : الصلة ، ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٦٣٧ ، التكملة ، ٢ : ٨٢١ ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٥٦٣ ٠

كان عدد الطلاب الذين طلبوا الكتابين المذكورين وعدد العلماء الذين تولوا تدريسهما في تزايد ·

تولى العديد من العلماء تدريس الحديث والفقه في بلنسية سواء نشأوا فيها وتلقوا علومهم في الاندلس والعالم الاسلامي أو ممن وفدوا عليها من هذه الانحاء · فأتاح هذا للحديث والفقه ان تنمو دراساتهما بتجمع جهود العلماء وتواصلها وتزايد عدد الطلاب وتوفر البيئة المناسبة وتصاعد الحاجة الى الفقه لنمو المجتمع البلنسي[1] ·

وهكذا وجد الطلاب ـ لا سيما الاندلسيون ـ ببلنسية منذ مطلع القرن الخامس الهجري جـوا علميا مناسـبا لطلب الحديث والفقه ، فقصدوها للتتلمذ على علمائها ومنهم من هو ذائع الشهرة في الاندلس والعالم الاسلامي مثل أبي عمر يوسف ابن عبد البر وابي العباس العذري وابي الوليد الباجي وابي الوليد الوقشي · ووجد الطلاب علماء آخرين من المعدودين في الاندلس كانوا على قدر عال من العلم في الحديث والفقه ، الا انه لم يعرّف بهم التعريف الكافي ولم يرشد الى آثارهم ، لانصراف الباحثين المحدثين الى ائمة هذه العلوم · ومن هؤلاء ابن الحذاء وحيدرة وابن الفخار وابن بطال وابن النجام وابن مفـوز ·

وقفة على المصادر تجعل القارىء يندهش لذلك النشاط العلمي ـ بوجوهه المختلفة ـ الذي حفلت به بلنسية على أيدي هؤلاء العلماء الاعلام وتلامذتهم ·

---

(١) راجع : فيما يلي الصلات العلمية ·

فكانت مجالس الحديث والفقه نشطة بالتدريس والمناظرة فهنا مجلس فقهي كان يتصدره ابن واجب على عهد مظفر العامري في نحو سنة ٤٠٨ (١٠١٧) دارت فيه المناقشات والمناظرات العلمية ودرّس فيه مذهب مالك • وكان يعقد هذا المجلس يوميا ـ على ما يبدو ـ وباستمرار لمدة طويلة مما يجعله في عداد « المجالس العلمية » الدائمة الانعقاد • أورد خبر هذا المجلس اليسع بن حزم الغافقي ٥٧٥ (١١٧٩)[1] ، في معرض حديثه عن أبي محمد بن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ = ٤٩٤ ـ ١٠٦٣) ، الذي قصد بلنسية على عهد اميرها المظفر ، يقول اليسع : « حدثني عنه عمر بن واجب قال : بينما نحن عند أبي ببلنسية وهو يدرس المذهب اذا بأبي محمد بن حزم يسمعنا ويتعجب • ثم سأل الحاضرين عن شيء من الفقه جوب عليه فاعترض فقال له بعض الحضار: هذا العلم ليس من منتحلاتك ، فقام وقعد ودخل منزله فعكف ووكف منه وابل فما كفّ ، وما كان بعد اشهر قريبة حتى قصدنا الى ذلك الموضع فناظر احسن مناظرة قال فيها : أنا اتبع الحق واجتهد ولا اتقيد بمذهب »[2] •

---

(١) انظر : اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي ٥٧٥ (١١٧٩) : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧٤٤ ـ ٥ رقم ٢١١٢ ، تاريخ الجغرافية ، ٢٩٥ •

(٢) تذكرة ، ٣ : ١١٤٨ ، سير النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، ٢٨ ـ ٩ (جزء خاص بترجمة الامام ابن حزم الاندلسي ، حققه سعيد الافغاني)• انظر : المفاضلة بين الصحابة ، ٣١ (مقدمة المحقق) •
عمر بن واجب: يرجح انه ابو حفص عمر بن محمد بنواجب (٤٧٦ = ١٠٨٣) : الصلة ، ٢ : ٤٠٣ • انظر : التكملة (مجريط) ، ٢ : ٤٧٤، ٤٧٥ ، تاريخ الجغرافية ، ٢٩٥ • راجع مواضع ترجم فيها لاعلام من بني واجب ، احدى الاسر العلمية البلنسية ، : الصلة ، ٢ : ٥٧٤ ، التكملة ، ٢ : ٤٨٨ رقم ١٣٤٦ ، التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧١٩ ، الذيل ، ٦ : ٣٩١ رقم ١٠٤٧ •

يورد هذا الخبر حين الحديث عن بدايات طلب ابن حزم للعلم وفي هذا يكون لمجلس ابن واجب الفقهي وللحياة العلمية في بلنسية الفضل في زيادة اهتمام ابي محمد بن حزم بطلب العلم ، الذي غدا علما من اعلام المسلمين المعدودين • والذي درس على عدد من علماء بلنسية الآخرين منهم : حيدرة ابو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري (٤١٧ أو ٤١٨ = ١٠٢٦ أو ١٠٢٧) حيث « روى عنه الحديث »(١) • فقال عنه : « هو افضل قاض رأيته دينا وعقلا وتصاونا مع حظه الوافر من العلم »(٢) •

ان الغالب على الدراسات الفقهية في بلنسية ـ كما اتضح من العرض السابق ـ رأى الامام مالك • ووجد من فقهاء بلنسية من عرف بميله الى آراء أئمة آخرين ، فأبو عمر يوسف ابن عبد البر كما ذكر الحميدي : « كان يميل في الفقه الى أقوال الشافعي »(٣) •

الظاهر ان بلنسية مما اشتهرت به متميزة الحديث ويبدو هذا واضحا من العرض الذي مرّ ذكره عن الحديث والفقه ومن نشاط العلوم الاخرى التي سيأتي ذكرها •

٢ ـ القرآن وعلومه :

نال القرآن العظيم جلّ عناية الحركة العلمية الاسلامية

---

(١) جذوة ، ٢٦٢ ، الصلة ، ١ : ٢٦٣ •

(٢) جذوة ، ٢٦٢ ، الصلة ، ١ : ٢٦٣ (كلاهما عن أبي محمد بن حزم) •

(٣) جذوة ، ٣٦٧ •

على مرّ قرونها وفي كل بلادها • فهو شريعة المجتمع الاسلامي والمنهج الذي ارتضاه للانسان خالقه الكريم •

علوم القرآن عدة : علم القراءات والتفسير والناسخ والمنسوخ واسباب النزول ، وكلها خدمت القرآن الكريم المصدر التشريعي الاول للمجتمع • فقدمت بشكل عام لعلماء الفقه تسهيلات كبرى في استنباط الاحكام الشرعية وافادت منها علوم أخرى كالتاريخ مثلا • وفيما يلي حديث عن علوم القرآن التي تتوفر معلومات عنها ببلنسية :

آ ـ تفسير القرآن واعرابه وغريبه :

ليس بين يدي الباحث من نصوص تعين على تتبع هذه العلوم ببلنسية في مظاهرها المتعددة(١) •

فالتفسير لم يرد عنه الا ان محمد علي بن محمد البلنسي الغرناطي (؟) صنّف « تفسيرا كبيرا » ولولا انه « لازم ابن الفخار »(٢) وهو من علماء بلنسية لما عرف له نشاط ببلنسية ولما عرفت حياته على التقريب •

ورد أن ابن رلاّن (أرليان) أبا عبد الله محمد بن حسين البلنسي (ـ بعد ٤٦٠ بيسير)(٣) « من مجوّدي كتاب الله

---

(١) راجع عن تفسير القرآن بالاندلس : تاريخ الفكر ، ٤٠٧ ـ ٩ •

(٢) بغية الوعاة ، ١ : ١٩١ رقم ٣٢٣ •
ورد لمحمد بن علي البلنسي الغرناطي مصنف آخر هو « الاستدراك على التعريف والاعلام للسهيلي » • بغية الوعاة ، ١ : ١٩١ •

(٣) التكملة ، ١ : ٣٩٤ رقم ١١٠٤ ، الذيل ، ٦ : ١٧٦ رقم ٤٧٣ ، الحلل ٣ : ٩٥ •

القائمين عليه البصراء بغريبه واعرابه »[1] · ويبدو انه كان يدرس بعض علوم القرآن ، اعرابه وغريبه فضلا عن بعض علوم اللغة ، « وكان لا يقرىء شيئا لا يتحققــه » · بشــهادة تلميذه ابن عزيز[2] ·

من المصنفات في غريب القرآن ودرست في بلنسية كتاب ابي بكر بن عزيز فقــد « سمعه » ابــو داود المقري من ابن القطاع ابي محمد جعفر بن علي التميمي الصقلي (؟) « في جامع بلنسية مرتين احداهما في أول ذي القعدة سنة اربع وسبعين واربعمائة »[3] ·

ب ـ علم القراءات :

لعــلم القراءات نشاط ملحوظ في بلنسية · فالقراءات السبع معتمدة في قراءة القرآن الكريم وخاصة قراءة نافع[4] ·

تهيأ لعلم القراءات في بلنسية عدد من العلماء الكبار تتلمذ على ايديهم مجموعة من التلامذة ·

فعندما كان الامام شيخ المقرئين ابن الصَّيرفي ابو عمرو المقرىء الداني عثمان بن سعيد (٣٧١ ـ ٤٤٤ = ٩٨١ ـ ١٠٥٢)[5] متنقلا ليرتاد بلدا يستوطنه « روى » عنه ببلنسية

---

(١) الذيل ، ٦ : ١٧٦ · انظر : التكملة ، ١ : ٣٩٤ ·

(٢) التكملة ، ٣٩٤ ، الذيل ، ٦ : ١٧٦ ·

(٣) التكملة ، ٢٤٥ رقم ٦٤٨ ·

(٤) انظر : التكملة ، ١ : ٣٩٥ ، ٤٢١ ـ ٢ · راجع عن القراءات في الاندلس : نفح ، ١ : ٢٢١ ، تاريخ الفكر ، ٤٠٥ ـ ٦ ·

(٥) جذوة ، ٣٠٥ رقم ٧٠٢ ، الصلة ، ٢ ٤٠٥ ـ ٧ رقم ٨٧٦ ، نفح ، ٢ : ١٣٥ ـ ٦ ، غاية النهاية ، ١ : ٥٠٣ رقم ٢٠٩١ ·

أبو احمد جعفر بن سعيد بن حلبس المقرىء (بعـد ٤٣٨ = ١٠٤٦) ، الذي كان له اختصاص بصحبته حيث سمع منه فيما بعد بدانية(١) ٠

ان تتلمـذ ابن حلبس المقرىء على ابي عمرو المقـرىء الداني الذي يعدّ من كبار المقرئين الاندلسيين(٢) اكسبه علما بالقراءات فكان ابن حلبس « يقرىء » القرآن ببلنسية وعنه أخذ ابو داود المقرىء(٣) ٠ الذي غدا من كبار علماء المقرئين البلنسيين والاندلسيين ٠

وصف ابو عمر يوسف بن عبد البر بانه عالم بالقراءات(٤) ٠

لعلّ من ابرز علماء القراءات البلنسيين ابو داود المقرىء سليمان بن ابي القاسم نجاح مولى هشام المؤيد بالله (٤١٣ ـ ٤٩٦ = ١٠٢٢ ـ ١١٠٢)(٥) الذي درس القراءات على عدد من المقرئين منهم ابو عمرو المقرىء الداني ، فقد « روى » « وأكثر عنه وهو اثبت الناس به »(٦) ٠ كما أخذ ابو داود المقرىء عن ابي عبد الله محمد بن أحمد بن سعود الانصاري المقرىء (؟)(٧) ، الذي تصـدر للاقراء بدانية في حيـاة شيخه

---

(١) التكملة ، ١ : ٢٣٩ ٠

(٢) انظر : نفح ، ٢ : ١٣٦ ٠

(٣) التكملة ، ١ : ٢٣٩ ٠

(٤) جذوة ، ٣٦٧ ٠ راجع لابي عمرو يوسف بن عبد البر كتاب « الاكتفاء في قراءة نافع وابي عمرو بن العلاء بتوجيهه ما اختلفا فيه » الصلة ، ٣٦٨ ، و « كتاب البيان ، عن تلاوة القرآن » ، الصلة ، ٣٦٨، فهرسة، ٧٢ ٠

(٥) الصلة ، ١ : ٢٠٣ رقم ٤٥٨ ، بغية ، ٣٠٣ رقم ٧٧٨ ، الوافي (مخ) ، ٨ : ١٨٤ ، غاية النهاية ، ١ : ٣١٦ رقم ١٣٩٢ ٠

(٦) الصلة ، ١ : ٢٠٣ ٠ انظر : بغية ، ٣٠٣ ٠

(٧) التكملة ، ١ : ٣٩٥ رقم ١١٠٨ ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٦٤١ رقم ١٢١٨ ٠

ابي عمرو الداني . فأخذ عنه بها ابو داود عند قدومه دانية من بلنسية سنة ٤٣٢ (١٠٤٠) للاخذ عن ابي عمرو الداني « قراءة نافع من طريق قالون »[١] . ولابن سعود الانصاري تصانيف في علوم القرآن وغيره منها « الاختلاف بين نافع من رواية قالون و بين الكسائي من رواية الدوري »[٢] .

فقراءة نافع من طريق قالون التي أخذها ابو داود المقرىء عن ابن سعود الانصاري يحتمل انها القراءة التي اعتمدها ابو داود في تدريس القراءات في بلنسية كما يتوقع انه أخذ مؤلفات شيخه ابن مسعود الاخرى وخاصة « الاختلاف » .

تتلمذ على ابي داود جملة من الطلاب البلنسيين[٣] ، اضافة الى الاندلسيين فقد « روى الناس عنه كثيرا »[٤] . « روى عنه جماعة من الاعلام فيهم كثرة ولم يزل يقرىء كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن توفي »[٥] .

فهذه ابنة فايز القرطبي (٤٤٦ = ١٠٥٤) زوجة ابي عبد الله بن عياد ، بعد ان درست على ابيها وزوجها « قدمت على ابي عمرو الداني (بدانية) لاخذ القراءات عنه فالفته مريضا من قرحة مات منها ثم سألت عن اصحابه فذكر لها ابو

---

(١) التكملة ، ١ : ٣٩٥ ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٦٤١ .

(٢) التكملة ، ١ : ٣٩٥ ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٦٤١ .

(٣) انظر من هذا : التكملة ، ١ : ٢٧ رقم ٧٠ ، ٢ : ٨٢٥ رقم ٢٠١٥ .

(٤) الصلة ، ١ : ٢٠٤ .

(٥) بغيـة ، ٣٠٤ .

داود فلحقت به بعد وصوله الى بلنسية وقرأت عليه بالقراءات السبع وجوّدتها في آخر سنة ٤٤٤ »(١) .

ان قصة ابنة فائز مثل رائع على طلب المرأة المسلمة للعلم في مجتمع هيأ لها هذا الحق . وعرف عنها انها « شهرت بحفظ العلم والادب وتفننت »(٢) .

و « سمع » من ابي داود وأكثر ايضا ابو مروان عبد الملك بن عمر (عمران) الحجري (؟) من أهل بلنسية عام ٤٧٤ (١٠٨١)(٣) .

لم يكن ابو داود مستقرا ببلنسية دائما . فهذا ابو الحسن لاوى بن اسماعيل المكتب من أهل طرطوشة « سمع » من ابي داود « كثيرا ولازمه ببلنسية ودانية من سنة احدى وثمانين واربعمائة الى سنة احدى وتسعين »(٤) . وهي مصاحبة طويلة . ومصاحبة التلميذ للشيخ تكاد تكون عرفا في الحركة العلمية الاسلامية . فقد عرف عن العديد من العلماء انه كان لهم طلاب لا يفارقونهم سنين طويلة . وفي هذا خير أي خير للعلم فلا يتوفى الشيخ الا وقد اكتسب علمه وطريقه طلاب عدة ، يكونون حلقة متينة في سلسلة العلم والعلماء .

---

(١) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧٤٦ رقم ٢١١٨ .
فايز القرطبي : « عالما بالتفاسير والعربية واللغة أديبا شاعرا » ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٥٢٧ رقم ١٠٠٩ .

(٢) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٧٤٦ رقم ٢١١٨ .

(٣) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٠٧ ، الذيل ، ٥ : ١ : ٢٦ رقم ٦٣ .

(٤) المعجم ، ٩٤ . وانظر : م . ن ، ٩٣ .

هـذا الهدهد بن الصناع ابـو بكر محمـد بن ابراهيم الازدي المقرىء (٥٠٨ = ١١١٤)(١) « أخـذ عن ابي داود المقرىء • وكان من جلة أصحابه وأحد المتقدمين في الاقراء جودة ضبط ، وحسن اداء ، واحكام تجويد ••• اقـرأ دهرا بجامع بلنسية ، وتصدر لذلك اثر وفـاة شيخه ابي داود ، واخذ عنه بها جماعة »(٢) •

الف البلنسيون في القراءات كما درست بعض هذه المؤلفات وغيرهـا مما الفـه الاندلسيون • ومن أشـهر من الّف في القراءات ابـو عمرو المقرىء الداني ومن مؤلفاته في هـذا الميـدان « جامـع البيـان »(٣) و « ايجـاز البيـان »(٤) و « التيسير »(٥) • وقد روى عنـه تلامذته البلنسيون هـذه المصنفات واتخذوها في التدريس •

فعلى اثر استرجاع بلنسية من القشتاليين قدمها ابو بكر محمد بن أحمد التجيبي (٤٧٧ ـ ٥١٩=١٠٨٤ ـ ١١٢٥)(٦) من أهـل لاردة وهو ابن ثمان عشرة سنة فلقي في شوال سنة ٤٩٥ ابا داود المقرىءوقد تناهت سنه فاخذ عنه بها « القراءات السبع في ختمة واحدة ، وقرأ عليه من كتب ابي عمرو المقرىء جامع البيان ، وايجاز البيان ، و بعض التيسير »(٧) •

---

(١) التكملة ، ١ : ٤١١ رقم ١١٦٣ •
(٢) التكملة ، ١ : ٤١١ •
(٣) جامع البيان : فيما رواه في القراءاتالسبع : غاية النهاية، ١ : ٥٠٥ •
(٤) ايجاز البيان : عن أصول قراءة ورش عن نافع : فهرسة ، ٢٩ ، ٣٣ •
(٥) التيسير : في القراءات : فهرسة ابن خير، ٢٨ ، غاية النهاية ، ١:٥٠٥ •
(٦) التكملة ، ١ : ٤٢١ ـ ٢ رقم ١١٩٨ •
(٧) التكملة ، ١ : ٤٢٢ •
انظر : المعجم ، ١٠٣ ـ ٤ رقم ٩٢ •

ولابي عمرو المقرىء ايضا « ارجوزة » في القراءات « حدث » بها أبو عبد الله بن باسه المقرىء(؟) الخطيب بجامع بلنسية عن ابي يحيى زكرياء بن محمد الذي لقي ابا عمرو المقرىء بدانية وأخذ عنه(١) ·

هكذا كانت مؤلفات ابي عمرو الداني ـ الذي قضى معظم عمره في دانية في القراءات عمدة دارسي القراءات في بلنسية · ولا توجد بينة عن مكان تأليفه هذه المؤلفات سواء في دانية ، التي يتوقع انه صنّف فيها معظم مؤلفاته ، أو في بلنسية التي له اخبار نادرة فيها ·

كانت لابي داود المقرىء « تواليف كثيرة في معاني القرآن العظيم وغيره »(٢) · وتدل على سعة علمه ومعرفته بالاقراء »(٣) · منها « كتاب البيان الجامع لعلوم القرآن في ثلاثمائة جزء وكتاب التبيان · · · وكتاب الاعتماد في أصول القراءة والديانة عارض به شيخه الداني أرجوزة في ثمانية عشر ألف بيت واربعمائة

---

(١) التكملة ، ١ : ٣٢٨ ·
انظر مؤلفات ابي عمرو المقرىء الداني الاخرى ومعظمها ان لم يكن جميعها في « القراءات » : فهرسة ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٤٢٨ ، غاية ، ١ : ٥٠٥ ·
ورد ان لابي عمرو الداني « مائة وعشرون مصنفا » نفح ، ٢ : ١٣٦ · ان ابا عمرو الداني من العلماء الجديرين بالدراسة ·

(٢) الصلة ، ١ : ٢٠٤ ·

(٣) بغية ، ٣٠٣ ·
والّف عالم بلنسي هو ابن المرابط ابو الاصبغ عيسى بن محمد الهاشمي المقرىء (٤٧٩ ـ ٥٥٢ = ١٠٨٦ ـ ١١٥٧) في القراءات كتابا سماه « التقريب والحرش » في قراءة ورش ، المعجم ، ٢٩٠ ـ ١ رقم ٢٧٣ ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٥١٠ رقم ٩٤٦ · بيد ان هذا العالم الّف كتابه بعد المدة التي بصددها البحث ، فهو لم يتجاوز السادسة عشرة في عام ٤٩٥ ·

وأربعين بيتا وغير ذلك »[1] • مما يشير الى استمرار التآليف في القراءات في بلنسية لنمو دراساتها[2] •

يبدو من هذا العرض ان علم القراءات من العلوم التي امتازت بها الدراسات العلمية الشرعية في بلنسية وتأتي بعد علوم الحديث من حيث سعة النشاط العلمي وتنوعه وعدد المهتمين بها • فيمكن القول ان بلنسية مما اشتهرت به متميزة الحديث الشريف وعلم القراءات •

ثانيا : علوم اللغة وآدابها

عرفت بلنسية معظم علوم اللغة العربية وآدابها ، وكانت في نموها متأثرة بالاحوال السياسية والاجتماعية والتطور الحضاري وصلات بلنسية مع الاندلس والعالم الاسلامي وما سبق أن حمله المسلمون الفاتحون من تراث أدبي •

ادّت الدراسات الشرعية الى ظهور بعض علوم اللغة والعناية بآدابها • وحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف اللغة العربية ووسّعا دائرة المتحدثين بها• فالمسلم يسعى دوما لتعلم العربية بدافع من عقيدته • ووجد من الاسبان غير المسلمين من دفعتهم الرغبة في الوقوف على القرآن الكريم الى تعلم العربية ليدرك سر نجاح المسلمين في حياتهم فأدى بالعديد

---

(١) غاية ، ١ : ٣١٧ •

(٢) راجع : ممن عني بالقراءات من أهل بلنسية : الصلة ، ١ : ٢٠١ رقم ٤٥٨ • ان ابا داود المقرىء هو الآخر حري بالدراسة •

منهم الى أن يسلم ويكون من المهتمين بالدراسات الاسلامية(١) .

ان بيئة بلنسية الجميلة الوفيرة الخيرات النامية العمران عامل في ظهور فنون الشعر خصوصا الوصف ، فضلا الى تهيئة الجو الملائم لبقية العلوم .

كان استقرار العديد من الأسر المسلمة (العربية الموطن أو اللغة) ـ لظروف الفتح ـ منطقة بلنسية وسعي المسلمين المتواصل لتعلم العربية لفهم القرآن عوامل في تكامل جوانب البيئة المناسبة لظهور فنون اللغة ونموها .

١ ـ الادب وفنونه :

صوّر الادب البلنسي بتفاوت جوانب الحياة في تطورها تصويرا صادقا . فعكس المراحل الحضارية التي مر بها المجتمع البلنسي والاحداث الكبيرة التي عاناها نثرا وشعرا . فكان « الشعر الاسلامي » الذي ينقد الضعف فيصف ما حلّ بالامة من هوان على يدّ الاعداء ويحث على الجهاد ويستنفر الجهود لمواجهة الاخطار ، ومن ثم تغنى بالنصر . ووصف الشعر رقي الحضارة في بلنسية في القرن الخامس وجمال بيئتها . فكان الشعر وعاء كالنثر للفضيلة والقضايا الاجتماعية والاحداث الكبيرة التي عاشتها الامة(٢) .

عبّر النثر الادبي ، متمثلا على وجه الخصوص بالرسائل

---

(١) اعلاه ، ٣٠٠ .

(٢) راجع عن الشعر الاندلسي : تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ٩٠ ، الشعر الاندلسي ، غارسيا غومس ، ٣٠ وبعدها .

الادبية ، عن جوانب عـدة من الاحداث التـي عاشها المجتمع البلنسي والمراحل التي مرّ بها ٠

مرّ الادب بفنونه بمراحل من النمو متـأثرا بالمؤثرات المختلفة وبمراحل التطور الاجتماعي والثقافي ٠

يمكن الحديث عن جوانب من الادب وفنونه في بلنسية تحت التقسيمات التالية :

آ ـ الشعر : تقع بلنسية على ساحل البحر المتوسط الغربي الذي لها عليها مرسى ، جنوبها « البحيرة » ويخترقها نهرها وتتمتع بارض خصبة ، فهي غنية باقتصادها زراعة وتجارة ٠ تحفّ بها البساتين النضرة والمتنزهات الباهرة التـي تتخللها سواقي النهر ، وارياضها رياض زاهرة ٠ فكانت تلك البيئة الجميلة الغنية الراقية ، موقعـاً وعمرانا وحضارة ، مصدرا ثرا للشعراء والادباء ٠ وتمّ تكامل هذه الصورة منذ مطلع القرن الخامس حتى قريبا من عام ٤٨٥ ٠

لقد حفلت بلنسية بشعراء عدة ، منهم المعدود بين كبار شعراء الاندلس ، وصل الكثير من شعرهم في الغالب ، والعديد من الشعراء الآخرين ، اثنت المصادر على شاعرية بعضهم ، الا ان ما ورد من شعرهم ضئيل لا يعدو احيانا البيت الواحد وربما كانت لهم دواوين وصلت فهي في عداد المخطوطات ، أو فقدت مع ما فقد من الانتاج الاندلسي ٠

يبدو ان اهتمام الرواة بشعر الفحول، الذين اثنى النقاد المعاصرين لهم على شاعريتهم ، اثر على الشعراء الآخرين ، حيث أهمل شعرهم أو قلت العناية بروايته ، ومن ثم نسخه ، فضاع ٠

عالج الشعر البلنسي معظم اغراض الشعر ، وأهمها لجدته ، رثاء المدينة ، فرثاء المدن الضائعة الواقعة تحت احتلال الاعداء فن اندلسي اصيل ، فاق الاندلسيون به انحاء العالم الاسلامي لظروف الاندلس السياسية(١) . ومع شعر رثاء المدن كان الشعر السياسي الذي سجل جوانب من الاحداث التي عاشتها بلنسية .

تعرضت بلنسية لسلسلة من الاحداث السياسية : ففي عام ٤٥٦ (١٠٦٥) دهمت قوة قشتالية مدينة بلنسية فخرج جماعة من أهلها مع اميرهم عبد الملك بن ابي عامر لمواجهتها وردعها دون استعداد مما ادى الى هزيمتهم في وقعة بطرنة(٢) . فانبرى الطرسوني أبو اسحاق ابراهيم بن مُعَلَّى «قِدْح البلاغة المُعلَّى ، وسيفها المحلّى »(٣) لينقد بجرأة الشاعر المسلم عمل الامير ومن خرج معه عدم أخذهم للحرب عدتها وعددها واصفا ترفهم بتعريض لاذع :

لبسوا الحديد الى الوغى ولَبِسْتُم
حُلَلَ الحرير عَليكُمُ ألْوانا
ما كان اقبَحُهمْ واحسنكم بها
لو لم يَكُنْ ببطرنة ما كانا(٤)

(١) انظر : ملحمة ، ١٤٨ .
(٢) انظر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٦٧ ، البيان ، ٣ : ٢٥٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ٤ : ١٢٠ (بلنسية ، ليفي بروفنسال) ، دول الطوائف ، ٢١٤ .
(٣) المغرب ، ٢ : ٤٥٧ (عن ابن بسام) .
(٤) انظر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٦٤ ، نفح ، ١ : ١٨١ .

يمكن القول ان وقعة بطرنة أول اختبار لبلنسية ولمدن الاندلس الشمالية والشرقية من قوى العصابات القشتالية • فهذه الوقعة التي سبقت سقوط طليطلة ٤٧٨ (١٠٨٥) لم تؤد الى نتائج مباشرة •

من سقوط طليطلة فانتقال اميرها القادر بن ذي النون الى امارة بلنسية بمعونة القشتاليين مقابل تنازله لهم عن طليطلة ، الى عام ٤٩٥ (١١٠١) حيث تخلصت بلنسية من الاحتلال القشتالي ، شهد البلنسيون احداثا مريرة تمثلت بشكل اساسي بالصراع بين المسلمين والقشتاليين على المدينة • وهو جزء من الصراع الكبير الذي بدأته القوى النصرانية بهجومها على العالم الاسلامي في مشرقه ومغربه • خلال ذلك فَقَدَ البلنسيون نعمة الاستقرار والكثير من الارواح قتلا وجوعا واستشهادا في الذود عن العقيدة وشلّت الحياة الاقتصادية في شتى مرافقها • فكان لهذا اثره على الحركة العلمية والادبية ، خاصة وان أهل المدينة بأجمعهم وجدوا أنفسهم في ميدان الاحداث وكان العلماء في مقدمتهم • وقد سجلت الاعمال الادبية جوانب من تلك الاحداث •

لابن طاهر أبيات يتهكم بها على أبي أحمد بن جحاف الذي تولى امارة بلنسية (٤٨٥ ــ ٤٨٧) تعدّ في الشعر السياسي يقول فيها :

ايها الاخيف مهلا   فلقد جئت عويصا

اذ قتلت المَلْكَ يحيى   وتقمصت القميصا

رُبَّ يومٍ فيــه تُجزى لـــم تجد عنه محيصا[1]

ادى الحصار ومن ثم الاحتلال القشتالي بزعامة الكبيطور لبلنسية ــ كبرى مدن شرقي الاندلس ــ دمار وخراب المدينة عمرانا واقتصادا واستشهاد الكثير من أهلها.ولم تنسحب القوة القشتالية من بلنسية تحت ضغط الحملات المرابطية الا بعد ان اضرمت النار بأهم مراكز عمرانها ومنها المسجد الجامع ونهبت وخرّبت ما وقع تحت أيديها مما بقي من عامر .

لا يوجد هذا الدمــار الذي حــلّ ببلنسية من الشعر في المصادر الاندلسية المتوفرة صدى يناسبه غير ابيات قليلة ، اربعة ابيات لابن خفاجة أبو أسحاق ابراهيم بن ابي الفتح الهــواري (٤٥١ ــ ٥٣٣ = ١٠٥٨ ــ ١١٣٩)[2] ، هــي بالوصف الصق منها بالرثاء « وهــي كما تصدق على بلنسية التي اجتاحها العدو وعبث بها يمكن ان تنطبق على أية مدينة أخرى دهمها السيل ، وعاثت بهــا الحرائق قدرا وعلى غــير تدبير ، وهي أقرب أن تكون مقدمة طلليّة لقصيدة جاهلية ، تبكي رسوما دوارس في صحراء مرملة ، من أن تكون رثــاء

---

(١) الذخيرة(مخ)، ٣ : ٤٧ ، Recherches sur L'histoire et La Littervature De L'espagne Pendant Le Moyen age, Reinhart Dozy, II,X1 .

انظر الابيات المذكورة : الكامل ، ٩ : ٢٨٩ ، خريدة القصر وجريدة العصر ، العماد الاصفهاني ، ٤ : ٢ : ٣١٤ ، الحلة ، ٢ : ١٢٤ ــ ٦ .

(٢) ديوان ابن خفاجه ، ٥ ــ ٢٩ (مقدمة المحقق مصطفى غازي) ، الذخيرة (مخ) ٣ : ٢٨٥ وبعدها ، ٤٨٧ ، نفح ، ٣ : ٢٠١ (الشقندي) ، التكملة ، ١ : ١٤٣ ــ ٤ رقم ٣٧٣ ، وفيات ، ١ : ٥٦ ــ ٧ رقم ١٧ ، المغرب ، ٢ : ٣٦٧ وبعدها رقم ٥٨٠ ، كتاب رايات المبرزين وغايات المميزين ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ، ٨٧ ــ ٨ .

لبلنسية ذات الجنان النضرة ، والحضارة الخضرة ، والمرفأ الزاخر بالحياة والناس »[1] .

عاثت بساحتك الضبا يا دار
ومحا محاسنك البلى والنار

فاذا تردد في جنابك ناظر
طال اعتبار" فيك واستعبار

ارض تقاذفت الخطوب بأهلها
وتمخضت بخرابها الاقدار

كتبت يد الحدثان في عرصاتها
« لا انتِ انتِ ، ولا الديار ديار »[2]

« عجيب أن يكون ذلك رثاء ابن خفاجة لبلنسية موطنه ، وهو الذي وهب مغاني الاندلس شعره ، ووقف على تصويرها فنه وعب من لذاذته حياته ، وتعلق به ارضا وماء ، وشجرا وسماء »[3] .

---

(1) ملحمة ، ١٥٤ ـ ٥ .
راجع : قيام ، ٣٠٨ .
(2) الابيات من الكامل ، ديوان ابن خفاجه ، ٣٥٤ .
(3) ملحمة ، ١٥٥ .
ليس لابن خفاجه عذر حسب الابيات الاربعة الوحيدة التي وصلت من شعره في ذكر الاحداث التي مرت على بلنسية الا ما يتوقع انه لم يكن قريبا من ميدان الاحداث وقتئذ وان كان الضعف يتطرق الى هذا التبرير . فان الشاعر الذي عاش السنين قريبا من بلنسية في جزيرة شقر أحد أعمالها ولا يمنع انه عاش في بلنسية أوقاتا وتمر عليها مثل تلك الاحداث يؤمل منه أن يسجلها شعرا ينضح عاطفة حزينة متطلعة الى النصر ، الا انه لم يكن لابن خفاجة من هذا شيء . وربما كان لديباجته الوصفية اثرها على ابياته التي ارادها ان تكون معبرة عن حزنه وتأثره لما حل ببلنسية .

واذا لم يصل من شعر ابن خفاجة الا هذه الابيات التي لا تسجل تسجيلا عميقا دقيقـا الاحداث المريرية التـي عانتها بلنسية ، فان مرثية أخرى يتصور الطاهر أحمد مكي انهـا رائعة « لأن صاحبها كان أديبا وشاعرا وعالما ولغويا ، ولأن مناسبتها كانت مثيرة وملهمة ، ضاعت في زحام الاحداث ولم يصلنا عنها شيء في المصادر العربية ، حتى ولا مجرد اشارة . واحتفظت بها اللغة القشتالية نصـا مترجما اليها في اقـدم مدوناتها »(١) .

توصل التحقيق الذي قام به بعض المستشرقين منهم دوزي Dozy الى ان تلك المرثية الضائعة هي لابي الوليد الوقشي هشام بن أحمد (٤٨٩ = ١٠٩٦)(٢) ، الذي شارك في احداث بلنسية .

وعدّ مكي التقدير الذي خص به ابو الوليد الوقشي عند القمبيطور ولم يقع من المسلمين موقع الرضا عاملا من عوامل « ضياع شعره وخبره ذلك اننـا نجد في نهـاية ترجمـة ابن بشكوال لابي الوليد الوقشي ، اشارة غامضة لا تفصح عن شيء ، ولكنها تلقي على سلوك الرجل ظلا غير صاف ، يمكن ان يفسر في ضوء ما نعرفه عن علاقته بالسيد ، يقول : وقد نسبت اليه اشياء ، والله اعـلم بحقيقتها ، وسـائله عنها ، ومجازية بها »(٣) .

---

(١) ملحمة ، ١٥٥

(٢) انظر التحقيق الذي قام به بعض المستشرقين منهم بيدال ودوزي للتحقق من المرثية البلنسية الضائعة وقائلها ، ملحمة ، ١٥٥ وبعدها .
راجع بعض نصوص المرثية كما اجتهد المحققون في ترجمتها : ملحمة ، ١٦٢ وبعدها .

(٣) ملحمة ، ١٧١ .

لا يتوفر من النصوص العربية ما يشير الى قيام علاقة بين ابي الوليد الوقشي والقمبيطور اما عبارة ابن بشكوال فيبدو انها تشير الى ما نسب الى ابي الوليد الوقشي من أخذه بآراء المعتزلة • خاصة وان الاندلسيين لم يروا غير مذهب مالك مذهبا • وهذا ربما كان أحد اسباب ضياع مرثيته ، ورد في معجم البلدان • « ولكنه اتهم برأي المعتزلة وظهر له تأليف في القدر والقرآن وغير ذلك من اقاويلهم وزهد فيه الناس وتركوا الحديث عنه »[1] •

وعندما تُحقِق الامة الانتصارات وتجلو عنها الذل ينبري الشاعر متغنيا بالنصر فابن خفاجة الذي أُخذ عليه انه لم يصور ما حلّ ببلنسية من خراب يبتهج بالنصر بنهاية الاحتلال القشتالي لها بقصيدة من (البسيط) منها :

الآن سحّ غمام النصر فانهملا
وقام صفو عمود الدين فاعتدلا
واقشع الكفر قسراً عن بلنسية
فانجاب عنها حجاب كان منسدلا
وطهر السيف منها بلدة جنبا
لم يجزها غير ماء السيف مغتسلا[2]

---

(١) معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٦ •

(٢) ديوان ابن خفاجة ، ٢٠٨ ـ ٩ ، شعر ابن خفاجة ، ٣٣٦ (شرح وتحقيق كرم البستاني) •

وهذه الابيات بقــدر ما هــي تعبير عن النصر وتخلص بلنسية من العدو تصور ثقل الاحتلال القشتالي وظلامه ، فهي تُكْمِلُ ابياته السابقة في رثاء بلنسية .

ومثلما انشد ابن خفاجة قصيدته ابتهــاجا بالنصر على الاعداء ، فرحا بعودة الحرية الى بلنسية بعودتها الى حظــيرة الاسلام ، فان قصيدة أخرى للوزير ابي عامر بن ارقم (؟) ، مدح فيها الامير عبد الله بن مزدلي ، أحــد امــراء المرابطين وقادتهم،الذي دخل بلنسية معقواته بعد انغادرها القشتاليون سنة ٤٩٥ ، ويرجح ان هذه القصيدة تحدثت عن هذا الحدث ، ومطلعها :

سريت والليل من مسراك في وَهَــل
مبــرأ العــزم من أيــنٍ ومن كســل
وسرت في جحفــل يهـــدي فوارســه
سناك تحت الدجى والعارض الهطل(١)

ان كلتا القصيدتين ، قصيــدة ابن خفاجة وابن ارقــم تشيران الى استخدام القوة في تحرير المدينة من القشتاليين ، فلم يغادروها الا بعد اليأس من امكان البقاء فيها .

كان اعلان مبارك ومظفر العامريان عن قيام امارة في بلنسية من الاحداث السياسية الكبيرة في تاريخ بلنسية . فقد نتج عن هذا الحدث السياسي ـ الذي هو ثمرة من ثمار الاحداث التي

---

(١) خريدة ، ٤ : ٢ : ٣٩٨ .
الباقي من ابيات القصيدة تسعة عشر بيتا : م . ن ، ٤:٢:٣٩٨ـ٤٠٠ .

شهدها الاندلس وقرطبة حاضرته ــ تحولات اجتماعية وادارية وعلمية هامة · وفيما يتعلق بالادب فقد كان عدد من امراء بلنسية من قيام الامارة في مطلع القرن الخامس الى استشهاد العالم ابن جحاف ٤٨٧ من متعاطي العلم والادب · فالامير اما عـالم أو أديب أو شاعر محب للعلماء والادباء وكان يختـار كتّابه ووزراءه من بين كبار الادباء والعلماء · وهذا أمر اعتيادي في بلد ذاع فيـه العلم وتذوق اهـله الادب وغدت للعالم فيه المنزلة العالية وللأديب المكان اللائق ·

وفـد عـدد من الشعراء والادباء على امـراء بلنسية في مناسبات عدة فمدحوهم ، وتبادلوا معهم الشعر والرسائل · فمن شأن السلطان السياسي ان يجذب الادباء والشعراء ، اذا كان من المقدرين للادب المدرك لاهمية دوره في الحياة واحداثها ·

كانت علاقات امارة بلنسية السياسية مع بعض رجـال السياسة في الاندلس قد استدعت تبادل الشعر والرسائل ·

ان كل هذا أدى الى أنواع من الانتـاج الادبي أعطى بعدا خصبا للحركة الادبية في بلنسية بجانب الابعاد الاخرى التي تحدث عنها الادب البلنسي ·

فلأول عهد مبارك ومظفر العامريين مدحهما ابن درّاج القسطلي ابو عمر أحمد بن محمد بن دراج (٣٤٧ ــ ٤٢١ = ٩٥٨ ــ ١٠٣٠)[1] · وكان مدحه اياهما بقصيدتين ، يحتمل

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢ : ١٠٤ ، جذوة ، ١١٠ ــ ٤ رقم ١٨٦ ، الذخيرة ، ١ : ١ : ٤٣ وبعدها ، الصلة ، ١ : ٤٠ رقم ٧٧ ، بغية ، ١٥٨ ــ ٦١ رقم ٣٤٢ ، وفيات الاعيان ، ١ : ١٣٥ ــ ٨ رقم ٨٦ ·

انه أنشدهما ببلاط الاميرين ببلنسية بين ٤٠٤ (١٠١٤) و ٤٠٨ (١٠١٨) ، عندما كان يتردد بين المريــة وبلنسية وشاطبة وطرطوشة ، مادحا امراءها(١) •

يبدو ان ابن دراج لم يجد لدى الاميرين التقدير والمكانة التي كان يرجوها وهو الذي « كان بُصقع الاندلس كالمتنبي بُصقع الشام ، وهو أحــد الفحول ، وكان يجيــد ما ينظم ويقول »(٢) • بل قال عنه ابن حزم ، الذي « كان عالما بنقــد الشعر » ، : « لو قلت انه لم يكن بالاندلس أشعر من ابن دراج لم أُبعد »(٣) • وقال مرة أخرى : « ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن دراج لما تأخر عن شــأو بشار وحبيب والمتنبي »(٤) •

كان عدم احتفال اميري بلنسية بابن دراج من اسباب عدم استقراره بها ، فراح يتنقل بين مدن أخرى ، مادحا امراءها ، بيد انه لم ينل منهم ما كان يطمح اليه ، الى ان القــى عصاه عند امير سرقسطة ، الذي « رحب به وأوسع قراه ، فلم يزل عنده ، وعند ابنه بعده ، مادحا لهما »(٥) •

الذي يبدو أن مباركا ومظفرا لم يكونا من الادباء ، مثلما عرف به معظم امراء الطوائف ، ولم يدركا خطر وجود مثــل

---

(١) انظر : ديوان ابن دراج ، ٢٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ح ١ •

(٢) يتيمة الدهر ، ٢ : ١٠٤ •

(٣) جذوة ، ١١٣ ــ ٤ • (فيما يرويه سماعا عن ابن حزم) •

(٤) نفح ، ٣ : ١٧٨ (عن ابن حزم) •
انظر : جذوة ، ١١٣ ــ ٤ (يروى سماعا عن ابن حزم) •

(٥) الذخيرة ، ١ : ١ : ٤٤ •

ابن دراج في ظل امارتهما الناشئة في الدعوة لها مع انهما استخدما لادارة الامارة كتّابا من الادباء المشهورين • فربما وجدت عوامل أخرى في عدم احتفائهما بابن دراج ، لعل منها انصرافهما الى ارساء دعائم الامارة الجديدة في أيامها الاولى ولم يشعرا بعد بالاستقرار •

عندما كان المرتضى عبد الرحمن بن محمد (٤٠٩ = ١٠١٨) ببلنسية بين ٤٠٧ و ٤٠٨ ، حيث دعي له بالامر ، مدحه ابن دراج ايضا بقصيدة(١) ، اغلب الظن انه القاها على مسمعه في بلنسية • لكن أمر المرتضى سرعان ما انتهى الى الفشل •

يستنتج من هذا العرض ان الشعر في بلنسية مثله في مطلع القرن الخامس عرف شاعراً كبيراً من شعراء الاندلس هو ابن دراج القسطلي ، وكان المدح أول أغراضه •

بيد انه لا يمكن التسليم بأن الحركة الادبية في بلنسية لم تعرف الشعر الا في مطلع القرن الخامس وان المدح أول أغراضه • المتوقع ان بلنسية عرفت شعراء آخرين في القرن الرابع على أقل تقدير نظموا في اغراض من الشعر الا أن أخبارهم لم تصل أو انهم لم يبلغوا شأو فحول شعراء الاندلس فلم يعتن بنقل أخبارهم وشعرهم •

كان أبو بكر بن عبد العزيز واحدا من امراء الاندلس الادباء ، الذين أحبوا الادب وأهله ، فأجزلوا العطاء للشعراء

---

(١) ديوان ابن دراج ، ٨١ ــ ٦ ، ٨٢ ح
انظر : الذخيرة ، ١ : ١ : ٦٤ ــ ٥ •

ورحبوا بهم وعقدوا معهم مجالس الادب المشهورة . ولم يقتصر ـ على ما يبدو ـ التكريم والعطاء على الشعراء .

ومن الشعراء الذين مدحوا ابا بكر بن عبد العزيز أبو الفضل جعفر بن شرف (٤٤٠ ـ ٥٣٤=١٠٤٨ ـ ١١٣٩)(١)، وابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن وزمر الصنهاجي الحجاري (٤٤٩ ـ ٥٤٩ = ١١٠٦ ـ ١١٥٥) صاحب كتاب « الحديقة في البديع » وهو عم صاحب المسهب(٢) .

من الامثلة البارزة على احتفاء ابي بكر بن عبد العزيز بالشعراء حبا لهم ، استقباله ابن زيدون ابا الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي (٤٦٣ = ٩٧٣)(٣) ، الذي أقام مدة غير معلومة ببلنسية ، قريبا من ابن عبد العزيز الذي اسبغ عليه من الكرم والتقدير ما يليق بابن زيدون الشاعر الوزير الذي ذاعت شهرته في الآفاق . يقول ابن خاقان (٥٢٨=١١٣٣) متحدثا عن ابن زيدون : « حتى احلّته بلنسية ... وبنو عبد العزيز غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الندى ، ويومضون في كل منتدى . فحل منهم محل الحميّا في الكؤوس ، ووقع منهم موقع البشائر في النفوس . واقام بين مبرة تواصله ، ومسرة تغازله »(٤) .

---

(١) خريدة ، ٤ : ٢ : ٢٣ ، ٣٨ ح ، ٣٩ .

(٢) المغرب ، ٢ : ٣٤ رقم ٣٥٣ .

(٣) جذوة ، ١٣٠ ـ ١ رقم ٢٢٤ ، الذخيرة ١ : ١ : ٢٨٩ وبعدها ، المغرب ١ : ٦٣ ـ ٩ ، ابن زيدون ، علي عبد العظيم ، ٩٥ وبعدها ، ديوان ابن زيدون ورسائله ، علي عبد العظيم ، ٢١ وبعدها ، ابن زيدون ، شوقي ضيف ، ١٥ وبعدها .

(٤) قلائد ، ٨٣ .

لم ينس ابن زيدون وهو في بلنسية ـ بلد الجمال ـ ولادة[1] التي اذاع حبه لها شهرته ولم يشغله نوال ابن عبد العزيز عنها فقال ابياتا متشوقا اليها[2] .

عندما غادر ابن زيدون بلنسية كتب الى ابن عبد العزيز قصيدة وصف فيها جمال بلنسية وطيبة العيش فيها ، مثنيا على ابن عبد العزيز منها قوله : (كامل مجزوء) :

صحَّت فصحَّ بها القسيم	ريح معطرة النسيم
مقبولة هبَّت قبو	لاً فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسكٍ أم بلنس	ية لريَّاها نميم ؟!
بلد حبيب افْقه	لفتىً يحل به كريم[3]

من الشعراء الذين انتجعوا ـ على ما يبدو ـ المنصور صاحب بلنسية ، الحُصري ابو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القروي (٤٨٨ = ١٠٩٥)[4] ، « شاعر اديب رخيم الشعر ، حديد الهجو ، دخل الاندلس ، وانتجع ملوكها ،

---

(١) ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الناصري (٤٨٤ = ١٠٩١) ، الاديبة الشاعرة التي كلف بحبها ابن زيدون : الذخيرة ، ١ : ١ : ٣٧٦ ـ ٩ ، الصلة ، ٢ : ٦٩٦ ، قلائد ، ٨٢ ، نفح ، ٤ : ٢٠٥ وبعدها .

(٢) قلائد ، ٨٤ .

(٣) انظر : الذخيرة ، ١ : ١ : ٣١٨ ، قلائد ، ٨٣ ، المغرب ، ١ : ٦٥ ، ديوان ابن زيدون ورسائله ، ٢٠١ . انظر بقية الابيات : الذخيرة ، ١ : ١ : ٣١٨ ، قلائد ، ٨٣ ـ ٤ : المغرب ، ١ : ٦٥ ـ ٦ ، نفح ، ٣ : ٢٧١ ـ ٢ ، ديوان ابن زيدون ، ٢٠١ ـ ٤ .

(٤) جذوة ، ٣١٣ رقم ٧١٦ ، الصلة ، ٢ : ٤٣٢ رقم ٩٢٦ ، المطرب ، ١٣ .

وشعره كثير ، وادبه موفور »[1] ، له « رجـز » الى المنصور صاحب بلنسية[2] .

تبادل امراء بلنسية الشعر ـ في مناسبات عدة ـ مع رجال السياسة في الاندلس ، الذين كان جلّهم من الادباء . فمثلا ان العون الذي قدمه وزير بلنسية واميرها ابو بكر بن عبد العزيز لابن طاهر ـ أمير مرسية المخلوع ـ بمساعدته عـلى الانتقال من معتقله بمرسية الى بلنسية ، هذا العون اثار غضب ابن عمار . فنظم القصيد هاجيا ابا بكر ، محرضا أهل بلنسية عليه ، حاثهم على الاطاحة به[3] .

يتوفر شعر ليس بالقليل لابن شهيد ابي عامر أحمد بن عبـد الملك (٣٨٢ ـ ٤٢٦ = ٩٩٢ ـ ١٠٣٤)[4] ، الوزير الكاتب ، من مشاهير الادباء ، رفعه الى المؤتمن (المنصور) عبد العزيز امير بلنسية ، ضمنه مقطوعات نثرية فنية طويلة في الغالب[5] .

ان جمال بيئة بلنسية والاندلس عامة ورقة العيش من عوامل ازدهار شعر الوصف . فراح الشاعر يصف الازهار والانهار والاطيار وكل الجمال المنبث في الكون من حوله ، مستشعرا معه الصلة القويـة . فنقل الشاعر صورا نديـة

---

(١) جذوة ، ٣١٤ .

(٢) انظر : الصلة ، ٢ : ٤٣٣ ح .

(٣) انظر : قلائد ، ٦٩ . راجع : الحلة ، ٢ : ١٥٥ .

(٤) جذوة ، ١٣١ ـ ٦ رقم ٢٩٩ ، بغية ١٩١ ـ ٤ رقم ٤٤٠ ، الذخيرة ، ١ : ١ : ١٦١ وبعدها ، المغرب ، ١ : ٧٨ ـ ٨٥ .

(٥) راجع : الذخيرة ، ١ : ١ : ١٦٧ ـ ٧٧ ، المغرب ، ١ : ٧٨ ـ ٩ .

من هذا الجمال الى الناس قريضا . ومما يضاف الى وصف مظاهر الكون وصف المباني والقصور الجميلة « الى غير ذلك من مظاهر حضارية كانت تسحر الابصار بروعتها وحسن اتقانها وتنوع طرائقها »[١] .

ينسب الى الحصري القروي بيتان من الشعر في وصف جمال بلنسية :

كأن بلنسية كاعب ملبسها السندس الاخضر
اذا جئتها سترت نفسها بأكمامها فهي لا تظهر[٢]

ومن شعراء الوصف البلنسيين بل الاندلسيين ابن خفاجة ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفتح (٥٣٣) « شاعر الاندلس في وصف الازهار والانهار »[٣] وصف مجلساً آدبياً ببلنسية جمعه مع اصدقاء له ، في مكان جميل[٤] . وقد عكس ابن خفاجة جمال بلنسية والاندلس وطيبة العيش فيها بابياته المشهورة التي مطلعها :

يا اهل اندلسٍ لله دركم ماء وظل وانهار واشجار[٥]

---

(١) تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ١١٢ . انظر : م . ن ، ١٠٦ ، في الادب الاندلسي ، جودت الركابي ، ١٢٠ ، ١٢٤ وبعدها ، قضايا اندلسية ، بدير متولي حميد ، ١٣٦ وبعدها .

(٢) انظر : الصلة ، ٢ : ٤٣٣ ح .
نسب ارسلان البيتين المذكورين الى غير الحصري القيرواني ، الحلل ، ٣ : ٤٦ .

(٣) رايات المبرزين ، ٨٧ .
انظر : المغرب ، ١ : ٣٦٧ ، تاريخ الفكر ، ١٢٣ ـ ٤ .

(٤) ديوان ابن خفاجة ، ٨٠.

(٥) شعر ابن خفاجة ، ٨٦ .

ارتاد شعراء وادباء من بلنسية متنزهاتها التي كانت مفتوحة لكل الناس يجدون فيها الراحة والنزهة • ومن هذه المتنزهات متنزه « باب الحنش » ، الذي وجد فيه نوع من النشاط الادبي • ففي خبر ان المتنبي الجزيري ابا طالب عبد الجبار كان مرة في هذا المتنزه ووافقه الاديب ابن طاهر[1]، الذي كان يخرج مع الوزير ابي بكر بن عبد العزيز امير بلنسية الى روضته ، للنزهة[2] ، ومن المتوقع انه كان يصحبهما آخرون من رجال الدولة والادب فيعقدون المجالس الادبية وسط تلك الروضة التي وصفها ابن طاهر بالجمال[3] فيتعاطون المنظوم والمنثور في الوصف وغيره •

ظهر شعر الوصف في أكثر اغراض الشعر في المدح وغيره[4] • فابن زيدون الذي مدح ابا بكر بن عبد العزيز ـ بالابيات السابقة الذكر ـ ذكر الريح المعطرة والنسيم الذي يعبق بالشميم والافق البلنسي الحبيب[5] • فجمال البيئة أخذ من الشاعر الاندلسي الكثير من شعره • وهذا المتنبي الجزيري ـ المار الذكر ـ يصف « مجاري الماء في سواقي اجنة بلنسية » ولا ينسى ان يتغزل • وهكذا يظهر الغزل في الوصف اذا لم يكن تقليدا شعريا :

---

(١) انظر : قلائد ، ٧٢ ، ٧٣ ، نفح ، ١ : ٦٧١ •

(٢) نفح ، ١ : ٦٧٠ •

(٣) انظر : نفح ، ١ : ٦٧٠ •

(٤) انظر : في الادب الاندلسي ، ١٢٠ •

(٥) انظر : قلائد ، ٨٣ ـ ٤ •

خرجنا للنزاهــة في البقيع فنلنا الوصل من رشــأ بديع
وهب لنا النسيم بكل طيب كــأنا منـــه في زمن الربيـــع
على نهـــر كــأن المــاء فيـــه بقـــايا فوق خد من دموع[1]

كان المتنبي الجزيري كما وصفه ابن بسام « ابرع أهل وقته ادبا، واعجبهم مذهبا وأكثرهم تفننا في العلوم، وأوسعهم ذرعا بالإجادة في المنثور والمنظوم ... فلم يطرأ على الدول، ولا تجاوز في شعره ملح الاوصاف والغزل »[2] .

وصف الشاعر البلنسي مظاهر مختلفة مما حوله فالبرياني أبو عامر محمد بن أحمـــد بن عثمان (٥٣٣ = ١١٣٨)[3] من أهل بلنسية « من جلّة الادباء ومشاهير الشعراء »[4] . « كان من طبقة ابن خفاجة في الاندلس »[5] و « من اترابه وأصحابه »[6] ، له شعر أنشده في الصنم الذي بشاطبه تلمس فيه الوصف والحكمة[7] .

بجانب رثاء بلنسية والشعر السياسي والمدح والوصف كان الغزل بمعناه الواسع الشامل العام أحد أغراض الشعر

(١) الذخيرة ، ١ : ٢ : ٤٠٢ ، مسالك الابصار (مخ) ، ١١ : ٤١٥ ــ ٦ .
(٢) الذخيرة ، ١ : ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢ .
(٣) التكملة ، ١ : ٤٣٦ رقم ١٢٤٨ ، الوافي ، ٢ : ٩٤ رقم ٤١٤ .
(٤) التكملة ، ١ : ٤٣٦ .
(٥) الوافي ، ٢ : ٩٤ .
(٦) التكملة ، ١ : ٤٣٦ .
(٧) م . ن ، ١ : ٤٣٦ ، نفح ، ٤ : ١١٦ .

الذائعة على ألسنة الشعراء • واذا كان الوصف له المكان الاول بين اغراض الشعر الاندلسي ، « فالغزل كان ينساب على شفاه الشعراء ويدعو اليه كل مافي الاندلس من طبيعة جميلة وحياة حضرية ناعمة »(١) • وضمت القصائد الغزلية بشكل عام وصف الجمال الطبيعي •

كان لبلنسية عدد من الشعراء الذين انشدوا في الغزل منهم ابن الدقاق البلنسي المار الذكر(٢) والمتنبي الجزيري(٣) •

من شعراء الغزل البلنسيين ابو جعفر أحمد بن الدَّودين البلنسي (؟)(٤) قال ابن بسام : « هو أحد من لقيته وشافهته ، واملى عليَّ نظمه ونثره بالاشبونة سنة سبع وسبعين (واربعمائة) ومما انشدني في الغزل قوله »(٥) • ولم تورد المصادر المتوفرة قصيدة له قالها في بلنسية • الحقيقة ان القصيدة ، وخاصة الغزلية ، لا ترتبط بمكان ومناسبة قدر ارتباطها بالشاعر • وأكد العمري (٥٢٠ = ١١٢٦) ان ابن الدودين من بلنسية حيث قال : « شاعر له صنايع لا تكفر ، وبدائع عليها المسامع تتوفر ، اضاءت به بلنسية ، فكان محل زمانها عشاياها وعلت الى ان اثنت على نمارق

---

(١) في الادب الاندلسي ، ١٢١ • راجع عن شعر الحب في الاندلس : قضايا اندلسية ، ٢٢٥ وبعدها •

(٢) ثمرات الاوراق ، ٧٢ ، نفح ، ٣ : ٢٨٩ •

(٣) قلائد ، ٧٣ ، نفح ، ١ : ٦٧١ •

(٤) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٣٨٧ ، مسالك الابصار (مخ) ، ٢ : ٤٤٩ ـ ٥٠٠ ، المغرب ، ٢ : ٣٢٢ ـ ٣ ، نفح ، ٤ : ١٥٧ •

(٥) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٣٨٧ •
راجع : المغرب ، ٢ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ •

النجوم حشاياها »[1] ! وسيرد ذكر ابن الدودين في الرد على أبي عامر بن غرسيه .

ممن ورد لهم شعر في الغزل ابن القبّري ابو شاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب التّجيبي (٣٧٧ ـ ٤٥٦=٩٨٧ ـ ١٠٦٣) الاديب الخطيب الشاعر ، تولى الخطبة ببلنسية ، فله:

يا روضتي ورياض الناس مجدبة
وكوكبي وظلام الليل قد ركدا
ان كان صرف الليالي عنك ابعدني
فان شوقي وحزني عنك ما بعدا[2]

وله ايضا :

ومنعّم وسنان يجنى لحظه
قتل المحب وتارة يحييه
جار الصّدا يوما عليه فجاءني
يشكو اليّ به لكي اشكيه
فسقيته ماء ولو روحي غدت
ماء لكنت جميعه اسقيه
عجباً له يشقي بريقته الصدا
ويصيبه ظمأ فلا يرويه

(١) مسالك الابصار ، (مخ) ، ١١ : ٤٤٩ .
(٢) جذوة ، ٢٩٠ ـ ١ رقم ٦٥٥ ، الصلة ، ٢ : ٣٨٤ ، العبر ، الذهبي ، ٣ : ٢٣٨ .

لا غرو هذا المسك طبيب للورى

والضبي ليس يلذ طيبا فيه

والخمر لا ترى بها ثمراتها

واذا استغاث بها صدٍ تشفيه

والسّم يقتل شاربيه وانه

لحياة من يجنونه من فيه(١)

أورد الحميدي الابيات المذكورة لابن القبري رواية عن أبي محمد بن حزم ٠ ربما يشير هذا الى تذوق بعض الاندلسيين لهذه الابيات ولبيتيه السابقين فراح منهم من ينشدها على سامعيه ٠

ولابن خلّصة النحوي الكفيف ابي عبد الله محمد (٥٢١ = ١١٢٧) شعر في الغزل(٢) ٠ وهو ممن ورد له نشاط علمي ببلنسية لا يعرف وقته ٠ وكان ابن خلصة « شاعرا ، مجودا ، متقدما في علوم اللسان ، وشعره مدون »(٣) ٠

من شعراء بلنسية وعلمائها ابو جعفر أحمد بن عبد الولي البتي (٤٨٨ = ١٠٩٥) الذي أحرقه القمبيطور حين تغلب الروم على بلنسية(٣) « كان : كاتبا ، شاعرا ، بليغا مطبوعا كثير التصرف مليح التظرف ، قائما على الآداب ٠٠٠ ،

---

(١) جذوة ، ٢٩١ ٠

(٢) جذوة ، ٥٤ ـ ٥ رقم ٤٩ ٠

(٣) التكملة ، ١ : ٣٩٥ ٠

(٤) م ٠ ن ، ١ : ٢٤ رقم ٥٦ ٠

والاشعار الجاهلية والاسلامية »[1] . أورد له ابن الابار بيتين من الشعر [2] .

وللحصري علي بن عبد الغني القروي (٤٨٨) قصيدة طويلة ـ على ما يبدو ـ الى ابي العباس النحوي البلنسي (؟) روى خبرها الحميدي منها :

قامت لاسقامي مقام طبيبها
ذكرى بلنسية وذكر أديبها

حدثتني فشفيت مني لوعة
امسيت محترق الحشا بلهيبها

اهوى بلنسية وما سبب الهوى
الا ابو العباس أنس غريبها

هبَّ النسيم وما النسيم بطيب
حتى يشاب بطيبه وبطيبها[3]

طرق الشاعر البلنسي معظم اغراض الشعر فقدم صورا متنوعة عن الحياة وقتئذ في معظم ابعادها الذاتية والعامة . هذا احد وزراء بلنسية الشعراء ابو عبد الله بن عبد العزيز تنسب اليه ابيات رفعها الى الامير المنصور عبد العزيز صاحب بلنسية ، وهي تنضح بالعتاب على الامير سماعه كلام الوشاة ،

---

(١) م . ن ، ١ : ٢٤ .

(٢) م . ن ، ١ : ٢٤ .

(٣) جذوة ، ٣١٤ .

وسوء الظن به . وهو اذ يعاتبه . لا ينسى لأميره مكانته وحقه عليه وحسن شمائله . الا ان الغيرة والحسد من بعضهم أوغرت صدر الامير الرحب . وفي هذا تصوير لخلجات نفسية تعاني احداثا تقلقها ، اسمعه يقول :

يا احسن النـاس آدابـا واخـلاقـا
واكـرم النـاس اغصـانا واوراقـا

ويا صبا الارض لم نكّبْتَ عن سنني
وسـقت نحـوى إرعـادا وإبراقـا

ويا سنا الشمس لـم أظلمت في بصري
وقـد وسـعت بـلاد الله اشراقـا

قـد كنت أحسبني في حسن رأيـك لي
أنّـي اخـذت عـلى الايام ميثـاقا

فالآن لـم يبـق لي بعـد انحرافـك ما
آس عليـه وأُبـدي منـه اشفاقـا

فأجابه الامير المنصور عبد العزيز الشاعر :

ما زلت اوليـك إخلاصـا وإشـفاقا
وانثني عنك مهما غبت مشـتاقا

وكـان من املـي ان اقتنيـك اخـا
فأخفق الامـل المـأمول إخفـاقا

فقلت غرس من الاخـوان أكلؤه
حتـى أرى منـه إثمـارا وإيراقـا

فكـــان لمـــا زهت أزهـــاره ودنت
اثمارها حنظـــلا مرا لمـــن ذاقـــا

فلســـت أول إخـــوان ســـقيتهم
صـــفوى واعلقتهم بالقلب اعلاقا

فمـــا جزوني باحساني ولا عرفـــوا
قدري ولا حفظوا عهـــدا وميثاقا[1]

ولم يتيسر من المصادر التاريخية ما يشير الى وقوع مثـــل هذا الجفاء بين الامير والوزير المذكورين ٠

صوّر الشـــاعر البلنسي « المشهور » ابو عبـــد الصمـــد ابراهيم بن عبد الصمد البلنسي (؟) سلوك بعض الافـــراد الذين كان يجالسهم[2] ٠ وقد ادركه الحميدي في الاندلس ولم يلقه[3] ٠فواضح انشهرة ابي عبد الصمد كانتقبل ٤٤٨ وهو العام الذي غادر فيه الحميدي الاندلس ٠

لم يجار عدد من الشعراء طيب الحياة وترفها فينحرف عن التصور الاسلامي ، فكان مـــن العلمـــاء والادباء الزهـــاد الذين رضـــوا بالقليل من المتاع وهـــم على الكثير قـــادرين وانصرفوا الى العلم[4] ٠ لا يتوفر من الشعر البلنسي ما يوضح

---

(١) نفح ، ٣ : ٥٤١ ٠
راجع : الحلة ، ٢ : ١٣٠ ٠
(٢) انظر : جذوة ، ١٥٦ رقم ٢٨٤ ، بغية ، ٢٢٢ رقم ٥١٣ ٠
(٣) جذوة ، ١٥٦ ٠
(٤) راجع عن شعر الزهد في الاندلس : تاريخ الادب الاندلسي ، ١١٦ ٠

هذا الجانب من الحياة الا بيتا واحدا قاله ابن الاخ ابو عمر أحمد بن محمد (٤٦٤ = ١٠٧١) من أهل بلنسية من قُطَيْعَة كتبها الى أبي داود المقرىء العالم البلنسي المشهور :

أبا داود قد أزّف الاياب ... الى من ليس يستر عنه باب

وصف ابن الأخ بأن « له حظ من قرض الشعر » وكان صاحبا لابي داود المقري[1] .

وصف عدد من العلماء والادباء الذين لهم نشاط ببلنسية، بالشاعرية والعناية بقرض الشعر بتفاوت بينهم . الا ان شعرهم لم يرد ذكره ، بل وردت عبارات التقويم لشاعريتهم . منهم : أبو القاسم خلف بن أحمد بن داود الصدفي (٤٨٦ = ١٠٩٣) من أهل بلنسية كان « اديبا شاعرا »[2] .

وابن المعلم أبو بكر حمدون بن محمد (بعد ٤٩٠) من أهل بلنسية « من أهل العلم والادب ، يضرب في قرض الشعر بسهم »[3] .

والبونتي أبو محمد عبد الله بن الفضل بن عمر اللخمي (بعد ٤٩٠) كان « اديبا جليلا ، ذا حظ من اللغة والنحو والشعر »[4] .

---

(١) التكملة ، ١ : ٢١ . راجع : الذيل ، ١ : ٢ : ٥٣٤ رقم ٨٠٥ .

(٢) التكملة ، ١ : ٢٩٨ .

(٣) التكملة ، ١ : ٢٨٦ .

(٤) م . ن ، ٢ : ٨٠٧ رقم ١٩٧٠ .

ب ـ العروض :

يتصل بالشعر علم العروض • عرفت بلنسية عددا من العروضيين منهم : اشراق السوداء العروضية (نحو ٤٥٠) مولاة ابي المطرف عبد الله بن غلبون « سكنت بلنسية ، وأخذت النحو عن مولاها ، لكن فاقته في ذلك ، وبرعت في العروض »(١)

لم تقف اشراق عند التزود من العلم والبراعة في العروض فحسب ، بل تصدرت للتدريس « فقرأ عليها ابو داود بن نجاح »(٢) •

هذا مثل ـ مع غيره ـ يشير الى ان المجتمع البلنسي والاندلسي عامة اتاح الفرصة كاملة للمرأة والرجل كي يتعلموا • فبرع نساء في الادب والشعر ـ وغيرهما ـ ، تجاوزن حد طلب العلم ، الى المشاركة في نشره بين الناس •

كان الاخفش ابو القاسم خلف بن عمر (بعد ٤٦٠) من ذوي المعرفة بالعروض(٣) •

ان علوم اللغة وفنونها متصلة ، فقد يكون الشاعر نحويا وهو عروضي وصاحب رسائل ادبية • فهذه الفنون يكمل بعضها الآخر • بل وجد من علماء اللغة من كان عالما في علم أو أكثر من العلوم الشرعية • ولهذا يجد القارىء ـ كما ذكر ـ اسماء بعض العلماء في أكثر من موضع من البحث •

---

(١) بغية الوعاة ، ١ : ٤٥٨ رقم ٩٣٩ •

(٢) م • ن ، ١ : ٤٥٨ •

(٣) التكملة ، ١ : ٢٩٧ •

جـ ـ الخطابة :

الخطابة من فنون الادب التي اهتم بها الادباء والعلماء وهي مهمة للمجتمع • فصلاة الجمعة وما تتطلبه من خطبة كانت منبرا تتبارى عليه القابليات الثقافية وحسن الاداء الخطابي • وكان الامراء يعدون ليكونوا مفوهين ، فهم غالبا ملزمين بالكلام بين الناس في العديد من المناسبات • وللكلام البليغ الوجيز اثر في النفوس تصغى اليه وتستجيب له •

الخطابة كأسلوب أدبي تعبّر بوضوح عما يريده الشخص، ذات أهمية لعموم المشتغلين بالحركة العلمية • فالتدريس والتناظر بحاجة الى قدرة خطابية ، مؤهلا يعين على ايصال افكار العالم الى سامعيه • وغير بعيد ان يكون الكثرة من العلماء والذين مارسوا التدريس من أهل المقدرة الخطابية • وان الاشارة الى أحدهم بالتمايز والتفوق فيها يشير الى علو القابلية وطول الباع والتمكن وحسن التصرف فيها ، والا فان القاء خطبة في المناسبات أو حين تدعو حاجة ما كان يعجز عنه الكثرة •

ان الثقافة الاسلامية التي كان المجتمع يتأهل لها تعطي العوامل الكافية لنمو وتوفير هذه القدرات • فالقرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المعين والزاد اللازم • كان كل واحد يجد السقيا منهما ويتجه لاخذ قسطه من الغذاء السليم مبكرا •

عرفت بلنسية عددا من الخطباء المشاهير منهم عبد الله البلنسي (٢٠٨ = ٨٢٣) بن عبد الرحمن الداخل « كان

خطيبا مصقعا »(١) ، نقل ابن الابار شـذورا من خطبـة له ارتجلها في مكان بغير بلنسية عندما كان يعمـل للوصول الى امارة الاندلس فهي احدى الخطب السياسية(١) • وفي بلنسية مسجد باسم عبد الله البلنسي ربما كان يلقي فيه بعض خطب الجمعة(٢) •

كان بعض امراء بلنسية في احيان يقصدون المسجد الجامع لاداء صلاة الجمعة مثلما فعل مبارك ومظفر العامريان(٣) ، فربما تولى أحدهم خطبة الجمعة •

من أشهر خطباء بلنسية ـ على ما يبدو ـ ابن الحذّاء التميمي الاندلسي (٤١٠ = ١٠١٩) ، الذي تولى قضـاء بلنسية ، كان « خطيبا بليغا ، عارفـا بفنون الادب بارعـا بها »(٤) • فالتمكن من فنون الادب عامل غاية في الاهمية لتنمية المقدرة الخطابية • وأن المستوى الثقافي للمجتمع هو الذي يكفل ان يكون الخطيب على مستوى معين من الثقافة والكياسة، ويدفعه الى التزود من العلم ليكون قادرا على ايصال ما يريد من أفكار الى الناس وباقصر طريق •

مرَّ فن الخطابة كفنون الادب والعلم بمراحل من النمو • فربما كانت الخطب ترتجل ثم اضحت تكتب وهو أمر ليس

---

(١) الحلة ، ٢ : ٣٦٤ •

(٢) انظر : الصلة ، ١ : ٣١٨ ، المقتبس (القاهرة) ، ٢١١ ، ٣٢٠ ، التكملة ٢ : ٥٢٧ •

(٣) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٨ •

(٤) معجم الادباء ، ١٩ : ١٠٨ •

عاما بل يتعلق بشخص الخطيب ووضع المجتمع الثقافي • ويبدو ان عدد الخطباء المشهورين كان يتزايد ، خاصة والمساجد في الاندلس كانت كثيرة • ومما يشير الى هذا ان ابن الحذاء المذكور « كان من تصانيفه كتاب الخطب والخطباء في مجلدين »(١) • وهو خبر غاية في الاهمية لان صاحبه متوفى في مطلع القرن الخامس •

كانت بعض الكتب تعتبر مهمة للطالب الذي يريد ان يتزود من الادب ، منها « الكامل للمبرد ، والنوادر للثعالبي ، وشرحهما » فمثلا ان اشراق العروضية حفظت الكتب المذكورة(٢) • وهي اشارة مهمة في التدليل على قوة الحافظة ، وولوع في الادب واخباره • كما ان الكتب المذكورة كانت – على ما يبدو – ذات شهرة بين الناس في الاندلس •

و « كتاب الامثال » لابي عبيد من مواد دراسة الادب كان « يُقرأ » على ابن ر'لا ن ابي عبد الله محمد بن حسين ببلنسية سنة ٤٦٠(٣) •

ان محتويات هذه الكتب ذات دلالة على نوع الثقافة الادبية التي تزود منها طلاب الادب في بلنسية • وهي كتب مشرقية

---

(١) م • ن ، ١٩ : ١٠٨ •

(٢) بغية الوعاة ، ١ : ٤٥٨ •

(٣) التكملة ، ١ : ٣٩٤ •
انظر من طرق رواية كتاب « الامثال » لأبي عبيد في الاندلس : فهرسة ابن خير ، ٢٣٩ – ٤٠ •
لابي عبيد البكري الاندلسي (٤٧٨ = ١٠٨٥) الجغرافي « كتاب فصل المقال في شرح كتاب الامثال لابي عبيد » فهرسة ابن خير ، ٣٤٤ •
حقق « كتاب فصل المقال » المذكور احسان عباس وعبد المجيد عابدين (بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م) •

مما يدل على أثر الصلات الادبية بين بلنسية والعالم الاسلامي ·

د ـ الرسـائل :

الجانب الثاني من الادب وفنونه ـ بشكل عام ـ النثر · وابوابه واسعة تتمثل في كل ما كتبـه البلنسيون في العـلوم المختلفة · وباب النثر أوسع من الشعر في التعبير بوضوح عن الموضوعات المتنوعة · وسيقتصر ـ في هذا الموضع ـ على ذكر ميدان من ميادين النثر هو النثر الفني ، متمثـلا بالرسائل الادبية ذات الموضوعات المتعددة ·

ان الرسائل تقدم للمختصين بالادب مادة طيبة تعين على دراسة تطور النثر الفني وصناعة الانشاء في بلنسية ومن ثم تساعد على كشف المستوى اللغوي والثقافي للكاتب والحركة الادبية ·

وهذا عرض موجز عن أنواع الرسائل عرفتها الحركة العلمية في بلنسية ·

١ ـ الرسائل السلطانية (السياسية) :

تطلب قيام الامارة في بلنسية تبادل الرسائل بين امرائها ورجال السياسة · والملاحظ ان امراء الاندلس ـ في الغالب ـ كانوا ادباء ، اعتمدوا في تسيير الامور على ادباء مشهورين · فأمر متوقع ان ينمو فن الرسائل السلطانية لتعـدد مراكز السلطة في الاندلس وان تنتعش صناعة الانشاء ·

تبادل المنصور (المؤتمن) عبد العزيز بن ابي عامر امير بلنسية الرسائل مع عدد من الامراء في مناسبات معينة منها

انه بعث رسالة الى ابن طاهر امير مرسية ، مستفسرا عن حال مرسية بعد ان اجتاحها السيل ، فأجابه ابن طاهر برسالة حول الموضوع(١) ٠

اذا كان لدى المنصور من الوزراء والكتاب ما يمكن ان يكتبوا عنه مثل تلك الرسالة ـ كما سيتبين فيما بعد ـ فان ابن طاهر « من أهل العلم والادب البارع، يتقدم رؤساء عصره في البيان والبلاغة، ويماثل الصاحب اسماعيل بن عباد وامثاله في الكَتْبِ عن نفسه ، ورسائله مدونة ، ولابن بسام فيها تأليف سماه بسلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر »(٢) ، الذي انتقل الى بلنسية ، فاثرى النثر الفني فيها ٠

كتب ـ مرة ـ مجاهد العامري صاحب دانيـة والجزائر الشرقية « اديب ملوك ذلك الزمان »(٣) الى المنصور « رقعـة لم يضمنها غير بيت الحطيئة يقول :

دع المـكارم لا ترحـل لبغيتهـا
واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فلما وردت القطعة على المنصور أقامته وأقعدته »(٣) ٠

---

(١) انظر : قلائد ، ٧٠ ـ ١ ٠

(٢) الحلة ، ٢ : ١١٦ ٠ انظر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٥١ ، Recherches , II, XVIII .
راجع عن ابن طاهر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١١ وبعدها ، قلائد ، ٦٤ وبعدها ، خريدة ، ٤ : ٢ : ٣١٤ وبعدها ، الحلة ، ٢ : ١١٦ وبعدها ، المغرب ، ٢ : ٢٤٧ ، الذيل ، ٥ : ٢ : ٥٩٠ ـ ٣ ٠

(٣) الذخيرة ، (مخ) ، ٣ : ١٢١ ـ ٢ ٠

فاستحضر وزيره ابا عامر بن التاكرني فاشار اليه ان يعنون ويسجل واملى عليه ــ خاصة ــ بيتا مقذعا[1] ٠

يبدو ــ من هذه الرسالة ــ ان الرسائل السلطانية كانت تبدأ بذكر عنوان المرسل اليه ثم البسملة ، وتتضمن الشعر[2] ٠

٢ ــ الرسائل الاخوانية :

وهي في موضوعات شتى سياسية كانت أو اجتماعية ٠

أورد ابن بسام (٥٤٢) رسائل طويلة لابن شهيد الى المؤتمن المنصور عبد العزيز امير بلنسية وكان يضمنها الشعر كما ورد في هذا البحث[3] ٠

كان انتقال ابن طاهر الى بلنسية ذا أهمية للحركة الادبية في مجالها النثري ، فقد كان صاحب رسائل كما سبق ذكره ٠ وكانت ظروف انتقاله الى بلنسية مادة لرسائل جديدة ٠ فقد بعث رسالتين الى ابي بكر بن عبد العزيز ، الذي ساعده وآواه ببلنسية : الاولى رفعها اليه من جزيرة شقر ، وهو في طريقه الى بلنسية ، والثانية من بلنسية ، لاول سكناه فيها ، شاكرا لابي بكر جميل صنعه ووافر كرمه ، وهو الذي سأعده

---

(١) م ٠ ن ، ٣ : ١٢٢ ٠
راجع عن أبي عامر بن التاكرني الوزير الكاتب : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٨ ، ٢٠ وبعدها ٠

(٢) راجع رسالة أخرى لابن التاكرني عن المنصور الى المنذر : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ١٢٢ ٠

(٣) انظر : الذخيرة ، ١ : ١ : ١٦٣ ــ ٧٧ ٠

للخلاص من معتقله ، وخرج لاستقباله ، وانزله منزلا كريما[1] .

ودعي ابن طاهر مرة الى حفلة زفاف ابنة ابي بكر بن عبد العزيز الى المستعين بالله أحمد بن يوسف بن المقتدر حاكم سرقسطة سنة ٤٧٧ ، لكن ابن طاهر اعتذر عن حضورها برسالة[2] .

وسجل الاديب البلنسي جوانب من الاحداث التي عاشتها بلنسية في ظل الاحتلال القشتالي . فابن بسام احتفظ برسائل كتبها ابن طاهر تدور حول تلك الاحداث . ذات أهمية تاريخية في محاولة الكشف عن حقيقة الاحداث التي جرت في بلنسية بجانب أهميتها الادبية من الناحية الفنية .

فمن رسائل ابن طاهر رسالة بعثها الى ابن عم القاضي أبي أحمد بن جحاف المحرق (٤٨٨) ، يقول ابن بسام : « وله من رقعة الى ابن جحّاف أيام ثورة ابن عمه ببلنسية »[3] .

وله رسالة أخرى قدم لها ابن بسام بقوله : « ومد لأبي عبد الرحمن بن طاهر هذا في البقاء حتى تجاوز مصارع جماعة الرؤساء وشهد محنة المسلمين ببلنسية على يدي الطاغية

---

(1) انظر : قلائد ، ٦٨ ، ٦٩ ، خريدة ، ٤ : ٢ : ٣١٩ ـ ٢٠ .

(2) انظر : خريدة ، ٤ : ٢ : ٣٢٧ .

(3) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٤ ، Recherches, II, IV—V
انظر : قلائد ، ٧٨ ـ ٩ .

الكمبيطور قصمه الله وجعل بذلك الثغر ، في قبضة الاسر سنة ٤٨٨ • ومنها كتب رقعة الى بعض اخوانه يقول فيها[١] :

اذا كانت رسالة ابن طاهر الاولى الى ابن عم القاضي أبي أحمد بن جحاف رسالة عتاب ، وتصوير لسوء نظر القاضي ابن جحاف الى ابن طاهر ، وتعريض به بوضوح ، فان اقدام الكمبيطور على تحريق ابن جحاف استثار ابن طاهر ، فبعث الى ابن جحاف « يعزيه بابن عمه أحمد » ويواسيه ذاكرا فضائله وكأنه نسي رسالته الاولى[٢] •

ولابن طاهر رسالة أخرى عندما فتحت بلنسية وانتهى الاحتلال القشتالي لها ، وجهها الى « الوزير ابي عبد الملك بن عبد العزيز » وتاريخها منتصف رمضان ٤٩٥ ، وهو تاريخ تخليص بلنسية على يد المرابطين من الاحتلال القشتالي[٣] •

٣ ــ رسائل أخرى (سياسية ، شعوبية !) : كان للرسالة

---

(١) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٤ • Recherches, II, IV—V
واضح ان ابن طاهر أسر في احداث بلنسية ، فارسل الى أحد اصدقائه رسالة تصف حال قصر بلنسية وحاله، وهي رسالة تنضح بالحزن « فلقد عبث البلا برسومه، وعفى على أقماره ونجومه»• م•ن (مخ) ، ٣ : ٤٤•

(٢) ذخيرة (مخ) ، ٣ : ٥٠ ــ ١ ، Recherches, II, XV1,XV111.

(٣) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٥٠ ، Recherches, II, XV—XV1.
لعل الرسالة الاخرى التي أوردها ابن بسام لابن طاهر ، في الفتح المذكور ، اذ صدّرها ب « له من رقعة في فتح بلنسية » ، لكن ابن بسام، لم يشر الى المرسل اليه كما ان النص لا تفهم منه احداث واضحة في الفتح ، انظر الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٧٥ •

التي كتبها ابن غرسية(١) الى الشاعر ابن الجزار(٢) ، ردود فعل مختلفة، فقد انبرى له ادباء الاندلس بالرد والتبكيت(٣) . وقد شارك أديب بلنسي بالرد على ابن غرسية . وهو الاديب أبو جعفر أحمد بن الدودين البلنسي(٤) .

تعدّ رسالة ابن غرسية بمثابة اختيار ومحفز للقابليات الادبية والعلمية، كما تعبر، عن الوضع الاجتماعي والسياسي في الاندلس ، من بعض جوانبه .

ذكر ابن بسام أن رسالة ابن الدودين وان كانت طويلة فهو يثبتها « لما تشتمل عليه من المآثر العربية والمفاخر الاسلامية »(٥) .

٢ ـ النحو :

النحو أحد علوم اللغة ـ غاية في الاهمية ـ يهتم بقواعدها ويحفظ لها حسن أدائها وضبط حركات ألفاظها . حظي النحو بعناية الحركة العلمية ، فكان نحاة بلنسية يتولون تعليم العربية التي لم يكن للطلبة غنى عنها . فقواعد اللغة ترتبط

---

(١) ابن غرسية : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٣٨٧ وبعدها . نوادر المخطوطات عبد السلام محمد هارون ، ٣ : ٢٣١ ـ ٤ .
انظر نص رسالة ابن غرسية : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٣٨٨ ـ ٩ . نوادر المخطوطات ، ٣ : ٢٤٦ ـ ٥٤ (لا يتطابق النص الذي حققه هارون مع ما أثبته ابن بسام) .

(٢) ابن الجزار : نوادر المخطوطات ، ٣ : ٢٣٤ ـ ٦ .

(٣) راجع أصحاب الردود على رسالة ابن غرسية ونصوص رسائلهم : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٣٩٤ ـ ٤٤٠ (منها رسالة لابن عباس لم يحققها هارون في مجموعته المذكورة) .

(٤) نص رسالة ابن الدودين : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٣٩٠ ـ ٤ .

(٥) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٣٨٨ .

ارتباطا وثيقا بفهم اللغة ومرادها · ومن ثم فالنحو من أهم علوم اللغة التي حفل بها الطلاب بجانب الادب وهما من أوائل العلوم التي يتوجهون اليها ·

عرفت بلنسية من علماء النحو أبا محمد عبدالله بن سيف الجذاميّ (حول ٤٣٠) من أهل بلنسية ، كان « نحويا أديبا » متفننا ضابطا · أخذ عنه جماعة » ، « وعلّم بالعربية »[٢] ·

كان ابن طرشميل أبو بكر محمد بن علي بن خلف النحوي (٤١٥ ـ ٤٧٣ = ١٠٢٤ ـ ١٠٨٠) من أهل مرسية وتوفي ببلنسية ، ممن علم العربية[٣] ·

لم يكن عالم النحو ومدرسه مقتصرا على معرفة النحو ، بل هو محيط بالعلوم اللغوية الاخرى والادب ، فهي علوم متكاملة ، يخدم بعضها بعضا ، فالاخفش أبو القاسم خلف بن عمر (بعد ٤٦٠) من ساكني بلنسية كان « يعلم بالعربية والآداب · وكان حسن التفهم والتلقين مع المعرفة بالعروض »[٤] · فواضح أن العالم لم يكن يدرس النحو فحسب بل علوما أخرى تتصل باللغة كالادب والعروض · وربما يفهم من ذلك ان تدريس مواد الادب ، خدمت في ذات الوقت النحو · وعندما يلقي العالم اللغوي ، الدرس لا يقتصر على بيان الاعراب ،

---

(١) راجع عن النحو في الاندلس : نفح ، ١ : ٢٢١ ، هل في النحو مذهب اندلسي ، سعيد الافغاني ، ٧٥ ـ ٨٤ ، (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، م : ٧ ـ ٨ ، مدريد ، ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) ، تاريخ الفكر ، ١٨٥ وبعدها ·

(٢) التكملة ، ٢ : ٧٩٦ ·

(٣) م · ن ، ١ : ٢٦ ، ٣٩٧ ·

(٤) م · ن ، ١ : ٢٩٧ رقم ٨١١ ·

فحسب ، بل يشير الى بلاغـة النص ، وتقطيـع البيت الذي يتضمنه النص الادبي ، وما الى ذلك ٠

درّس العربية ببلنسية وطلبها عدد من أبنائها والوافدين عليها ٠ فهذا أبو عمر أحمد بن شرف (بعد ٤٦٠) « أصله من شقر ، وسكن بلنسية ،وبها كان يعلّم العربية » كما ذكر تلميذه أبو بكر بن عزيز(١) ٠ كان « نحويا ماهرا علم العربية زمانا »(٢) ٠

وابن رلاّن أبو عبد الله محمد بن حسين (نحو ٤٦٠) من أهل بلنسية كان « أديبا ، متفننا ، متسع المعرفة ، معلما بالعربية واللغة »(٣) ٠ له نشاط أدبي ببلنسية سنة ٤٦٠(٤) ٠ تتلمذ عـلى ابن رلان عـدة طلاب منهم البونتي أبو محمـد عبد الله بن الفضل اللخمي (بعد ٤٩٠) الذي روى « وتأدب به ، وقعد لاقراء العربية ببلنسية »(٥) ٠ ومن شيوخ البونتي بالعربية من بلنسية أيضا ابن شرف السابق الذكر ٠ وهكذا فبعد أن يدرس الطالب عـلى علماء مدينته وغيرهم يتصدر للتدريس ٠

ممن علم بالعربية ـ ومن تلامذة ابن رلان ـ أبو القاسم الصوفي خلف بن أحمد (٤٨٦)(٦) ٠

---

(١) التكملة ، ١ : ٢٠ رقم ٤٣ ٠
(٢) الذيل ، ١ : ١ : ١٢٨ رقم ١٩٠ ٠
(٣) م٠ ن ، ١ : ٣٤٩ ٠ انظر : ذيل ، ٦ : ١٧٦ ٠
(٤) التكملة ، ١ : ٣٩٤ ٠
(٥) م٠ ن ، ٢ : ٨٠٧ رقم ١٩٧٠ ٠
(٦) م٠ ن ، ١ : ٢٩٨ ٠

وأبو جعفر أحمد بن عبد المولى البتي (٤٨٨) « قائما على الآداب وكتب النحو ، واللغة ... ولم يكن ممن يعلّم »(١) .

عرفت بلنسية علماء مشاهير في النحو منهم أبو عبد الله محمد بن أبي العافية (٥٠٩ = ١١١٥) النحوي المقرىء ، إمام جامع بلنسية كان « بارعا في النحو واللغة »(٢) .

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلصة النحوي (٥٢١ = ١١٢٧)(٣) قال عنه الحميدي : « كان من النحويين المتصدرين والاساتيذ المشهورين »(٤) وذكر ابن الآبار انه قرأ العربية ببلنسية(٥) . ولا يعرف متى كان هذا خاصة وان ابن خلصة يتجاوز في عمره نطاق البحث بستة وعشرين عاما(٦) .

من نحويي الاندلس المشهورين وله نشاط علمي لغوي ببلنسية ابن السِّيد البَطَلْيُوسيّ أبو محمد عبد الله بن محمد النحوي (٤٤٤ ـ ٥٢١ = ١٠٥٢ ـ ١٠٢٧)(٧) ، لكن لا يتوفر نص مؤرخ عن نشاطه ببلنسية كما لا يعرف متى

---

(١) م. ن ، ١ : ٢٤ .
(٢) الوافي ، ٣ : ١٨٠ رقم ١١٥٨ .
(٣) جذوة ، ٥٤ ، التكملة ، ١ : ٤٢٦ رقم ١٢١٥ . المعجم ، ١٠٧ رقم ٩٥ . المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ابن الابار ، ١ . الوافي ، ٣ : ٢٣٢ رقم ١٢٣٧ . بغية الوعاة ، ١ : ١٢٨ رقم ٢١٩ .
(٤) جذوة ، ٥٤ .
(٥) التكملة ، ١: ٣٩٥ .
(٦) لابن خلصة نشاط علمي لغوي غير مؤرخ راجع : التكملة ، ١ : ٤٢٦ . بغية الوعاة ، ١ : ١٢٨ .
(٧) الصلة ، ١ : ٢٩٢ رقم ٦٤٤ . وفيات ، ٣ : ٤٥ رقم ٣٤٧ . بغية الوعاة ، ٢ : ٥٥ رقم ٤٢٢ . أزهار الرياض ، ٣ : ١٠١ .

انتقل اليها ، وبما ان وفاته تتجاوز مدة البحث بما يقرب من خمسة وعشرين عاما فسوف لا يؤكد عليه في هذه الدراسة ٠ هذا ولا يستبعد أن له نشاط في بلنسية(١) ٠

ان كلا من ابن خلصة وابن السيد البطليوس ـ اللذين عاشا في عصر واحد ـ يعدّان من مشاهير النحاة واللغويين في الاندلس والعالم الاسلامي(٢) ٠

ثالثا : التاريـــخ

صنّف الاندلسيون في التاريــخ فكانت لهـم تآليف في التاريخ العام وتاريخ المدن ٠ ولكل صنف من هذه التآليف فروع ٠ فمصنفات التراجم ـ مثلا ـ منها ما ألف في تراجم النحويين أو المقرئين أو تراجم عامة لعلماء الاندلس عامة في مدة ما أو لعلماء مدينة واحدة ٠

الظاهر انه لم تتوفر دراسة متخصصة تتناول علمالتاريخ في الاندلس ٠ ربما كان عذر الدارسين ان المحقق من تراث

---

(١) لأبي محمد ابن السيد البطليوس نشاط علمي لغوي واسع ببلنسية غير مؤرخ راجع مثلا : الصلة ، ١ : ٢٠٤ ٠ التكملة ، ١ : ٤٨ ـ ٩ ، ٤٩ ، ٤٢٣ ، ٤٩٠ ، ٢ : ٨٢٦ ، ٨٤٥ ، ٨٨٤ ، ٥١٦ ـ ٧ ٠ المعجم ، ١٦٦ ، ٢٢٦ ٠ الذيل ، ١ : ١ : ٣٥٨ ، ٤ : ٢٢٧ ، ٥ : ١ : ١٢٠ ـ ١ ، ٥ : ٢ : ٦٤٢ ٠

(٢) راجع عن علماء نحويين بلنسيين لا يمكن ترجيح نشاطهم ضمن نطاق البحث ، فهو غير مؤرخ ولتأخر تاريخ وفياتهم : التكملة ، ١ : ١٤٥ ٠ الذيل ، ١ : ١ : ٢٦٧ ، ٥ : ١ : ١١٦ ٠
كما لا تعرف وفاة أبي محمد رضوان بن عبد الله البلنسي الذي « كانت له اليد الطولى في النحو واللغة والادب » ٠ بغية الوعاة ، ١ : ٥٦٧ رقم ١١٨٦ ٠

الاندلس في هذا الميدان قليل ، لا يقدم مادة متكاملة لدراسة أصول التاريخ وفروعه ومنهجه وفلسفته في الاندلس ٠ ويبدو أن مجموع ما حقق ونشر في التاريخ الى هذا الوقت يمكن أن يقدم لمن يتصدى له مادة طيبة لدراسة التاريخ في الاندلس(١) ٠

للتاريخ مكانة رفيعة عند الاندلسيين « تتجلى في كثرة ما ألّفوا في أحوال بلادهم ، وقد باهى ابن حزم بتفوق قومه في هذا الباب ، فذكر انه قلما خص أبناء مصر من الامصار الاسلامية بلدهم بتأليف دون سائر البلاد كالاندلسيين »(٢) ٠ والواقع انهم « برزوا في التاريخ وكأنهم قصدوا بذلك اظهار ما لهذا الصقع النائي من فضيلة يتميز بها بين بلاد العالم الاسلامي »(٢) ٠

صنّف عدد من علماء بلنسية في فروع من التاريخ فمثلا ألّف أبو محمد بن حزم « جمهرة أنساب العرب »(٣) « وهو

---

(١) راجع عن التاريخ والمؤرخين في الاندلس الى نهاية عصر الطوائف : تاريخ الفكر ، ١٩٣ ـ ٤١ ٠
أيضا راجع : تاريخ علماء ، ١ : ٣٤ ، ٤٢ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٣٤٣ ، ٣٦٦ ، ٢ : ١٢٣ ٠ جذوة ، ٩٧ ٠ الصلة ، ١ : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٥٢ ، ٣٠٧ ، ٢ : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٨٠ ، ٤٤١ ، ٤٦٨ ٠ الوافي ، ٥ : ٢٥١ ، نفح ، ٣ : ١٦٠ ، ١٧٣ ـ ٥ ٠ (رسالة ابن حزم) ، ١٨١ ـ ٤ ، (رسالة ابن سعيد) ٠ دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٥٩ ، ٦٠ ٠ الاسلام في اسبانيا ، ٦٦ وبعدها ٠ الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ٤٥ ـ ٦ ٠ دول الطوائف ، ٤١٧ ـ ٩ ٠ دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ١٨٤ ـ ٩ ٠

(٢) الاسلام في اسبانيا ، ٦٦ ٠
راجع : نفح ، ٣ : ١٦٥ ٠

(٣) حققه عبد السلام محمد هارون (دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م) ٠

عظيم الفائدة لمن يدرسون تاريخ الاسلام في المشرق والاندلس»[١] وكتابه « نقط العروس »[٢] وله رسالة مشهورة في « بيان فضل الاندلس وذكر علمائه »[٣] . وأشهر ما ألّف ابن حزم في مادة تاريخ الاديان وأعظمه قيمة هو كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل »[٤] .

ولأبي محمد بن حزم غير المصنفات المذكورة بعضها لم يصل[٥] . هذا ولا يعرف أي من مصنفاته ألفها في بلنسية .

ومما ألفه أبو عمر يوسف بن عبد البر ـ الذي له نشاط علمي في بلنسية ـ في التاريخ الاسلامي كتاب « الاستيعاب في معرفة الاصحاب »[٦] . وكتاب « الدرر في اختصار المغازي والسير »[٧] .

وصنّف قاضي بلنسية ابن المشاط أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد الرعيني « كتاب الباهر » في التاريخ للمنصور محمد بن أبي عامر . وكان ابن المشاط قد تقلد للمنصور نظم التاريخ في أيامه فكان الكتاب المذكور[٨] .

---

(١) تاريخ الفكر ، ٢٢٠ .

(٢) نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم ، حققه شوقي ضيف .

(٣) انظر نص رسالة ابن حزم في فضل الأندلس : نفح ، ٣ : ١٥٦ ـ ٧٩ .
انظر : تاريخ الفكر ، ٢٢٠ .

(٤) انظر تاريخ الفكر ، ٢٢١ . دول ، ٤١٤ .
كتاب « الفصل » لابن حزم مطبوع .

(٥) راجع : تاريخ الفكر ، ٢٢٠ . من مؤلفات ابن حزم في التاريخ : « جوامع السيرة » ، منشور .

(٦) جذوة ، ٣٦٨ .
حققه علي محمد الجباوي بأربعة أقسام (القاهرة) .

(٧) جذوة ، ٣٦٨ .

(٨) الصلة ، ١ : ٣٠٧ رقم ٦٧٨ .
وصف أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة المرسي (المتوفى سنة ٥٣٣ = ١١٣٨) وقد زاحم التسعين ، وله نشاط ببلنسية) بأنه كان « مشرفا على التواريخ . الذيل ، ١ : ١ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

يعـــدّ ابن الفرضي من مشاهير علمـــاء الاندلس الذين اهتموا بالتراجم وألفوا فيها ٠ ويتجلى هذا في كتابه « تاريخ علماء الاندلس » ٠ وقد تحدث ابن الفرضي عن اهتمامه بهذا الفن من التصنيف في جمع مادته(١) ، وبين منهجه « هذا كتاب جمعناه في فقهاء الاندلس وعلمائهم ورواتهم ، وأهل العناية منهم ، ملخصا على حروف المعجم ، قصدنا فيه قصد الاختصار ٠٠٠وعرضنا فيه : ذكر أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم ، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأي منهم ، ومن كان الحديث والرواية أملك به »(٢) ٠

ان مقـــدمة ابن الفرضي لكتابه المذكور فيهـــا ايضاح لمنهجه الذي اتبعه ونوع المادة التي سجلها وهو يشير الى انه لم يسبقه اليها أحد(٣) ٠

ان كتب التراجم غاية في الاهمية والدلالة ٠ ويبرز هذا واضحا من مطالعة كتاب ابن الفرضي فهو كتاب حافل بتراجم العلماء من كل فن وصقع في الاندلس من بداية تاريخه الى معاصري المؤلف ٠ ان الكتـــاب ـ شأنه شأن كتب التراجـــم الاندلسية الاخرى ـ يقدم للباحث صورة عن الحياة العلمية في الاندلس في شتى ميادينها ٠

سجلت الاحداث التاريخيةفيارجيز شعرية طويلة نسبيا. فمثلا لأبي طالب المتنبي الجزيري « ارجوزة في التاريخ أغرب

---

(١) تاريخ علماء ، ١ : ٢ ٠

(٢) م٠ ن ، ١ : ١ : ٢ ٠

(٣) تاريخ علماء ، ١ : ٢ ٠
يذكر بالنثيا ان « تاريخ علماء الاندلس » « أقدم معجم رجال عام بين أيدينا » ٠ تاريخ الفكر ، ٢٧١ ٠

فيهـا ، وأعرب عن لطف محـله من الفهم ، ورسوخ قدمه في مطالعة أنواع العلم »(١) ٠

تعتبر رسائل ابن طاهر الادبية التي كتبها في بلنسية وتدور حول الاحداث العامة فيها وخاصة في فترة الاحتلال القشتالي مصدرا أدبيا للتاريخ ونوعا من الكتابات التاريخية.

أما تاريخ المدن فأبرز مثل عنه مُصَنَّف ابن علقمة أبي عبد الله محمـد بن الخلف بن الحسن بن اسماعيـل الصدفي البلنسي (٤٢٨ ـ ٥٠٩ = ١٠٣٦ ـ ١١١٥)(٢) في تاريخ بلنسية(٣) الموسوم بـ « البيان الواضح في العلم الفادح »(٤) ٠ الذي يعدّ ـ وفق النقول التي وصلت عنه ـ من أدق المصادر ـ المتوفرة ـ التي تحدثت عن أحوال بلنسية بين ٤٨٥ـ٤٩٥(٥).

ولأهمية « البيان الواضح » ـ الذي وصلت منه نقول ـ وقلة التعريف به في المراجع ولكونه من نتاج الحياة العلمية في بلنسية في فترة من أصعب فترات تاريخها ، ألّف فيها في ظل الحصار والاحتلال والمدة التي أعقبته ، فان تعريفا به وبمصنفه مفيد في هذا الوضع ٠

---

(١) الذخيرة ، ١ : ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢ ٠
انظر نص الارجوزة : م٠ ن ، ١ : ٢ : ٤٠٤ وبعدها ٠

(٢) انظر : البيان ، ٣ : ٣٠٦ (ذيل مشتمل على نص ٠٠٠ مجهول الاسم والمؤلف) وورد فيه تسمية ابن علقمة : أبو العباس أحمد بن علقمة ٠ قارن : التكملة ، ١ : ٤١١ ، رقم ١١٦٥ ٠ الذيل ، ٦ : ١٨٤ ٠

(٣) انظر : التكملة ، ١ : ٤١١ ٠ الوافي ، ٣ : ٤٥ ٠

(٤) الذيل ، ٦ : ١٤٨ رقم ٥٠٩ ٠ راجع عن « البيان الواضح » : الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، ٦٠ ٠ الاسلام في المغرب والاندلس ، أ٠ ليفي بروفنسال ، ٢٠٥ ٠ The Cid, 3.

(٥) راجع بعض النقول ـ المؤرخة ـ عن البيان الواضح ٠ التكملة ، ١ : ٢٣ ٠ الحلل الموشية ، ٦٠ ، نفح ، ٤ : ٣٥٤ ٠

تعد ترجمة ابن عبد الملك المراكشي لابن علقمة أوفى ترجمة متوفرة ، قال انه « كان ينتحل الكتابة وقرض الشعر على تقصيره فيهما ، وله تاريخ في تغلّب الروم على بلنسية قبل خمسمائة سماه بالبيان الواضح في العلم الفادح ليس بذاك • وله تأليف غيره »(١) • والظاهر أن النقد ينصبّ على أسلوب ابن علقمة ولغته في الكتابة •

ان كون ابن علقمة بلنسيا معاصرا وشاهد عيان للاحداث التي عاشتها مدينته وشارك فيها فهو « ممن شهد الموطن وكان في الحصار »(٢) ، يعطي لتاريخه قيمة علمية ، تزيدها قيمة ، المعلومات الدقيقة المختلفة التي سجلها وخاصة عنايته الظاهرة بأسعار المواد المعاشية • ووصف كتاب ابن علقمة بأنه في أمر بلنسية وحصارها وانه « يبكي القارىء ويذهل العاقل »(٣) •

احتفظ عدد من المصادر بنقول من « البيان الواضح »(٤). فابن عميرة الضبي أخذ عنه في موضع واحد (٥) وأخذ عنه ابن الكردبوس(٦) ونقل ابن الآبار عنه شذورا(٧) ، أما ابن عذارى

---

(١) الذيل ، ٦ : ١٨٤ • لولا الزيادة اليسيرة التي أوردها ابن عبد الملك المراكشي لكانت ترجمة ابن الابار لابن علقمة أوفى ترجمة : قارن : التكملة ، ١ : ٤١١ ــ ٣ •

(٢) البيان ، ٣ : ٣٠٦ (ذيل) •

(٣) البيان ، ٣ : ٣٠٥ (ذيل) •

(٤) لم يشر ابن بسام في الذخيرة القسم الثالث المخطوط الى كتاب ابن علقمة عندما تحدث عن بلنسية في فترة الاحتلال القشتالي • ولا يتوفر ما يشير الى اطلاعه عليه • مع أن كلا من ابن بسام وابن علقمة عاصرا الاحداث • يبدو أن كتاب ابن علقمة لم يذع ذكره عندما سجل ابن بسام أحداث بلنسية فلم يشر اليه •

(٥) انظر : بغية ، ٣٣٤ •

(٦) انظر تاريخ الاندلس ، ١١ (مقدمة المحقق) •

(٧) انظر : التكملة ، ١ : ٢٣ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٤٠٤ • نفح ، ٤ : ٣٥٤ •

فله نصيب وافر من النقل عن البيان الواضح(١) • وهي نقول في غايــة الاهمية عن محنــة بلنسية • ونشر بروفنسال في (البيان المغرب ٣ : ٣٠٥ ـ ٦) نصا ضمن (الذيل المجهول) ، يتخلله نقل عن ابن علقمة • ونقل ابن الخطيب عنه مباشرة أو عن ابن عذارى عن ابن علقمة وان لم يشر ابن الخطيب الى هذا صراحة(٢) • وأخــذ صاحب « الحلل الموشية »(٣) في موضع عن ابن علقمة أيضا •

مع قلة النصوص المنقولة عن البيان الواضح ، الامر الذي لا يسمح باصدار حكم نهائي عــلى الكتاب وأهميتــه التاريخية ، وعن المؤلف ومنهجه ، فيمكن القول إن الكتاب كما تدل النقول المتوفرة ـ من الكتب التي أرخت للمدن(٤) • والتاريخ للمدن فن عرفه المسلمون واهتموا به ، الا أن الامر يختلف في حالة تاريخ مدينة بلنسية • فقد جاء كتاب البيان الواضح ليسجل أحداثا مريرة عاشتها بلنسية ، من شاهد عيان ـ شارك فيها ـ رصد كثيرا من الظواهر والامور التي يحتاجها الباحث المعاصر • والتي تنم عن مقدرة ابن علقمة في التاريخ للامور الهامة ، وتعبر عن وعيه بالاحــداث ، وبمسؤوليته مؤرخا وثائقيا • ويبدو انه اعتنى بتسجيل كل الاشياء التي رآها مهمة في اعطاء صورة متكاملة للحدث مما يتوقــع معه ضخامة العمل التاريخي الذي سجله ابن علقمة ، فما وصل

(١) انظر : البيان ، ٤ : ٣١ ـ ٤١ •

(٢) انظر البيــان ، ٤ : ١٤٩ ـ ٥١ • الاسلام في المغــرب والاندلس ، ٢٠٩ ـ ١٠ •

(٣) انظر : ٦٠ •

(٤) انظر الاحاطة ، ١ : ٩١ •

من نصوص تشير بوضوح الى تتبعه للاحداث أولا بأول ووصفه اياها يوما بيوم وشهرا بشهر وفي جوانب الصورة المختلفة ٠

ان اكتواء ابن علقمة بنار الاحداث التي تمر به وبأهله وتأخذ منهم موتا وجوعا وقتلا ، جعله يسجل تلك المشاهد المؤلمة والاحداث المريرة ، عله يجد في التدوين ما يخفف عنه وطأة الاحداث ٠ فقبل أن يفكر انه مؤرخ مسؤول في اعطاء المعاصرين له والاجيال القادمة صورة عما حدث ، كان انسانا يعيش الاحداث منفعلا معها ٠

ان العثور على النصوص الاخرى من البيان الواضح ومقارنتها بما يمكن أن يتجمع من أخبار أوردتها المصادر المعاصرة للاحداث التي مرت بها بلنسية ، يمكن في ضوء تلك المقارنة معرفة تأثير الاحداث على عاطفة ابن علقمة ودرجة تأثيرها على الاخبار التي سجلها في تاريخه ٠

ان التوصل الى نصوص جديدة من « البيان الواضح » حتى وان لم يعثر على الاصل كاملا ، جدير بأن يساعد الباحث على محاولة تحقيق النص والافادة منه في سدّ ثغرات في تاريخ بلنسية ، وفي التعرف على منهج ابن علقمة وأهمية كتابه بين مصنفات التاريخ ٠ وقد ذكر مؤنس « انه عثر على قطع من البيان الواضح (عن) (العلم الفادح » (١) ٠

اذا كان أصل كتاب ابن علقمة مفقودا وان النقول الاسلامية عنه ضئيلة ، فان المصادر القشتالية احتفظت

---

(١) الحلة ، ٢ : ١٦٨ ح ١ ٠

ـ كما يبـدو ـ بالجزء الاكبر منه مترجما • فقـد نقلت « المدونة العامـة لتاريـخ الاندلس Primera Cronica General » التي كتبت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر في عهد الفونسو العاشر العالم ، عن « البيان الواضح » . في الجزء الاخير منها الذي يختص بحياة القمبيطور[1] • فقد « اتضح منذ زمن طويل والفضل في ذلك يرجـع الى دوزي ان هـذه الرواية الطويلة الواردة في النسخ المختلفـة لمدونة التاريخ العام نقلت مباشرة من تأليف تاريخي لمؤلف مسلم من أهل بلنسية بالذات » هو ابن علقمة[2] •

رابعاً : العلوم التجريبية

دعا القرآن الكريم الناس الى التفكر في خلق السموات والارض وفي أنفسهم ، كما نبه عقولهم الى كثير من الظواهر العلميـة وكشف لهم العديد من الاسرار العلميـة في الكون والانسان فوضع أمامهم مفاتيح مختلف العلوم • وبجانب هذا حرر المنهج القرآني العقـل الانساني من كـل الاوهام والخرافات وألوان الاستعباد والقهر • فانطلق المسلمون الى الدراسة والتجربة والاستقراء مستجيبين لنداء القرآن العظيم • فأشادوا صرح حضارة علمية في حقول المعرفة المتنوعة أسهمت اسهاما أصيلا وفعالا في الحضارة الانسانية وقدّمت لها أساسا متينا قامت عليه النهضة العلمية الحديثة • فلم يقتصر علم

(١) انظر : الاسلام في المغرب والاندلس ، ١٦٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ •
(٢) م• ن ، ٢٠٣ ـ ٤ •
انظر م• ن ، ١٦٨ ، ١٩٩ ـ ٢٠٤ ، ٢٠٦ •

المسلمين على علم معين أو علوم في ميدان واحد ، « اذ كما أورد القرآن الكريم في آياته الشريفة كافة ما ينفع الناس من علم وتشريع وفقه وعبادة ودين ودنيا ، فقد أقبل المسلمون على هذه العلوم والفنون يتعلمونها ويتفوقون فيها ٠٠٠ وكما أشار القرآن الكريم الى مختلف العلوم ٠٠٠ فقد تنوعت معارفهم ، ولم يتركوا فرعا من علم الا درسوه ، وحققوا لأنفسهم فيه المجد والرفعة »[1] ٠

أومأ القرآن الى علوم مختلفة فكانت استجابة المسلمين فتوحا في الطب والفلك والحساب والهندسة وغيرها من العلوم التجريبية . شهد بأهميتها العلمية كبار العلماء المعاصرين في كونها متقدمة تقدما كبيرا قياسا لعصرها وأساسا رائدا للعديد من العلوم الحديثة ٠ يقول شريف (M. M. Sarif) « يمكن بحق أن نقول عنها أن المسلمين قد وضعوا أسسها فمكّن ذلك الاوربيين من أن يشيدوا على هذه الاسس الدراسات الاوربية الحديثة ، وتلك العلوم هي الفلك والرياضة والطب والعلوم الطبيعية »[2] ٠ ويعدّ الطب والفلك والرياضيات والكيمياء أهم العلوم التي عني بها المسلمون ، وأتموا فيها أعظم اكتشافاتهم[3] ٠ فيما يلي حديث عن بعض العلوم التجريبية ، يستمد مما كانت عليه في العالم الاسلامي :

١ ـ الطب وفروعه : ان الاتجاه الى علم الطب والصحة العامة أمر لازم للمجتمع الاسلامي[4] ٠ ومما يؤدي الى الصحة

---

(١) المسلمون والعلم الحديث ، ٤٥ ٠

(٢) دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٦٤ ٠

(٣) حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ٤٨٨ ٠

(٤) انظر : المسلمون ، ٦٣ ٠

العامة النظافة التي دعا لها الاسلام في الجسد والملبس والمسكن . وما أداء الصلاة وما تتطلبه من نظافة الا وسيلة ناجعة موصلة الى النظافة العامة . فكانت الحمامات من مظاهر العناية بالنظافة في المجتمع الاسلامي ، التي تؤدي الى الصحة العامة والوقاية من الامراض . فكانت كل المدن الاسلامية لا تخلو من عدد من الحمامات . فقد عرف المسلمون عامتهم وخاصتهم فوائدها الصحية . يقول صاعد : « بل اذا استعمل (الحمام) على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي أن يكون رياضة فاضلة ومهنة نافعة لتفتيحه المسام وتطريته للفضول وتلطيفه لما غلظ من الكيموسات »(١) .

عندما كانت المدن الاسلامية تشتهر بكثرة حماماتها ، التي تفنن المسلمون في بنائها وزخرفتها واستخدام الزجاج لنوافذها ، وتوصلهم الى أهميتها العلمية ، وما تعنيه من ظواهر حضارية أهمها النظافة ونشاط الفرد اليومي والصحة العامة في ذلك الوقت « كان مسيحيو العصور الوسطى ينهون عن النظافة ويعدونها من عمل الوثنيين »(٢) ، يقول الرحالة الاندلسي ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي (من القرن الرابع الهجري) عن أهل بلد الجلّيقيّين : « لا يتنظفون ولايغتسلون في العام الا مرة أو مرتين بالماء البارد . ولا يغسلون ثيابهم الى أن تنقطع عليهم ، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم وتصح أبدانهم (٣) .

---

(١) طبقات الامم ، ١٠٩ .

(٢) العرب في اسبانيا ، ١٢٩ .

The Moors in Spain, Stanley Lane-Poole, 135.

(٣) جغرافية الاندلس واوروبا ، ٨١ .
راجع : م . ن ، ١٨٩ ــ ٩٠ .

« وحينما عادت اسبانيا الى الحكم المسيحي ، أمر فيليب الثاني زوج ماري ملكة انجلترا بهدم كل الحمامات العامة ، لأنها من آثار المسلمين ! »[١] ٠

اذا كانت النظافة ووسائل الصحة العامة الاخرى وسيلة وقائية من الامراض فان الطب علاج لما ينتشر منها ٠ فاتجه علماء الاندلس وكان ذلك بعد علماء المسلمين في المشرق ، الى هذا العلم ، الذي دخلت الاندلس بعض كتبه المشرقية على أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ــ ٣٥٠)[٢] ، وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الاطباء المشهورين »[٣] ولم يقتصر الاندلسيون على ما وجدوه في الكتب بل عمدوا الى التجارب فأجروها على النباتات والحيوانات ، فصنعوا الادوية المستحضرة ، وشخّصوا كثيرا من الامراض ، وكانت الدولة ترعى تلك التجارب والاعمال العلمية وتهيء الجو الملائم لنموها ، فاشتهرت خزانة الطب على عهد الحكم المستنصر ، كان المرضى يحصلون منها على العلاج المجاني وكان للاطباء ديوان[٤] ٠

أثمرت جهود المسلمين في تطوير « علم الطب تطويرا شاملا على النحو الذي عملوه في مختلف الدراسات ٠ وتأثرت ثقافة الغرب الطبية تأثرا عميقا بما اقتبسه من المسلمين في

---

(١) العرب في اسبانيا ، ١٣٠ ، The Moors in Spain, 136.

(٢) راجع عن الطب عند المسلمين : حضارة العرب ، ٤٨٨ ــ ٩٤ ٠

(٣) طبقات الاطباء ، ٩٨ ٠ انظر : م٠ ن ، ٩٧ ٠

(٤) طبقات الامم ، ١٠٣ ٠ طبقات الاطباء ، ١١٠ ، ١١٣ ٠ حضارة العرب ، ٤٩٠ ٠

هذا المضمار »(١) ٠

«والمسلمون أول من مارسوا عمليات الجراحة في العالم اطلاقا »(٢) ووضعوا المؤلفات فيها « وطرقها والامراض التي يجب استعمالها فيها ، والآلات والادوات التي تستعمل »(٢) ٠ وكان المسلمون لهذا « أول من اكتشفوا وسائل التخدير » للتخفيف من أثر الجراحة (٣) ٠ وأنشأوا « المستشفيات ، وقسموها الى قسمين ، أحدهما للرجال والثاني للنساء ، وقسموا كل قسم الى أقسام على حسب المرض الذي يعالج فيه ٠

وأقاموا المعازل لعزل المرضى المصابين بأمراض معدية ٠ بل ان للمسلمين الفضل كل الفضل في انشاء المستشفيات المتنقلة »(٤) ٠

ان النظر في طبقات الامم ، وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ، وغيرهما من كتب التراجم جدير بأن يوضح مبلغ الدراسات الطبية في الاندلس وما كان لها في الطب من عمالقة أشاد بذكرهم العلماء والمؤرخون(٥) ٠ يقول بالنثيا : « أزهر

---

(١) دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٨٠ ٠
راجع أقوال بعض العلماء في دور المسلمين بالطب وما كانت عليه أوربا في المقابل من تدهور وانحطاط في الصحة العامة وعلم الطب : المسلمون والعلم الحديث ، ٦٣ ــ ٤ ٠

(٢) المسلمون ، ٦٤ ٠

(٣) م٠ ن ، ٦٥ ٠

(٤) م٠ ن ، ٦٤ ٠

(٥) راجع عن الطب في الاندلس : الصلة ، ١ : ١٢٩ ، ١٦٥ ــ ٦ ، ٢ : ٣١٣ ، ٦٢٠ ٠ نفح ، ٣ : ١٨٥ (عن ابن سعيد)٠ مقدمة ابن خلدون، ٣ : ١٠٩ ٠ تاريخ الفكر ، ٤٦١ وبعدها ٠ مجالي الاسلام ، ٤٨ وبعدها ٠ حضارة العرب ، ٤٩٠ ــ ٢ ٠ الاسلام في اسبانيا ، ٥٨ وبعدها ٠ الحضارة الاسلامية في الاندلس ٥٨ وبعدها ٠ دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ١٩١ ــ ٢ ٠

علم الطب ازهارا عظيما بين مسلمي الاندلس »(١) • هـذا مثل واحد مما أورده ابن جلجل عن الطب في الاندلس : فابن ملوكة النصراني ـ الذي مرَّ ذكره ـ كان في آخر أيام الامير عبـد الله (٢٧٥ ـ ٣٠٠) وأول دولة الامير عبـد الرحمن « كان يصنع بيده ، ويفصد العروق ، وكان على باب داره ثلاثون كرسيا لقعـود الناس »(٢) • وهكـذا وفـّر المجتمـع المسلم العلم للجميع •

برع عـدد من النساء المسلمات في أكثـر العلوم • وفي الاندلس لم يكن النبوغ في الطب والتفوق فيه ليقتصر عـلى الرجال فقط ، « وانما نبغ من النساء عدد غير قليل »(٣) •

أسهمت بلنسية في الطب فمن أطبائها : ابن الذهبي أبو محمد عبد الله بن محمد المتوفى ببلنسية في جمادى الاولى سنة ٤٥٦ (١٠٦٣) « أحد المعتنين بصناعة الطب »(٤) ، شهد صاعد (٤٦٢) دفنه ببلنسية(٥) • ربما يشير هذا الى ممارسة صاعد للنشاط العلمي ببلنسية(٥) •

وصف البقساني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غالب ابن خلف بن عبد الله التجيبي (نحو ٥٣٠) من أهل بلنسية ، بأنه « يشارك في الطب »(٦) •

---

(١) تاريخ الفكر ، ٤٦١ •
(٢) طبقات الاطباء ، ٩٧ رقم ٣٩ •
(٣) المدنية الاسلامية ، ١٤٤ •
(٤) طبقات الامم ، ١٠٩ •
(٥) صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي الاندلسي (٤٦٢ = ١٠٦٩) صاحب كتاب « طبقات الامم » : الصلة ، ١ : ٢٣٦ •
(٦) الصلة ، ١ : ٤٣١ رقم ١٢٣١ •

يبدو أن الطب وصناعته تقدمت ببلنسية فأبو مروان عبد الملك بن محمد بن جريول القبّراط (؟)، من أهل بلنسية وسكن قرطبة « كان من أهل المعرفة بالطب والقدم في صناعته • وعنه أخذ القاضي أبو الوليد بن رشد وأبو الحسين بن عمر المذحجي وغيرهما »[1] • « كان أحد المهرة في صناعة الطب معترفا له بالتقدم فيها »[2] •

ان هذا العدد الضئيل من الاطباء البلنسيين الذين ورد ذكرهم ، من بين العديد من الاطباء الذين يحتمل انه لم تصل أخبارهم، يشير الى معرفة بلنسية بالطب وصناعته (الصيدلة). وهو أمر لازم للمجتمع البلنسي الذي نما وتطور بشكل واضح في القرن الخامس• كما يلاحظ أن علماء الطب وغيرهم من علماء العلوم العملية غالبيتهم من مشاهير علماء الشريعة واللغة أو على أقل تقدير من علمائها أو العارفين بها ، وهو أمر اعتيادي يشير الى حقيقة وهي ان العلوم الاساسية الاسلامية واللغوية كان لا بد منها لكل طالب علم وعالم أيا كان تخصصه. نظرا لأهميتها في حياة المجتمع الاسلامي ، ولكونها منطلق العلوم الاخرى •

٢ ــ الفلك والحساب والهندسة : الاسلام هو الباعث على كل العلوم فكان الباعث على علم الفلك • فالقرآن الكريم

---

(١) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦١٤ رقم ١٧١٤ • انظر : الذيل ، ٥ : ١ : ٤٥ رقم ٩٨ • أبو الوليد محمد بن رشد (الحفيد) (٥٢٦ ــ ٥٩٥ = ١١٢٦ ــ ١١٩٨) ، راجع عنه : تاريخ الفكر ، ٣٥٣ وبعدها •
ربما تشير حياة ابن رشد الى تأخر نشاط أبي مروان عن مدة البحث •

(٢) الذيل ، ٥ : ١ : ٤٥ •
ممن وصف من أهل بلنسية بأنه « طبيب » ولا تعرف حياته : أبو عمر أحمد بن خليل الاندي من أهل بلنسية ، المقتضب ، ١٢ •

خاطب النــاس أن ينظروا في السماوات والارض والنجــوم والشمس والقمر والليل والنهار وما الى ذلك[1] • وبيّن بعض فوائد هذه الظواهر الكونية في معرض التدليل على دقة الخلق التي تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وتفرده بالربوبية • ان توجيه النظر الى هذه الظواهر وما فيها من أسرار اشارة واضحة للمسلمين أن يدرسوها ويستخلصوا القوانين العامة منها كما أبان القرآن عن بعضها •

كان القرآن العظيــم للمسلمين بدايــة البحث العلمي المتحرر من الخرافة والشعوذة • فلبى المسلمون نداء القرآن فجعلوا الفلك « بعيــدا عن الخرافات والتنجيم »[2] • ونال عنايتهم حتى غدا في جميــع المدن الاسلامية الكبرى مراصد تقريبا ، « ومن دواعي الاسف أن انتهى الينا شيء قليل من آثار مسلمي الاندلس الفلكية ، فقد قضي على جميع آثارهم تقريبا في أثناء الاضطهادات الدينية »[3] •

توصل علماء الفلك المسلمون الى حقائق علمية رائدة وأقروا حقائق أخرى[4] • لمع في الاندلس منهم صاحب القبلة أبو عبيدة البلنسي (٢٩٥ = ٩٠٧) الذي قال بكروية الارض

---

(١) انظر : القرآن الكريــم ، سورة يس ، الآيات ، ٣٧ ـ ٤٠ ، وغيرها من الآيات المنبثة في القرآن •

(٢) الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ٥١ •

(٣) مجالي الاسلام ، ١٣٢ • انظر : م• ن ، ١٣١ • حضارة العرب ، ٤٦١ ـ ٢ •

(٤) راجع : مجالي الاسلام ، ١٢٥ وبعدها ، حضارة العرب ، ٤٥٥ ـ ٦٤ • دراسات في الحضارة الاسلاميــة ، ٦٤ وبعــدها • الاسلام في اسبانيا ، ٥٦ وبعدها • المسلمون ، ١٠٣ وبعدها •

الارض واختلاف المناخ في أنحائها وغيرها من الامور الفلكية[1].
وانما عرف بصاحب القبلة « لانه كان يسرف كثيرا في صلاته.
وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث[2] ». ربما كان صاحب القبلة أول من قال بكروية الارض في الاندلس وفي هذا كان مبدعا في علم الفلك.
ويظهر انه كان صاحب مدرسة فكرية علمية أخذ بآرائه بعض العلماء ويتضح كل هذا من أبيات قالها فيه أحمد بن محمد ابن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨) منها :

أبا عبيدة والمسؤول عن خبر
يحكيه الى سوار الذي سألا

أبيت الا شذوذا عن جماعتنا
ولم يصب رأي من أرجى ولا اعتزلا

وقلت ان جميع الخلق في فلك
بهم محيط وفيهم يقسم الأجلا

والارض كوابة حف السماء بها
فوقا وتحتا وصارت نقطة مثلا

صيف الجنوب شتاء للشمال بها
قد صار بينهما هذا وذا دولا

---

(١) طبقات الامم ، ٨٤ . تاريخ علماء ، ٢ : ١٢٦ . الاسلام في اسبانيا ، ٥٦ . راجع عن الفلك في الاندلس : التكملة ، ١ : ١٣٨ . نفح ، ٣ : ١٨٦ (رسالة ابن سعيد) . نفح ، ١ : ٢٢١ . المدنية الاسلامية ، ١١١ وبعدها . حضارة العرب ، ٤٦٢ . تاريخ الفكر ، ٤٤٧ وبعدها . دراسات في تاريخ الاندلس ، ١٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) طبقات ، ٨٤ .

فان كانون في صنعـــا وقرطبـــة
بردأ وايلول يـــذكي فيهمـــا الشعلا

هـــذا الدليل ولا قولا غررت به
من القوانين يجلي القول والعمـــلا

كما استمـــر ابن موسى في غوايتـــه
فوعر السهـــل حتى خلته جبـــلا

ابلـــغ معاويـــة المصغي لقولهمـــا
اني كفرت بمـــا قالا وما فعـــلا »(١)

ان الفلك والهندسة والحساب علوم متصلة ببعضها يخدم أحدها الآخر « فما أظهره المسلمون من رغبة في علم النجوم يؤدي الى دراستهم العلـــوم الرياضية دراسة عميقـــة بحكـــم الضرورة »(٢) ٠

ان هذا التدخل جعل العالم في أحد تلك العلوم عالما في بقيتها ٠ فأبو عبد الله بن أحمد السرقسطي المتوفى ببلنسية سنة (٤٤٨ = ١٠٥٦) ، « نافذا في علـــم العدد والهندسة والنجوم ٠ وقعد لتعليم ذلك في بلده »(٣) فهذه العلوم لم تكن مقتصرة على أشخاص معدودين يعملون في مجالها هواية ، بل الواضح أن أهميتها للمجتمع استدعت العناية بها وأصبحت تدرس شأن العلوم الشرعية واللغوية ٠

لم يقبل علماء الفلك والهندسة الاندلسيون ما وصلهم من علم في الفلك على علاته دون تمحيص ودراسة وتجربة ،

(١) م٠ ن ، ٨٤ ـ ٥ ٠
(٢) مجالي الاسلام ، ١٣٤ ٠
(٣) طبقات الامم ، ٩٤ ٠

بل اثبتوا بطلان بعض نظريات من سبقهم من الامم ، مستدلين بالحجة العلمية والبرهان القاطع · والفوا الرسائل والكتب الفلكية ليعلم الناس والمختصون نتائج ابحاثهم · فهذا علي بن بجده بن داود « المهندس » يتحدث عن شيخه ابي عبد الله السرقسطي المذكور : « انه ما لقي احدا احسن تصرفا في الهندسة ولا اضبط منه »(١) · يقول صاعد : « ورأيت رسالة له كتب بها الى ابي مسلم بن خلدون الاشبيلي يذكر فيها فساد مذهب السند هند في حركات الكواكب وتعديلها ويحتج باشياء قد رددنا فيها وبينا موضع الغلط ، منها كتابنا المؤلف في اصلاح حركات الكواكب والتنبيه على اخطاء المنجمين »(٢) ·

يدل على تقدم الهندسة المعمارية وتطبيقاتها ، الابنية الفخمة الرائعة ، التي اشادها المسلمون في شبه الجزيرة ، التي سلم بعضها من عبث اعداء الحضارة الاسلامية وعاديات الزمن · فهي قائمة شاهدة الآن على مبلغ ما وصل اليه الفن المعماري وفن الزخرفة الاسلامي في الاندلس(٣) ومما يؤسف له انه لم يبق من عمران بلنسية الاسلامية ما يمكن الاستشهاد به ، نظرا لما تعرضت له من احداث اتت على معالمها الاسلامية(٤) ·

طبّق البلنسيون ـ كما في الاندلس ـ الهندسة في مجال الري · فاشتهرت بلنسية بنظام الري المتقن الذي وزع

---

(١) م · ن ، ٩٤ ·

(٢) م · ن ، ٩٤ ـ ٥ ·

(٣) راجع : الفن الاسلامي في اسبانيا ، مانويل جوميث مورينو ، ١٦ وبعدها · حضارة العرب ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٥٣٩ ـ ٤٣ ·

(٤) راجع تقرير مدريد ، ٦٢ ·

المياه في منطقة بلنسية الزراعية الخصبة من نهرها[1] ٠

كان للمياه في بلنسية هيئة رسمية تشرف على انجاح تنظيمه و توزيعه على أصحاب الحقول و البساتين ـ على ما يبدو ـ تسمى « و كالة الساقية » ٠ فقد ورد ان مبارك و مظفر العامريين كانا يتوليان و كالة الساقية ببلنسية قبل ان يصلا الى امارتها[2] ٠

عرفت بلنسية من ذوي العناية بالهندسة ابا الوليد الوقشي « أحد المتفننين في العلوم المتوسعين في ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقق بصناعة الهندسة و المنطق »[3] ٠

وابو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن سيد الكلبي (؟) من أهل بلنسية « عالما بالعدد والحساب مقدما في ذلك ولم يكن أحد من أهل زمانه يعد له في علم الهندسة انفرد بذلك »[4] وهو مثل ـ مع غيره ـ غاية في الوضوح على تقدم علم الهندسة ببلنسية وعلى توسع قاعدة المختصين في العلوم العملية وتجمع المعرفة وازدياد الخبرة و نمو التجارب حتى برز في بلنسية عالم مثل ابن سيد الكلبي البلنسي الذي لم يكن أحد من أهل زمانه

---

(١) راجع عن نظام الري في بلنسية :
The Civilization of Spain, F. B. Trend, 21.
مجالي الاسلام ، ١٠٧ ٠ غرائب الغرب ، ١٤٣ ٠ رحلة الاندلس ، محمد لبيب البتنوني ، ١٤٩ ٠

(٢) راجع : الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٥ ٠ البيان ، ٣ : ١٥٨ ـ ٩ ، ١٦٢ ٠ أعمال ، ٢٢٢ ٠

(٣) طبقات الامم ، ٩٦ ٠

(٤) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٥٥٠ رقم ١٥٥٣ ٠ أيضا انظر : طبقات الامم ، ٩٨ ٠

يعد له في علم الهندسة . فهو دليل نظري على ذلك التقدم الهندسي العملي الذي تمثل بهندسة الري في منطقة بلنسية الذي لا يزال يثير دهشة العلماء المعاصرين الذين كتبوا عنه وأشادوا بتقدمه الباهر(١) .

الحساب مهم لكل العلوم العملية للفلك والهندسة وغيرهما . كانت له أهمية أخرى في الحسابات المالية ، خاصة وبلنسية كانت لها تجارة مع غيرها برا وعن طريق مينائها . هذا وللحساب أهمية في توزيع التركة بواسطة علم خاص بها يسمى « علم الفرائض » فكان تعليم الحساب ذائع في بلنسية لكل هذا .

فأبو زيد بن سيد الكلبي المذكور « قرأ » كتاب « الاشراف » في الفرائض على مؤلفه ابي عمر بن عبد البر بشاطبة سنة ٤٥٦(٢) . والبقساني محمد بن أحمد التجيبي « يبصر الفرائض والحساب »(٣) . والترالبي ابو محمد حزب الله بن خلف (بعد ٥٣٩ = ١١٤٤) من أهل بلنسية « كان من أهل المعرفة بالفرائض والحساب »(٤) .

ممن درس الحساب من أهل بلنسية ابن حلبس الاموي أبو الحسن علي بن رافع البلنسي « من أهل العلم والفرائض والمواريث والحساب ، أدّب بذلك طويلا »(٥) .

---

(١) انظر : غرائب الغرب ، ١٤٣ . مجالي الاسلام ، ١٠٧ .
(٢) التكملة ، ٢ : ٥٥٠ .
(٣) م. ن ، ١ : ٤٣١ .
(٤) م. ن ، ١ : ٢٨٢ .
(٥) الذيل ، ٥ : ١ : ٢١٣ رقم ٤٢٥ .

« وهكذا كان الاسلام هو الدافع للحركة العلمية التي قام بها المسلمون وكان الهدف الذي يعمل من أجل نصرته المسلمون» (١) •

لم يقتصر الاندلسيون على هذه العلوم العملية بل كانت لهم دراسات في علوم أخرى كالكيمياء والفيزياء وعلم العقاقير والزراعة« علم الفلاحة »الذي ابدعوا فيه وصنفوا التصانيف المشهورة مسجلين ما توصلت اليه تجاربهم في التربة والنباتات(٢) • بيد ان هذه العلوم وغيرها لا يتوفر عنها امثلة من بلنسية •

يُعد عباس بن فرناس بن ورداس التاكُرني القرطبي (٢٧٤)(٣) واحدا من عباقرة المسلمين الذين استطاعوا تحقيق أروع المشوفات في ميادين العلوم التجريبية وان يمهدوا باكتشافاتهم العظيمة ، الطريق للاجيال اللاحقة من علماء العصر الحديث(٤) •

كان ابن فرناس رائد قدم اضافات علمية كبيرة فريدة لعصره عند « انتهت تجاربه في ميدان الكيمياء الصناعية الى اختراع صنع الزجاج من الرمال والحجارة ، فكان لظفره بهذا الاكتشاف دوي عظيم »(٥) • وفي ميدان البحوث الرياضية

---

(١) المسلمون ، ١١٢ •

(٢) راجع : كتاب الفلاحة ، ابن بصال أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم ، ١١ ــ ٣٦ (تمهيد بقلم بييكروسا أحد المحققين) • علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالاندلس ، خوسي ماريه بييكروسا ، ١ وبعدها • المدنية الاسلامية ، ٣٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ •

(٣) جذوة ، ٣١٨ رقم ٧٣١ • بغية الملتمس ، ٤٣١ رقم ١٣٤٧ • المغرب ، ١ : ٣٣٣ •

(٤) انظر : تراجم اسلامية ، ٢٦٦ •

(٥) تراجم اسلامية ، ٢٦٧ • أيضا انظر : المغرب ، ١ : ٣٣٣ •

والفلكية، انتهى الى اختراع عدد من الآلات الرياضية والفلكية الدقيقة منها أولا آلة اسمها « ذات الحَلَق » رفعها ابن فرناس الى الامير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ ـ ٢٣٨) مرفقة بهذه الابيات التي تعرب عن وظيفتها :

قـد تم ما حملتني من آلـة
أعيـا الفلاسفة الجهـابذ دوني

لو كان بطليموس ألحم صنعة
له ليثقّـل بجـداول القانون

فاذا رأتـه الشمس في آفاقهـا
بعثت اليـه بنورها المـوزون

ومنازل القمر التي حجبت معا
دون العيون بكل طالع حـين

يبدون فيها بالنهار كما بدت
بالليـل في ظلمـاتهن الجـون[1]

ثانيا آلة لمقياس الزمن ، سماها ابن فرناس « بالميقاتة » رفعها الى الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ ـ ٢٧٣) ، ونقش فيها :

ألا انـني للديـن خـير أداة
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

(١) تراجم اسلامية ، ٢٦٧ .

ولم تر الشمس النهار ولم تنر كواكب ليـل حالك الظلمات
بيمن امام المسلمين محمـــد تجلت عن الاوقات كل صلاة[1]

ان « اشهر ما اقترن باسـم ابن فرناس ، هي محـاولته اختراع آلة يستطيع الانسان أن يطير بها في الجو ، وقد انتهى بالفعل الى القيـام بتجربتـه الخطيرة على مشـهد من أهـل قرطبة »[2] « فكسى نفسه الريش على سَرَق الحرير ، فتهيأ له أن استطار في الجو من ناحية الرُصافة ، واستقل في الهواء ، فحلّق فيه حتى وقع على مسـافة بعيـدة »[3] « واشتهر ابن فرناس بهـذه التجربة المدهشة التي ملأت مشاهديه من أهل قرطبة روعا واعجابا »[4] حتى قال فيه مؤمن بن سعيـد (٢٦٧)[5] ٠

يَطُمُّ على العنقـاء في طيرانهـا
اذا ما كسا جثمانهُ ريشَ قَشْعَمِ[6]

تجـدر الاشارة ان سادابا ذكر ان « محاولة الطـيران التي قام بهـا عباس بن فرناس في بلنسية »[7] ٠ لا يمكـن

---

(1) م٠ ن ، ٢٦٧ ٠ أيضا انظر : المغرب ، ١ : ٣٣٣ (ورد ذكرها المنْقانة) ربما وقع تصحيف في اسم هذه الآلة ٠
(2) تراجم اسلامية ، ٢٦٨ ـ ٩ ٠
(3) المغرب ، ١ : ٣٣٣ ٠
(4) تراجم اسلامية ، ٢٦٩ ٠
(5) جذوة، ٣٥٢ رقم ٨٢٦٠ بغية، ٤٧١ رقم ١٣٧٧٠ المغرب، ١: ٣٢١ـ٣٠
(6) المغرب ، ١ : ٣٣٣ ٠
(7) مدائح بلنسية ومراثيها ، ١٥ (تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية في مدريد خلال شهر ديسمبر ١٩٦٥) ٠ راجع عن عباس ابن فرناس: الاسلام في اسبانيا، ٥٦٠ تراجم اسلامية شرقية وأندلسية، ٢٦٦ وبعدها ٠ حكيم الاندلس ، بتول سعيد ، ٥٣ وبعدها (مجلة الاقلام ، السنة الثالثة ١٩٦٦ تشرين الثاني ـ ١٣٨٦ هـ) ، دراسات في تاريخ الاندلس ، ١٩٠ ـ ١ ٠
أعلاه ، ١٩١ ٠

مناقشة هذا القول وقبوله لعدم توفر نص اصيل يشير اليه وربما توفر لسادابا مثل هذا النص · لكن المشهور ان محاولة فرناس للطيران كانت في ضواحي قرطبة في الرصافة ·

خامسا ـ علوم وفنون أخرى

اهتمت الحركة العلميــة في بلنسية بعلوم أخرى كــان عدد المهتمين بها قليلا قياسا للمهتمين بالعلوم السابقة الذكر · يلاحظ ان معظم المهتمين بهذه العلوم هم من علماء الشريعة واللغة · الذين وجــدوا ما يشير اليها في القــرآن الكــريم فاعطوها من عنايتهم ـ عنــاية بالقرآن ـ خدمــة للمجتمع الاسلامي ·

ف « علم التعبــير » وجد له في القــرآن الكريم والسنة الشريفة ما نبه بعض علماء المسلمين الى الاهتمام به · فكان من علمائه قاضي بلنسية ابن الحذاء ابو عبد الله محمد بن يحيى التميمي (٤١٠) ، « له معرفة تامة بعلم التعبير »(١) أي تفسير الرؤيا · صنف كتاب « البشرى في تعبير الرؤيا ، كبير يدخل في عشر مجلدات »(١) · « وهذا يشير الى تقدم هذا العلم في بلنسية والاندلس ·

للاندلسيين نصيب وافر في « علم الجغرافيا »(٢) · فمن علماء بلنسية ـ بل علماء الاندلس ـ الذين لهــم مصنف في الجغرافية على درجة عالية من الاهمية ، ابو العباس العذري

---

(١) معجم الادباء ، ١٩ : ١٠٨ ، ١٠٩ ·

(٢) راجع : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ·

في كتابه « نظام المرجان في المسالك والممالك »(١) . الذي يعد — وفق القطعة التي حققت منه — واحدا من أهم كتب جغرافية الاندلس وتاريخها وخطط مدنها(٢) . وقدم مادة طيبة عن بلنسية(٣) التي عاش مؤلفه في انحاء منها وخاصة في بلنسية مركزها .

و « وعلم الرأي » أحد علمائه ابن الالش ابو عبد الله محمد بن علي بن بيطش الكناني (٥٥٠ = 1155) من أهل بلنسية « حمل عن أبيه كثيراً من علم الرأي »(٤) . واذا كان هذا العالم متأخرا عن نطاق البحث فان والده محمد بن علي واحد من علماء الرأي .

كان لعلم الرأي كتب تدرس فالحنجالي ابو الحسن وابو محمد عبد الجليل بن عبد الملك بن يلبش (قبل ٥٣٠) من

---

(١) معجم البلدان ، ٢ : ٥٨٢ ، ٤ : ٥١٧ — ٨ .
نظام المرجان : حقق نصوصا منه عبد العزيز الاهواني تحت عنوان نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار ، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك » ، (معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٥) .

(٢) انظر عن كتاب ابي العباس العذري — المذكور — واهميته : نصوص عن الاندلس ، (مقدمة المحقق) ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ٨٣ وبعدها ، مدائح بلنسية ، ١٥ ، بلنسية الاسلامية ، ميراندا ، ١١ .

(٣) راجع : نصوص ، ١٧ وبعدها .
راجع دراسة حسين مؤنس للمادة التي قدمها العذري عن بلنسية : تاريخ الجغرافية ، ٨٥ وبعدها .

(٤) التكملة ، ٢ : ٤٨٣ رقم ١٣٣٠ . « الرأي هو الحكم في الدين بغير نص بل بما يراه المفتي احوط واعدل في التحريم أو التحليل » . ملخص ابطال القياس والرأي ... ، ابن حزم الاندلسي ، ٤ . راجع : ن . م ، ١٠ — ٢٣ . وعلم الرأي — كما هو مشهور — مدرسة الفقه على مذهب أهل الرأي وهي مدرسة ربيعة والامام أبي حنيفة .

أهــل مرســية وســكن بلنســية ممن « درس كتب الــرأي ببلنسية »(١) .

كانت عناية الاندلسيين بـ « علم الكلام » ، الذي يبحث في التوحيد ، محدودة قياسا باهل المشرق الاسلامي ، أوضح ابن حزم هذا بقوله : « واما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ، ولا اختلفت فيها النحل ، فقلّ لذلك تصرفهم في هذا الباب ، فهي على كل حال غير عريّة عنه ، وقد كان فيهم قوم يذهبون الى الاعتزال ، نظار على أصوله ، ولهم فيه تآليف »(٢) . ويدل كتــاب ابن حزم الشهــير « الفصل في الملل » على وقــوف علماء الاندلس على المذاهب الكلامية الاسلامية والعقائد الاخرى .

من البلنسيين الذين اهتمــوا بعــلم الكلام ابن الحــذاء المذكور الذي صنف « الانباء بمعاني الاسماء » « اسماء الله تعالى »(٣) . وكان أبو الوليد الوقشي ممن أخذ برأي المعتزلة والّف في القدر والقرآن . فسبب هذا لابي الوليــد متاعب لشيوع رأي أهل الحديث وقلة مؤيدي الاعتزال في الاندلس . حتى ان ابن حزم يتعجب من أحدهم انــه « كان داعيــة الى الاعتزال لا يستتر بذلك »(٤) .

ادى استقــرار المجتمــع البلنسي وما شــهده من نمــو اقتصادي واجتماعي في القرن الخامس الى ارتفــاع مستوى

---

(١) المعجم ، ٢٦٥ رقم ٢٤٣ .
(٢) نفح ، ٣ : ١٧٦ (رسالة ابن حزم) .
(٣) معجم الادباء ، ١٩ : ١٠٩ .
(٤) نفح ، ٣ : ٧١٦ ـ ٧ .
راجع : نفح ، ١ : ٢٢١ .

معيشة البلنسيين جميعا بتفاوت بينهم · كان التجـار أكثر البلنسيين ثراء بعـد الامير وحاشيته ورجال امارته · فمال بعض ذوي الترف الى وسائل الراحة المختلفة مرفهين عن أنفسهم في ظل لينة العيش التي تخترع في كل عصر ما يناسبها · وصف ابو العباس العذري هذه الحال في بلنسية فقال : « وقد اطبعت مدينة بلنسية بقلة الهم ، لا تكاد ترى فيها احدا من جميع الطبقات الا وهو قليل الهم ، مليئا كان أو فقيرا »[1] · وفي هذا اشارة الى عوامل أخرى غير مادية جعلت الفقير مع الغني قليل الهم منها الامن والاستقرار والتكافل الاجتماعي الذي عاشه المجتمع البلنسي بشـكل عام · وربما قصد ابو العباس ـ ايضا ـ اعتدال مناخ بلنسية وجمال بيئتها فهي « اطيب البلاد وأحسنها هواء وأجملها بساتين »[2] ·

خص ابو العباس العذري تجار بلنسية بالعمل على تهيئة وسائل الراحة المختلفة فضلا الى عامة أهلها · يقول : « قـد استعمل أكثر تجارها لانفسهم اسـباب الراحات والفـرج · ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه الا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك · وانما يتفاخر اهلها بكثرة الاغاني · يقولون · عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك · وقد اخبرت ان مغنية بلغت في بلنسية أكثر من الف مثقال طيبة ، واما دون الالف فكثيرات »[3] ·

---

(١) نصوص ، ١٨ ·

(٢) نصوص ، ١٨ ·

(٣) م · ن ، ١٨ ·

فازدهرت « الموسيقى » و « الغناء » ـ على ما يبدو ـ في بلنسية وكان العود اداة العزف الاولى ٠

ليس هنـاك ما يدعو للشك فيمـا أورده أبو العبـاس العذري الا ان مجتمعا مسلما لا يمكن ان يصل الى ذلك الحد من الانغماس في الاطايب وحتى المحرمات(١) ! ربما فئـة أو أفراد من المجتمع البلنسي من اغنياء التجـار وغيرهم كانوا مهتمين بالغناء والموسيقى ٠ والا فان النص المذكور يفهم منه ان الناس لم يكن لهم عمل الا سماع الموسيقى والغناء ٠ هذا ولا يتوفر ـ في المصادر الاندلسية ـ ما يماثل أو يؤيد ما ذكره أبو العباس العذري (٢) ٠

و « فن العمارة » يتوقـع ان البلنسيين تفننوا في بنـاء المساجد والقصور وغيرها ٠ ولم يبق من خطط بلنسية الاسلامية وآثارها الفنية ما يمكن الاشارة اليه ٠ ويمكن ان يستدل على تقدم فنها المعماري مما ورد في المصادر من ذكر لخططها ، وتقدمهـا الاقتصادي والاجتماعي ٠ وما عليـه فن الريازة الاندلسي من تقدم وبهاء ٠

---

(١) ربما وقع سهو أو زيادة فيما أورده ابو العباس العذري عن بلنسية ٠ والمشهور ان اشبيلية مما عرف عنها العناية بالموسيقى والغناء ٠ ولا يمكن قبول نص العذري المذكور ـ على شكله ـ حتى وان كان عنها ٠ راجع عن اشتهار اشبيلية بالموسيقى والغناء : ابن زيدون ، شـوقي ضيف ، ١٤ ٠

(٢) راجع عن الموسيقى في الاندلس : نفح ، ٣ : ١٨٥ (رسالة ابن سعيد)، تاريـخ الموسيقى الاندلسية ، عبـد الرحمن علي الحجي ، المدنيـة الاسلامية ، ٢٠٤ ، دول الطوائف ، ٤١٩ ٠

الفصل الثاني

أولا : الصلات المتبادلة بين بلنسية والعالم الاسلامي ٠

١ ـ بلنسية مع العالم الاسلامي ٠

٢ ـ العالم الاسلامي مع بلنسية ٠

ثانيا : الصلات المتبادلة بين بلنسية والاندلس ٠

١ ـ بلنسية مع قرطبة ٠

٢ ـ قرطبة مع بلنسية ٠

٣ ـ انحاء الاندلس الاخرى مع بلنسية ٠

الفصل الثاني

أولا : الصلات المتبادلة بين بلنسية والعالم الاسلامي •

١ ـ بلنسية مع العالم الاسلامي •

٢ ـ العالم الاسلامي مع بلنسية •

ثانيا : الصلات المتبادلة بين بلنسية والاندلس •

١ ـ بلنسية مع قرطبة •

٢ ـ قرطبة مع بلنسية •

٣ ـ انحاء الاندلس الاخرى مع بلنسية •

الفصل الثاني

الصِـــلات العِلميـــة

نعم العالم الاسلامي بوحدة ثقافية تهيأت لها كل الاسباب حتى في ظل الانقسامات السياسية الظاهرة ، فلم يعرف الحدود المصطنعة التي تحد بشكل أو بآخر من حرية انتقال المسلم في بلاد الاسلام • فكان العالم والطالب والكتاب ينتقل بكـل حرية في الرقعة الممتدة من سواحل الاطلسي الى أواسط آسيا• فكان من نتائج ذلك ان اتسمت الحركة العلمية بسمات اهمها التوحد في الاسس والمقومات والاشتراك في كثير من المظاهر •

لذلك كانت الصلات العلمية بين ارجاء العالم الاسلامي وطيـدة اكسبت الحياة العلمية نماءً وتطورا وازدهـارا ، واضفت عليها النظرة الشاملة والافادة من خبرات وجهـود العالم المسلم أينما كان(١) •

ان الصلات مع بلنسية تمثل تيارات علميـة من العـالم الاسلامي والاندلس الى بلنسية ، ومن بلنسيـة الى الاندلس والعـالم الاسلامي • كان لتلك الصـلات تأثيراتها المتبادلة ،

---

(١) راجع : التأثيرات المشرقية في الاندلس ومدى أثرها في تكوين الثقافة الاندلسية ، محمود علي مكي ، ٤٩٤ ـ ٩٩ (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد م : ٩ ، ١٠ مدريد ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م) •
ايضا : دراسات عن التيارات الثقافية المشرقية في الاندلس واثرها في تكوينه الثقافي ، محمود علي مكي ، ٤٢٠ ـ (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد م : ١١ ، ١٢ مدريد ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ م) •

حظيت بلنسية منها بالنصيب الاوفر ، بحكم غزارة التيارين اذا ما قورن بالتيار البلنسي ٠

كانت الرحلة في طلب العلم من ابرز وجوه الصلات العلمية ٠ حملت التأثير ووطدت التوحد ٠ فقد أصبحت الرحلة عرفا علميا اسلاميا ، مثّل فيها الطالب دوره في نقل العلم وتقريب الافكار وتهيئة الاسباب للافادة المتبادلة ٠

ان وفود العلماء من العالم الاسلامي والاندلس الى بلنسية وبالعكس يعدّ مظهرا غاية في الاهمية في تعزيز الصلات وتعميق التأثير ٠ لا يبدو انه بالامكان اعتبار انتقال العالم من مكان الى آخر ضمن الرحلة ، التي هي للطالب ، وان كان العالم المسلم لا يكف عن الاستزادة من العلم ٠

هناك اسباب أخرى في تعزيز الصلات واحداث التأثيرات المتبادلة منها التاجر والحاج والمسافر ٠ وتبرز أهمية هذه الوسائل على أقل تقدير في نقل الكتب من مكان لآخر ٠ ويمكن القول ان الرحلة مهما كانت غايتها فهي لا تكاد تخلو من طلب العلم أو بثه ٠

فيما يلي حديث عن صلات بلنسية مع العالم الاسلامي أولا وصلاتها مع الاندلس ثانيا :

أولا : الصلات المتبادلة بين بلنسية والعالم الاسلامي

قامت صلات علمية بين بلنسية والعالم الاسلامي ٠ فقد وجد الطلاب البلنسيون ان العالم الاسلامي ــ لا سيما شرقه ــ منار العلم ، فشدوا الرحال اليه ، لينهلوا من العلم ما ط

لهم ، على بعد المسافة وبداءة الواسطة • فحبّ العلم وادراك أهميته وأهدافه وثوابه ، تجعل كل صعب سهلا وكل نصب راحة • وهم يعلمون أنهم أينما وحيثما القوا رحال سفرهم فهم بين اخوانهم يجدون العون والاقراء والتشجيع • ويجدون لغة مشتركة تسهّل التفاهم واعرافا تكاد تكون واحدة . وفي ذات الوقت كانت الرحلة تتيح للطالب حج بيت الله الحرام • وفي أيام الرحلة التي تقصر أو تطول فائدة أية فائدة ، علم وتجربة واتساع أفق ، وشعور بالعزة والكرامة ، عندما يجد الطالب أن عالمه الاسلامي أوسع من مدينته وأكبر من بلده ، وهو زاخر بالنشاط العلمي والاجتماعي خاصة في حواضره الرئيسية كالقيروان ومصر والمدينة المنورة ودمشق والبصرة والكوفة وبغداد وسمرقند وبخارى •

١ ـ بلنسية مع العالم الاسلامي :

بعد ان يتلقى الطالب البلنسي علمه في بلنسية والاندلس سيما في قرطبة ـ يتوجه الى العالم الاسلامي • فمن الرحلات المبكرة رحلة ابي عثمان سعد بن مكرم (١٨١ = ٧٩٧) من أهل بلنسية ، « سمع » بقرطبة ، ثم « رحل الى المشرق حاجا ، وله هناك سماع كثير »(١) •

كان الوقت الذي تستغرقه الرحلة يتفاوت فأبو عثمان سعد بن جزي (٣٧٨ = ٩٨٨) من أهل كورة بلنسية « رحل الى المشرق رحلة اقام فيها نحو أحد عشر عاما ، وسمع سماعا كثيرا »(٢) • ومن بلاد المشرق التي درس فيها مصر حيث

---

(١) تاريخ علماء الاندلس ، ١ : ١٨٠ •

(٢) تاريخ علماء الاندلس ، ١ : ١٧٩ •

« سمع » فيها « على أبي علي بن السكن صحيح البخاري وكتبه عنه سنة ٣٤٥ »(١) ٠

لا تتوفر أخبار عن عودة الطالبين المذكورين الى بلنسية من رحلتهما لمعرفة مدى اسهامهما في ايصال العلم الى بلنسية فالطالب البلنسي قد لا يعود من رحلته واذا عاد الى الاندلس فلا يشترط أن يستقر ببلنسية ٠ فقد يجد له مكانا في أوساط الحركة العلمية الاسلامية ، في أي من بقاعها ، اذا أظهر من المقدرة والنباهة ، فيقدم للتدريس وتولي المناصب ٠ فابو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيّد بن مغلّس القيسي الاندلسي (البلنسي) المتوفى بمصر يوم الاربعاء لست بقين من جمادى الاولى (٤٢٧ = ١٠٣٥) . « كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا اليه فيها رحل من الاندلس ، وسكن مصر واستوطنها ، وقرأ الادب على ابي العلاء صاعد بن الحسن الربعي صاحب كتاب « الفصوص » وعلى ابي يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمي بمصر ، ودخل بغداد واستفاد وأفاد ، وله شعر حسن »(٢) ٠

قد لا يقتصر الطالب على رحلة واحدة في عمره حتى وان بلغ درجة من العلم فالطالب والعالم دائما في طلب للعلم بل ان حياتهما تدور في فلكه ٠ من ذلك ان ابا القاسم خلف بن أحمد بن بطال البكري (٤٥٤ = ١٠٦٢) من أهل بلنسية بعد أن روى على مشيخة بلده(٣) ، رحل الى المشرق ، بادئا

---

(١) الذيل ، ٤ : ١٢ رقم ٢٩ ٠

(٢) وفيات الاعيان ، ٣ : ١٩٣ ــ ٤ ، بغية الوعاة ، ٢ : ٩٨ رقم ١٥٣٥ ٠
(المصدر الثاني ألحق به النسبة البلنسية) ٠
راجع : الصلة ، ٢ : ٣٦٩ ــ ٧٠ ٠

(٣) انظر : الصلة ، ١ : ١٧١ ، الديباج ، ١١٥ ٠

رحلته بدخول افريقية سنة ٤٢٣ (١٠٣١) وهو لم يتجاوز بعد الخامسة والعشرين من عمره « فتردد بالمشرق نحو اربعة أعوام طالبا للعلم »(١) • ثم كانت رحلته الثانية سنة ٤٥٢ (١٠٦٠) حيث حج « واخذ عن ابي عبد الله محمد بن الفرج ابن عبد الولي ، وأبي علي الحسن بن عبد الرحمن الشافعي وغيرهما »(٢) • ثم نجده باشبيلية سنة ٤٥٤ ، مما يشير الى ان رحلته الثانية لم تتجاوز العامين(٣) •

تبرز أهمية الرحلة التي تعد أبرز مظاهر الصلات من خلال الامثلة العديدة التي تعبر عن الجوانب المتعددة ، ومنها المثل المذكور • فقد وصف ابن بشكوال ابن بطال البكري بأنه « كان فقيها اصوليا من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك • واستقضي ببعض نواحي بلنسية » « وله مؤلفات حسان » • وممن روي عنه من البلنسيين ابو داود المقرىء وأبو بحر الاسدي(٤) • مما يشير الى أهمية الرحلة في تزويد الطالب بقسط وافر من العلم والمعرفة يعود بعدها عالما يتصدى للتدريس ويتولى الوظائف العلمية •

يلاحظ ان من ابرز مظاهر تأثير الصلات مع المشرق على بلنسية ، ويقصد هنا تأثير المدينة المنورة ، شيوع الامام مالك فيها • كان الاندلسيون عامة يخصون المدينة بجل وقتهم في الاقامة بها وطلب العلم على مشايخها • فهي مدينة الرسول

---

(١) الصلة ، ١ : ١٧١ •
(٢) م • ن ، ١ : ١٧١ •
(٣) م • ن ، ١ : ١٧١ •
(٤) م • ن ، ١ : ١٧١ •
انظر : الديباج ، ١١٥ •

صلى الله عليه وسلم ودار هجرته وحافظة سنته ، ولاقامة عدد من كبار علماء المسلمين فيهـا وخاصة من ابنـاء الصحـابة والتابعين . فقد احتلت المدينة أولى المراتب بين المدن الاسلامية مركز الحياة العلمية ، وتفردت بكونها رائدة وزعيمة مدرسة الحديث في الاسـلام . كما كانت مدارس العراق في البصرة والكوفة وبغداد تتبوأ زعامة مدرسة الرأي . هـذا بجانب استقطابها للمسلمين عند اداء فريضة الحج . وكان الامام مالك وتلامذته من بعده يتصدرون مجالس العلم فيها . فكان الاندلسيون تلامـذة لأولئك الاعـلام . نقلوا الى الاندلس آراءهم الفقهية وتهيأ من الاسباب ماجعل الاندلسيين يتمسكون بآراء مالك ، لذلك كـان الطالب لا يعـود الى الاندلس ـ في الغالب ـ الا وهو على مذهب الامام مالك .

لم تكن صلات بلنسية مع العالم الاسـلامي تقتصر على البلاد التي يمر بها الطالب والحاج قاصـدا الحجاز فحسب ، بل تعدت الى انحاء أخرى . فالطالب يتطلع الى مراكز الاشعاع العلمي اينمـا وجدت في عالمـه الاسـلامي . كما ان المدينـة والبصرة والكوفة وبغداد ودمشق لم تعد وحدها موئل العلماء ومهوى افئدة طلاب العلم ، بل وجدت مدن اسلامية أخـرى تنافس الحواضر المذكورة ، وفي هذا دلالة على نمـو الحركة العلمية واتساع دائرتها في مختلف الجوانب وفي اماكن عدة ، فابن الحداد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ماسويه بن حمد بن الانصاري (؟)(١) ، « له رحلة الى المشرق سنة اثنتين وخمسين واربع مائة ادى فيها فريضة الحج وتجول في بلاد

(١) التكملة ، ١ : ٢٣ رقم ٥٤ ، الذيل ، ١ : ٢ : ٤٥١ ـ ٢ رقم ٦٧١ .

المشرق الاقصى طالبا للعلم بالموصل وبغداد وواسط وبلاد فارس وخراسان وغيرها وعاد الى مصر سنة سبع وستين وقفل الى بلاده »[1] • فالوقت الذي استغرقته رحلة ابن الحداد يقرب من خمسة عشر عاما ، كانت حافلة بالنشاط العلمي • يمكن تقدير المعرفة التي تزودها على ضوء هذه المدة والانحاء الشاسعة التي جابها ، فهي معرفة تعددت مصادرها ـ بلا ريب ـ فأكسبته ثقافة عالية • دخل مرة طنجة ـ بعد ان يئس من اللحاق بيوسف بن تاشفين للمشاركة في الجهاد ـ « فلقي بها ابا الاصبغ عيسى بن سهل ، وكانت له معه مناظرة في مسائل من العلم أدّته الى عمل رسالة سماها : رسالة الامتحان لمن برز في علم الشريعة والقرآن خاطب بها ابن سهل المذكور وطلب منه الجواب على مسائل عويصة تدل على قوته في العلم واتساعه ! »[2] هكذا العالم المسلم مجاهد في ميادين الوغى ذودا عن العقيدة وفي ميادين العلم لبثه بين الناس ، مشاركا في الاحداث العامة ، فلا عجب ان احلّهم مجتمعهم ارفع المكانة ومنحهم اسمى التقدير والعرفان[3] •

لم يقف الطلاب البلنسيون في طلب العلم عند رأي اجتهادي معين من آراء الفقهاء وان غلب عليهم مذهب مالك • وكانت كتب الصحاح مما يطمحون لسماعه في رحلاتهم ، وتتلمذ بعضهم على عالمات مسلمات ، فالشارقي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الانصاري الواعظ

(١) الذيل ، ١ : ٢ : ٤٥١ ـ ٢ • ايضا : التكملة ، ١ : ٢٣ •
(٢) التكملة ، ١ : ٢٣ ، الذيل ، ١ : ٢ : ٤٥٢ •
(٣) راجع مظاهر تقدير العالم ومكانته في المجتمع البلنسي مثلا : الصلة ، ٢ : ٥١١ •

(قريبا ٥٠١ = ١١٠٧) من ناحية بلنسية ، « سمع » بمكة ـ في رحلته التي حج فيها ـ صحيح البخاري من كريمة المروزية[١]، « وسمع من عبد الجليل الساوي ووصفه بالمشاركة في معرفة الاصول على مذهب أهل العراق ، وطريق الحجاج والنظر ، وانه جالسه وسمع كلامه »[١] • « ودخل الشارقي هذا العراق وبلد فارس والاهواز ومصر ، وقفل الى المغرب وسكن سبتة ومدينة فاس وغيرهما وكان فقيها واعظا فاضلا كثير الذكر والعمل والبكاء »[٢] •

٢ ـ العالم الاسلامي مع بلنسية :

أمر متوقع أن تبدأ الصلات العلمية من بلنسية صوب العالم الاسلامي ، الذي سبقت حواضره بلنسية بل الاندلس في مضمار العلم في النشأة على أقل تقدير • وهكذا رحلات الطلاب البلنسيين الى العالم الاسلامي منذ القرن الثاني الهجري وفق النصوص المتوفرة التي مرّ عرضها • الا أن نشاط الحركة العلمية الاسلامية واتساع دائرتها وتعدد مراكزها ادى الى انسياح العلماء في انحاء البلاد الاسلامية يحدوهم الامل في نيل ثواب ايصال العلم وبثه ، وخاصة في الاماكن التي لم يبرز فيها علماء مشهورون • وقد استقبلت الاندلس العديد من العلماء والادباء والشعراء الذين حظي عدد منهم بالمنزلة والتشجيع من ولاة الامر وأفادوا الحركة العلمية فيها كل في مجال اهتمامه • وفيما يخص بلنسية فقد استقبلت منذ النصف الثاني للقرن الرابع الهجري ـ حسب النصوص

---

(١) التكملة ، ١ : ٢٦ رقم ٦٤ ، الذيل ، ١ : ٢ : ٤٦١ رقم ٦٧٦ •

(٢) الذيل ، ١ : ٢ : ٤٦١ • انظر ايضا : التكملة ، ١ : ٢٦ •

المتوفرة ـ طلابا وعلماء من انحاء من العالم الاسلامي . فابو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن محمد بن اسحاق بن محمد ابن خواست الفارسي البغدادي (٣٢٠ ـ ٤١٣) بعد أن روى بالمشرق[1] ، قصد الاندلس فدخلها تاجرا سنة ٣٥٠ (٩٦١) . ويبدو انه لم يكن على قدر من العلم بل كانت التجارة بضاعته الاولى الا انه كان يغتنم الفرصة عندما تتاح له في طلب العلم ، فلم يرد انه درّس في الاندلس بل « روى » عن ابن الفرضي ببلنسية في ربيع الاول سنة ٤٠٠ ، أي بعد خمسين عاما من دخوله الاندلس ، مما يشير الى انه ما انفك يطلب العلم ـ بجانب اشتغاله بالتجارة ـ وعمره ثمانون عاما !! ، لذلك وصف بالمعمّر وكانت اندة مكان سكناه[2] .

لم يكن لابن خواست الفارسي البغدادي دور واضح مؤثر كشخصية مشرقية دخلت بلنسية وان كان بالامكان تقدير عمله ـ على الاحتمال ـ انه نقل الى الاندلس أو بلنسية كتبا علمية باعتباره تاجرا ومهتما بطلب العلم ، وحمل اليها من اعراف المشرق العلمية مما لا نستبعده مع رجل عاش ثلاثين عاما في المشرق لم تخل من طلب للعلم وقضى بقية حياته في الاندلس .

بيد ان طالبا وتاجرا وعالما مشرقياً آخر هو أبو الليث وابو الفتح نصر بن الحسن التنكتي الشاشي مقيم سمرقند (٤٠٦ ـ ٤٧١) يقدم المثل على الصلات مع بلنسية وآثارها المتبادلة مع المشرق . ويعدّ خبره واحدا من بين العديد من

---

(١) الصلة ، ٢ : ٣٧٥ رقم ٨٠٤ .

(٢) الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ، العبر ، الذهبي ، ٣ : ٣١٤ .

الاخبار التي تؤكد على وحدة العالم الاسلامي وقتئذ وتقارب انحائه على بعدها وما كان له من آثار على الحركة العلمية ·
فبعد ان « روى » ابو الليث بالمشرق[1] ،دخل الاندلس للتجارة سنة ٤٦٣ (١٠٧٠) وهو يحمل العلم ويرغب في بثه ويطمح الى الاستزادة منه ، وصدر عن الاندلس سنة ٤٦٦[2] وقد افاد واستفاد ، وكما كان رسول المشرق الى الاندلس وبلنسية، كان رسولهما الى المشرق · ويبدو ان التجارة لم تكن لابي الليث أكثر من وسيلة توفر له مؤونة السفر ، فأخباره العلمية في ترجمته هي البارزة ·

درس ابو الليث على علماء بلنسية عندما قدمها سنة ٤٦٤ (١٠٧١) ، حيث قطعت بلنسية شأوا كبيرا في ميدان العلم ، فقد تصدرها وقتئذ عدد من العلماء الكبار[3] · كما تتلمذ على ابي الليث عدد من الطلاب ببلنسية[4] · ومن الثابت انه كان يحدث « بصحيح مسلم »[5] ، فهو محدث وتأثيره يبرز من هذا الجانب · ولم يقتصر تأثير ما حمله من علم وثقافة على تحديثه « بصحيح مسلم » ، بل قدم للطلاب البلنسيين — على ما يبدو — اخبارا عن عالمهم الاسلامي الذي جابه ، فمثلا كان يحدثهم عن سمرقند بلده من ذلك انه ذكر لهم ان طولها « ستون ميلا »[6] ، ولا بد انه نقل الى بلنسية من الكتب ما

(١) انظر : الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ، العبر ، الذهبي ، ٣ : ٣١٤ ·
(٢) الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ·
(٣) انظر : الصلة ، ٢ : ٦٣٧ ، ٦٣٨ ·
(٤) انظر : الذيل ، ١ : ١ : ١٩٣ ، ٥ : ١ : ٤٠٣ ·
(٥) الصلة ، ٢ : ٦٣٨ ·
(٦) م · ن ، ٢ : ٦٣٨ ·
انظر : م · ن ، ٦٣٧ ·

انتفع به طلابها ونقل منها ما وجد انه نادر وجديد • وتبرز مؤثرات بلنسية على المشرق الاسلامي عندما انصرف ابو الليث عن الاندلس حيث « روى » حدث ببغداد عن ابي المطرف عبد الرحمن بن عبد الله بن جحاف المعافري (٤٧٢ = ١٠٧٩) من أهل بلنسية وقاضيها(١) وأحد علمائها الذين « سمع » عليهم فيها(٢) •

وصقلية هي الاخرى كانت على صلة علمية مع بلنسية فأحد ابنائها ممن تلقى علمه في مصر ، وهو ابو محمد جعفر بن علي بن محمد التميمي الصقلي (؟) ، « قدم الاندلس وبها لقيه ابو داود المقرىء فسمع منه كتاب ابي بكر بن عزيز في غريب القرآن بجامع بلنسية مرتين • احداهما في أول ذي القعدة سنة أربع وسبعين واربعمائة • وكان من أهل المعرفة الكاملة باللغة والآداب والشعر مقدماً في ذلك • له حظ من النظم »(٤) • فأبو محمد الصقلي يمثل صلات صقلية ببلنسية من حيث نسبته اليها وليس مؤكدا انه تلقى فيها شيئا من علمه ولو في صغره ، فربما جاءته النسبة الى صقلية من آبائه ، فهو كذلك يمثل صلات مصر مع بلنسية فهي التي ذكر انها تلقى فيها علومه ، ومن ثم هو من ذوي العلم بعلوم القرآن واللغة •

كان رسول القيروان الى بلنسية ابو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي (٤٨٥ = ١٠٩٢) اصله من

---

(١) جذوة ، ٢٧٦ ، الصلة ، ٢ : ٣٤٠ ، بغية ، ٣٦٧ •

(٢) الصلة ، ٢ : ٦٣٧ •

(٣) التكملة ، ١ : ٢٤٥ •

القيروان ، سمع بها ، وبمصر ، وبمكة ، كان « من أهل العلم بالاصول والفروع،وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان»(١). ودخل الاندلس ، « فسمع » الناس منه ببلنسية وغيرها(٢) ، منهم : ابو داود المقري سليمان بن ابي القاسم نجاح – على الارجح – ببلنسية(٣) ٠

يمكن القول ان العالم وكذا الطالب المسلم الذي كان يفد أو يقصد بلنسية من أي مكان كان منشأه لم تكن ثقافته تقتصر على ما وجد في بلده بل تمثل ثقافته مزيجا مما سمعه ورآه وقرأه في كل البلاد التي مرّ بها حتى حط رحاله ببلنسية ٠ وهكذا كان التشابك والتداخل بين فروع شجرة الحركة العلمية الاسلامية التي تقوم على ساق واحدة وتنهل من معين واحد ٠ فكانت ثمارها طيبة في كل اغصانها ، وما كان لغصن ان يحمل مثل تلك الثمار الطيبة لو كان منقطعا عن الشجرة ٠

ومن أهل القيروان الذين وفدوا على بلنسية وكان له صلة مع أحد علمائها ، الحصري ابو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القروي المقرىء (٤٨٨) « اديب رخيم الشعر حديد الهجو ، دخل الاندلس بعد الخمسين واربعمائة ٠ فانتجع ملوكها واتصل بعلمائها ، كأبي العباس النحوي البلنسي وغيره ٠ وشعره كثير وادبه موفور »(٤) ٠

---

(١) الصلة ، ٢ : ٦٠٣ ٠

(٢) م ٠ ن ، ٢ : ٦٠٣ ٠

(٣) م ٠ ن ، ١ : ٢٠٣ ٠

(٤) المطرب ، ١٣ ٠
انظر ايضا : جذوة ، ٣١٤ ٠

ثانياً : الصلات المتبادلة بين بلنسية والاندلس

كانت الصلات العلمية بين بلنسية ومدن الاندلس وطيدة، حافلة بالحركة والتأثير المتبادل · وهي أكبر في مجموع نشاطها من صلات بلنسية مع العالم الاسلامي · اذ كان طلاب الاندلس في غالبيتهم في تنقل مستمر بين مدن الاندلس بل وقراه قاصدين العالم اينما وجد · واذا كانت قرطبة قد جذبت اليها معظم أولئك الطلاب ، لاحتفالها بالجم الغفير من علماء الاندلس وغيرهم ، اذا ما قورنت بمدن الاندلس ، لكونها حاضرته ، وذلك قبل سقوط الخلافة ، فان انحاء الاندلس الاخرى حفلت هي الاخرى بعلماء وبتفاوت ، في العهد الذي صاحب الفتنة وسقوط الخلافة وقيام دول الطوائف · اذ لم يجد العديد من العلماء في تلك الفترة ، من الهدوء ما يجعلهم يطلبون الاقامة في قرطبة ، ولفقدانها المكانة السياسية والادارية · فانساح معظم علماء قرطبة مهاجرين في انحاء الاندلس باحثين عن المكان الآمن ليباشروا من جديد ــ بعد تلك العاصفة الهوجاء التي اجتاحت قرطبة ــ نشاطهم العلمي · فكان أن ظهرت مدن جديدة تنافس ما كانت عليه قرطبة من علو في المنزلة العلمية · ففي الوقت الذي كان الطلاب والعلماء الاندلسيون وغيرهم يتجهون صوب قرطبة في الغالب ، أصبحت هناك عدة اماكن تتجه اليها افئدة الطلاب لاحتفالها بالعلماء أولا ولاكتسابها مركزا اداريا وسياسيا جديدا ثانيا ·

١ ــ بلنسية مع قرطبة :

كانت علاقة بلنسية العلمية بقرطبة أكثر نشاطا وابعد تأثيرا اذا قورنت بعلاقة بلنسية بمدن الاندلس الاخرى ، وهو

أمر اعتيادي ـ كما هو شأن صلات المدن الاندلسية الاخرى بقرطبة ـ لتمتع قرطبة بالمزايا التي مرّ ذكرها ·

تمثلت الصلات مع قرطبة بمظاهر مختلفة حملت التأثير القرطبي بالدرجة الاولى الى بلنسية ، فالطالب البلنسي الذي يرحل الى العالم الاسلامي لا يغادر الاندلس الا بعد ان يمر بقرطبة ـ في الغالب ـ ناهلا العلم ـ ما تهيأ له ـ من علمائها · وقد مرّ ذكر امثلة على هذا عند الحديث عن الصلات مع العالم الاسلامي ·

حتى نهاية القرن الرابع كان الطالب البلنسي لا يقصد ـ ما يبدو ـ غير قرطبة من الاندلس فأبو بكر جعفر بن جحاف ابن يمن (٣٧٦ = ٩٨٦) من أهل بلنسية « سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ ، ومحمد بن عبد الله بن ابي دليم » ثم عاد الى بلنسية بعلم رفعه الى احكام القضاء ببلنسية(١) · وحيدرة ابو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري (٤١٧ أو ٤١٨) « روى بقرطبة عن ابي عيسى الليثي ، وابي بكر بن السَّليم ، وابي بكر بن القوطية وغيرهم »(٢) فتولى هو الآخر قضاء بلنسية « وكان من العلماء الجلّة ، ومن ذوي العناية القديمة ثقة فاضلا » ووصفه تلميذه أبو محمد بن حزم بأنه كان ذا حظ وافر من العلم(٣) ·

---

(١) تاريخ علماء الاندلس ، ١ : ١٠٣ ·

(٢) الصلة ، ١ : ٢٦٣ ·

(٣) م · ن ، ١ : ٢٦٣ ·
راجع عن الصلات مع قرطبة : المعجم ، ١٢١ رقم ١١١ ·

ان العديد من علماء قرطبة ممن تتلمذ البلنسيون عليهم كانوا ذوي رحلة الى المشرق الاسلامي، كما ان عددا من علمائه كانوا فيتوافد الى قرطبة فزادوا الحركة العلمية نماء وثراء • فأصبحت قرطبة موردا ثرا لطالب العلم • فاتيح للبلنسيين الذين لم يرحلوا الى المشرق زادا غنيا في قرطبة ، التي احتلت مكانها المرموق بين حواضر العالم الاسلامي وخاصة في عهد الخلافة • وان لم يحد هذا كثيرا من تيار الرحلة العلمية الى المشرق الاسلامي ، اذ أضحت عرفا علميا اسلاميا في جانب من جوانبها ، كما انها كانت تهيأ للطالب اداء فريضة الحج والاطلاع الذي يوفره السفر وكان في هذا خير للحركة العلمية الاسلامية وللمجتمع الاسلامي • اذ استمرت العلائق بين انحاء البلاد الاسلامية فأبقى للجديد من العلم سرعة الانتقال فالتأثير والتأثر المستمرين •

٢ ـ قرطبة مع بلنسية :

لم تقتصر الصلات مع قرطبة على تلقي الطلاب البلنسيين العلم فيها بل ان تيارا قرطبيا اغزر اتجه من قرطبة الى بلنسية • وهو وفود علماء قرطبيين الى بلنسية ، كانوا ـ في الغالب ـ من كبار العلماء • فكان تأثيرهم واضحا مثّل التأثر القرطبي وان جاز القول التأثير الاندلسي • وهكذا ففي الوقت الذي كان التيار البلنسي نحو قرطبة تيار طلاب ، نجد التيار القرطبي صوب بلنسية تيار علماء في غالبيته العظمى • فابن الفرضي الذي تولى قضاء بلنسية ومارس نشاطا علميا فيها يمثل الشخصية القرطبية في الوسط العلمي البلنسي ،

وان كانت مدة اقامته فيها قصيرة ونشاطه المذكور فيها ضئيلا جدا[1] . وابن الحذاء ابو عبد الله محمد بن يحيى التميمي الاندلسي (٤١٠) « محدثا فقيها وخطيبا بليغا عارفا بفنون الادب بارعا بها ، له معرفة تامة بعلم التعبير »[2]، أخذ علمه عن بعض علماء قرطبة والقيروان ومصر وتولى قضاء بلنسية[3] .

كان شأن الفتنة التي ابتليت بها قرطبة والتي انتهت بسقوط الخلافة ، ان تأتي على الاستقرار والهدوء ، الذي نعمت فيه الحياة العلمية في حاضرة الاندلس . فكان من المظاهر التي اسفرت عنها الفتنة ، هجرة العديد من علماء قرطبة الى انحاء من الاندلس ، فجاء نصيب بلنسية من ذلك وافرا . ان الاحداث الطارئة وما يتمخض عنها لا تمثل السير الاعتيادي للامور ، فيمكن عدّ انتقال العلماء من قرطبة الى بلنسية « هجرة علمية » كان تأثيرها على الحركة العلمية في بلنسية كبيرا .

استقبلت بلنسية من كبار علماء قرطبة الذين يعدون كبار علماء الاندلس . فكان لهم تأثيرهم على نمو الحركة باعتبارهم يمثلون مستوى الحركة العلمية التي بلغت قرطبة ذروتها وقتذاك ، ومن اولئك العلماء الاعلام ابن الفخار

---

(١) راجع : اعلاه ، ٣١٧ .

(٢) معجم الادباء ، ١٩ : ١٠٨ .

(٣) م . ن ، ١٩ : ١٠٨ .

محمد بن عمر المالكي الحافظ (٤١٩=١٠٢٨)[١] وأبو محمد عبد الله بن ابي دليم ، وربما كانت رواية ابي داود عليه سنة ٤٣٦ وهو ابن ثمانين عاما ببلنسية • فلا يعرف على وجه التأكيد متى سكن ابن ابي دليم بلنسية كما لم ينص على أن رواية ابي داود عليه كانت فيها[٢] •

ومن اعلام قرطبة الذين حفلت بهم بلنسية ابو محمد حسن بن عبد العزيز بن حسن بن أبي عبده (٤٤٠ = ١٠٤٨)[٣] ، وابن اللحام ابو الحسن علي بن خلف بن بطّال البكري (٤٤٩ = ١٠٥٧) « اصلهم من قرطبة واخرجتهم الفتنة الى بلنسية »[٤] •

كان ابن اللحام « من أهل العلم والمعرفة والفهم ••• عني بالحديث العناية التامة ، واتقن ما قيد منه • وشرح صحيح البخاري في عدة اسفار • رواه الناس عنه »[٥] • هذا مما يبين مدى التأثير القرطبي على سير الدراسات العلمية في بلنسية • فالاعلام الذين قصدوها من ذوي التصانيف وكانوا شيوخا في علوم عدة فكل واحد منهم مدرسة تجمع حولها طلبة العلم •

لم يكن العالم القرطبي الذي حلّ بلنسية دائم الاستقرار بها • ويبدو انها ظاهرة شارك فيها العلماء الآخرون في المدن

---

(١) انظر : الصلة ، ٢ : ٥١٠ ـ ٢ ، الديباج ، ٢٧١ ـ ٢ ، نفح ، ٢ : ٦٠ ـ ٦١ •

(٢) انظر : التكملة ، ٢ : ٧٩٦ ، الذيل ، ٤ : ١٨٠ ـ ١ •
لابن ابي دليم رواية بطرطوشة سنة ٤٠٥ (١٠١٤) ، التكملة ، ٢ : ٧٩٦ •

(٣) التكملة ، ١ : ٢٥٦ •

(٤) الديباج ، ٢٠٣ ـ ٤ •
انظر : الصلة ، ٢ : ٤١٤ رقم ٨٩١ •

(٥) انظر : الديباج ، ٢٠٤ •

الاخرى ، فليس من السهل على العالم واسرته ان يجد مكانا مناسبا للسكن ـ من الجوانب المتعددة ـ بعد ان غادر المكان الذي آواه سنينا ، وكان في تنقل العلماء ـ ذاك ـ فائدة للحركة العلمية ، فلم يتوان العالم عن اداء واجبه في بث العلم . فهو اساسي في حياته . ولم تكن الاحداث التي اجتاحت قرطبة الا عاصفة سرعان ما تلاشت بعد ان أخذت من كبير التضحيات الكثير وخاصة في انهائها لوحدة الاندلس السياسية . الا انها لم تترك ما يوازي هذه المساوىء على مسار الحركة العلمية . فقد جدّت ظروف وتهيأت اسباب كانت عوامل مشجعة عوّضت الحركة العلمية عما تركته العاصفة من آثار سيئة عليها لم تستمر الا قليلا من الوقت . من الذين لم يطيلوا الاقامة ببلنسية ابن اللحام المذكور[1] وابو عمر يوسف بن عبد البر الحافظ (٤٦٣) الذي « جلى عن وطنه ومنشئه قرطبة فكان في الغرب مدة ، ثم تحول الى شرق الاندلس وسكن منه دانية ، وبلنسية ، وشاطبة »[2] .

وعندما كان ابو عمر المقرىء (القرطبي) الداني يرتاد بلدا يستوطنه ـ قبل استقراره بدانية ـ كان في بلنسية في وقت ما فسمع منه[3] .

كان العالم المسلم اينما حلّ رفيع المكان لا ينتقص قدره . يُقدم لتولي المناصب التي يؤهله علمه لها ـ بشكل عام ـ دون الاخذ بأي اعتبار آخر ، فأبو شاكر عبد الواحد بن محمد

---

(١) انظر : الديباج ، ٢٠٤ .
(٢) الصلة ، ٢ : ٦٧٩ .
(٣) انظر : التكملة ، ١ : ٢٣٩ .

التجيبي القبري (٣٧٧ ـ ٤٥٦ = ٩٨٧ ـ ١٠٦٣) من أهل قرطبة سكن بلنسية وتقلد الصلاة والخطبة والاحكام فيها ، وكبير الاحتمال انه ممن هاجر اليها(١) • وهكذا يتم على يد مجتمع للعلم فيه مكانة خاصة ومستوى العلم فيه بيّن •

وجد من القرطبيين طلاب تتلمذوا ببلنسية وجاء ذلك كما هو واضح بعد ان فقدت قرطبة مكانتها العلمية التي كانت عليها ، فمثلا ان أبا محمد بن حزم القرطبي النشأة حضر مجلس أحد علماء بلنسية وتردد عليه(٢) •

وابو العباس أحمد بن عبد الله بن جهور القرطبي « روى ببلنسية عن ابي الفتح نصر التنكمتي »(٣) ، السابق الذكر •

ثمة ظاهرة أخرى أن الكثير من الكتب التي اقتنتها مكتبات قرطبة الخاصة والعامة ومكتبات الهواة هاجرت مع العلماء والطلاب والتجار وغيرهم الى انحاء الاندلس في احداث الفتنة وما تلاها • ويتوقع ان لبلنسية نصيب منها افاد مكتباتها ، معين طلاب العلم •

٣ ـ انحاء الاندلس الاخرى مع بلنسية :

لم تقتصر صلة بلنسية العلمية مع الاندلس على قرطبة بل تعدتها الى اماكن أخرى منه • ويظهر اختلاف في تلك الصلات ففي الوقت الذي كانت بلنسية تستقبل العلماء من

---

(١) الصلة ، ٢ : ٣٨٤ •

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ، ٣ : ١١٤٦ ، ١١٤٨ •

(٣) الذيل ، ١ : ١ : ١٩٣ •

(٤) طبقات الامم ، ٨٧ •

قرطبة ، وترسل اليها الطلاب قبل سقوط الخلافة ، أصبحت بلنسية تستقبل الطلاب من مدن الاندلس الاخرى في القرن الخامس الهجري • مما يشير الى حقيقة وهـي : ان بلنسية بلغت حينئذ درجة من العلم جذبت معها الكثير من طلبة العلم من انحاء عدة من الاندلس وحتى من القرطبيين • وسيكون الحديث عن هذه الصلات وتأثيراتها وتداخلها في موضع واحد •

كانت مدن شرقي الاندلس وخاصة ما كان يتبع بلنسية من أعمال ، على صلة وثيقة مع بلنسية • فمن مُرْباطر ابو بحر الاسدي سفيان بن العاص بن أحمد (٤٤٠ ـ ٥٢٠ = ١٠٤٨ ـ ١١٢٦) تلقى كثيرا من علمه في بلنسية . ثم سكن قرطبة وكان من تلامذته ابن بشكوال صاحب الصلة[١] •

قصد أبو أحمد جعفر بن سعيد بن حلبس المقرىء أبا عمرو المقرىء الداني فسمع عليه بدانية ، وسبق لابن حلبس ان سمع على ابي عمرو الداني ، عندما زار بلنسية قبل اتخاذه من دانية سكنا له • ربما كان سماع ابي أحمد على ابي عمرو سنة ٤٣٨ • (١٠٤٦) حيث صحبه « رجل الى ابي عمرو في السماع منه والاخذ عنه سنة ثمان وثلاثين واربعمائة • وبقراءته سمع التيسير من تأليفه »[٢] •

لم يكن ابو عمرو الداني • دانيا نشأة وثقافة انما كان قرطبيا • وهكذا يلمس تأثير قرطبة في وجهه الآخر •

وهذا ابو عبد الله محمد بن الفضل بن عمرو بن فتح

---

(١) الصلة ، ١ : ٢٣٠ رقم ٥٢٧ •

(٢) التكملة ، ١ : ٢٣٩ •

اللخمي البُونْتي (بعد ٤٩٠) اصله منها وسكن دانية « قعد لاقراء العربية ببلنسية • وكان اديبا جليلا ذا حظ من اللغة والنحو والشعر »[١] • وابو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي (٤٧١ ـ ٥٦٤) « لازم ابا داود المقرىء نحوا من عشرين سنة بدانية وبلنسية ونشأ في حجره وكان زوج أمه »[٢] •

كانت اندة لها صلة مع بلنسية[٣] • ومثل صلات مرسية مع بلنسية بأوضح ما يكون الاديب الامير ابن طاهر القيسي أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد (٥٠٩ = ١١١٥) الذي انتقل الى بلنسية في عهد ابن عبد العزيز وقضى بقية حياته فيها • فقد كان ابن طاهر « من أهل العلم والادب البارع ، ويتقدم رؤساء عصره في البيان والبلاغة »[٤] • وكانت مرسية قد بلغت شأوا كبيرا في المكانة العلمية في القرن الخامس اذ احتضنت علماء افذاذا من امثال ابي علي حسين بن محمد بن فِيرة بن حيّون بن سُكرة الصدفي (٥١٤ = ١١٢٠)[٥] الامام الحافظ البارع ، فلم يضيع طلاب بلنسية الفرصة للدراسة عليه . فهذا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يعيش اللخمي (٤٨٢ ـ ٥٥٦) من أهل بلنسية « سمع من ابي علي بمرسية صحيح البخاري وتاريخ ابن ابي خيثمة وادب الصحبة للسلمي والرياضة لابي نعيم »[١] • وهي كتب لها دلالاتها

---

(١) التكملة ، ٢ : ٨٠٧ •
(٢) التكملة (مجريط) ، ٢ : ٦٦٦ •
(٣) راجع الحلل ، ٣ : ٩٠ •
(٤) الحلة السيراء ، ٢ : ١١٦ •
(٥) انظر : الصلة ، ١ : ١٤٤ ـ ٦ رقم ٣٣٠ ، بغية ، ٢٦٩ رقم ٦٥٥ •
(٦) المعجم ، ١٧٠ ـ ١ • راجع عن صلات بلنسية مع مرسية : الذيل ، ١ : ١ : ٢٦٦ ـ ٧ •

اذ تكوّن جزءا من مناهج الدراسة التي لم تعرف التقرير الثابت وتوحي باهتمامات الاندلسيين في تناول العلم .

وطرطوشة كان لها نصيبها من العلاقات مع بلنسية فابو الحسن لاوى بن اسماعيل المكتب من أهل طرطوشة « صحب ابا داود المقرىء واخذ عنه القراءات واعتمد عليه فيها وسمع منه كثيرا ولازمه ببلنسية ودانية من سنة احدى وثمانين وأربعمائة الى سنة احدى وتسعين »(١) . فعشر سنوات يتتلمذ الطالب عند عالم ليتقن علمه ! ولا يمنع دراسته خلال هذا على علماء آخرين .

دلاية من أبرز من انجبتهم ابو العباس العذري (٤٧٨) الحافظ المحدث ، كان عالمها الذي استقبلته بلنسية ، حيث انتفع الطلاب فيها من علمه .

سرقسطة من طلابها الذين درسوا على علماء بلنسية ابو علي حسين بن محمد بن فيرة بن حيّون بن سكَرة الصدفي (٥١٤ = ١١٢٠) ، المذكور ، من أهل سرقسطه « سمع ببلنسية من أبي العباس العذري « قبل رحلته الى المشرق التي عاد منها سنة ٤٩٠ حيث سكن مرسية » وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر سماعهم عليه »(٣) .

وطليطلة سجلت صلات علمية مع بلنسية وابرز مثل على ذلك ان ابا الحسن عبد الرحمن بن ابي بكر محمد الصدفي

---

(١) المعجم ، ٩٣ ـ ٤ .

(٢) الصلة ، ١ : ١٤٤ ، ١٤٥ .
راجع عن صلات سرقسطة وبلنسية : التكملة ، ١ : ٤٢٣ .

وابا اسحاق ابراهيم بن أحمد الصدفي كلاهما من طليطلة كانا على درجة من العلم اهلتهما ان يكونا ضمن وفـد اجتماعي لامـير طليطلة الى امير بلنسية ، سمعا على أبي عمر بن عبد البر ببلنسية سنة ٤٥١[١] • كما كان ابو الوليد الوقشي هشام ابن أحمد بن هشام الكناني (٤٨٨ أو ٤٨٩) من أهل طليطلة، عالمها الى بلنسية ، فقد اقام فيها مدة وشارك في احداثها وفي حياتها العلمية وتولى قضاءها عام ٤٨٧[٢] •

اشبيلية كانت لها صلة علمية مع بلنسية[٣] ، حيث سكن ابو محمد عبد الله بن حيان بن فرحون بن حيان الانصاري الاروشي (٤٨٧ = ١٠٩٤) بلنسية[٤] • ان سكن بلنسية من قبل الطلاب والعلماء مهما تعددت اسبابه فمنه سبب مهم وهو وجود بيئة علمية ومناخ ملائم لها يجد فيـه الطالب والعالم مبتغاه ، وهذا ينطبق على العديد من العلماء والطلاب الذين اختاروا سكنى بلنسية •

وجيّان لم تعدم الصلة العلمية مع بلنسية[٥] • أما لاردة فيتوفر مثل عن صلاتها مع بلنسية من الاهمية بمكان ، اذ يشير الى مباشرة الحركة العلمية ببلنسية لنشاطها المعتاد بعد زوال الطغيان القشتالي • فأبو عبد الله وابو بكر محمد بن أحمد بن

---

(١) التكملة ، ١ : ١٣٧ ، ٢ : ٥٥١ ـ ٢ •

(٢) الصلة ، ٢ : ٦٥٣ ، بغية ، ٤٨٥ ، معجم البلدان ، ٤ : ٩٣٥ ، ٩٣٦ (وقش) • راجع امثلة عن صلات طليطلة مع بلنسية : التكملة ، ١ : ٤٠٧ ، صلة الصلة ، ٨٠ •

(٣) انظر : التكملة ، ١ : ١٩٥ ـ ٦ •

(٤) الصلة ، ١ : ٢٨٨ •

(٥) انظر : صلة الصلة ، ٤٨ •

عمار بن محمد التميمي (٤٧٧ ـ ٥١٩) ، من أهل لاردة « رحل الى بلنسية اثر استرجاعها من الروم في منتصف رجب سنة ٤٩٥ ٠ فلقي في شوال منها ابا داود المقرىء وهو اذ ذاك ابن ثمـان عشرة سنة واخذ عنه بهـا ـ وقد تناهت سنـه ـ القراءات السبع في ختمة واحدة ، وقرأ من كتب ابي عمرو المقرىء جامع البيان ، وايجاز البيان ، وبعض التيسير ، واجاز له سائره مع جميع روايته »(١) ٠ وما انصرف ابو عبد الله التجيبي عن بلنسية ـ على ما يبدو ـ الا وقد بلغ درجة من العلم في القراءات ، مع ان عمره دخلها ثمانية عشر عاما يقول ابن الآبار : « انصرف الى بلده لاردة فأقرأ بها القرآن وأخذ عنه »(٢) ٠ وان كان لا يعرف متى انصرف عن بلنسية ٠

ان صلات بلنسية مع انحاء الاندلس ـ خـلا قرطبة ـ واضح عليها ـ من خـلال الاستعراض السابق ـ التداخـل والاخذ والعطاء والانتفاع والافادة المتبادلة ٠ فـلا يمـكن ترجيح كفة التأثير البلنسي على مجمل التأثير الاندلسي وان امكن ترجيحه عليها ، وترجيحها بالنسبة لبعض المدن كل على حدة ٠ هـذا بينما التيار العلمي القرطبي كـان بارز الوضوح في التأثير على نمو الحركة العلمية البلنسية ٠ ويمكن التأكيد على حقيقة وهي ان من الصعب فصل النشاط العلمي الاندلسي بين مدينة واخرى ، فالتداخل واضح ٠ فالعـالم الذي يكون اليوم ببلنسية غدا في غيرها ثم ينتقل الى أخرى ٠ وأوضح ما يكون هذا في القرن الخامس الذي شهد عهد دول

---

(١) التكملة ، ١ : ٤٢٢ ٠

(٢) التكملة ، ١ : ٤٢٢ ٠ انظر : م ٠ ن ، ١ : ٤٢١ ، المعجم ، ١٠٣ ٠

الطوائف • وفي كل مدينة من تلك المدن التي يحلّ فيها العالم يتلقى عليه العلم طلاب من انحاء مختلفة من الاندلس • انه تشابك متحرك زاد من خصب الحركة العلمية ، وهو صورة مصغرة للتشابك الاكبر في اغصان شجرة الاسلام العلمية الوارفة •

أما صلات بلنسية العلمية مع العالم النصراني ــ لا سيما المجاور للاندلس ــ فغير واضحة في هذه المدة وستظهر نتائجها في زمن تال • ويمكن تلمس التأثير العلمي على محدوديته في ظل الظروف غير العادية التي عاشتها بلنسية في فترة السيطرة القشتالية •

فاقامة القمبيطور وبعض أفراد أسرته وجماعته من القشتاليين في بلنسية وبين المسلمين في الاندلس يمكن ان يجعل منهم ناقلين لبعض ما عند المسلمين من علم • وكان القمبيطور يعرف العربية لطول اقامته بين المسلمين حتى قبل دخوله بلنسية[1]، « وكان كما زعموا تدرس بين يديه الكتب، وتقرأ عليه سير العرب »[2] •

واذا كان القمبيطور مات في بلنسية قبل عودته الى قشتالة فان بعض أفراد أسرته وأعوانه ــ الذين كانوا على صلة مما كان في بلنسية ــ عادوا الى بلادهم ، فلا بدّ انهم حملوا معهم مما يتصل بالعلم والادب في بلنسية •

---

(١) انظر : الاسلام في المغرب والاندلس ، ١٩٤ • راجع عن القمبيطور : اعلاه ، ٩٢ وبعدها •

(٢) الذخيرة (مخ) ، ٣ : ٤٩ ، Recherches, II, XIV
راجع : الاسلام في المغرب واندلس ، ١٩٤ •

خاتمة البحث

الحياة العلمية ميدان غاية في الاهمية من ميادين الحضارة الاسلامية ، يكشف عن حقيقتها وامكاناتها واصالتها ودورها في الحضارة الانسانية .

بدأت الحياة العلمية الاسلامية مـع القرآن العظيم ، اساسها ومقومها كما هـو اساس ومقـوم الحضارة الاسلامية وكافة جوانب حياة المجتمع الاسلامي .

صفة الحياة العلمية في بلنسية انها شاملة ، فقد شارك فيها أفراد المجتمع البلنسي نساء ورجالا صغاراً وكبارا فقراء واغنياء ، طلبا للعلم وبثا له وتصنيفا في ميـادينه الرحبة ، وتداولوا معظم العلوم المعروفة وقتئذ في العالم الاسلامي . لم تكن بلنسية منفردة في هذه الظاهرة ، التي تشمـل عموم الاندلس والعالم الاسلامي ، الذي عاش التوحـد والحضارة الواحدة بقيامه على منهج واحد في التصور والاخـذ والعطاء والسلوك ، وهو المنهج القرآني .

اتضح ان من عوامل نمو الحياة العلمية واشراقة اهدافها في خدمة المجتمع الانساني ، انها مرتبطة بالله تعالى ، تتوجه اليه في عملها وانتاجها . فالطلاب والعلماء يسعون لبث العلم النافع والتزود منه بشغف كبير وهمة عالية وبذل غير محدود لا يأملون الا ان يكونوا قد اخلصوا عملهم لله تعالى .

يستنتج ان حرية الحياة العلمية من ارتباطها بتوجيه جهة ضيقة أو أعراف مقيدة كان عاملا في نموها وثـراء عطائها واصالة وعمق توجهها وانتاجها وكثافة نشاطها ، النابع من سلامة الاساس الذي يقوم عليه المجتمع ، المحتفـل بالعـلم واهله ·

ان الحياة العلمية في بلنسية ، علماء وطـلابا وانتـاجا واعرافا ، نموذج أو صورة مصغرة للحياة العلمية الاسلامية · فعلماؤها وطلابها لم يكونوا جميعا بلنسيين ولادة أو نشأة ، بل استقبلت العلماء والطلاب والادبـاء والشعراء من العالم الاسلامي والاندلس ، وقصد طلابها وعلماؤها انحاء مختلفة من عالمهم الاسلامي مساهمين بنهضته العلمية · وكانت مواد الحياة العلمية البلنسية ، المتمثلة بالمصنفات والافكار من ثمار الحياة العلمية الاسلامية ، التي تناولت الانسان كله والحياة كلها بعوامل متفردة إلهية السر ·

من سمات الحياة العلمية وضوح الهدف وفهـم الانسان والكون وتحـديد الغايـة التي يسير نحوها ، باتساع الافق والانتفاع بخير ما عند الانسان ، وتقديم الخير له بغض النظر عن عرقه ومنشئه ومعتقده ، فالخير للجميع والاسلام للناس كافـة ·

وجدت خلال البحث ما ادهشني ، عددا كبيرا جدا من العلماء والمصنفات وغزارة عطاء بعض العلماء وعطاء الحركة العلمية بأجمعها وشموله شتى ميادين العلم والفن والفكر · ان مايعيد الثقة لامتنا الاسلامية الناهضة ،توجيه أنظار شبابها

الى روعة عطاء امتهم في مدة من الزمن واسهامها في الحضارة الانسانية اسهاما اصيلا نظيفا · لاستلهام الباعث في ذلك العطاء واتخاذه اساسا لحضارة جديدة لامتنا والانسانية جميعا · فرغم التقدم العلمي والمادي الهائل الذي تشهده شعوب في الارض اليوم ، الا انها تقف على حافة هاوية ، لا لشيء إلا لافلاسها من عقيدة صحيحة تضع العلم في خدمة الانسان ، وتقيم آصرة بين بني البشر يتجمعون عليها ـ آصرة تحلّق عاليا فوق العنصرية والاقليمية والطبقية وامثال ما يتجمع عليه ـ وتجمعهم على الخير وتسلك بهم سبيل النور سبيل رب العالمين ·



المصادر والمراجع

أولا : باللغة العربية[1]

القرآن الكريم

ابن الابار حياته وكتبه ، الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، تطوان ، ١٣٧٢ هـ = ١٩٥١ م ٠

ابن حزم الاندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ، سعيد الافغاني ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م ٠

ابن زيدون ، الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، (نوابغ الفكر العربي : ٥) ٠

آثار البلاد واخبار العباد ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (قزوين ، ٦٠٠ ـ ٦٨٢ هـ) ، بيروت ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م ٠

الاجازات العلمية عند المسلمين ، الدكتور عبد الله فيّاض ، بغداد ، ١٩٦٧م ٠

(١) ان هذه القائمة تحتوي على الاصول المطبوعة والمخطوطة والمراجع الحديثة والمترجمة ٠

الاحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين أبـو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ابن الخطيب (لوشه ، ٢٥ رجب ٧١٣ ـ فاس ، أحد الربيعين ٧٧٦ هـ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، (القاهرة) ، (١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥م) ، المجلد الاول ، (ذخائر العرب : ١٧) .

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن ابي بكر الشامي البشاري المقدسي حوالي ٣٣٥ ـ حوالي (٣٨ هـ) ، تحقيق M. J. DE GOHE ليـــدن ، ١٩٠٦ م .

أحكام القرآن ، ابو بكر محمد بن عبـد الله بن محمـد المعروف بابن العربي المعافري الاندلسي الاشبيلي (٤٦٨ ـ ٥٤٢ هـ) ، (القاهرة) ، ١٣٣١ هـ ، الجزء الثاني (اربعة اجزاء) .

احياء علوم الدين ، الامام ابو حامد محمـد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) ، القاهرة ، ١٢٩٦ هـ ، الجزء الاول (اربعة اجزاء) .

أخبار مجموعة ، مجهول المؤلف ، نشر لافونتي الكنترا ، مجريط ، ١٨٦٧ م (مصورة) .

أخبار وتراجم اندلسـية مستخرجة من معجـم السفر للسّلفي ، ابو طاهر أحمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم سلفه (٤٧٨ ـ الاسكندرية ، الجمعة ٥ ربيع الآخر ٥٧٦هـ) ، أعدّها وحققها الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٣ م (المكتبة الاندلسية : ٧) .

اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سنيّ الآثار ، محمد بن القاسم الانصاري السبتي (؟)[1] . تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (غرناطة ٦١٠ ـ تونس ٦٨٥ هـ) ، اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ، تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

أدب الحديث النبوي ، الدكتور بكري شيخ امين ، (حلب ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣م) .

ازهار الرياض في اخبار عياض ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (تلمسان ، ٩٨٦ ـ القاهرة ، جمادى الآخرة ١٠٤١ هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م ، الجزءان الثاني والثالث (المطبوع منه ثلاثة اجزاء) .

الاسلام في اسبانيا ، الدكتور لطفي عبد البديع ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، (المكتبة التاريخية : ٢) .

الاسلام في المغرب والاندلس ، أ . ليفي بروفسال ، ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ، ١٩٥٦ م (الالف كتاب : ٨٩) .

الاسلام والحضارة العربية ، محمد كرد علي ، القاهرة ، ١٩٥٠ م ، الجزء الاول (جزءان) .

---

(١) انظر : اختصار الاخبار ، ٧ ـ ٨ (مقدمة المحقق) .

إعتاب الكتاب ، أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الابار (بلنسية ، ٥٩٥ ـ تونس ، ٦٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور صالح الاشتر ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٠

اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، سلسلة ، رقم : ٢ ، بيروت ، ١٩٦٠ م ٠

أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، لسان الدين بن الخطيب السلماني(*) ، تحقيق إ ٠ ليفي بروفنسال ، بيروت ، ١٩٥٦ م ٠ وهو الجزء الثاني من أعمال الاعلام (ثلاثة اجزاء : الاول ما يزال مخطوطا) ٠ نشر الجزء الثاني منه تحت عنوان « تاريخ اسبانيا الاسلامية » ، وهو متعلق بالاندلس ٠

الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع ، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (سبتة ٤٧٦ ـ مراكش ، جمادى الآخرة ٥٤٤ هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م ٠

الامام مالك ، محمد المنتصر الكتاني ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م ٠

الامي والاميون في القرآن الكريم ، أحمد الحوفي ، الكتاب مجلة شهرية يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ، الاعداد ١٠ ، ١٢ ، ١ ـ ٢ (السنوات ٨ ، ٩ ، ١٣٩٤ ـ ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) ٠

★ تعني هذه النجمة انه قد مر اسم المؤلف الكامل وسنوات حياته (ولادته ووفاته) في هذه القائمة ٠

انباه الرواة على انباه النحّاة ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي (٥٦٨ ـ ٦٤٦ هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، الجزء الاول .

اندلسيات، الدكتور عبد الرحمن علي الحجي، (المجموعة الاولى) ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م ، المجموعة الثانية ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

الانموذج في أصول الفقه ، الدكتور فاضل عبد الواحد عبد الرحمن ، بغداد ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

أوربا دراسة اقليمية لدول اشباه الجزر الجنوبية ، الدكتور ابراهيم شريف ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ م .

أوربا في مجرى التاريخ دراسة جغرافية ، الدكتور محمود جلال الدين الجمل ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث ، الحافظ ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن جهاد الدين عمر (ابن كثير) (٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ) ، (شرح) ، أحمد محمد شاكر ، (القاهرة ، ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م) .

بحوث في تاريخ السُّنة المشرّفة ، أكرم ضياء العمري ، ط : ٢ ، بغداد ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ .

البديع في وصف الربيع ، اسماعيل بن محمد ابو الوليد الحميري ابن عامر (٤٤٠ هـ) ، تحقيق هنري بيريس ، الرباط ، ١٩٤٠ .

بعض مؤرخي الاسلام ، علي أدهم ، القاهرة ، (بدون تاريخ طبع) (من التاريخ : ٣) ٠

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضّبي (مرسية ، الاحد ٢٥ ربيع الآخر ٥٩٩ هـ) ، القاهرة ، ١٩٦٧ م (تراثنا ، المكتبة الاندلسية : ٦) ٠

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ ـ القاهرة ، ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الجزءان الجزء الاول ، القاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ، الجزء الثاني ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥م ٠

بلنسية الاسلامية ، امبروزيو اوبشي ميراندا (Ambrosio Huici Miranda) تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية في مدريد خلال شهر ديسمبر ١٩٦٥ ، وهو يتضمن بيانا مفصلا عن الدورة الرابعة للجلسات العلمية الاندلسية ، بلنسية ٩ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ ، وملخصات جميع المحاضرات التي القيت فيها ، كتب هذا التقرير الدكتور حسين مؤنس ، مدريد ، ١٩٥٦ م ٠

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ابو عبد الله محمد المراكشي بن عذري (بعد ٧١٢ هـ) ، الجزء الثاني ، تحقيق : ج ٠ س ٠ كولان و أ ٠ ليفي بروفنسال ليدن (هولندا)، ١٩٥١ م٠ الجزء الثالث نشره أ٠ ليفي بروفنسال، باريس ، ١٩٣٠ م، الجزء الرابع (قطعة من تاريخ المرابطين)،

جمـع وتعليق الدكتور احسان عباس ، بـيروت ، ١٩٦٧ م (بعضها سبق نشره) ·

« التأثيرات المشرقية في الاندلس ومدى أثرها في تكوين الثقافة الاندلسية » ، محمود علي مكـي ، صحيفـة معهـد الدراسات الاسلامية في مدريـد ، المجلدان التاسع والعاشر . مدريد ، ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ م ·

تـاج العروس من جـواهر القاموس ، محب الدين ابو الفيض السيد محمـد مرتضى الحسيني الواسـطي الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥ هـ) ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ ·

تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) ، الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ م (المكتبة الاندلسية : ٢) ·

تاريخ اسبانيا الاسلامية(١) ·

تاريخ افتتاح الاندلس ، ابـو بكر محمـد بن القوطية القرطبي (قرطبة ٣٦٧ هـ) ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، بيروت ، ١٩٥٨ م (معه قطعة من الرسالة الشريفية) ·

تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشّباط ، نصّان جديدان (النص الاول : قطعة من كتاب الاكتفـاء في اخبار الخلفاء ، ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري بعد ٥٧٣ هـ) ، (النص الثاني : قطعة من كتاب « صـلة السمط وسمة المرط » ، محمد بن علي بن الشباط المصري التوزري (قسنطينة : ـ توزر ٦٨١ هـ) تحقيـق الدكتور

---

(١) انظر : أعمال الاعلام ·

أحمد مختار العبّادي ، معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٧١ ٠

التاريخ الاندلسي ، الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، دمشق ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م ٠

تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، دكتور السيد عبد العزيز سالم ودكتور أحمد مختار العبادي ، بيروت، ١٩٦٩م ٠

تاريخ التربية الاسلامية ، الدكتور أحمد شلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ٠

تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ، الاستاذ محمد عبد الرحيم غنيمة ، تطوان ، ١٩٥٣ م ٠

تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، حسين مؤنس ، مدريد ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م ٠

تاريخ خليفة بن خياط ، ابو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري شاب (٢٤٠ هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري ، النجف ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧م ، الجزء الاول (جزءان) ٠

تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (طبرستان ٢٢٤ ــ بغداد ، ٣١٠ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة، الجزء السادس ، ١٩٦٤ م ، الجزء السابع ، ١٩٦٦ م (عشرة اجزاء) ، ذخائر العرب : ٣٠ ٠

تاريخ عبد الملك بن حبيب ، أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (قرطبة ، ٤ رمضان ٢٣٨ هـ) ، نشر الدكتور محمود علي مكي ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ ـ ٢ سنة ١٩٥٧ م ٠

تاريخ علماء الاندلس ، الحافظ ابو الوليد عبد الله بن محمد ابن يوسف بن نصر الازدي بن الفرضي (قرطبة ٣٥١ ـ قرطبة ٤٠٣ هـ) ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، القسمان (مجلد واحد)، (تراثنا ، المكتبة الاندلسية : ٢)٠ نشر عزت العطار الحسيني ، تحت عنوان : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، القاهرة ،١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ ، (جزءان) ، (من تراث الاندلس : ٣) ٠

تاريخ غزوات العرب ، جوزيف رينو ، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه شكيب ارسلان ، بيروت ، ١٩٦٦م ٠

تاريخ الفكر الاندلسي ، آنخل جنثالث بالنثيا ، ترجمه عن الاسبانية حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥ ،

تاريخ قضاء قرطبة(١) ٠

تاريخ مدينة دمشق ، الامام ابو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ) المجلدة الثانية، القسم الثاني، تحقيق صلاح الدين المنجد، (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، ١٩٥١ م ، المجلدة العاشرة ، تحقيق محمد أحمد دهمان (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، ١٩٦٣م ٠

---

(١) انظر : المرقبة العليا ٠٠٠

تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، الدكتور عبد العزيز سالم ، بيروت ، ١٩٦٩ م ٠

تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، بيروت ١٩٦٢ م ٠

تاريخ الموسيقى الاندلسية ، الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م ٠

تاريخ النقد الادبي في الاندلس ، الدكتور محمد رضوان الداية ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م ٠

التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري (٤٤٧ ــ اغمات بعد ٤٨٣ هـ) ، تحقيق ، أ ٠ ليفي بروفنسال القاهرة ١٩٥٥ م ، (ذخائر العرب : ١٨) ٠

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، المدينة المنورة ، ١٣٩٢ ــ ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣ م ، الجزء الثاني (جزءان في مجلد واحد) ٠

تذكرة الحفاظ ، الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ابن الذهبي) الذهبي (دمشق ٦٧٣ ــ ذو القعدة ٧٤٨ هـ) الجزء الاول والجزء الثالث (طبعة بيروت المصورة عن الطبعة الهندية ١٣٧٥ ــ ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧) (أربعة أجزاء في مجلدين) ٠

(كتـاب) التراتيب الاداريـة والعمارات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية

الاسلامية في المدينة المنورة العلمية ، عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الادريسي الكتاني الفاسي ، بيروت (بدون تاريخ طبع) الجزء الاول (جزءان) .

تراجم إسلامية شرقية واندلسية ، محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، القاضي عياض ، تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود ، بيروت (بدون تاريخ طبع) ، الاجزاء : ١ ، ٢ (الجزء ١ ، ٢ في مجلد واحد والجزء : ٣ ، ٤ في مجلد واحد ، مجلد للفهارس ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) .

التعليم في رأي القابسي ، الدكتور أحمد فؤاد الاهواني ، ملحق به الرسالة المفصلة لاحوال المعلمين والمتعلمين لابي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (القيروان ٣٢٤ ـ ٤٠٣ هـ) ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .

« التقسيم السياسي الاداري للاندلس » ، حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ، ١ ـ ٢ مدريد ، ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م .

تقويم البلدان ، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن محمود (٦٧٢ ـ ٧٣٢ هـ) ، تحقيق CHARLES SCHIER درسن ١٨٤٦ م .

التكملة لكتاب الصلة ، ابن الابار ، نشرة كوديرا (F. Codera) ، مدريد ، ١٨٨٧ م ، الجزء الثاني (جزءان) .

نشرة الفريد بل وابن ابي شنب ، الجزائر ، ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م ٠
طبعة العطار ، الجزءان، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦م (من تراث الاندلس : ٥) ٠

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد ، الامام ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الاندلسي (٣٣٨ ـ ٤٦٣ هـ) الجزء الاول ، تحقيق الاستاذ مصطفى بن أحمد العلوي ، الرباط ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م ٠

التنبيه والاشراف ، ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي (٣٤٦ هـ) ، تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م ٠

ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق أ٠ ليفي بروفنسال، القاهرة ، ١٩٥٥ م (رسالة ابن عبدون)٠

ثمرات الاوراق (وذيل ثمرات الاوراق) ، تقي الدين ، ابو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (٧٦٧ ـ ٨٣٧ هـ) ، تصحيح محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٧١م ٠

الجامع لاحكام القرآن ، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الاندلسي القرطبي (منيه ابن خصيب ، ٩ شوال ٦٧١ هـ)، القاهرة، ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧ م ، الجزء الثالث عشر (عشرون جزءا) ٠

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، آبو جعفر محمد بن

جرير الطبري* ، القاهرة ، (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م) الجزء الثامن والعشرون ، (ثلاثون جزءا) .

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، الامام ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي (ميورقة ـ بغداد ، ٤٨٨ هـ) ، القاهرة ، ١٩٦٦ م (تراثنا ، المكتبة الاندلسية : ٣) .

« جغرافية الاندلس والمصطلحات الجغرافية الاندلسية ، محمد عبد الله عنان ، تطوان مجلة للابحاث المغربية الاندلسية، معهد مولاي الحسن للابحاث المغربية الاندلسية ، العددان الثالث والرابع ، تطوان ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م .

جغرافية الاندلس وأوروبا (من كتاب المسالك والممالك)، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو ابو عبيد البكري (شلطيش ٤٠٥ ـ قرطبة ٤٨٧ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨م .

جمهرة انساب العرب ، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢م ، (ذخائر العرب : ٢) .

الحدود في الاصول ، ابو الوليد سليمان بن خلف الباجي الاندلسي (٤٧٤ هـ) ، تحقيق نزيه حماد ، بيروت ـ حمص، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م .

الحديث النبوي ، محمد الصباغ ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

الحضارة الاسلامية في الاندلس ، الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م ·

حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ترجمه عن الفرنسية عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ·

« حكيم الاندلس »، الدكتورة بتول سعيد ، مجلة الاقلام، (بغداد) ، السنة الثالثة ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م تشرين الثاني ·

الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية ، الامير شكيب ارسلان ، القاهرة ، الجزء الاول ، ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م الجزء الثالث ، ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م (ثلاثة اجزاء) ·

الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، مجهول المؤلف (منسوب خطأ لابن الخطيب) ، عني بتصحيحه السيد بشير الفورتي ، تونس ، ١٣٢٩ هـ ·

الحلة السيراء ، ابن الابار* ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، ١٩٦٣ م ، الجزءان · تحقيق عبد الله آنيس الطباع ، بيروت ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م ·

« حول التراث والحضارة » عبد الرحمن علي الحجي ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، العدد الخامس ، سنة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ، بغداد ·

خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، سراج الدين ابو حفص عمر بن الوردى (٦٨٩ ـ ٧٤٩ هـ) ، ١٣٠٣ هـ ·

خريدة القصر وجريدة العصر ، ابو عبد الله بن محمد بن حامد العماد الكاتب الاصفهاني (اصبهان ، ٥١٩ ـ دمشق ٥٩٧ هـ) تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، القاهرة ، (١٩٦٤م) ، القسم الرابع الجزء الثاني .

خزانة الادب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣ هـ) ، (بولاق) القاهرة ، (بدون تاريخ طبع) ، المجلد الرابع (اربعة مجلدات) .

الخطيب البغدادي ، يوسف العش ، دمشق ، ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥م .

دائرة المعارف الاسلامية ، ١ (ادب ، جولد سيهر) ، ٣ (الاندلس ، سيبولد) ، ٤ (بلنسية ، ليفي بروفنسال) ، ٨ (الحكم المستنصر ، M. Schmitz)دائرة معارف الشعب ، ٢ ، (بلنسية ، الدكتور عبد العزيز سالم) ، (القاهرة) ، ١٩٥٩م .

دراسات عن التيارات الثقافية المشرقية في الاندلس واثرها في تكوينه الثقافي ، محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلدان الحادي عشر والثاني عشر ، مدريد ، ١٩٦٣ م ـ ١٩٦٤ م .

دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، الدكتور أحمد بدر ، (دمشق) ، ١٩٧٢ م .

دراسات في الحضارة الاسلامية ، شريف (M. M. SHarif) ترجمه عن الانكليزية الدكتور أحمد شلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.

دول الطوائف ، محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م ٠

دولة الاسلام في الاندلس ، محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م ، الجزءان ٠

الدولة الاموية في قرطبة، انيس زكريا النصولي، بغداد، ١٩٢٦ م ، الجزء الاول ٠

دولة القوط الغربيين ، دكتور ابراهيم علي طرخان ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ٠

الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (٧٩٩ هـ) ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ ٠

ديوان ابن خفاجة ، ابو اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي (جزيرة شقر، ٤٥١ ـ ٥٣٣ هـ) ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ م ٠

ديوان ابن دراج القسطلي ، ابو عمر أحمد بن محمد بن العاص ابن دراج (٣٤٧ ـ ٤٢١ هـ) ، حققه الدكتور محمود علي مكي ، دمشق ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦١م ٠

ديوان ابن الزقّاق البلنسي ، ابو الحسن ٠ علي بن ابراهيم بن الزقاق (بلنسية ، ٤٨٩ أو ٤٩١ ـ ٥٢٨ أو ٥٢٩ أو ٥٣٠ هـ) ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، بيروت ، (المكتبة الاندلسية : ١٣) ٠

ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ٠

ديوان الرصافي البلنسي ، ابو عبد الله محمد بن غالب (رصافة بلنسية ، حول ٥٣٦ ـ ٥٧٢ هـ) ، جمعه وقدم له الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٠ م ٠

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (اربعة اقسام) . ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (شنترين ـ قرطبة ٥٤٢ هـ) ٠

القسم الاول (مجلدان) ، تحقيق عبد الحميد العبادي وعبد الوهاب عزام ، القاهرة ، ١٣٥٨ = ١٣٦١ هـ = ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢م ٠

القسم الثاني : مخطوطة المتحف العراقي ببغداد ، رقم ١٥٨٧م ٠

القسم الثالث : مخطوطة الزاوية الحمزاوية بالمغرب ، في الخزانة العامة بالرباط ، صورة ضوئية منها عن مصورة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة رقم ١٦٣٦ تاريخ ٠

ذكر بلاد الاندلس ، مجهول المؤلف ، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ـ قسم الوثائق ، رقم : ج ٨٥ ٠ نشر منه القسم الخاص بقرطبة بعنوان : « وصف جديد لقرطبة الاسلامية »[١] ٠

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي (مراكش ، ذو القعدة ٦٣٤ ـ تلمسان ، محرم ، ٧٠٣ هـ) ٠

---

(١) انظر : وصف جديد ٠٠٠

السفر الاول (القسم الاول والثاني) ، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، بيروت (المكتبة الاندلسية) .

بقية السفر الرابع منه ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، (١٩٦٤م) (المكتبة الاندلسية : ١) .

السفر الخامس ، (القسم الاول والثـاني) ، المحقق السابق ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، (المكتبة الاندلسية ١١ ، ١٢) .

السفر السادس ، المحقق السابق ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، (المكتبة الاندلسية) .

رايات المبرزين وغايات المميزين ، ابو الحسن علـي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ، نشر اميليو غرسيه غومس ، مدريد ، ١٩٤٢ م .

رحـلة الاندلس ، الدكتور حسين مؤنس . القاهرة ، ١٩٦٤م .

رحلة الاندلس ، محمد لبيب البتنوني ، مطبعة الكشكول (القاهرة) ، ١٩٢٧م .

رسالة ابن فضلان ، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حمـاد (بغداد بعـد ٣١٠ هـ) ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) .

رسالة في علوم الحديث واصوله ، كمال الدين الطائي ، بغداد ، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١م .

ابن زيدون ، عصره وحياته وادبه ، علي عبد العظيم ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

ابن سعيد الاندلسي ، حياته وتراثه الفكري والادبي ، محسن حامد العيادي ، القاهرة ، (١٩٧٢م) (المكتبة الاندلسية : ١) ٠

سلسلة محاضرات عامة في أدب الاندلس وتاريخها ، ليفي بروفنسال ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة ، ١٩٥١م ٠

السنّة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، الدكتور مصطفى السباعي ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م ٠

سنن ابن ماجه ، الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٧ ـ ٢٧٥ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢م ، الجزء الاول . (جزءان) ٠

سنن ابي داود ، الامام ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدي السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ = ١٥٩٢م ، الجزء الثاني ٠

سنن الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ) ، تعليق عزت عبيد الدعاس ، حمص ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م ، الجزء السابع ، (أحد عشر جزءا) ٠

« السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين »، حسين مؤنس، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الاول ، (القاهرة) ، مايو ١٩٥٠م ٠

سير النبلاء ، جـزء خاص بترجمـة الامـام ابن حـزم الاندلسي ، الامام الحافظ (ابن الذهبي) الذهبي* ، تحقيق سعيد الافغاني ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م ٠

شرح صحيح البخاري للكرماني ، شمس الدين محمد ابن يوسف بن علي بن محمد بن سعيد الكرماني، الجزء الثاني، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م ، (خمسة وعشرون جزءا) ٠

شعر ابن خفاجة ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، بيروت، ١٩١٥م ٠

الشعر الاندلسي ، اميليو غرسيه غومس ، ترجمـه عن الاسبانية حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٢م ، (الالف كتاب: ٩٥) ٠

شمس العرب تسطع على الغرب ، زيغريد هونكه ، ترجمه عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت ، ١٩٦٤م ٠

شـيوخ العصر في الاندلس ، دكتـور حسـين مؤنس ، (القاهرة) ، ١٩٦٥م (المكتبة الثقافية : ١٤٦) ٠

« صادرات شبه الجزيرة الاندلسية الى العالم العربي في العصور الوسطى » ، الدكتـور بـدرو مارتينيث مونتابث ، تقرير مدريد ٠٠٠

صبح الاعشى ، ابو العباس أحمد بن علي بن عبـد الله القلقشندي (٧٥٦ ـ ٨٢١ هـ) ، القاهرة ، الجـزء الاول ١٣٣١ هـ = ١٩١٣م ، الجزء السادس ، ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥م (اربعة عشر جزءا) ٠

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢ ـ ٣٩٣ هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور ، القاهرة ، (بدون تاريخ طبع)، الجزء الاول والجزء الخامس .

صحيح ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١ هـ) ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م ، الجزء الاول (ثمانية اجزاء) .

صفة جزيرة الاندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الاقطار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (سبتة، ـ نحو ٧١٠ هـ) ، تحقيق إ. لافي بروفنسال ،القاهرة ١٩٣٧م .

مواد اندلسية جديدة من الروض المعطار ، نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية، المجلد الخامس، الجزء الاول، القاهرة، ذو القعدة ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٥٩م .

صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ، أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي (٦٩٥ هـ)، خرج احاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الالباني ، دمشق ١٣٨٠ هـ .

صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس (من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ادريس (الشريف الادريسي) (سبتة ، ٤٩٣ ـ ٥٦٠ هـ) ، تحقيق دوزي ودي خويه ، امستردام (هولندا)، ١٩٦٩م . (مصورة) .

الصقالبة في اسبانيا ، الاستاذ أحمد مختار عبد الفتاح العبادي ، مدريد ، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ ٠

الصلة ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الانصاري (قرطبة ، ٣ ذو الحجة ٤٩٤ ـ ٨ رمضان ٥٧٨ هـ) ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، القسمان ، (تراثنا ، المكتبة الاندلسية : ٤) ٠

الجزء الاول ، نشره عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ = ٩٥٥ م (من تراث الاندلس : ٤) ، (جزءان) ٠

صلة الصلة (القسم الاخير) ، ابو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير (جيّان ، ٦٢٧ ـ غرناطة ، ٧٠٨ هـ) تحقيق ، إ٠ لافي بروفنسال ، الرباط (١٩٣٧ م) ٠

طبقات الاطباء والحكماء ، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي ابن جلجل (٣٣٢ ـ نحو ٣٨٤ هـ) . تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، (مصورة) ٠

طبقات الامم ، صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي الاندلسي ، (٤٦٢ هـ) ، النجف ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م ٠

الطبقات الكبرى ، ابو عبد الله محمد بن سعد (البصرة ، ١٦٨ ـ بغداد ، ٤ جمادى الآخرة ٢٣٠ هـ) ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م ، المجلد الثاني ٠

طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ = ١٩٤٥م ٠

طوق الحمامة في الالفة والالاف ، ابن حزم الاندلسي ، تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .

العبر في خبر من غبر ، الحافظ (ابن الذهبي) ، الجزء الثالث ، تحقيق فؤاد سيد، الكويت ١٩٦١م، (خمسة اجزاء).

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (تاريخ العلامة ابن خلدون)،عبد الرحمن بن خلدون المغربي (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ)، بيروت ١٩٥٨ م ، المجلد الرابع .

العرب في اسبانيا، استانلي لين بول، ترجمة علي الجارم، القـاهرة ، (١٩٤٧م) وانظـر كذلك : The Mooys in Spain

عصر النبي عليه السلام و بيئته قبل البعثة، محمد عزة دروزة، بيروت ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م .

العقد الفريد ، ابو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (قرطبة ، ١٠ رمضان ٢٤٦ ـ قرطبة ، ١٨ جمادى الاولى ٣٢٨ هـ) ، محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م ، الجزءالثامن ، (ثمانية اجزاء) .

علم التاريخ عند المسلمين ، فرانز روزنثال ، ترجمـة الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ، ١٩٦٣م .

العلم عند العرب واثـره في تطور العـلم العـالمي ، الدوميلي ، ترجمة الدكتور عبـد الحليم النجار والدكتور حسين فوزي، دار القلم (١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م) .

علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالاندلس ، خوسي مارية

مياس بيكروسا ، ترجمه عن الاسبانية عبد اللطيف الخطيب ، تطوان ، ١٩٥٧م ٠

علوم الحديث ، ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهزوري ابن الصلاح (٥٧٧ ـ ٦٤٣ هـ) ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر ، المدينة المنورة ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م ٠

علوم الحديث ومصطلحه ، الدكتور صبحي الصالح ، دمشق ، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م ٠

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (٧٠٤ هـ) ، تحقيق الاستاذ رابح بونار ، الجزائر ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠م ٠

غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣ هـ) ، عني بنشره ج ٠ برجستراسر ، (القاهرة) ، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢م ، الجزء الاول (ثلاثة أجزاء في مجلدين) ٠

غرائب الغرب ، محمد كرد علي ، مصر ، ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣م ٠

فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (بغداد ، أواخر القرن الثاني ـ ٢٧٩ هـ على الأرجح)، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، القسم الاول ٠

تحقيق عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧م ٠

فجر الاندلس ، حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي . (بيروت) ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

الفن الاسلامي في اسبانيا ، مانويل جوميث مورينو ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

فهرسة ما رواه عن شيوخه ابو بكر محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الاموي الاشبيلي (٥٠٢ ـ ٥٧٥ هـ) ، تحقيق فرنكشه قداره زيدين وخليان ربارة طرغوه ، (الطبعة الجديدة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣م) ، بيروت ـ بغداد ـ القاهرة (المكتبة الاندلسية) .

في الادب الاندلسي ، الدكتور جودت الركابي ، دمشق ١٩٥٥م .

القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز ابادي (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ) ، القاهرة (بدون تاريخ طبع) .

قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، بيروت ، ١٩٧١ م ، الجزء الاول ، (جزءان) .

قضاة قرطبة،أبو عبدالله محمد بن حارث بن اسد الخشني القيرواني (القيروان ـ قرطبة ١٣ صفر ٣٦١ هـ) ، (القاهرة) ، ١٩٦٦ م ، (المكتبة الاندلسية : ١) .

قضايا اندلسية ، الدكتور بدير متولي حميد ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي الاشبيلي (مراكش ٥٢٨ أو ٥٢٩ هـ) ، مصورة عن طبعة باريس قدم له ووضع فهارسه محمد العناني ، تونس (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م) . (من تراثنا الاسلامي : ١) .

قيام دولة المرابطين ، الدكتور حسن أحمد محمود . القاهرة ، ١٩٥٧م .

الكامل في التاريخ ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني بن الاثير (جزيرة ابن عمر . ٤ جمادى الاولى ٥٥٥ ـ الموصل ، شعبان ٦٣٠ هـ) . بيروت . ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م = ١٣٨٥ ـ ١٣٨٦ هـ . المجلدات ٤ ـ ٩ (اثنا عشر مجلدا) .

كتاب البلدان ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (بعد ٢٩٢) ، النجف (بدون تاريخ طبع) .

كتاب الجغرافيا ، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (٦١٠ ـ ٦٨٥ هـ) ، بيروت ١٩٧٠م . (ذخائر التراث العربي) .

كتاب الجغرافية[١] ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الزهري (أواسط القرن السادس الهجري) . تحقيق محمد حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية
(Bulletin D'Études Orientales, Tome xx1, Année Damas 1968).
دمشق (المعهد الفرنسي) ، المجلد : ٢١ ، ١٩٦٨م .

---

(١) ورد العنوان « كتاب الجغرافية » لكن الاستعمال خلال البحث كان « كتاب الجغرافية » .

كتاب الفلاحة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن بصال (ابن البصال) الطليطلي (الخامس الهجري) ، نشره ، خوسي ماريه مياس بييكروسا ومحمد عزيمان ، تطوان ، ١٩٥٥م ٠

« الكتب والمكتبات في الاندلس » ، عبد الرحمن علي الحجي ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، تصدرها كلية الدراسات الاسلامية ببغداد ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م ٠

الكفاية في علم الرواية ، ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) القاهرة (١٩٧٢م) ٠

لسان الدين بن الخطيب (حياته وتراثه الفكري) ، محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م ٠

لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (محرم ٦٣٠ ـ شعبان ٧١١ هـ) ، بيروت ، ١٣٧٤ ـ ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م ٠

لمحات في أصول الحديث ، الدكتور محمد أديب صالح ، دمشق ـ بيروت ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ٠

اللمحة البدرية في الدولة النصريّة ، لسان الدين بن الخطيب ، صححه محب الدين الخطيب ، القاهرة ، (بدون تاريخ طبع) ٠

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن علي النّدْوي ، الكويت ، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م ٠

مجالي الاسلام ، حيدر بامّات « ج ٠ ريفوار » ، ترجمه عن الفرنسية عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ٠

المجمل في تاريخ الاندلس ، عبد الحميد العبادي (ـ ١٩٥٦م) القاهرة ، ١٩٥٨م ٠

« مجهودات مسلمة المجريطي في الرياضيات » ، خوان بيرنت خينيس Juan Vernet Ginés ، تقرير مدريد ٠

« مدائح بلنسية ومراثيها » ، الياس سادابا ، تقرير مدريد ٠٠٠

مدارس قبل النّظاميّة، الدكتور ناجي معروف ، بغداد، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م ٠

المدنية الاسلامية ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٦٣م ٠

مذكرات الامير عبد الله(١) ٠

المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، ابو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النّباهي المالقي الاندلسي (مالقة، ٧١٣ ـ بعد ٧٩٣ هـ) ، نشر إ٠ ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٤٨٠ ٠

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٦ هـ) بيروت ، ١٩٦٥م ، الجزء الثاني ٠

المساجد والقصور بالاندلس ، الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، (اقرأ : ١٩٠) ٠

مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ابن فضل الله العمري

---

(١) انظر : التبيان ٠

(٧٠٠ ــ ٧٤٩ هـ) ، الجزء الحادي عشر : مخطوط مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، تحت عنوان « مخطوط مسالك الابصار ٢ » دائرة اللغة العربية .

المسالك والممالك، ابو القاسم ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (نحو أواسط القرن الرابع الهجري) ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد الحيني ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦١م .

المسلمون والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م .

المشترك وضعا والمفترق صقعا ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (بلاد الروم، ٥٧٥ ــ حلب ، ٢٠ رمضان ٦٢٦ هـ) ، تحقيق (Ferdinand Wüstenfeld) Gottingen, ١٨٤٦م .

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، الحافظ أحمد ابن علي العسقلاني ، ابن حجر (٧٧٣ ــ ٨٥٢ هـ) ، تحقيق الاستاذ حبيب الرحمن الاعظمي .

المطرب من أشعار أهل المغرب ، ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن دحية الكلبي (ذو النسبين) الاندلسي البلنسي (سبتة أو دانية ، ٥٤٨ ــ القاهرة ، ٦٣٣ هـ) ، تحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد بدوي ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

المعجب في تلخيص اخبار المغرب، محيي الدين عبد الواحد ابن علي المراكشي (مراكش ، ربيع الآخر ٥٨١ ــ ٦٤٧ هـ)،

تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م ٠

معجم الادباء ، ياقوت الحموي* ، القاهرة ، الجزء العاشر ، (١٣٥٥ هـ = ١٩٣٧م) والجزء الثاني عشر والجزء التاسع عشر ، (عشرون جزءا) ٠

معجم البلدان ، ياقوت الحموي* ، طبعة وستنفيلد (المصورة طهران ، ١٩٦٥م) الاجزاء ١ ـ ٤ ٠

المعجم في أصحاب القاضي الامام ابي علي الصدفي ، ابن الابار* ، نشر فرانسيسكو كوديرة ، مجريط ، ، ١٨٨٥م (مصورة) ٠

المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد الاندلسي (وآخرون) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، (ذخائر العرب : ١٠) ، الجزءان ٠

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الدكتور جواد علي ، بيروت ، ١٩٧١م ٠ الجزء الثامن (تسعة اجزاء والعاشر فهارس) ٠

مقاييس اللغة ، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (الري صفر ٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ ٠

المقتبس من انباء أهل الاندلس ، أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان بن محمد بن حيّان القرطبي (قرطبة ، ٣٧٧ ـ ٢٧ ربيع الاول ٤٦٩ هـ) ،جزء خاص

بامارة عبد الرحمن الاوسـط بن الحـكم ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧١م .

القسم (الجزء) الثالث ، مشتمل على تاريخ دولة الامير عبد الله الاموي ، نشر الاب ملشورم . انطونيه ، تحت عنوان: المقتبس في تاريخ رجال الاندلس ، باريس ، ١٩٣٧ م .

السفر الخامس مختص بالسنوات (٣٠٠ ـ ٣٣٢ هـ) من حكم الناصر لدين الله ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، رقم ٨٧ (صورة) .

جزء مختص بخمس سنوات من حكم الحكم المستنصر ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، تحت عنوان : المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ابن الابار* ، اختيـار وتقييد ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي (بلفيق ، القرن الثامن الهجري) ، ابراهيم الابياري) ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون* ، حققها الدكتور علي عبد الواحد وافي ، (القاهرة) ، الجزء الثالث ، ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠م ، الجزء الرابع ، ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢م . (اربعة اجزاء) .

المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، فالتر هنتس ، ترجمه الدكتور كامـل العسلي ، (عمـان ، ١٩٧٠م) .

المكتبات في الاسـلام ، الدكتور محمد ماهر حمـادة ، القاهرة ، ١٩٧٠م ·

« المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية » ، خوليان ريبيرا ، ترجمة الدكتور جمال محمد محرز ، مجلة معهـد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الاول ، القاهرة ، شوال ١٣٧٧ هـ = مايو ١٩٥٨م ، (القسم الاول) ، المجلد الخامس ، الجزء الاول ، ذو القعدة ١٣٧٨ هـ = مايو ١٩٥٩م ، (القسم الثاني) ·

ملحمة السيد ، الدكتور الطاهر أحمد مكي ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، (المكتبة الادبية) ·

ملخص ابطـال القياس والـرأي والاستحسان والتقليد والتعليل ، ابن حزم الاندلسي ، تحقيق سعيد الافغاني ،دمشق، ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠م ·

ملوك الطوائف، دوزي، ترجمه كامل الكيلاني، القاهرة، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٣م ·

من هو سيد القدر في حياة الانسان (ويليه ملحق : حول أمّيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى كلمة أمّيّ) ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، مكتبة الفارابي ، ط : ١ ، ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م · (أبحاث في القمّة : ٧) ·

مواد اندلسية جديدة من الروض المعطار[1] ·

نبذ تأريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة

---

(١) انظر : صفة جزيرة ···

من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول الاسم ، الفه سنة ٧١٢ هـ ، ضمنه (فتح موسى بن نصير المغرب الاقصى لابن عذاري) ، نشر إ · لافي بروفنسال ، الرباط ، ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤م ·

نص جديد قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، محمد بن ايوب بن غالب الغرناطي (غرناطة ، من أهل القرن السادس الهجري) ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، القاهرة ، ١٩٥٦م ·

نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار ، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع المسالك ، أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري بن الدلائي (المرية، ٢٤ ذو القعدة ٣٩٣ ـ المرية، آخر شعبان ٤٧٨ هـ)، تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهواني ، مدريد ، ١٩٦٥م ·

نظام الحكومة(٢) ·

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (تلمسان ، ٩٨٦ ـ القاهرة ، جمادى الآخرة ١٠٤١ هـ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م · الاجزاء : (١ ـ ٤ (سبعة اجزاء) والثامن فهارس ·

نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، ابن حزم* ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الاول ،

---

(١) انظر : التراتيب الادارية ·

المجلد الثالث عشر ، الجزء الثاني ، (القاهرة) ، ١٩٥١م ٠

نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣م ، المجموعـة الثالثـة (اربع مجموعات في مجلد واحد) ٠

(كتاب) نهاية الارب في فنون الادب ، أحمد بن عبـد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي النويري (٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ) ، الجزء الثاني والعشرون ، نشر M. Gaxpar Remiro ، غرناطة ، ١٩١٧م ٠

الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، (٧٦٤ هـ) الجزء الثاني والثالث ، باعتناء هلموت ريتر ، فيسبادن ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦١م ، الجزء الخامس والسادس ، باعتنـاء س ٠ ديدرينـغ ، فيسبادن ١٣٨٩ ـ ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ م ، الجزء السابع ، باعتناء احسان عباس ، فيسبادن ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م ، الجزء الثامن ، باعتناء محمد يوسف نجم ، فيسبادن ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ ٠

الجزء الثامن ، مخطوط المكتبة المركزية ـ جامعة بغداد، رقم ٩٢٠ ص ف و ٠

« الوثائق العربية المحفوظة في كاتدرائية وشـقة » ، خثنتو بوسك بيلا ، صحيفة معهـد الدراسات الاسـلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ـ٢ ، ١٣٧٧ هـ=١٩٥٧م٠

الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية ، جي ٠ أي ٠ فون كرونباوم،ترجمه الدكتور صدقي أحمد، بغداد ـ نيويورك، ١٩٦٦م ، الفصل العاشر : اسبانية : الانقسام الداخلي ، ارمان آبل ٠

« وصف جديد لقرطبة الاسلامية » مؤلف مجهول ، نشر الدكتور حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد ١٣ ، مدريد ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م ٠

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (اربل ٦٠٨ ـ ٢٦ رجب ٦٨١ هـ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت، ١٩٦٨م ، الاجزاء : ١ ـ ٣ ، ٧ (سبعة اجزاء) والثامن فهارس ٠

« هل في النحو مدرسة اندلسية » ، سـعيد الافغاني ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد ٧ ، ٨ ، مدريد . ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م ٠

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (٤٢٩ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة، ١٩٧٥هـ = ١٩٥٦م ، الجزء الثاني (جزءان في مجلد واحد) ٠

* * *

ثانيا : باللغات الاجنبيـــة

The Cambridge Medieval History, Vol.II, Cambridge, 1968.

Andalusain Diplomatic Relations with Western Europe during the Umayyad period (A.H. 138—366/A.D. 755—176), Abdurrahman Ali El-Hajji, Beirut, 1390=1970 .

The Cid and his Spain, Ramon Menendez Pidal, translated by, Harold Sunderland, Frank Cass & Co. Ltd, 1971. TR. From, La Espana del Cid.

The Civilization of Spain, F. B. Trend. London, New York, 1967.

Histoire de Espagne Musulmane, E. Lévi Provencal, t. III, Paris, 1953.

Histoire des Musulmans D'Espagne, R. Dozy, Leyde, 1932, t. II.

Historia Musulmana de Valencia y Su Region, Ambrosio Huici Miranda, t. I. Valencia, 1969. (t. III) .

The History of Spain, Part, I, from the Visigoths to the death of Philip 11, Lovis Bertrand, London, 1956 (P. II).

The Moors in Spain, Stanley Lane - Poole, London, (Fifth Edition) .

The New Encyclopaedia Britannica, (Valencaia), London, 1973 Vol . X.

Recherches Sur L'Histoire Et La Litterature De L'Espagne, R. Dozy. Amsterdam, 1965, t. 2.

Spanish Islam, R. Dozy, translated by, Francis Griffin Stokes, London. 1912. TR. from A History of the Moslems in Spain.

Una Cronica Anonima de Abd Al-Rahman III Al Nasir, por E. Levi - provencal Y Emilio Garcia Gomez, Madrid - Granada, 1950.

★ ★ ★

The learning life in The Muslim City of Valencia

A. H. 92 - -495 = A. D. 711 - 1102

A THESTS

SUBMITTED TO THE COUNCIL OF THE COLLEGE OF ARTS, UNIVERSITY OF BAGHDAD IN PARTIAL FULFILLIMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE DE GREE OF MASTER OF ARTS IN ISLAMIC HISTORY .

by

Karim Ajeel Husain

Supervisor

Abdurrahman Ali El - Hajji (Ph. D.)

April 1975

Abstract of the Study

The learning life in the Muslim City of Valencia

The present work deals with the learning life of Valencia, a city in east of Andalusia(*), during A. H. 92 - 495 = A. D. 711 - 1102 Since the learning life is a very important factor in the Muslim Civilization, it is of prime importance to be fully studied to reveal its orgin reality, capacity and role in the Human Civilization.

The Islamic learning life stemed from the glorious Quran, that was not only the foundation and back bone of the life learning but was also the basis for the development of Islamic Civilization and Society.

This work includes the study of various aspects of learning Activites : literary, mental and artistic. And this demands to fulfil such a work, checking thoroughly a good deal of Islamic sources, mainly, Andalusians.

This work is show the importance of Andalusai as a point of contact between the Western Islamic World, which had an advanced culture, and the Christain Europe and its primitivism Ignorance and decay .

Thus Valencia, which aquires all the factors that this work is after, was chosen as a representative sample. It gives a clear picture of the prevailing life of learning them. Hence Valencia makes research and study possible.

(*) Muslim Spain.

The regional study is not meant by this work.

The Islamic life of learning together with the Islamic Civilization should be looked as one complete whole throughout the Islamic land that stretches from the Atlantic in the west to the middle of Asia in the East. This was so because the societies were united by the Islamic law which was the only factor in their existence. Yet these societies use to have some differences which was shown in the level and speciality of some a spects of some a spects life.

Though general, and Valencia in particular, had times of difficulties that impeded the progress of their learning life: but even in the worst period the society had active scientific products that contributed to life and directed it.

Learning and learned People were not in Isolation from society , but on the contary they were consulted and followed.
This work consists of :

The intoroducion : A general out line of the thesis and a study of the references.

The entrance : A brief study of geography and history of Andalusia and Valencia .

Chapter one : The Basis of the learning life and the factars of progress.

Chapter two : The learning institutions and their laws .

Chapter three : Aspects of learning activities .

The Conclusion : Discusion, outoomes of the research and generalization .

Various kinds of references were consulted ; and the main ones were those of Andalusia , translated books, Al -

Hadith Al - Sharif , History , Geography, Literature and poetry. The research worker has also consulted contemporary specialized books of different value in their contribution to the present work. These books were either in Arabic, translated to Arabic, or in its orginal language .

This research and its approach with a wide view towards the Islamic learning life demands a survey of the most aspects of science in the Islamic world, including Andalusia, in general and in Valencia in particular.

The majority of the people men and women young and old in Andalusia and Valencia could read and write. Education was with in every body's reach.

There is a fair number of Scientists men and women who contributed to and shared the learning life, Valencia learning life had a contribution of all kinds and to all people. Valencian learning life which was in a constand contact with the Islamic learning life, gives a miniature picture of Islamic learning life People in search of knowledge used to move freely in the Islamic world. Students used to go from Valencia to other Islamic countiries. Scientists also used to go from Valencia to other Islamic countries and Vice Versa.

The Scientific product of Valencia and Andalusia is tremendous, huge in size, wide in frame and it has also that revealing characteristic of reflecting explicitly the social built of the Moslem society with the principles which were exclusively dependant of Law Allah, the Al Mighty.

Science was used for people's welfare. Scientists and students enjoy a good status in their educated society that knew the importance of science and scientists. Scientitst had an important role in directing, and participating in the every-day life.

The learning life was free. This was an important factor in the growth and development science as well as its generous reward and genuine product.